تراث عمان



Pale
Ormus
Obraimi
I. Kismus
Delfshaven
Lareque
C. de Iasques
Iasques
Tamqueboca
Enseada Pari
Palmar Seque
Enseada das
Costa das
olim
Basora Fretum
C. Mozandon
Doba
Dadena
Bocca lima
Quiximi
Quare
Andrani
Cori
Tonie
Holai
Quiximi
Calsa
Xarma
Corfacao
Calata
Nahan
Iguir
Naban
Beron
Tabla
Gode
Iulfar
Cantan
ORMVS.
Soar
Iª de Soar
Mascate
Cariate
Canta
Ommagada
Sochor
Mig
scalat
C. de Rasalgat
Teuhi
Calayata
Marimata
Hor
Carat
Apola
Cuova
Spalheiro
BESCHARIN.
MAFFA.
Maffa
Martinos mons
Enseado d. S. Paulo
O. Palheyros
Desme
Mirbat
I. de Mazira
Magiarabit
Enseado dos Baixos
Syry
ALIBINALI.
Alibinali
Deserta Vasta.
C. d. Materra
Nayn
As duas Pontas
I. Triste
Matrequa
Acor
Asta
VBELHAMAN.
Brun
Gubelhaman
C. dos Pontos
Punta de Curia muria
Iªs de Curia muria
Xeseque
Pacher
Morubate
RTACH.
Dolfar
Gubu
MARE
ARABICVM

إن القليل جداً فقط من البلدان على ظهر المعمورة تستطيع أن تقدّم تنوّع المشاهد وثروة الحياة البرية التي تشكل التراث الطبيعي لعُمان. وتوفر الرقعة الوعرة الشاسعة لصحراء الربع الخالي ورملة الوهيبة الفريدة والمنطقة الساحلية شبه الصحراوية حيث يجلب ضباب الرياح الموسمية رطوبة تهب الحياة لمجموعة كبيرة من الحياة النباتية والحيوانية، خلفية للجروف الشامخة المكسوة بغابات كثيفة من الأشجار النادرة وحيث الوديان التي تفيض بمياه الأمطار الموسمية حيث تشكل شلالات لها مناظر درامية. وفي عُمان يستطيع المرء أن يرى أبقار المارية العربية تعود الى الحياة البرية وتتكاثر في المناطق الصحراوية حيث يحميها سكان المنطقة البدو بكل فخر واعتزاز. كما تعتبر عمان موطناً للآلاف من الغزلان البرية والوعول العربية وحيوان الطهر العربي وبعض النمور العربية التي لم تنقرض، وهي ايضاً موطن لمجموعة كبيرة من الكائنات المعرضة للإنقراض ببطء.

وأينما يتجه المرء بعينيه يجد ما يثير الدهشة، فهناك على سبيل المثال منطقة مسندم التي لا تعرفها الاّ القلة القليلة على الرغم من انهاتشمل بعض أجمل مشاهد الجروف الساحلية في العالم. ان الممرات البحرية التي تكتنفها الجروف تشكل ملاجيء أمينة للصياديين المحليين وتوفر غذاءً غنياً لجراد البحر "أم الربيان" اللوبسترولقطعان الأسماك ومجموعة من الحياة البحرية الأخرى.

إن مشهد قطعان السردين التي تطاردها أسماك التونة المتقافزة أوالدلافين، والتي يصطادها العمانيون الذين يسحبون شباكهم حولها بالقرب من البر قبل أن يضعوا صيدهم في الشاحنات الصغيرة هو من المشاهد المألوفة التي يراها كل من يقود سيارته على الطرق الجديدة النظيفة التي تحتضنها الجروف. وبالاضافة الى ذلك يوجد ما لا يقل عن ١٤ نوعاً من الحيتان والدلافين التي تظهر بالقرب من الشاطيء. وبعض الجزر العمانية هي أماكن ذات أهمية عالمية حيث تعشعش فيها السلاحف، إذ تقوم أكثر من ٣٠٠٠٠ سلحفاة من السلاحف البحرية الكبيرة ضخمة الرأس بوضع بيضها في جزيرة مصيرة وحدها، ولا نغفل بالطبع عن ذكر أنواع السلاحف الأخرى مثل السلاحف الخضراء وسلاحف البحر التي تعشعش هناك بأعداد كبيرة.

إن مجلدات بأكملها لا تكفي للحديث عن التاريخ الطبيعي لعمان، ومع ذلك فقد تناول المؤلف في هذا المجلد المصوّر الجميل بعض الموضوعات المثيرة الأخرى وتناول بالوصف الماضي العريق للبلاد وكشف النقاب عن أهمية عمان للحضارة القديمة في بلاد ما بين النهرين، وأوضح التطورات المبتكرة والحساسة من الناحية البيئية للبلاد. لقد تنقل المؤلف بكثرة في أنحاء البلاد خلال قيامه بالأبحاث اللازمة لهذا الكتاب المثير عن تراث عُمان الرائع.

تراث عمان

تراث عمان

بيتر ڤاين

دار ايميل
للنشر

تـراث عمـان

الخرائط المطبوعة في هذا الكتاب ليس لها أي صفة رسمية فيما يتعلق بالحدود الدولية.

الصور المنشورة في هذا الكتاب هي من تصوير المؤلف ما لم يتم نسبها إلى شخص آخر.

المساهمون الآخرون في انتاج هذا الكتاب:
النص:
جيجي كروكر جونس.

الصور الاضافية:
متحف الصناعات التعدينية الألماني، بوتشوم. تصوير جي فيسجربر.
بعثة الآثار الألمانية إلى سلطنة عمان. تصوير بول يول.
وزارة الاعلام، سلطنة عمان.
وزارة النفط والمعادن.
شركة تنمية نفط عمان ش. م. م.
مكتبة شيستر بيتي، دبلن.
هان وجينز إريكسين.
رانولف فينس.
إيف جيلي.
شيرلي كاي.
رودني سالم.
أندرو سبالتون.
جي. تومسون.
كريستيان ڤيوجارد.

الترجمة وصف الحروف والاخراج الفني:
شركة الغرافيك العربي، لندن. هاتف: ٠١٧١ ٧٣٩ ٨٠٠٠

رقم الطلب الدولي ISBN 1 898162 40 1

دار إيميل للنشر المحدودة
٢٠ باركلي ستريت
باركلي سكوير
لندن، دبليو ١ إكس ٥ أي ئي

هاتف: ٠١٧١ ٤٩١ ١٧٩٩
فاكس: ٠١٧١ ٤٩٣ ٥٥٢٤

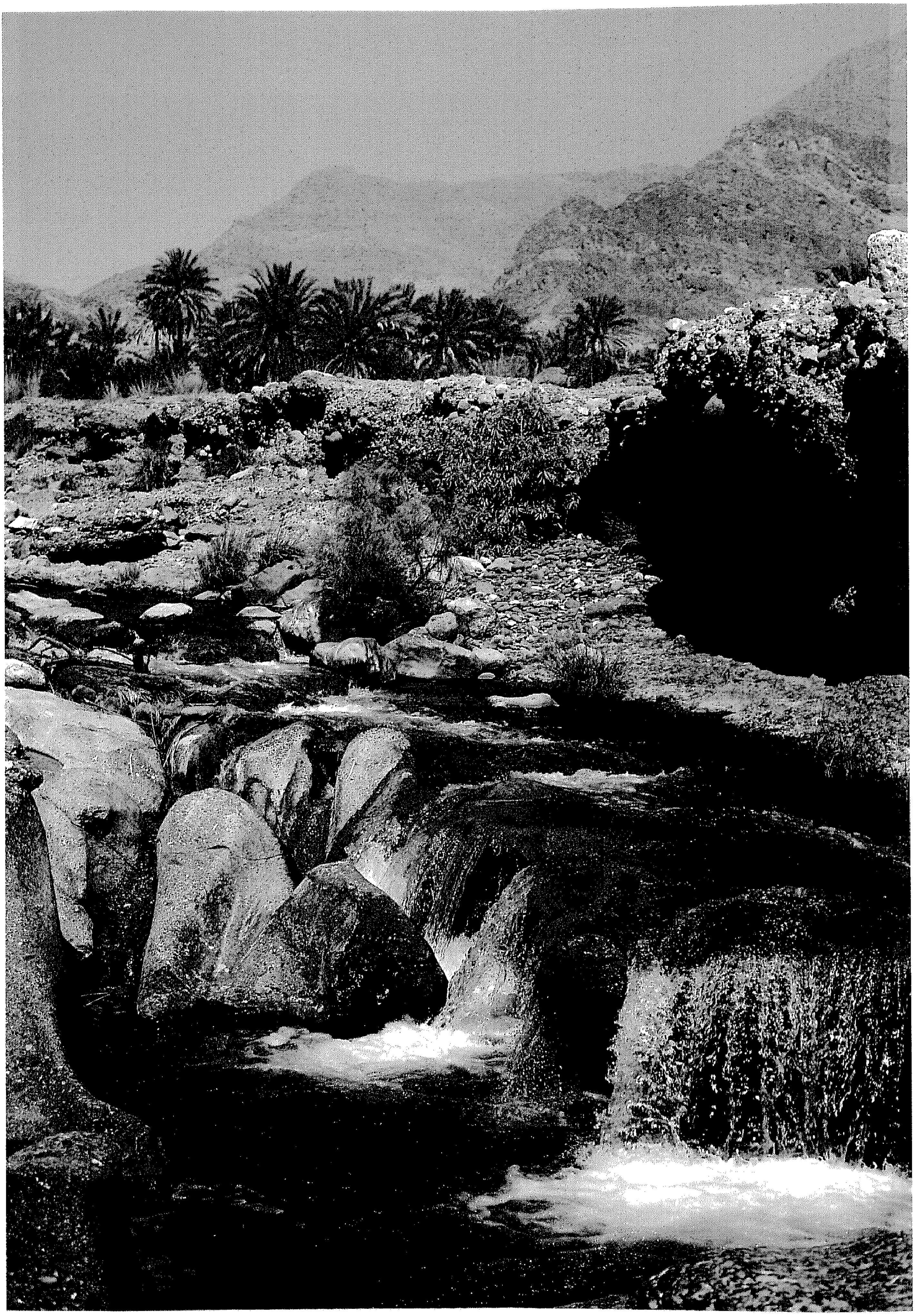
المحتويات

التاريخ القديم



مقابر في شكل خلية النحل موجودة في وادي العين.

شركة تنمية نفط عمان



المستوطنون الأوائل

فريق الصيد

لقد دفعت بهم العاصفة إلى الشاطىء بحثا عن الطعام. وأحياناً تجلب مثل هذه العواصف الفأل الحسن، فتلقي بالأسماك الطازجة إلى الشاطىء ربما كقربان مقدم من الأرواح. لكن هذه العاصفة، على وجه الخصوص، كانت شيئاً مختلفاً فقد كان رذاذ الماء المالح يرتطم بالشاطىء معبرا عن غضب البحر الشديد. ومع ذلك فقد كان من الممكن مواصلة جمع القواقع من الخليج الصغير الذي تحف به أشجار القرم والذي يتوارى خلف اللسان البحري. ولذلك فقد ترك الرجال النساء والأطفال الصغار خلفهم وحضروا ليبحثوا عن اللحم الطازج. لم يسبق للرجال استكشاف هذه المنطقة من قبل على الاطلاق، فقد يتنقلون على طول الساحل وأحيانا ما يمكثون في نفس المكان لعدة طلعات قمرية (أيام) لكنهم يغادرونه في النهاية سعياً وراء البحث عن أراضٍ جديدة. وكان أباؤهم وأجدادهم يفعلون نفس الشيء، وهم أنفسهم في أيام الطفولة قاموا بأعمال الصيد المشابهة ليكتسبوا من الأجيال التي سبقتهم المهارات المختلفة مثل مهارات التقفي والتتبع وليتعلموا كيفية توقع الخطر واحترام رشاقة ودهاء القط المنقط وتذوق حلاوة الانتصار عند ايقاع الحيوان ذي القرن الأبيض في الفخ.

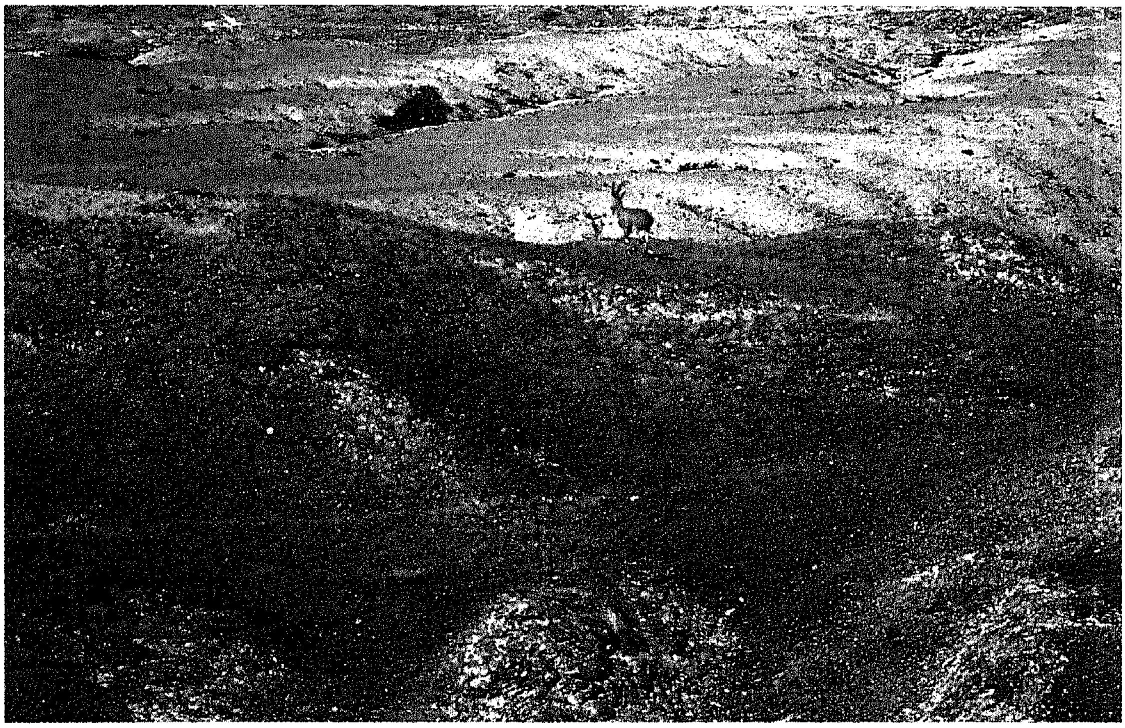
لقد قادتهم هذه الطرقات إلى مكان غريب، أقاموا فيه لمدة يومين يقتفون آثار قطيع كبير من الحيوانات ذوات القرون البيضاء. واستطاعوا في بعض الأحيان رؤية هذه الحيوانات من على مسافة بعيدة حيث كان لون جلودها الأبيض الناصع يعكس أشعة الشمس وكانت أجسامها تبدو وكأنها تسبح في السماء مع ومضات السراب المنبعثة في الأفق الناتجة عن دفء النهار. ولم يبد لهم ما يدل على أن هناك في هذه المنطقة نقص في الحيوانات البرية الصالحة للصيد لأنهم نادرا ما شاهدوا مثل هذا العدد الكبير من الحيوانات. وكان قطيع من الغزلان الرشيقة يرقص أمام عيونهم وتتطاير مع اقترابها طيور كبيرة تتسابق راكضة على الأرض أولا قبل أن تحلق في الجو. وكان أكبر هذه الطيور حجماً لا يستطيع الطيران لكنه كان أسرع في الركض من الحيوان ذي القرن الأبيض. وكان لهذه الطيور بيض كبير صالح للأكل ولاستخدام قشوره في صنع الأكواب المستعملة في الشرب. وهكذا لم يكن هناك نقص في الطعام هنا، مع ذلك فلم يكن اصطياد هذه الحيوانات أمراً سهلاً. لكنهم لحسن الحظ تمكنوا من العثور على حل لهذه المشكلة.

فالسهل المتدرج الارتفاع الذي كانوا يسيرون عبره انخفض فجأة ليشكل وادياً صغيراً ضيقاً شديد الانحدار. وهو شيء لا عهد لفريق الصيد به ولم ير مثله من قبل مطلقا. وكان من الصعب عليهم ايقاع الحيوانات الضخمة في الفخ عندما كانت تسرح وتمرح راكضة بحرية في السهل العشبي الفسيح أما الآن فقد أصبحت لديهم مصيدة طبيعية في نفس جودة مصائد الوديان الجبلية الضيقة التي كانوا يصيدون فيها منذ ثلاث ليال قمرية مضت. وتطرقت إلى أسماعهم حتى حين كانوا واقفين يتأملون الجروف ويتطلعون إلى الأرض الواسعة للصدع الكبير، قعقعة الأحجار ووقع الضربات المنتظمة لحوافر الحيوانات ذات القرون المقوسة أثناء ارتقاء قطيع منها للصخور الواقعة أسفلهم، وظهورهم عند القمة وهم يركضون على طول الحافة يقودهم ذكر ذو قرن كبير وخلفه زوج من العجول. لقد سبق لهم رؤية مثل هذه الحيوانات من قبل مرة أو مرتين أثناء رحلات الصيد التي قاموا بها، لكنهم لم يتوقعوا أن يجدوها هنا. كان الفأل يبشر بالخير وطلب منهم زعيمهم أن

في الصفحة المواجهة: شلال طبيعي في منطقة الحجر الشرقي الجبلية.



أدناه: رمح من العصر الحجري ورأس حربة من أيام المستوطنين الأوائل لعمان.



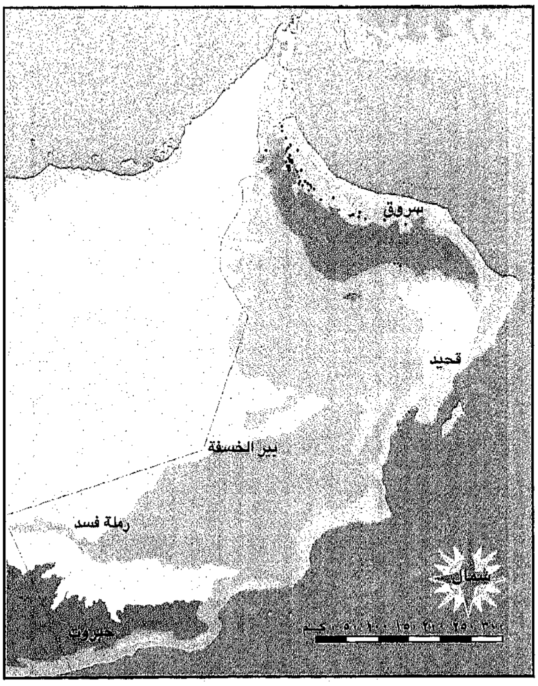
الحقف في آدم هي منطقة برية مقفرة ونائية لم تشهد أي تغير يذكر منذ قيام الانسان بالصيد فيها لأول مرة. ولا يزال الوعل (تيس الجبل) موجوداً فيها، حيث يعيش على مقربة من قمة المنحدرات الصخرية شديدة الانحدار.

يجلسوا ثم قام برسم بعض الرسومات على الرمل شارحاً لهم خطته.

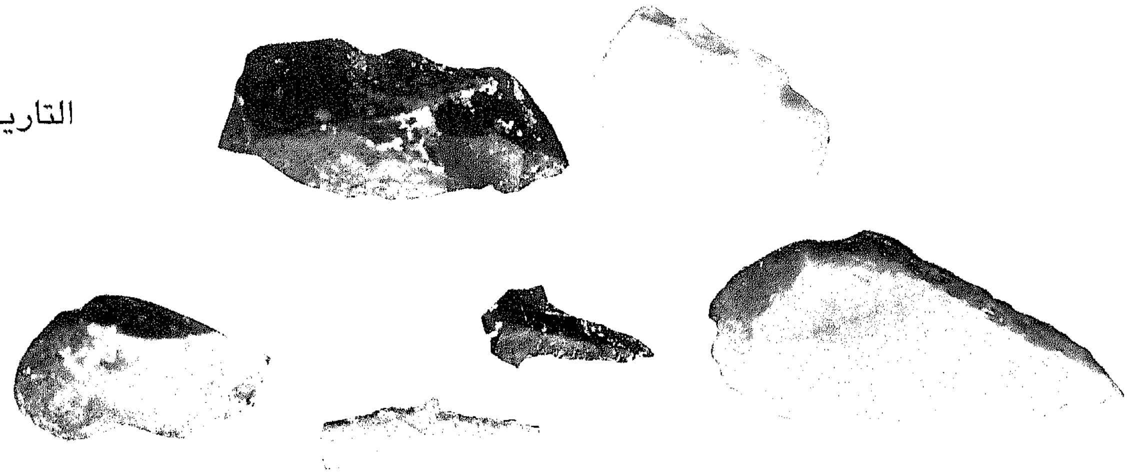
اختبأ الرماة في اليومين التاليين في الوديان الصغيرة الضيقة، وقام زملاؤهم في هذه الأثناء بملاحقة الطرائد ودفعها في اتجاههم. لقد كانت مصائدهم مصممة لتعوق حركة الطريدة لفترة من الوقت تكفي لتمكين الصيادين من الانقضاض عليها وقنصها. ولم تكن المهمة يسيرة، لكنهم أيضا لم يكونوا بحاجة إلى قتل عدد كبير من الحيوانات لاطعام أعضاء المجموعة بأكملها. ومع حلول الأمسية الثانية كانوا قد نجحوا في صيد ثلاثة حيوانات أحدها من نوع الحيوان ذي القرن الأبيض والاثنين الآخرين من ذوات القرن المقوس الصغير والتي تعيش في الكهوف. وقاموا بسلخ جلود الحيوانات وشواء لحمها فوق نار مكشوفة. ثم حملوا الجلود وما تبقى من اللحم وعادوا بهما إلى عائلاتهم لتشاركهم هذه الوليمة. لقد كانت الحياة جيدة حقاً.

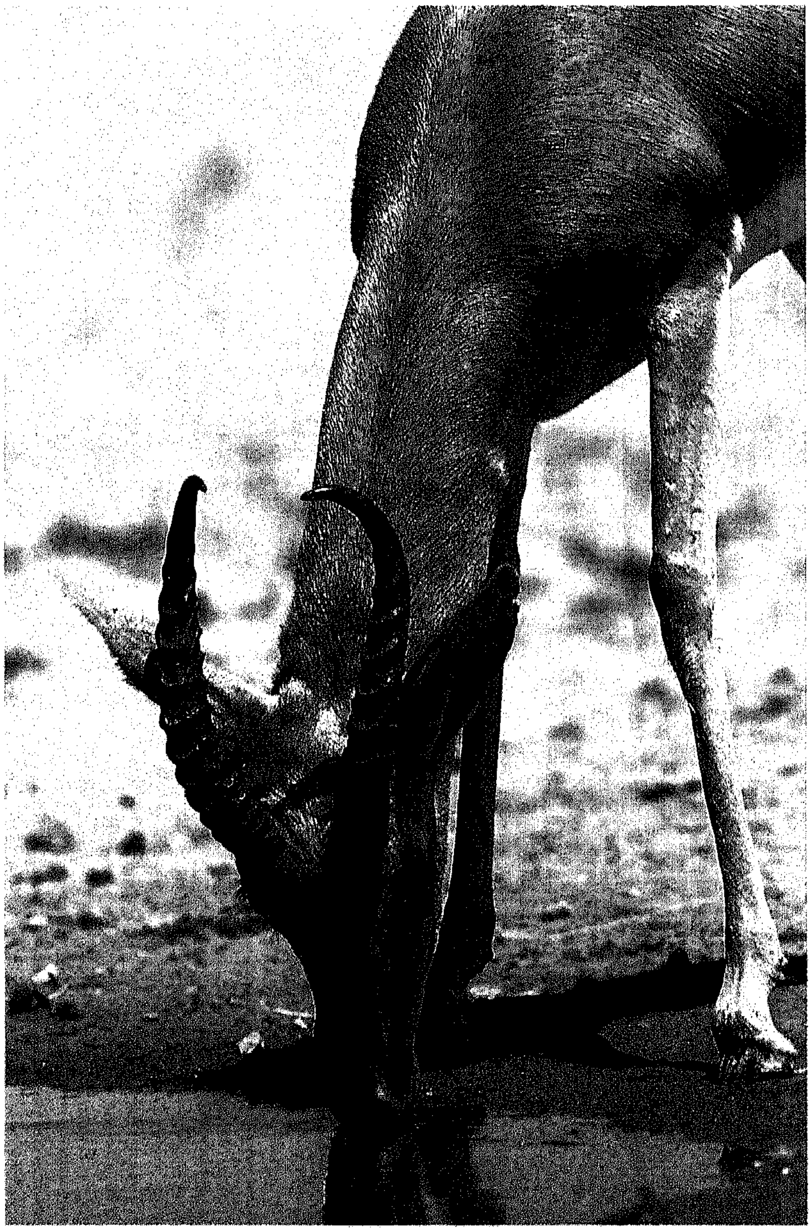
وعند عودتهم كانت العاصفة قد وهنت وكانت نساؤهم قد جمعن كومة كبيرة من المحار اللذيذ من بين أشجار القرم. وانشغلت امرأتان بعمل خطافات لصيد السمك من الأصداف القديمة وكانتا تكشطان الرقائق باستخدام حجارة صوانية مدببة. أشعلوا النار بالقرب من الشاطىء ودار في تلك الأمسية حديث طويل عن أعمال البطولة التي قام بها الرجال وعن الأشياء التي شاهدوها. وعندما انتهى الرجال من سرد حكاياتهم حان دور النساء للحديث. فروت احدى أكبر الفتيات سناً ما لاحظته في اليوم السابق عندما كانت تصطاد السمك عند طرف اللسان. وقالت ان رجلين مرا بها في قارب غريب الشكل،وانهما لم يكونا من أبناء القبيلة التي تنتسب إليها المجموعة. كما أن الفتاة لم تر في حياتها ـ كما قالت ـ قارباً مشابهاً للقارب الذي كانا على متنه. ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يستمع فيها الرجال إلى مثل هذه الروايات عن أمثال هؤلاء الأشخاص. ففي طلعة القمر الأخيرة التقت مجموعة من أفراد القبيلة ببعض الصيادين الذين يمتطون مثل هذه القوارب عند رسوهم في خليج صغير. وقد أعجب أفراد المجموعة بخطافات صيد السمك التي كان يستعملها هؤلاء الأغراب وبملابسهم المنسوجة الغريبة وبأواني الماء والقوارب المصنوعة من بعض حزم القصب والتي تصلح للابحار في البحار. ومن خلال محاولات أفراد المجموعة الاتصال بهؤلاء الغرباء عن طريق الاشارات كان يبدو أنهم قدموا من أماكن بعيدة وجذفوا بمجاذيفهم لفترة طويلة استغرقت عدة طلعات قمرية.

ولو كان بمقدور هؤلاء الغرباء أن يتحدثوا بنفس لغة أفراد المجموعة لشرحوا لهم أنهم قادمون من احدى المناطق القريبة من مدن أور وإريدو والابيض جنوب بلاد ما بين النهرين (بلاد وادي الرافدين) عند رأس الخليج، وأنه لم يكن في نيتهم التوغل في الابحار جنوباً إلى هذا



توزيع مواقع وجود رؤوس السهام النصلية. (طبقا لبوتس، ١٩٩٠)





هان وجينز إريكسين

غزال جبلي محرم صيده الآن، تم تصويره في جعلوني، لكنه في الماضي كان يشكل مصدراً أساسياً للحوم لسكان الصحراء في عمان.

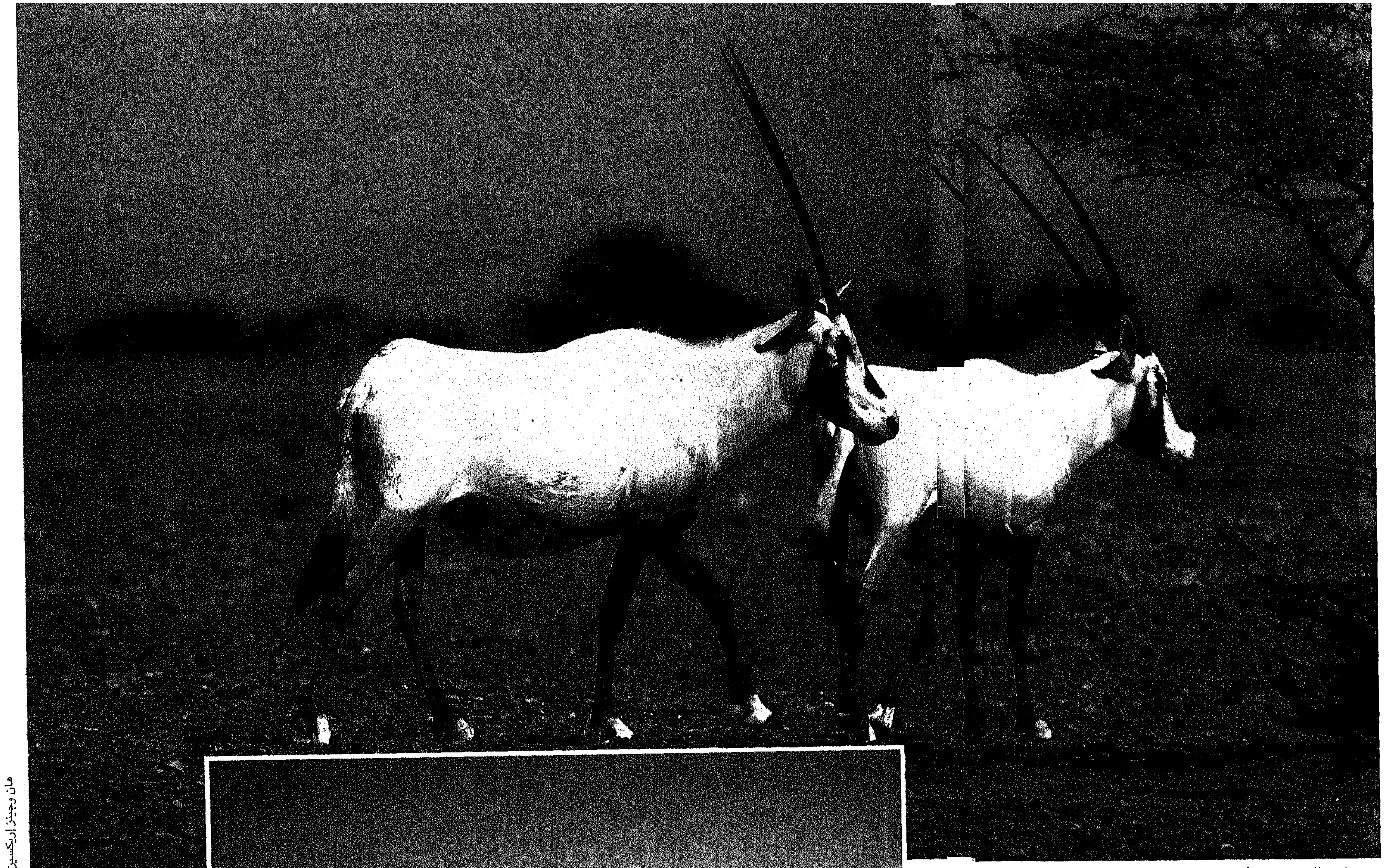
الحد غير أن التيارات القوية عند المقطوعات الصخرية الشاهقة جرفتهم حول قُنة (رعن) الجبل للمضيق وأنهم وجدوا أنفسهم يواصلون الرحلة لشدة اعجابهم بما رأوه من جهة ولخشيتهم من العودة من الطريق الذي قدموا منه ذاته. ولم يكن هؤلاء الأغراب أول من قام بهذه الرحلة، ومن المؤكد أنهم لن يكونوا آخر من يقوم بها، فالبحر بالنسبة للسومريين الذين يستوطنون بلاد ما بين النهرين القديمة، هو في المقام الأول مصدر هام للحصول على الغذاء. ومع تغلغل الصيادين في عرض البحر استطاعوا تحسين زوارقهم وجعلها صالحة للابحار في البحار وتمكنوا كذلك من اتقان مهارات الابحار. وبعد مضي فترة من الزمن أصبح من الواضح أن هذه السفن البحرية أتاحت توفير وسيلة قيمة لنقل الناس والبضائع على حد السواء. واكتشف الصيادون الذين أبحروا جنوباً لصيد الأسماك بعض الكنوز الأخرى مثل التمر واللؤلؤ والمواد العطرية مثل اللبان والبخور. كما اكتشفوا أخيرا مادة النحاس الخام الثمينة واللازمة لصناعة الأدوات البارعة في سومر.

عصر ما قبل الفخار: العصر الحجري في عمان

إن رحلة الصيد التي تم وصف وقائعها آنفا هي بالطبع مجرد تصورات وتوقعات بالنظر لعدم وجود أية أوصاف مكتوبة عن أساليب الحياة التي كان يمارسها المستوطنون الأوائل في عمان. ومع ذلك فإن هذه القصة مبنية على تقييم دقيق للتحف الفنية والآثار التي عثر عليها علماء الآثار العاملون في منطقة عمان. وتعتبر الأدوات الحجرية من أقدم الأدوات التي صنعها الانسان والتي نجت من الفناء عبر آلاف السنين لتعطي احساساً مثيراً بمعايشة الماضي. وقد تم اكتشاف كميات كبيرة من رؤوس الرماح الحجرية والمكاشط والفؤوس وغير ذلك من الأدوات التي تركها الصيادون الذين جابوا المنطقة المعروفة باسم عمان بحثا عن الطرائد. وعلى عكس الاكتشافات اللاحقة التي يمكن تحديد عمرها بالتحليل الكربوني، فإن الطريقة الوحيدة التي يمكن بها تقدير عمرهذه الأدوات الحجرية — إذا لم تكن مرتبطة بصورة مؤكدة بالآثار التي تعود إلى عصر محدد — هي مقارنتها بالأدوات الأخرى المماثلة التي تم تحديد عمرها بصورة موثوق بها.

إن المناطق (التي تفتقر إلى الفخار) الموجودة في شرق وجنوب الجزيرة العربية والتي تم العثور فيها على أدوات حجرية، هي مناطق ذات أعداد كبير ةنسبياً، لكن هناك جدلاً كبيراً حول ما إذا كان أي من هذه المواقع يرجع إلى العصر الحجري الحديث أو إلى طوره الأول القديم فقط بالتحديد. وفي المناقشات التي جرت أخيرا

بقرتان من نوع المارية (المها) العربية (ضرب من البقر الوحشي) تتجول بحرية في جدة الحراسيس. لقد كانت مصدرا هاماً للطعام للمستوطنين الأوائل الذين كانوا يصطادونها باستخدام مصائد صحراوية مصممة بذكاء وباستعمال السهام والأقواس.



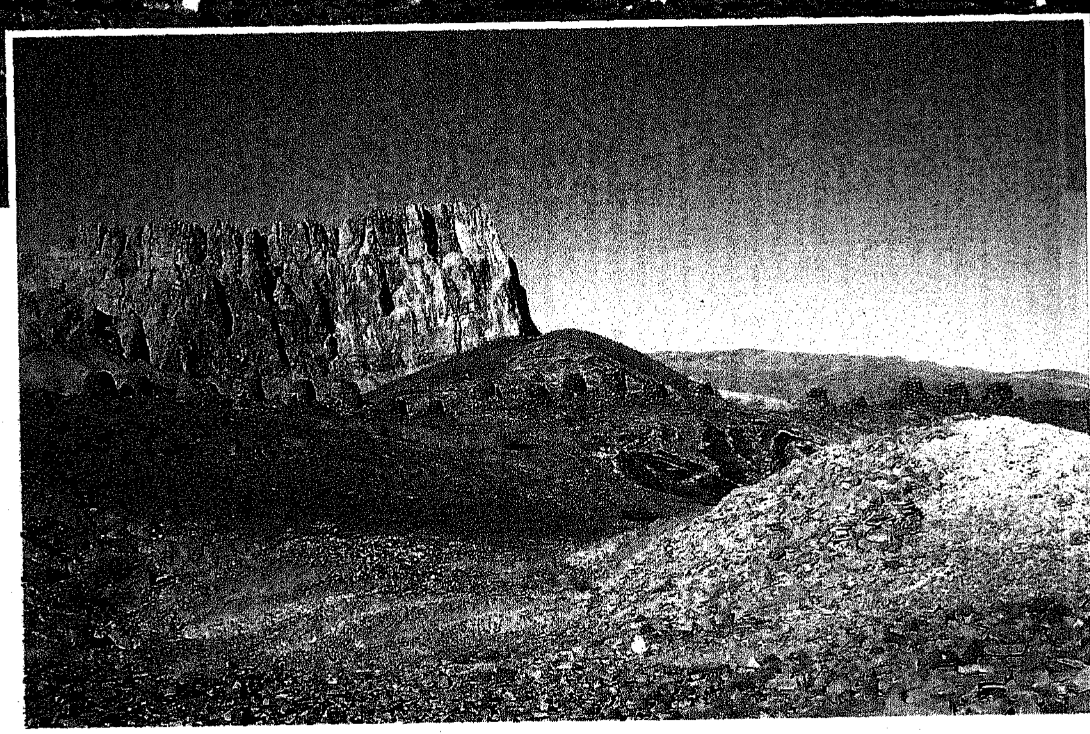
حول هذه المسألة تمت الاشارة إلى أن المواقع التي كان يعتقد في الماضي بأنها ترجع إلى العصر الحجري القديم تبلغ من العمر في الواقع ٩٥٠٠ سنة أو أنها ترجع إلى العصر الحجري الحديث. وقد فندت الدراسات التي قامت بها بعثة الآثار الفرنسية والتي تعمل في أماكن أخرى من المنطقة الجنوبية الشرقية للجزيرة العربية بصورة قاطعة التفسيرات التي تقول بالعمر المبكر للآثار التي تم اكتشافها هناك. وأوضحت هذه الدراسات أن المكاشط التي كان يعتقد بأنها ترجع إلى العصر الحجري الأوسط كانت في الواقع ترجع إلى الألف الخامس أو ربما إلى الألف الرابع قبل الميلاد. وقد كتب «دي. تي. بوتس» في تعليقه على هذا العمل، الوارد في بحثة الممتاز المكون من جزئين والمعنون «الخليج في العصور القديمة» يقول: "لقد حذف «جاي. تيكسر» و«إم. إل. إنيزان» بالفعل عبارة العصر الحجري القديم من قائمة المفردات المستعملة في علم الآثار القديمة للخليج ورفضا أن ينسبا الاكتشافات الآثارية المذكورة أعلاه والتي أتت من الكويت ومن شرق المملكة العربية السعودية والبحرين وعمان إلى العصر الحجري القديم". (ومع ذلك فإنه يؤكد وجود بعض المواقع في غرب الجزيرة العربية ترجع إلى العصر الحجري القديم).

إن الأدوات الحجرية الأولى التي جاء ذكرها آنفا يوجد لها مثيل في عمان، وهي ترجع إلى حوالي الأعوام ٧٦٠٠– ٥٠٠٠ ق.م. وبذلك فهي تعطينا أقدم دليل قوي على وجود الانسان في عمان. إن الشكل النموذجي المنبثق عن الصناعة الحجرية لذلك العصر، هو رأس الحربة الناحل بنصله المصقول بأناقة، والذي يكون أحياناً مزوداً بمقبض. وقد تم اكتشاف مواقع يمكن ارجاعها إلى هذه الفترة من العصر الحجري الحديث في عدة أماكن مختلفة في عمان تشمل رملة فسد الواقعة في شمال ظفار وبير خصف وحبروت في جنوب ظفار وفي رملة الوهيبة وفي سرور بالقرب من مسقط. إن أحد المظاهر التي تلفت النظر حول مواقع حجارة الصوان التي ترجع إلى أوائل العصر الحجري لمنطقة جنوب الجزيرة العربية هو أنها موزعة بصورة شديدة التناثر، وربما يعكس هذا الأمر حقيقة أن المناخ في جنوب الجزيرة العربية خلال هذه الفترة كان أدفأ نسبيا وأكثر جفافاً، وأن أعداد الطرائد كثيرة التناسل في خلال الألف الخامس وأوائل الألف الرابع ق. م. لم تكن بهذه الوفرة تقريباً في هذا العصر الأسبق. •

هان وجينز إريكسين

وعلى الرغم من أن عدد الصيادين الذين كانوا يعتمدون على رؤوس السهام ذات النصل الحاد كان يبدو صغيرا، إلا أن هذا لا يعني أن الصيادين كانوا النوع الوحيد من الناس الذين عاشوا في عمان في ذلك الوقت. وبينما لا يمكن اعتبار المناطق الداخلية التي تعاني من الجفاف مثالية لتجمعات الصيادين المعروفة في ذلك الزمان فإن الحياة بالقرب من المناطق الساحلية كانت شيئاً آخر مختلفاً تماماً. وقد أشار اليونانيون في وقت لاحق بكثير إلى «أكلة السمك» الذين عاشوا بالقرب من سواحل الجزيرة العربية. لقد رسخ أسلاف صيادي السمك العرب هؤلاء وجودهم في الجزيرة العربية خلال الحقبة التاريخية من حوالي أعوام ٧٦٠٠–٥٠٠٠ ق. م.

وكما سنرى في القسم الذي يتناول عصر أواخر



منظر مثير للمقابر التي بنيت على هيئة خلية النحل والموجودة في وادي العين.



هان وجينز إريكسين

كان غروب الشمس في جعلوني مشهدا مثيرا تماماً كالذي يبدو في هذه الصورة. إنه مكان ساحر صانته الطبيعة بحنان. وهو مكان يعود فيه الانسان إلى الماضي ويكتسب الأمل في المستقبل.

الألف الرابع والألف الثالث ق. م. فإن مجتمع الصيد كان يفضل الصيد من بعض الألسنة (الأخوار) المعروقة على امتداد ساحل عمان، والتي يمكن للأفراد أن يراقبوامنها مجموعات الأسماك فيما هم يؤدون في الوقت ذاته مهامهم اليومية بالعناية بأدوات الصيد الخاصة بهم. وكان الصيادون في حوالي عام ٦٠٠٠ ق. م. وما بعدها يستخدمون موقع رأس الحمراء الواقع غربي مسقط بالقرب من الموقع الحالي لفندق انتركونتيننتال. وكانت المنطقة تبدو مختلفة إلى حد ما في العصور القديمة حيث كان الجدول (الخليج) الواقع أسفل اللسان مكسواً بغابة كثيفة من أشجار القرم، وكان يعتبر موقعا أساسيا لجمع الرخويات التي كانت تشكل جزءاً هاما من نظام التغذية لأفراد المجتمع. ومن بين سلسلة المواقع التي تم حفرها في منطقة رأس الحمراء يوجد موقع واحد، هو الموقع RH10، يقدم أدلة مبكرة على تواجد مجتمعات الصيد هذه في عمان. وقد تم تطبيق الاختبار الكربوني ١٤ على بعض قطع الفحم والمحار وعلى التربة التي أحرقتها نيران القدم لتحديد عمرها. كما كانت المقابر تحتوي على مخلفات انسانية متفحمة. وكان أقدم إطار زمني تم تحديده باستخدام اختبار الكربون ١٤ هو الاطار الزمني ٥٩٧٥-٥٤٧٥ ق. م.، وفي نفس الوقت تم اكتشاف مجموعة أخرى من المواد ترجع إلى الفترة ما بين عامي ٥٨٠٠ و٥٣٩٠ ق. م. مما يؤكد أن هذا الموقع يرجع إلى الألف السادس ق. م.

وقد أكدت الدراسات التي أجريت على الأدوات الحجرية التي تم العثور عليها في شرق وجنوب الجزيرة العربية والتي ترجع إلى الألف الخامس قبل الميلاد، انتشار تقاليد مشابهة في تقنيات التصنيع الخاصة بمنطقة واسعة تمتد من المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية إلى ظفار في جنوب عمان. كما أكدت عمليات تحديد العمر باختبارات التحليل بالكربون المشع أن الموقع الكائن في منطقة رأس الحمراء كان مأهولاً طول فترة الألف الخامس ق. م.

وبالاضافة إلى مخلفات وجبات الطعام التي تم العثور عليها، فإن الأدلة الأخرى على تواجد الانسان تتوفر من خلال اكتشاف وجود ثقالات شباك الصيد وخطافات صيد السمك المصنوعة من أصداف اللؤلؤ والعظام. ويؤكد اكتشاف الذرة الرفيعة في إحدى الطبقات التي ترجع إلى عام ٤٨٠٠ ق.م. الاستعمال المبكر في عمان لنبات أصبح فيما بعد محصولا زراعياً كبيرا تنتشر زراعته في جنوب آسيا وأفريقيا. ومع ذلك، لا يزال هناك شك حول ما إذا كان هذا الذره الرفيعة مستورداً أو أن زراعته تمت محلياً. كما أن اكتشاف وجود أحد الفؤوس المصنوعة من الحجر الأخضر المصقول والذي قد يكون أحد الأدوات التي كان يتم استخدامها في بناء القوارب الخشبية، فضلاً عن وجود كمية كبيرة من خطافات صيد السمك المصنوعة من الأصداف، هو دليل آخر على اعتماد هؤلاء الناس بصورة أساسية على البحر والأعمال البحرية.

وفي كتابه *«الخليج العربي في العصور القديمة»* لفت «بوتس» الانتباه إلى كتابات البارون «آر. سي. كيون دي هوجروورد». فقد كان البارون يكتب عام ١٨٨٦ عن الأوضاع البحرية في الخليج وفي المحيط الهندي، وأوحى «بوتس» أن الأمور في العصور القديمة لم تكن مختلفة بدرجة كبيرة، وعلق على ذلك بقوله:

في مطلع حديثه عن سكان الساحل العماني أطلق البارون عليهم اسم «بدو البحر الحقيقيين»... كان مجتمعهم مختلطاً يضم العرب والفرس والبلوشيين والسوقطريين والأمهرين وكذلك بعض أهل حضرموت. وكان هؤلاء الناس يتنقلون حسب الموسم حيث كانوا يمضون ما لا يقل عن ثلاثة أشهر كل سنة في بلوشستان لتقديد وتمليح الأسماك التي اصطادوها قبل أن يعودوا إلى عمان لبيع جزء منها.

آواخر الألف الرابع والألف الثالث ق. م.

مستوطنات الصيد

كـان الصيادون فـي الألف الـرابـع ق. م. يعيشـون فـي مستوطنـات صغيرة مـؤقتة منتشرة علـى طول سـاحل الباطنة. وكانت إحدى قواعـدهم الرئيسية تقع عنـد رأس الحمراء حيـث تم العثور علـى أدلة تشيـر إلى تواجـدهم هناك فـي ذلك العصـر، وذلك مـن خلال عمليـة تحديـد التاريخ بتطبيق اختبار التحليل الكـربوني على الآثار التي تم العثور عليها هناك.

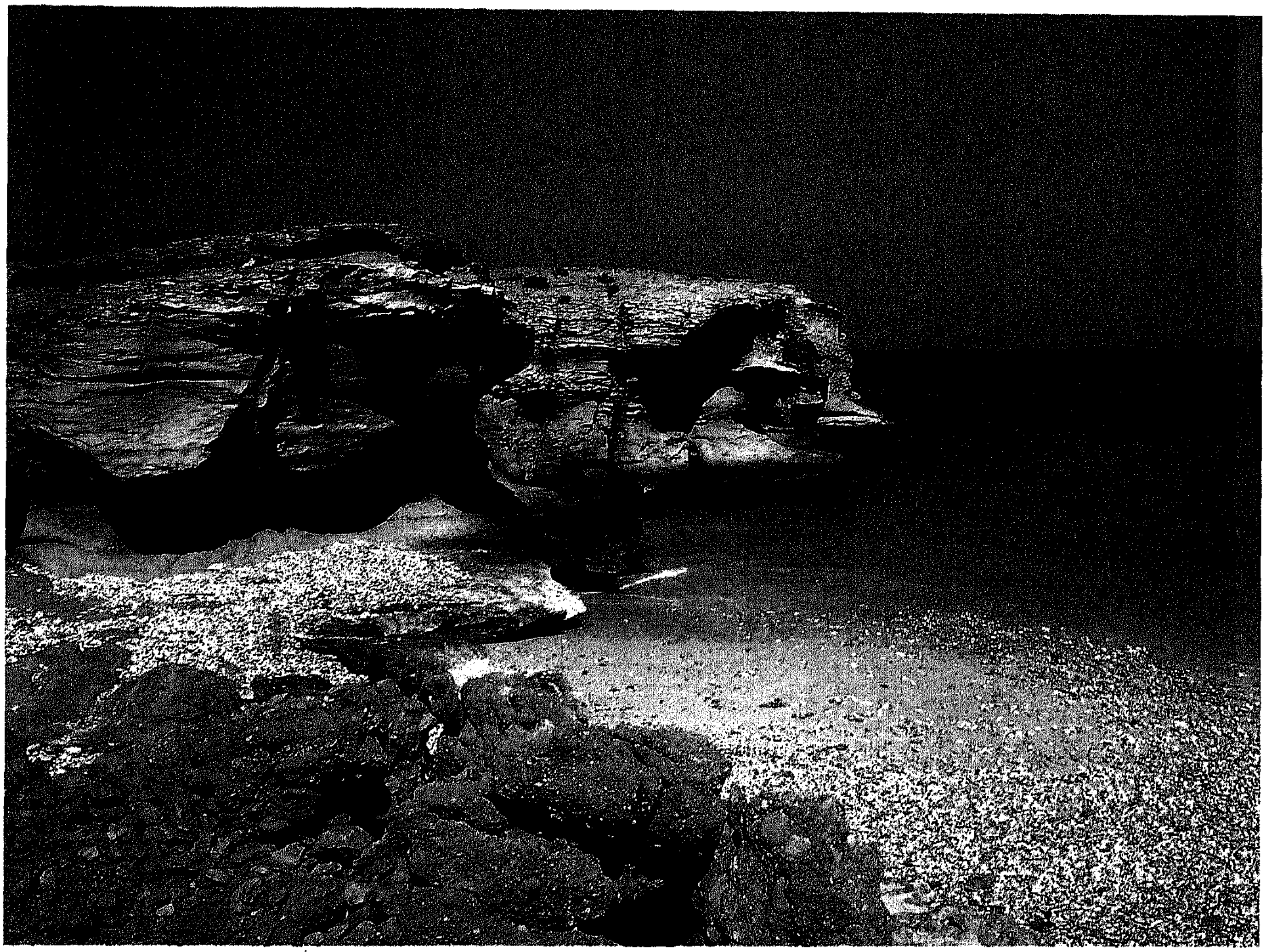
ويشير فئـات المواد الغـذائية إلـى أن طعام أفـراد مجتمـع الصيـد كان يتكـون مـن الـرخويـات والسمـك والسـلاحف ولحـم الدلافيـن أو الحيتـان ولحم الطـرائد البرية مثـل الغزلان، وإلى أنهم كانوا يطهـون جميع هذه الأغذية فوق نيران الأخشاب والحطـب. ومن الثابت أيضاً مـن خـلال آثـار الآبـار (الحفـر) قليلـة العمـق ودوائر الحجارة أن سكان هـذا الموقع قد أقامـوا بعـض الأكواخ بالقرب مـن الشاطىء، وأنهم كانـوا يدفنون موتـاهم في المقـابر. وتضمنـت الاكتشافـات المتعلقة بهـذا الموقـع بعض الأواني المصقولة ذات اللون الأسود والتي تعتبـر نموذجـا لصناعة الفخـار القديمـة المعروفة فـي شمال شـبه الجـزيرة العمانية. وتعتبـر المقبرة الموجـودة في رأس الحمراء هـي المقبرة الـوحيدة التـي تم اكتشـافها حتى الآن في شبه الجزيرة العربيـة بأكملها والتي ترجع إلى الألف الرابع ق. م.

ومن المثيـر ملاحظة أن دفن جثـث الموتى كـان يتم فـي وضعين مختلفين،إما على جـانبهم الأيمن في اتجاه الشمال الغربـي (وهو اتجاه غروب الشمـس في أواخـر الصيـف وأوائل الخريـف) أو على جـانبهـم الأيسر فـي اتجاه الجنوب الشرقي (وهـو اتجاه شروق الشمـس في فصل الشتـاء). وقد تـم تفسير ذلـك بأنـه دليل علـى أن استيطان موقع رأس الحمراء ربمـا كان يتم على أسـاس مـوسمي. ومـن السمات الهـامة الأخـرى لهذه المقابـر العربيـة القديمة أنـه كان يتم فـي الغالب وضـع بعـض الأطعمة في المقبـرة ربما كنوع من القرابيـن، وذلك بعـد

سلحفاة خضراء تعود إلى البحر في رأس الجنيز في رحلة كانت تتم هنا منذ عدة آلاف من السنين.

هان وجينز إريكسين





كانت منحدرات رأس الجنيز تشكل أحد المعالم البارزة سواء للسلاحف أو الصيادين القدماء على حد سواء.

تغطية جثة المتوفى بالتراب والحجارة. وكانت السلاحف والأسماك من الأطعمة الشائعة في هذه المقابر وإن كان بعضها الأخر يتضمن الرخويات أو بقايا لحم الغزال أو بقر المارية أو الثدييات البحرية. ويبدو أن ترس (ظهر) السلاحف الخضراء كان له مغزى خاص إذ كان يتم وضعه في المقابر باستمرار. أما بالنسبة للموتى أنفسهم فلم يتم العثور معهم على أية أسلحة أو أشياء ثمينة من الآثار الخاصة بالمقابر، وذلك باستثناء بعض العقود المصنوعة من الصدف أو العظم أو حجر الاستيتيت والتي كان يتم وضعها في المقابر في بعض الأحيان. وتوحي حقيقة أن مجموعات العقود الموضوعة في المقابر كانت تتباين وتتراوح بين كميات صغيرة جداً وأخرى كبيرة (تم العثور على ١٥٢ عقدا في مقبرة واحدة) بأن المجتمع الذي كانوا يعيشون فيه كان مجتمعاً طبقياً في الاحتمال الأغلب.

طرق الصيد

استخدم الصيادون أساليب مختلفة في الصيد بما في ذلك المصائد وخطافات الصيد المصنوعة من العظام وشباك الصيد. وقد تم العثور في موقع المستوطنة القديمة الموجودة في رأس الحمراء وفي العديد من المواقع الأثرية الأخرى على طول الساحل العماني، على ثقالات لشباك الصيد مصنوعة من الحجارة. ولتخيل احدى الصور المدهشة لطرق الصيد القديمة التي دامت حتى الماضي القريب فليس هناك أفضل من قراءة وصف «إتش. جاي. كارتر» المنشور في عام ١٨٥١. فقد كتب في معرض تعليقه على ملاحظاته التي جمعها عن رأس الجيب في مسندم حيث كان الصيادون يخرجون للصيد مستخدمين وسائل عون منفوخة وقابلة للطفو مصنوعة من جلود الحيوانات كانوا يسمونها



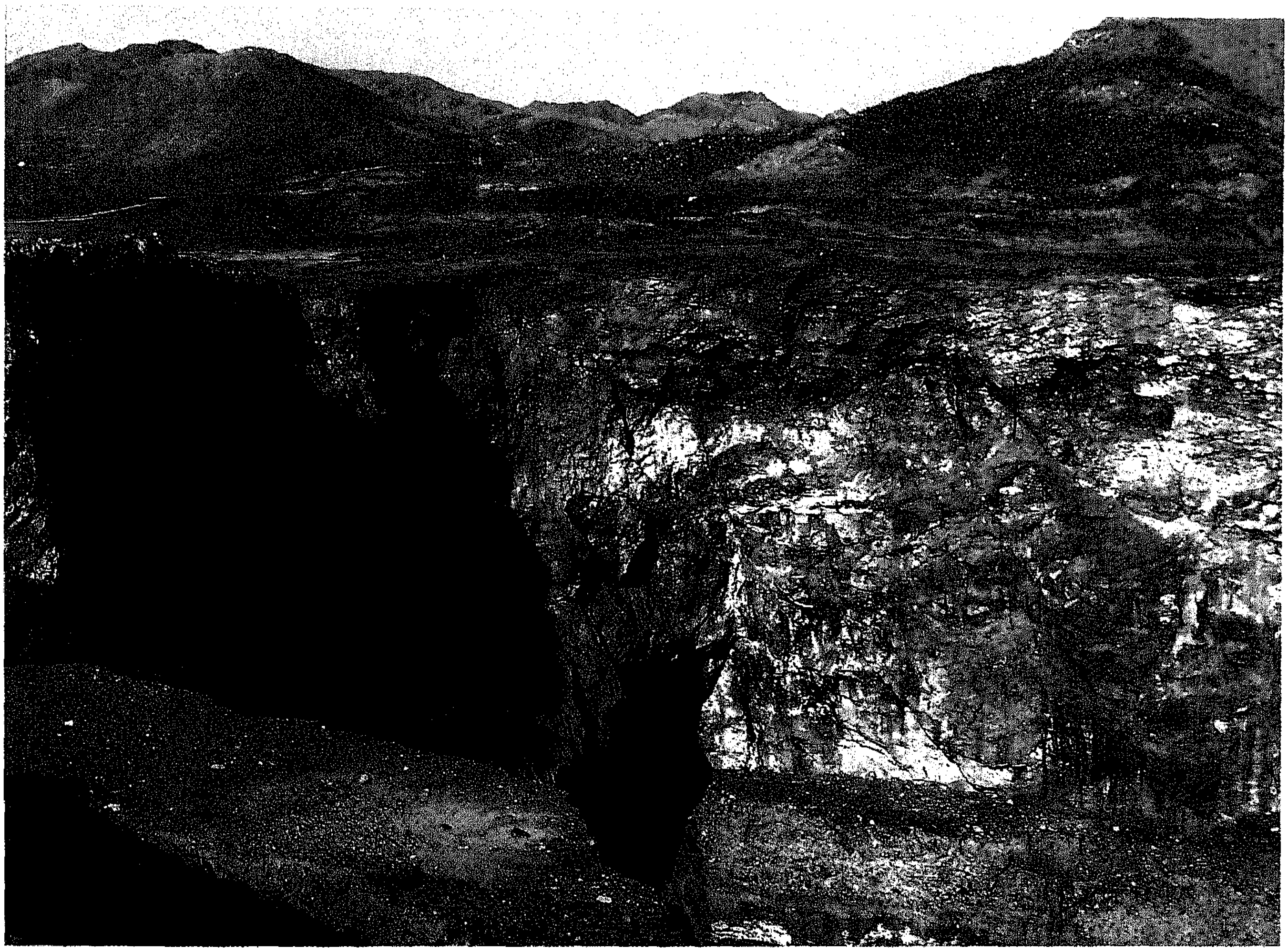
الصيادون يجهزون شباكهم في منطقة تلاطم الأمواج.

«القربة» (وهي تشبه إلى حد كبير الاطارات الداخلية لعجلة الشاحنة) يقول:

بمجرد أن يشاهد هؤلاء الذين يراقبون السمك من أماكنهم المرتفعة اقتراب مجموعة من الأسماك مثل السردين، فإنهم يتجمعون ويمسكون بجلودهم وبشباك الصيد ويسرعون إلى حافة الماء. وهنا يتم نقع الجلود ونفخها ثم ربط الساقين الأمامية والخلفية معاً بقطعة من الحبل. وعندئذ يصبحون مستعدين لتأدية مهمتهم ويتقدمون إلى الحلبة ويضعون الجلدة (القربة) في اتجاه الجزء السفلي من البطن ويطرحون شبكة الصيد على الكتف الأيسر ويخوضون في الماء حتى أعناقهم ثم يجلسون على الحبل المستند على الجزء الخلفي من أفخاذهم ومن ثم يجذّفون بأيديهم متجهين صوب مكان تواجد السمك. وعلى هذه الشاكلة شاهدت حوالي عشرين صيادا يخوضون في الماء دفعة واحدة ويقذفون بشباكهم ثم يجمعونها ويعودون بها إلى الشاطىء ليفرغوا محتوياتها هناك، لعدم توفر أي وسيلة أخرى لتأمين السمك في موقع الصيد. ولاعطاء فكرة مقتضبة عن درجة الفقر التي كان يعيشها هؤلاء الناس أذكر أن شباكهم كانت مصنوعة من القطن المجدول في هيئة حبال خشن، وأن الثقالات المثبتة في محيطها كانت تتألف من قطع مثقوبة من الحجارة يبلغ حجمها نصف حجم قبضة اليد بدلا من أن تكون مصنوعة من قطع صغيرة من الرصاص.



غنيمة من سمك السردين المتوفر بكثرة عند سواحل عمان بصورة خاصة.



إس. كاي

منجم أصيل للنحاس.

التعديـن

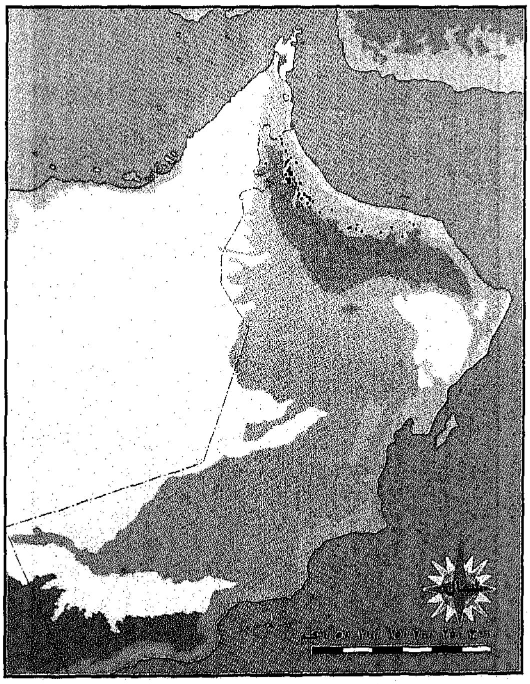
بينما كـان الصيـادون يعيشـون عنـد السـاحـل، كـان المزارعون مـن أهل الـريف يقطنون في المنـاطق الـداخلية ويقومون بتربية الماشية والماعز وقطعان الأغنام.

وقـد بسطت إحـدى المستـوطنـات الرئيسيـة في بـات بـالجبـال العمانيـة هيمنتهـاعلى أحـد الطـرق البريـة الرئيسيـة لتصدير النحاس. بفضـل موقعها القريـب من العـروق الغنية بـالنحاس الـذي تستخرجـه مجموعـات متزايدة من الناس.

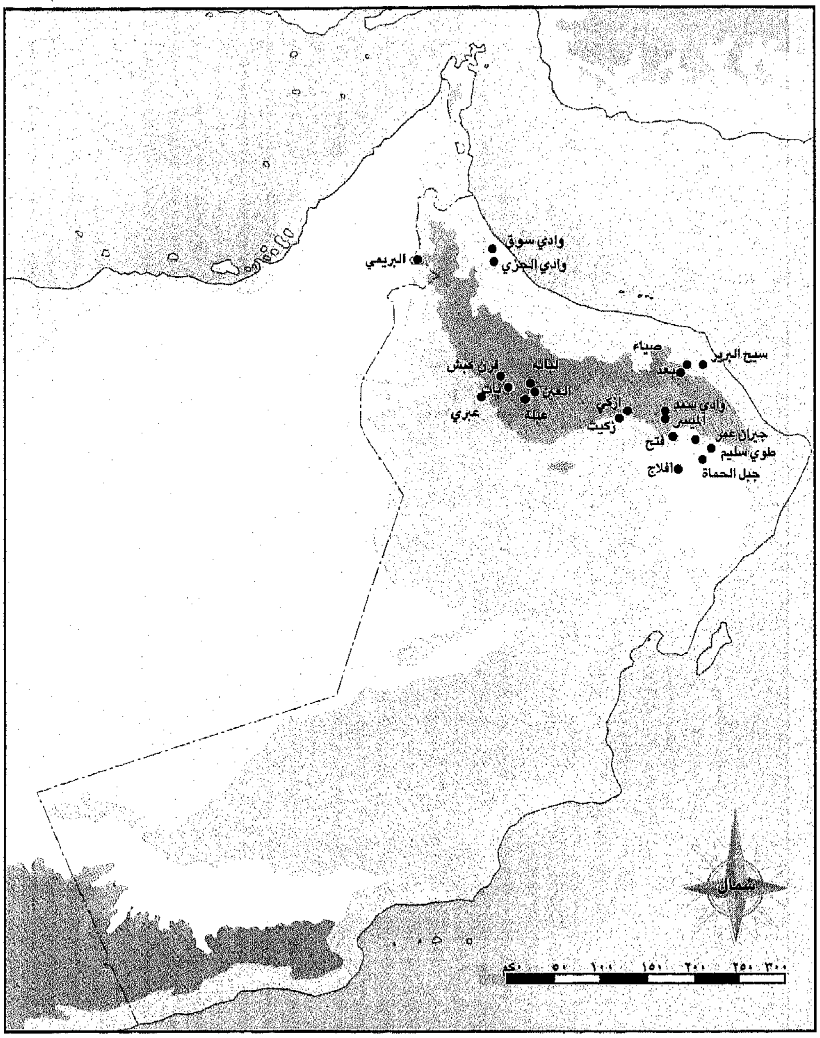
وقد تطلب القيام بهذا العمل تنظيـم وارساء أسس بنية اجتماعية جديدة.

فكانت هناك بادىء ذي بدء مهمـة حفر مداخل المناجم للوصول إلى خام المعدن. ثم تـأتي مشكلـة حماية المناجم وكل ما يتعلق بملكيتها وادارتها. وبعـد ذلـك تأتي مسألة نقل المعـدن الخام إلى مواقع الصهر واشعـال نيران أفران صهـر النحاس. وأخيـرا كان ينبغـي تشكيل النحـاس وتحويلـه إلى منتجـات أو صبـه في قوالـب لتحـويلـه إلى سبائك بأحجام قياسية يمكن بيعها.

وقد جاء التأثير الرئيسي لاقـامةهذه البنية الاجتماعيـة الجديدة من دولـة سومـر ـ المشـتري الرئيسي للنحاس ـ والتـي كانـت مصدراً لاستيراد العـديد مـن السلع وكـان النحاس الثمين يصل إليها في نهاية المطاف.



مناجم ومصادر النحاس الرئيسية في شمال عمان (طبقا لبوتس، ١٩٩٠).



مواقع مقابر حفيت والمقابر التي في هيئة خلايا النحل والواقعة في شمال عمان (٣٥٠٠-٢٥٠٠ ق.م) (طبقا للوتس، ١٩٩٠).

اجراءات الدفن

تختلط المراسم القديمة بالطقوس الجديدة وخاصة في حالة الوفاة. وقد تم اقامة مقابر كبيرة تتخذ هيئة خلايا النحل باستخدام بلاطات مصنوعة من الحجر الجيري البني المتشكل محلياً. وفي البداية كان يتم اقامة هذه المقابر مجهزة بجدران سميكة ومزودة بغرفة بيضاوية صغيرة غير متناسقة.

ولكن تم فيما بعد تعديل التصميمات لتتضمن مقابر كبيرة ذات جدران سميكة مكسوة بالحجارة الجيرية البيضاء وتضم غرفاً ذات نظام متطور. وبالاضافة إلى رفاق المتوفى كان يتم وضع بعض الأكواب والكؤوس والأواني المملؤة بالماء والطعام داخل المقبرة ليتغذى عليها المتوفى في الحياة الأخرى.

وقد تم العثور في عدة مواقع في عمان بما في ذلك مواقع أم النار ووادي سوق ووادي الجزي وابرا وبات وصيع ووادي سمد وطوي سليم وجبل حفيت على مقابر أثرية من النوع البدائي ذي الغرفة الواحدة وذي الدائرتين الحجريتين المتحدتي المحور والمشكلتين على هيئة قبة لحماية غرفة الدفن. وكانت جميع هذه المقابر يعرفها علماء الآثار باسم مقابر حفيت.

وقد تم خلال نفس الفترة بناء مقابر أخرى في شكل خلايا النحل، تتكون من غرفة دفن واحدة وتضم جدارين أو ثلاثة جدران حاجزة بينها أحجار في حجم اليد مبنية من الحجر الجيري البني مع بلاطة منخفضة يبلغ عرضها نصف متر تقريبا مقامة حول القاعدة (فريفلت، ١٩٧٦). وبالرغم من أن الارتفاع الكلي للمقابر المقامة في هيئة خلايا النحل قد يبلغ ٨ أو ٩ أمتار، فإن الغرف الداخلية كانت صغيرة نسبيا وكان قطرها يتراوح بين متر ومترين ونصف.

المستوطنات ومهارات الزراعة

تعتبر انشاءات المدافن أهم الأدلة المميزة على وجود الانسان في عمان خلال فترة أواخر الألف الرابع وأوائل الألف الثالث ق. م.، وربما يرجع ذلك إلى حقيقة أنها كانت موجودة فوق أرض منخفضة وصلت إليها المياه، وقد ظهر فيها غرين كثيف غطاها بالرمال.

ولذلك تحظى المستوطنات التي تم التنقيب عنها والتي ترجع إلى هذا العصر بأهمية خاصة. وإحدى هذه المستوطنات هي تلك التي ترجع إلى الألف الثالث ق. م. والموجودة في هيلي في أبو ظبي. وقد ساعد العلماء الذين يعملون هناك في الاجابة على بعض التساؤلات حول كيف كان الناس يعيشون في هذه المنطقة خلال تلك الفترة. ويشير تحليل المواد النباتية التي تم العثور عليها في هذا الموقع إلى أنه كان يتم استعمال عدة محاصيل مختلفة مثل الحنطة النشوية وقمح الخبز والشعير ذي السنبلة المزدوجة والشعير ذي السنبلة السداسية الذرة الرفيعة. وإلى جانب محاصيل الحبوب، كان المستوطنون يزرعون الشمام والتمر، كما كانوا يحصدون بعض النباتات البرية مثل الشوفان البري وبذور العناب. وباتت التمور تشكل بديلاً غذائياً متزايد الأهمية وذلك في أعقاب زراعة أشجار النخيل. وقد أدى ذلك إلى الابتعاد عن الاعتماد السابق على السمك واللحم مما أدى إلى حدوث تدهور ملحوظ في الأحوال الصحية لأسنان الانسان.

وبينما كانت تتم الاشارة إلى نبات الذرة الرفيعة





جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني

جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني

بالارتباط بالاكتشافات التي تمت في مستوطنات الصيادين في منطقة رأس الحمراء بالقرب من مسقط والتي كانت مأهولة منذ ألف سنة أو أكثر، فإن الاستكشافات التي تمت في هيلي، كانت أول دليل واضح على أن نبات الذرة الرفيعة كان يزرع محلياً ولم يكن مستورداً. وتعليقا على ذلك وغيره من الملاحظات توصل «بوتس» إلى أنه «يبدو الآن أن الجزيرة العربية ربما كانت الجسر الذي انتقلت عبره هذه الأصناف من قارة إلى أخرى خاصة وأنه قد تم العثور عليها هنا قبل ألف سنة من تواجدها في شبه الجزيرة الهندية (المجلد الأول، بوتس، ١٩٩٠).

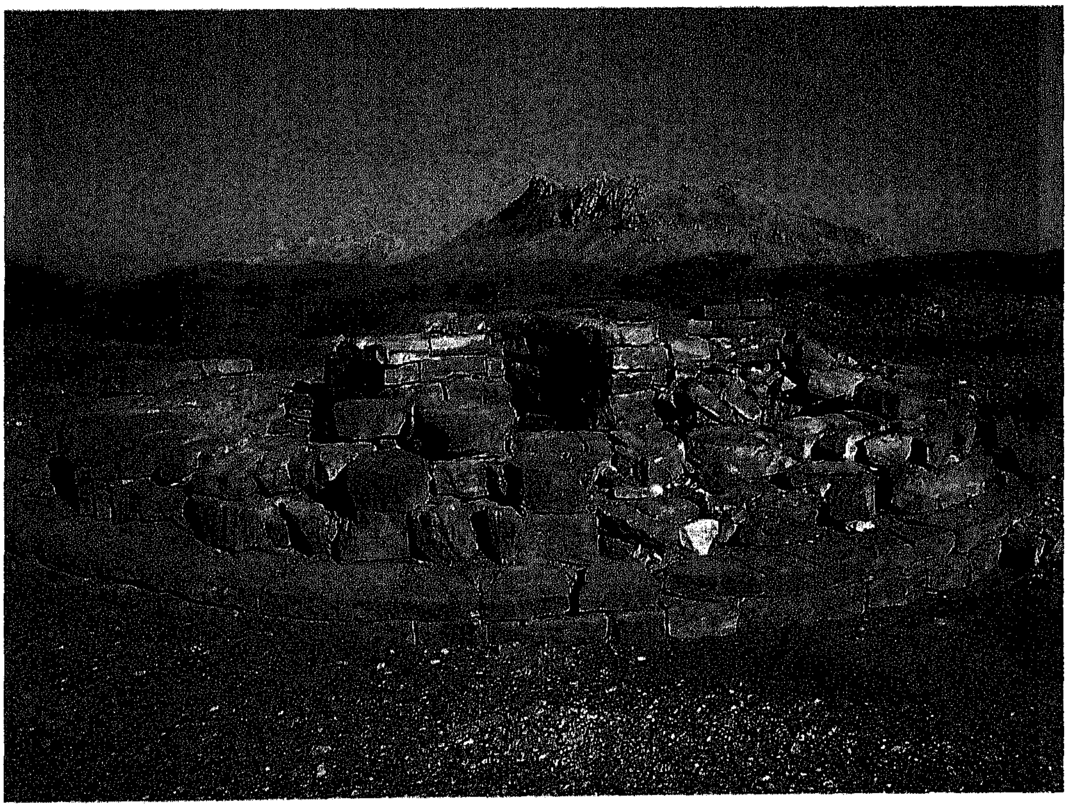
المستوطنات والمقابر في بات

تم العثور على ما لا يقل عن ٦٠ مقبرة من مقابر حفيت التي ترجع إلى عصر جمدة نصر في حوالي سنة ٣٠٠٠ ق. م. وقد تم استخراج بعض الأواني الفخارية المميزة والمعروفة باسم جمدة نصر من العديد من المقابر في بات مما يؤكد أن أصحاب هذه المقابر كانوا يعيشون في حوالي سنة ٣٢٠٠-٢٧٠٠ ق. م.

وبالاضافة إلى هذه المقابر المثيرة للاعجاب، أقام أهل بات أبراجاً ضخمة في شكل انشاءات ذات جدران حلقية غائرة وأرضيات مرفوعة توفر قاعدة مرفوعة تستخدم في أعمال المراقبة وفي توفير الحماية لآبار الماء العذب. غير أن قرية بات اليوم أصبحت صورة باهتة لما كانت عليه في الماضي .. كمستوطنة أساسية للزراعة والرعي وباتت لا تقدم أي دليل يذكر على كونها كانت خلية للنشاط والحيوية منذ أكثر من ٥٠٠٠ سنة. وبالاضافة إلى الآنيات الثنائية المخروط ذات اللون الأخضر أو الكريمي الجميل والتي كانت توضع في المقابر، والعلب التي كانت في هيئة بيضة

أعلاه: منظر لمقبرة أثرية تم التنقيب عنها في أم النار تبين الأروقة المقامة تحت سطح الأرض.

أعلاه جهة اليمين: مخزون من سبائك النحاس أثناء استخراجها من أحد المواقع الصناعية في قرية المسرة التي اشتهرت بصناعة صهر النحاس.

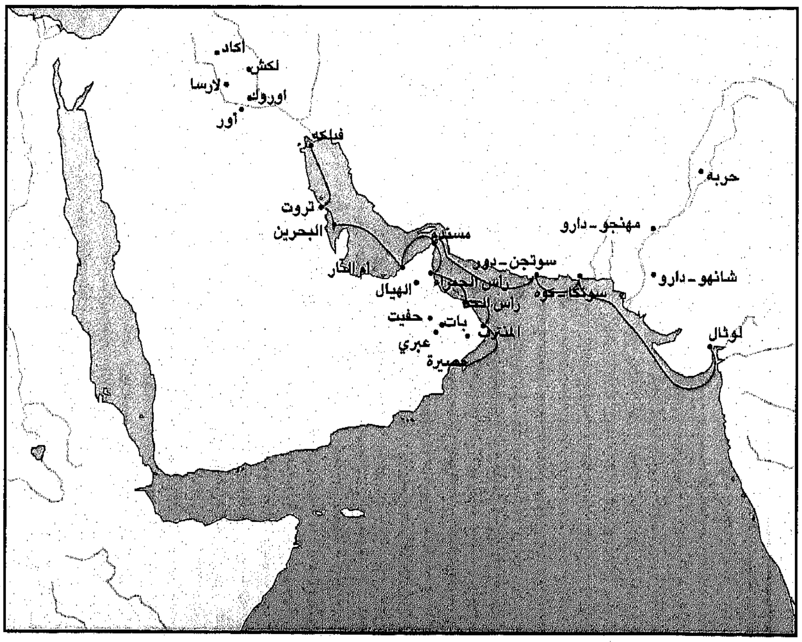


جهة اليمين: إحدى المقابر التي تم التنقيب عنها في بات.

إس. كاي



إس. كاي

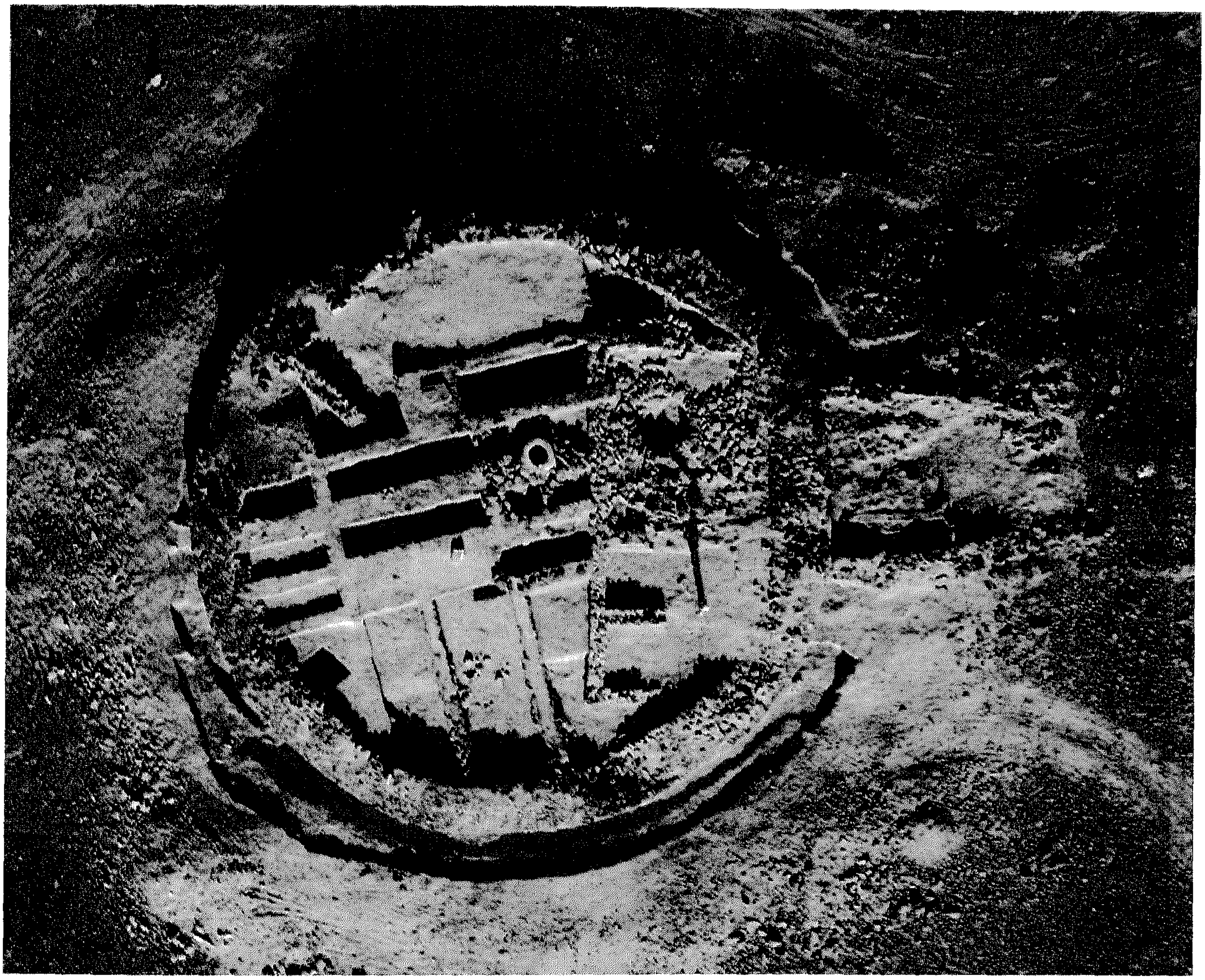


طرق التجارة القديمة في الألف الثالث وأوائل الألف الثاني ق. م.

صغيرة والجرار ذات الأعناق المثقوبة والمشكلة على دولاب الفخار، كان يتم تشكيل النحاس لاستخدامه في تصنيع بعض الأدوات المختلفة مثل الأوتاد والأبر والبرشامات التي كان يتم بيعها مع السلع الأخرى المرسلة إلى أم النار (بالقرب من أبو ظبي) ومنها إلى موانىء بلاد ما بين النهرين عن طريق دلمون (ربما البحرين وشرقي المملكة العربية السعودية).

التجارة والنفوذ الأجنبي

لم تتأثر عمان لآلاف السنين بما كان يحدث في بقية أنحاء العالم، ولم يهتم صائدو السمك والصيادون القدماء الذين جابوا المنطقة من مسندم إلى ظفار وفي المناطق الداخلية عبر السهول الغنية بالطرائد وبين الجبال التي تسكنها النمور اهتماماً يذكر بالحضارات العظيمة التي كانت تظهر في مصر وفي الشرق الأدنى وفي بلاد ما بين النهرين وفي آسيا. أن عدم وجود أي تسجيلات مكتوبة عن أي معاملات بين مجان وبلاد ما بين النهرين في خلال أواخر عصر الوركاء وعصر جمدة نصر وأوائل عصر الأسر الحاكمة تشير أيضاً إلى عدم وجود تواصل مع شمال الخليج في ذلك العصر. ومع ذلك، كان العالم الشمالي متطوراً تطوراً كبيرا، فقد كانت مدينة أريحا تبلغ من العمر ٤٠٠٠ سنة وكان جنوب مصر وشمالها في صراع من أجل الاتحاد تحت راية أول ملوك الفراعنة.



جي. فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني

القلعة البرجية «المسرة ٢٥» التي ترجع إلى عصر أم النار. كان المستوطنون يستطيعون الالتجاء إليها عندما يتعرضون لأي هجوم.

وكان يقع بين مصر وبلاد ما بين النهرين هلال خصيب واسع يوفر الغذاء اللازم للتطور الانساني منذ آلاف السنين. وبمجرد أن توطدت أواصر الاتصال بين شمال الخليج وجنوبه لم يستطع سكان الجزء الجنوبي المأهول من الجزيرة العربية والمعروف الآن باسم عمان مواصلة تجاهلهم للأحداث التي تقع في المراكز الثقافية والاقتصادية العظيمة في العالم.

ولم تكن عملية التبادل بين هذين العالمين تتم في اتجاه واحد فقط، فقد تم منذ ٦٠٠٠ سنة توثيق الاتصالات المنتظمة بين عمان والدول المجاورة وخاصة بلوشستان وايران وتركستان ومع بلاد ما بين النهرين بصورة مباشرة عن طريق دلمون. وعندما تزايد اهتمام سومر بنحاس عمان وصلت العلاقات التي تربط عمان بشمال الخليج العربي إلى مستوى جيد. وعلى الرغم من ثراء بلاد ما بين النهرين فقد كان لديها نقص في العديد من المواد الخام، ولم يكن لديها أي قدر يذكر من حجارة البناء أو الخشب أو العطور أو أي من المعادن الأخرى. كان يتم تعويض معظم هذا النقص عن طريق التجارة مع عمان، غير أن تجارة النحاس كان لها مغزى خاص. وأصدق دليل على مدى ضخامة حجم تجارة النحاس يظهر من خلال أكوام النحاس الموجودة في أصيل والتي يقدر بأنها تضم ما لا يقل عن ١٠٠٠٠٠ طن من الحفريات الأثرية. ولا ترجع كل هذه الحفريات إلى أوائل العصر موضوع الدراسة لأن صناعة تعدين النحاس، بمجرد أن توطدت، حتى دامت لأكثر من ألف عام قبل أن تبدأ في التدهور.

عصر أم النــار
من حوالي عام ٢٥٠٠ إلى عام ٢٠٠٠ ق.م.

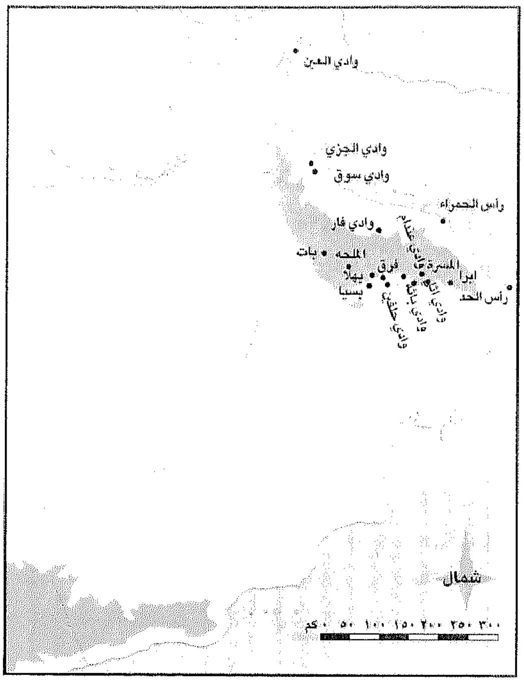
المستوطنات ومواقع المقابر

تزايد نشاط التجارة بين مجان وبلاد ما بين النهرين بصورة مفاجئة في هذا العصر وخاصة نشاط تجارة تصدير النحاس إلى منطقة شمال الخليج العربي.

وكان يتم نقل معظم هذا المعدن الثمين المستخرج من جبال عمان، على ظهر الجمال التي أمكن استئناسها مؤخرا، إلى شواطئ الخليج حيث توفر جزيرة أم النار موقعاً مناسبا لرسو القوارب وتحميلها.

وتعرف الثورة الثقافية التي تفجرت في أعقاب توثيق روابط العلاقات التجارية المربحة باسم عصر أم النار.

وبالاضافة إلى آثار موقع المستوطنة المأهولة وآثار المقابر الأثرية التي تم العثور عليها في أم النار ذاتها فإن الآثار الأخرى التي ترجع إلى هذا العصر تتضمن المقابر الموجودة في وادي الجزي والمواقع الموجودة في وادي بهلا ووادي فار ووادي حلفين ووادي عندام ووادي سمد ووادي إثل ووادي ابرا ووادي بات أي في معظم الوديان الموجودة في المنطقة الشرقية. كما أن اكتشاف قطعة من الفخار بنقوش حربانية (من وادي الاندس) قد ترجع إلى عصر أم النار عند ساحل عش السلاحف الشهير في رأس الجنيز الواقع على مسافة ١١ كيلومترا جنوبي رأس الحد هو دليل آخر على انتشار الثقافة في عمان.



موقع من عصر أم النار (طبقا لبوتس، ١٩٩٠).

الملك سرجون والامبراطورية الأكدية

من الطبيعي أن يجذب ازدهار التجارة بين مجان وبلاد ما بين النهرين اهتمام المجموعات المهتمة بالسلطة بما في ذلك الحكام المحليون وكهنة المعابد والقوات الأجنبية ولا ننسى بالطبع المقاولين المحليين وغيرهم من الذين يزاولون العمل في مجال التجارة ذاته. وقد اتحدت المدن المتنافسة واقطاعيات بلاد ما بين النهرين نتيجة للفتوحات التي قام بها سرجون الأكدي مؤسس الامبراطورية الأكدية والتي كانت السبب في سرعة حركة التطور لخلقها عهداً من الاستقرار والهدوء النسبي في المنطقة.

لقد ولد سرجون في حوالي عام ٢٤٠٠ ق.م. واشتهر بتأسيس ما يعرف بأنه أول امبراطورية في العالم. ولم يكن من أبناء طبقة النبلاء أو الأثرياء، فقد ارتقى من خادم متواضع يعمل كحامل لكأس ملك كيش أو قيس (ملك دولة مدينة سومر).

وقد نسب إليه فضل الاطاحة بمجموعة الملوك المتطاحنة وتوحيد المنطقة بأكملها تحت رايته. وأصبحت لغته الأم - وهي اللغة الأكدية - هي اللغة الرسمية وحلت محل اللغة السومرية. وفي خلال أوائل عصر الاسرة الحاكمة الأولى كانت السفن القادمة من مجان ترسو في موانيء بلاد ما بين النهرين بجوار السفن الأخرى القادمة من ملوخا (منطقة وادي الاندس) ومن دلمون القريبة.

وقد أدى ازدهار صناعة التعدين في عمان مقروناً بتزايد اكتشافه في منطقة شمال الخليج إلى تحول النحاس من معدن ثمين إلى مجرد سلعة عادية تستخدم في الأغراض الصناعية. وبالرغم من عدم اعتماد بلاد ما بين النهرين اعتمادا كلياً على مجان في الحصول على احتياجاتها (حيث كان يمكن شراء النحاس من الأناضول أيضا) فقد كان النحاس القادم من مجان مفضلا لديها نظرا لاعتدال أسعاره.

وقد انتشر النفوذ الأكدي ووصل إلى عمان حيث بلغنا أن



أدناه: جرة من الحجارة بغطاء تم العثور عليها في مستوطنة المسرة. كانت معظم هذه الجرات عبارة عن قرابين توضع في المدافن.

جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني

الأكدي ووصل إلى عمان حيث بلغنا أن الناس هناك كانوا يقدمـون فروض الاحتـرام وربما فـروض الطاعـة أيضاً لشركائهم الشماليين فـي التجارة. ويمكن اكتشاف مدى العـلاقة التجـاريـة بين البلـديـن مـن خلال النصـوص المسماريـة المنقوشـة على اللـوحات الحجـرية التـي تم اكتشافهـا في بلاد مـا بين النهـرين. والتي كـان منقوش على احداها العبارة لتالية:

لقـد ازدهرت بـلاد مجـان ودلمون أمـام نـاظري أنـا «إنكـي»، وقـوارب دلمـون راسيـة وقــوارب مجــان محملة عـن آخرهـا وقوارب ماجـلان التابعـة لملوخـا تنقل الفضـة والذهـب وتجلب الرجـال إلى نيبـور مـن أجل إنليل.

ويتضح مـن هذا النص وغيره مـن النصوص التي تـرجع إلى هذا العصر أن القوارب القادمة من مجان كانت تجلب إلـى أهل بـلاد ما بيـن النهريـن مـا هو أكثـر من مجـرد منتجات محليـة فقد كـانت تجلب إليهم أيضـا المنتجات المختلفة من ملـوخا ذات الحضارة الشرقية بمـا في ذلك الـذهـب والفضـة والعاج والأحجـار النفيسـة والخشـب النادر والعطور وربما أيضا الأيدي العاملة.

كما تـؤكد هذه النصوص أن مجـان كانت تقـع جنوب دلمون وكانت توجد فيها جبـال عالية يتم منها استخراج الحجارة السوداء التي تعتبر جيـدة للاستعمال في صنع التماثيل. وربما كانت هذه الحجارة هي حجارة الديوريت أو الجابرو.

وقد أدى انـدلاع العصيان فـي بلاد مـا بين النهـرين نتيجـة لارتقـاء «نـرام ــ سيـن» لعـرش الامبـراطـوريـة السومرية ــ الأكدية إلى حدوث تذمـر في الدول الموردة للسلع بما فيها مجان.

ويقال أن «نـرام ـ سيـن» قد أرسـل جيشاً لقمـع هذه الاضطرابات وأن جيشه حقق قسطاً من النجاح واستطاع اخضاع الملـك «منيوم» ملـك مجان وعـاد محملاً بغنـائم الحرب التـي ضمت مجموعة مـن الأواني المصنوعـة من المرمر والتي قام باكتشافها علماء الآثار.

ومع ذلك فمـن المؤكد أن هذا الخضوع كـان خضوعاً مخففاً لأنـه تم بعد ذلـك تكريـم الملك منيوم ملـك مجان باطلاق اسمه على احدى مدن سومر.

ولم تبـق جميع الغنائم التـي عادت بها حملـة «نرام ـ سيـن» والتـي تم اكتشـافهـا فـي جنوب العـراق ضمـن المجموعات الحـالية، فقد فقدت احدى الأوانـي المنقوشة المصنوعة من المرمر عنـدما تعرض القارب (البرج) الذي كان يحملهـا أثناء ابحـاره في نهـر دجلة فـي عام ١٨٥٥ لهجوم عـدواني مـن قبل رجـال القبائل ممـا تسبب فـي غرقـه. ولحسن الحظ فقد نقـل أحد الأفراد نـص النقوش التي كان يحملها والتي يقول نصها:

«نرام ــ سين»، ملـك أركان العالـم الأربعة. إنـاء (من) غنائم مجان.

اضطرابات الكوتيين في بلاد ما بين النهرين

سقطت مـدينتا اور ولكش اللتان شكلتـا مؤخرا جـزءاً من الامبراطورية الأكدية في أيـدي الغزاة الأجانب، الكوتيين، الذين كانوا يسيطرون على المنطقـة بأكملها. وكان كوديا حاكـم لكش (حوالـي عام ٢١٤٤-٢١٢٤ ق. م.) مغـرما بتمجيد فترة حكمه باقامـة التماثيل والأجسام الاسطوانية المزخرفة والتي يحمل العديـد منها بعض النقوشات. وقد بـذل أقصى جهـده ليجلب إلـى البلاد أرقـى مواد البنـاء للاستخـدام في اقـامة الانشاءات المختلفـة بما فـي ذلك معبد إلآهه نينجيرسو.

فلتجلـب بـلاد مجـان لكم النحـاس الممتـاز وحجـارة الديوريت والحجارة النونية وحجارة شومان.

كما يشيـر أحد النصـوص الأخرى إلـى دفـع مـا قيمتـه ٢٤١ قطعة قماش إلى أحد التجار المحليين المتجهين إلى مجان. وبينمـا توضـح الدراسـات أن الصخور السـوداء المستعملة فـي اقامة التمـاثيل في بـلاد ما بين النهـرين كانت مـن صخـور الجابرو الأولفينية مما يـرجح إحتمال جلب هـذه الصخور من عمـان، فإن تماثيـل كوديا كـانت مصنوعة في الواقع من صخـور الديوريت التي لا تتشكل في شبـه جزيرة عمـان في كتل بـأحجام كبيرة (بـوتس، المجلـد الأول، ١٩٩٠) وذلك بـالرغـم من وجـودها فـي جنوب إيـران. وهذا يوحي بـأن المنطقة المعروفة بـاسم مجان كانت تضـم جزءاً من جنوب ايران إلى جـانب عمان وانها ربما كـانت مصطلحا مرنـا إلى حد ما يستخـدم في وصف الأراضـي المحيطة بمدخل الخليج.

وقد تميـز العصر الذي سيطر فيـه الكوتيون بمـوقف عدائي تجـاه شركاء التجارة التقليـديين مثل مجـان. وقد ذكرت النقـوش التي تـرجع إلـى فترة حكـم الملك كـوديا

مرتين أنه فرض الطاعة على مجان وملوخا ودلمون. وفي النهاية تمكنت القوات المحلية من طرد الغزاة الكوتيين من جنوب بابل. وأدت الحروب المحلية التي نتجت عن هذا التغير والتي نشبت بين الكوتيين واوتو- هنجال، والحروب المنفصلة بين «اوتو - هنجال» و«اور - نامو» إلى توقف حركة التجارة في الخليج بصفة مؤقتة مما نجم عنه قيام حالة من «الكساد» في مجان.

اور - نامو ونشاط التجارة مع مجان

وسرعان ما قام «اور - نامو» (٢١١٢-٢٠٩٥ ق. م.) الذي انتصر في هذه الحروب باعادة انعاش تجارة النحاس المربحة مع عمان. وتسجل احدى نقوش الاهداء التي ترجع إلى بداية هذه المرحلة من عصر أسرة «اور» الثالثة هذا الانجاز في العبارة التالية:

من أجل نانا المولود الأول لأنليل، سيده، فإن اور - نامو الرجل العظيم ملك اور وملك سومر وملك الأكد، الرجل الذي أقام معبد نانا قد أعاد الأوضاع إلى سابق عهدها. وقد شاهد على الشواطىء وفي مكان التسجيل تجار البحر يعودون سالمين إلى الوطن وقد أعادوا قوارب مجان إليه (أي إلى نانا).

وبالمثل يتضمن دستور اور - نامو العبارة التالية:

باسم نانا العظيم، ملك المدينة (مدينة اور) فإنه يعيد زورق مجان الخاص بنانا إلى مكان التسجيل (؟).

وفي هذا الوقت كانت التجارة تتم عن طريق ابحار المشترين من الشمال إلى أم النار لعقد الصفقات نيابة عن تجار النحاس العمانيين، وفي مقابل النحاس كان تجار مجان يحصلون على الصوف والملابس والفضة والمشغولات الجلدية وزيت الطهي إلى جانب بعض السلع الأخرى مثل البصل والحجارة الممتازة.

وكان «لو - إنليلا» وكيل معبد نانا في أثناء حكم الملك « إيبي - سين » آخر ملوك اسرة اور الثالثة (٢٠٢٦-٢٠٠٦ ق. م.) من بين أبرز تجار البحر المغامرين هؤلاء فقد استلم سلعاً تجارية (١,٧ طناً من الصوف تقريباً أي حوالي ٦٠ طالن و٣٠٠ كيلو جراماً من النباتات الصالحة للأكل أو منتجاتها و٦٠٠ كيو جراماً من الأسماك الصغيرة المتوفرة بالمستودعات و٧٠ ثوباً و١٥١٥ لتراً من زيت السمسم الممتاز من «لوجال - جاب» و١٨٠ جلدة حيوان من «اور - سلبا») من معبد نانا ومن رجال الأعمال المحليين ليشتري بها النحاس من مجان. وتم وضع لوحة منقوشة موثقة من قبل رسول اسمه «ليبوربلي» في حاوية البضائع وتحميل جميع البضائع على متن السفينة المتجهة إلى مجان. كما تم تسجيل النحاس القادم من مجان، ربما مقابل السلع المذكورة آنفا، على لوحة أخرى منقوش عليها أن «لو - إنليلا» قد استلم ١٥٤ كيلو جراما من النحاس (٥ طالن و٨ مينا) وكذلك بعض العاج والأحجار شبه النفيسة والمُغرة الحمراء.

كما سجل نفس النص أن «لو - إينليلا» قد قدم للمعبد ١٠ لترات من البصل و٢٠ لترا من العقاقير المختلفة.

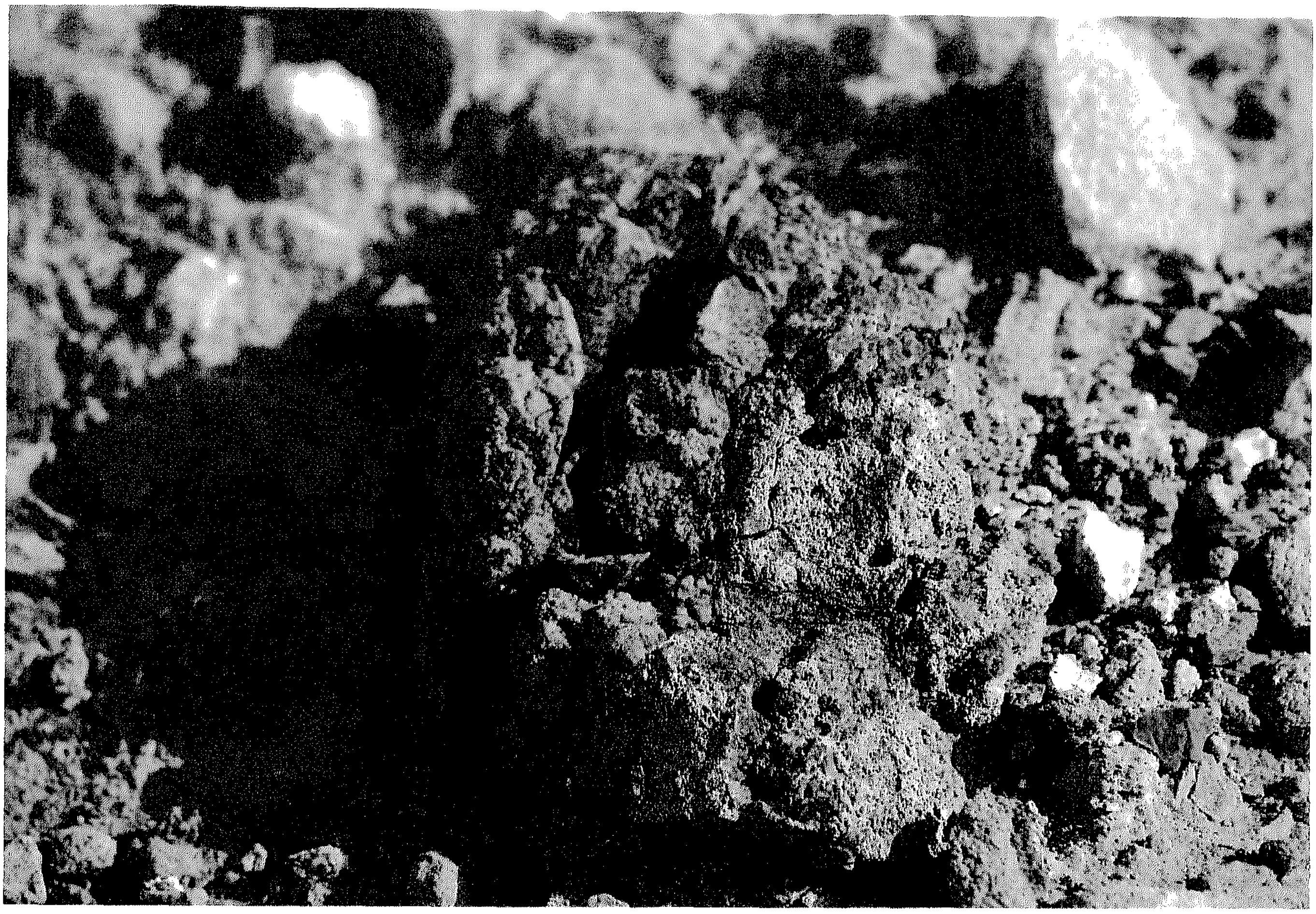
إن العلاقة الجيدة التي كانت تربط «اور - نامو» وعمان تؤكدها عدة نصوص تشير إلى تقديم المؤن إلى بنائي السفن في مجان وتوفير القار (البتيومين) اللازم لسد حزوز السفن التابعة لمجان.

وتضمنت السلع المرسلة من اور إلى مجان الشعير والمنسوجات. وهناك أدلة تشير إلى أن التجارة بين شمال الخليج وجنوبه كانت تتبع نمطاً موسمياً حيث كانت السفن تبحر إلى الجنوب في فصل الربيع أي في حوالي شهر مارس أو أوائل شهر ابريل تساعدها الرياح المواتية.

وبالرغم من نجاح بعض التجار مثل « لو - إينليلا» فقد كانت التجارة من الأعمال الخطرة والغالية نسبيا. فبانقضاء الوقت الذي يستغرقه التاجر في الابحار عبر الخليج والعودة في عكس اتجاه الرياح السائدة تكون جميع أشكال الاضطرابات السياسية أو الصراعات بين المدن المتنافسة أو الكوارث الطبيعية قد وقعت في اور وغيرها من المدن. كما أن مياه الخليج قد لا ترحم فتلطمه بأمواجها العاتية العالية. وكانت سلاسل الصخور البحرية القريبة من دلمون غادرة عندما تقترب منها السفن ليلاً أو في الظروف الجوية السيئة. أضف إلى كل ذلك أخطار أعمال السرقة التي تقوم بها في أعالي البحار السفن المنافسة أو خطر الوقوع فريسة للمرض نتيجة لسوء التغذية على متن القوارب والسفن.

بزوغ دلمون

لكن هذه الفترة من وجهة نظر مجان كانت على أية حال فترة ممتازة نسبيا لأنها كانت تتمتع بحرية الوصول



إس. كاي

خام النحاس من أصيل

المباشــر إلى أســواق بيع سلعهــا. وكان يتــم نقل بعــض النحــاس على متــن السفــن عن طــريــق دلمون، غيــر أن معظمه كان يتم نقله إلى بلاد ما بين النهرين مباشرة مما يتيــح تفادي الــوسطــاء. ولسوء الحـظ، مــن وجهة نظــر مجان، فإن الاضطرابات التي نتجــت عن المعارك الرامية إلى عــزل «إيبي ــ سين» قد تــركت فراغــا اداريا مــؤقتاً سرعــان ما ملأته دلمــون. ووجد تجار النحــاس في اور خلال السنوات الأخيــرة أنه من الأفضل لهم اقــامة محطة تجاريــة هناك. وحــانت الآن فــرصتهم للتعــاون مع أهــل دلمون من أجل السيطرة على التجارة حتى يمر كل شيء عبــر أيديهــم فــي البحريــن. وعلى الــرغــم من استمــرار استخراج النحــاس في عمان فقد كــان يتم جره بــالجمال والحمير عبر الجبــال والصحراء إلى الساحــل ونقله على متن السفن المحلية إلى الأماكن المختلفة مثل البحرين.

ومنذ الآن تــوقف تجــار اور عن تسجيــل مشتريــات النحاس من مجــان وبدلا من ذلك أصبحــوا يشيرون إلى الشراء من دلمون التي بدأت تبــزغ كقوة تجارية رئيسية فــي الخليج. وعلــى مــر السنين التــاليــة وطدت دلمــون مكانتها وحققــت ثروة كبيرة من خلال سيطرتهــا الفعالة على حركة التجارة بين شمال الخليج وجنوبه.

أمة بحرية

بالرغــم من الصعوبات التي واجهتهــا التجارة المباشــرة بين مجــان وبلاد ما بيــن النهرين فقــد كانت مجــان على علاقــة وثيقة مــع الدول الــواقعة فــي الشرق والجنــوب الشرقــي بما في ذلــك الدول المعــروفة الآن باســم ايران وباكستان والهند.

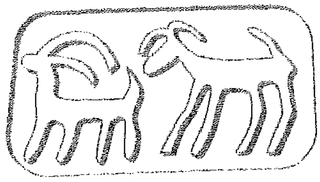
وغالبــا ما تحتوي المقابــر التي اقيمت في تلــك الفترة في عمــان على سلع مستــوردة من هذه البــلاد. وبصورة خاصة كانت العلب الصغيرة المستطيلة الشكل والتي يتم وضعها مع جثة الميت تشبه إلــى حد كبير العلب التي تم العثور عليها في بلوشستان.

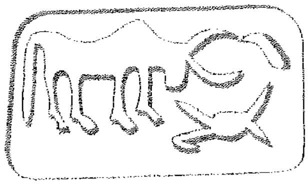
وفي كتاب «عمــان ـ أمة بحرية» يعلق المــؤلف «وليام فــاسي» علــى التــزايــد الكبير فــي النشــاطــات الثقافيــة المتداخلة ونفوذها في عمان بقوله:

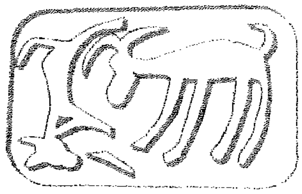
وهكــذا يعيــش بحارة وتجــار مجــان فــي جو ثقــافــي وتكنــولوجــي مــن الدرجــة الأولــى. وأصبحت بعــض العبارات مثــل سفن الابحار لمسافــات طويلة والكتــابة والأعمال المصرفية والمساهميــن ترد جميعاً في عملية تغيير العالم، وهي من المعالم التي تميز فترة طور فيها الانسان حضارة مدنية لأول مرة.

نهاية الألف الثالث ق. م.

بينــما نرى أن بدايــة الألف الثــالث ق. م. قد حلت وعمان أو مجان كما كانت تعرف فــي ذلك الحين وهي في وضــع غير متنــاسق وفيهــا تنظيمات اجتمــاعية محــــدودة، فإن الأمور تغيــرت بشكل مذهــل في نهــاية هذه الألــف. فقــد كانــت البلاد في حالـــة استقــرار واطمئنـــان رائعتــين. وكــان شعبهــا يتكون مــن أفــراد طــوال القامــة نسبيــا يعيشــون فــي قرى تضــم بيــوتــاً مشيّدة مــن الحجــارة والبارستــي تنتشر علــى إمتداد مــوارد المياه الســاحلية.







وكانت تتم زراعة الذره الرفيعة والقمح والشعير وأشجار النخيل، وكانت الجمال المستأنسة وماشية أبقار الدرباني والأغنام والماعز تضفي يسراً على حياتهم. وكان يتم صيد الطرائد المختلفة مثل الغزلان وأبقار المارية (المها العربية) والطيور، بينما كان الصيادون يعملون في المناطق المائية البرية ويستغلون الأعداد الكبيرة من السلاحف التي كانت (ولا تزال) تأتي إلى شواطىء عمان لتضع بيضها. كما كان يتم استخراج النحاس وتصديره في مقابل الحصول على مجموعة متنوعة من السلع القيمة. وتضمنت المباني العامة أماكن مغلقة ضخمة ذات جدران من الحجارة وأبراج محصنة للمراقبة مثل آثار أبراج بات التي تعتبر خير نموذج لها. ولا تزال جدران هذه الأبراج منتصبة بارزة فوق مستوى الأرض وتوحي أبعادها الكلية بأنها كانت تستطيع توفير الحماية لأعداد كبيرة من الناس والحيوانات.

الأختام التي ترجع إلى عصر أم النار

تم حتى الآن اكتشاف ثلاثة أختام فقط في شبه جزيرة عمان ترجع إلى عصر أم النار. وقد تم العثور على الأختام الثلاثة في موقع ميسر بوادي سمد. والختم الأول عبارة عن قطعة بيضاوية من الرصاص مثقوبة في منتصفها ومنقوش على وجهها شكل عصاة. أما الختم الثاني فعبارة عن ختم موشوري مثلث الشكل ذي ثلاثة أوجه، مصنوع من الحجارة الرمادية اللون ويحمل بعض النقوش. فكان الوجه الأول يحمل رسما يعوزه الاتقان لكلب ولما يبدو حيواناً أشبه بخروف، بينما يحمل الوجه الثاني رسماً لبقرة درباني وعقرب، في حين يحمل الوجه الثالث رسما لوعل (تيس) الجبل ولحمل بري آخر. وكانت هذه الأختام الموشورية شائعة في بعض أجزاء «العالم النامي» آنذاك رغم عدم وجود نماذج شبيهة لها في عمان. وكانت معروفة ابتداء من أواخر الألف الثالث ق. م. في كريت وسوريا ومصر وكذلك في آسيا الوسطى.

وقد تم العثور على ختم موشوري آخر في موقع مقابر حجار في البحرين، ويبدو أنه يرجع إلى عصر ثقافة وادى الاندس.

أما الختم الثالث فهو على هيئة كمثرى ويبدو أن وجهه يحمل رسم عصاة لشخص يمد يده وهو ما يمكن أن يكون، في الواقع، رمزاً لأحد الحروف الإندسية. ويوحي عدد الأختام المحدود الذي تم العثور عليه، وعدم وجود أي أدلة مختومة بأن هذه الأختام بأنها كانت عبارة عن قطع زخرفية أو رموز للمكانة الاجتماعية وليست أدوات تجارية بالمعنى المعروف.

أواني المدافن في أم النار

تطورت فنون صناعة الفخار، وتم انتاج أوان جميلة، بعضها مزخرف، باستخدام دولاب الخزاف. كما تم نحت بعض الأواني الأخرى من الحجارة الطرية والمرمر. وكان يتم زخرفة الأواني النموذجية المصنوعة من الحجارة الطرية (الكلوريت) بأشكال هندسية مختلفة مثل الدوائر التي تحمل بعض النقاط. وقد تم اكتشاف عدد كبير من هذه الأواني في مواقع المقابر في أم النار في عمان. كما تم العثور عليها في موقع المستوطنة المحفورة في ميسر حيث تم تأكيد أنه كان يتم انتاجها هناك أيضا، كأواني للمدافن على أكثر الاحتمالات. كما تم اكتشاف الأواني المصنوعة في عمان من الكلوريت في المقابر التي ترجع إلى هذا العصر والموجودة في البحرين وتروت وفيلكه في الكويت.

وبنهاية الألف الثالث ق. م. كان الناس في عمان يغزلون ملابسهم ويصنعون المجوهرات ويتزينون بها ويركبون الحمير، واستطاعوا أيضا توسيع قدراتهم على السفر براً عن طريق استئناس الجمال.

النحـ



جهة اليمين: نسخة نحاسية من منجم نحاس قديم في أصيل تشكل شعار شركة التعدين العمانية.

أقصى جهة اليمين: آثار منجـم نحاس قديـم فـي أصيل (حـوالي عـام ٣٠٠٠ ق.م).

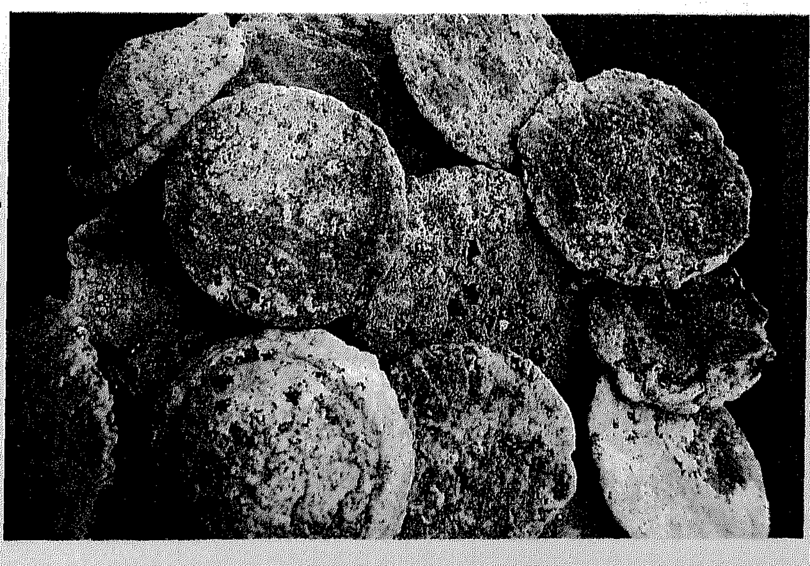
تتـوفر أدلـة كثيرة تشير إلـى أنـه كـان يتم استخـراج النحاس قديما في عمان. كمـا أن أعمال التعدين الحاليـة هي دليل آخـر على توفر الثـروات المعدنيــة في البـلاد، فبعـد مضـي ٥٠٠٠ سنــة تقريبـاً علـى بـدء أعــمال التعديـن واستخـراج المعــادن في المنطقــة المعروفـة فـي ذلك الحيـن بـاسـم مجان، بـدأت شـركــة التعديـن العمانيـة فـي استخراج النحاس علـى نطاق تجـاري في نفـس المنطقـة التي كانت توجـد بها المناجم الأثرية في وادي الجزي. وبحلول عـام ١٩٨٦ كانت الشركــة تصدر ٩٥٠٠ طن مـن كاثود النحاس الممتـاز إلى الزبـائن من الـدول الجديـدة وإلى بعض الشركـاء التجاريين القدماء من دول الخليج. ومـع ذلك، وباستثناء المراجـع الخاصة بالنحـاس المستخرج مـن مجان والنصـوص المنقوشـة على اللوحات الأثريـة فإنــه يجب أن نعـود إلى القـرن العاشر بعد الميلاد لنعثر على أي تعليق مكتوب مؤكد عن النواحي التاريخية لاستخراج النحاس في عمان.

وقد تمت الاشارة إلى هذه الصناعة لأول مرة من قبل الكاتب العماني ابن جعفـر الـذي كتب في جامي عن عدة نصوص تتعلق بأعمال التعديـن. وقد تم وضـع نسخـة من هـذه النصوص ترجـع إلى القـرن الثاني عشـر بعد الميلاد ضمن مجلـد «كتاب المصنف» لعبد اللـه الكندي، تحكـي عن منجـم يملكه سكـان إزكي وتـذكر أن منجـم النحاس في وادي الجزي والذي يملكـه سكان صحاركان يتم تـأجيره مقابـل ١٠٪ مـن أرباح المنجـم. كما كتـب المؤلـف العربي «المسعـودي» (في حوالـي ٩٤٣م.) عن النحاس القادم من عمان. وكان «كـريستين نيبوهر» آخر من بقـي على قيـد الحياة مـن بعثة فيلكس الدانمـاركية العـربية هـو أول كاتـب علمي غـربي يـزور عمان، وتـم اعـلامه بنشــاط استخــراج النحـاس فــي ذلك الــوقـت (١٧٦٥) في الخوبـار التي لا تبعد كثيرا عن قريات. كما سجل المؤرخ العماني حميد بن محمـد بن رزيـق والذي تـوفي فـي عام ١٨٧٣ فـي كتابه «الصحافة القحطانية» أنه قد تم بـالفعل بذل بعض المحاولات لانعاش صنـاعة النحاس فـي عمان فـي تلك الفتـرة. كما كتـب الضابـط والمـؤلف البـريطانـي «جـاي. آر. ويلستيد» فـي كتابـه «رحـلات في الجـزيرة العـربيـة» والذي نشـر في عـام ١٨٣٨ يقول:

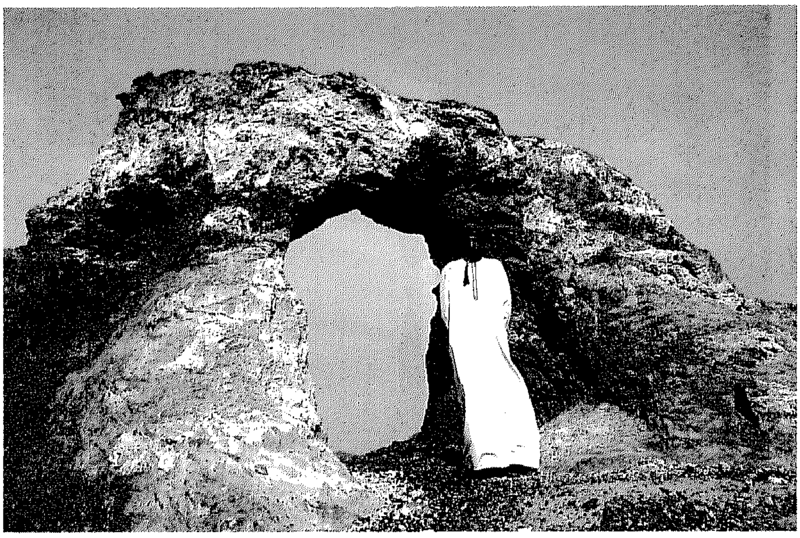
«*كانـت الجزيرة العـربية خـالية من المعـادن النفيسة بصورة قاطعة، لكننا في هـذه المقاطعة صادفنا الفضة التي ترتبط في المعتاد بالـرصاص. كما تم العثور على النحاس، ففي قـرية صغيرة على الطريق مـن سمد إلى نزوى كـان يوجـد منجم يعمـل به العـرب في الـوقت الحالي لكن المناجم الأخرى كانت مهملة بالكامل.*»

وبالاضافة إلى ذلك فإن التقـارير المكتوبة في القرن التاسع عشـر عن استخراج النحاس في عمـان قد ضمت تلك التي كتبها «اتش. جاي. كارتر» الذي عثر على مناجم

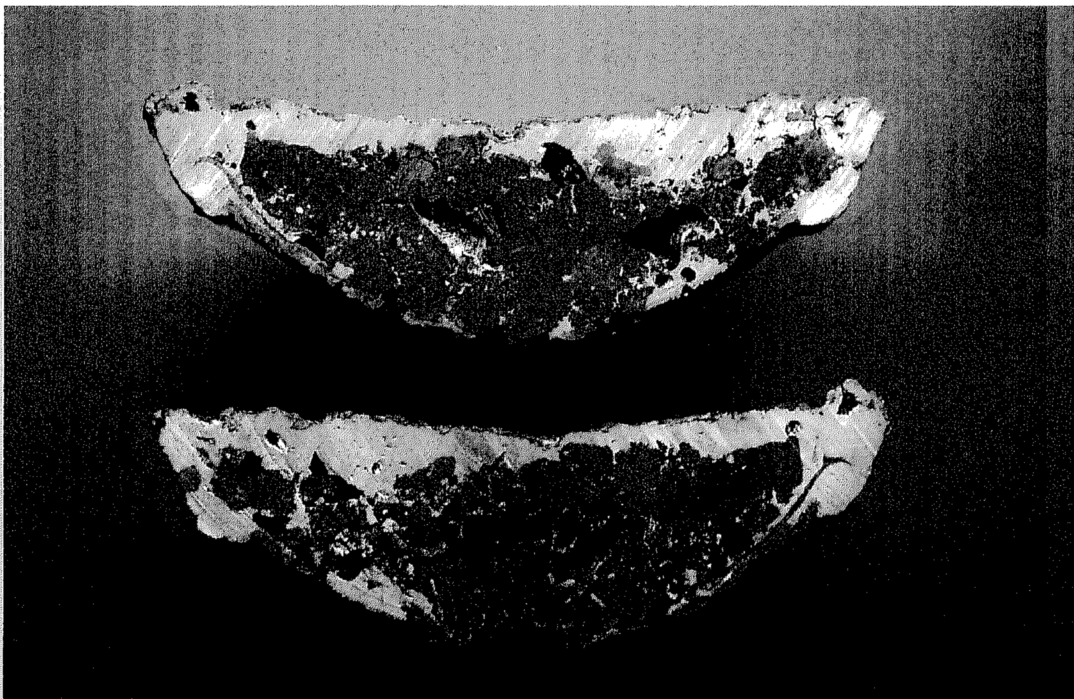
مخزون من كتل النحاس المستخرج من العجير بالقرب من بهلا.



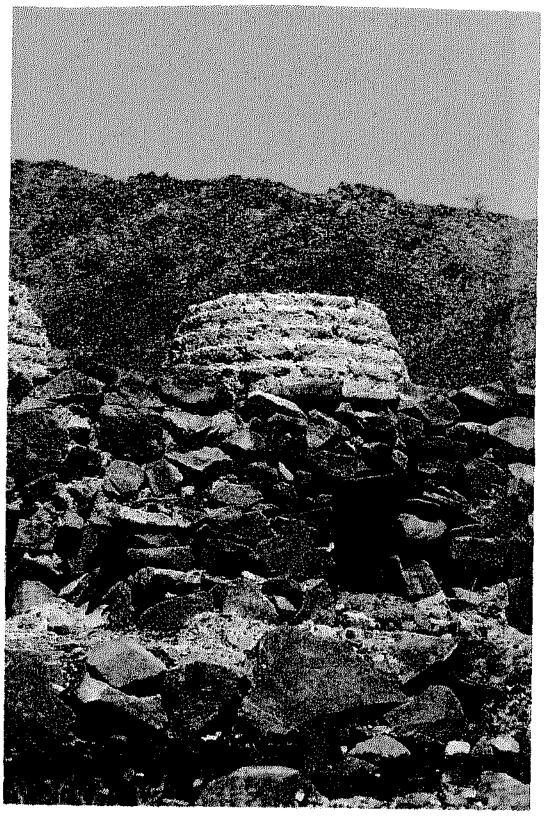
جي. فيسجرين، متحف الصناعات التعدينية الألماني


إس. كاي

للتعدين السطحي ومواقع للصهر السطحي ومواقع للصهر في جزيرة مصيرة، وتقارير «بلجراف» الذي يقال بأن الملاحظات المنسوبة إليه والتي تدعي بأنه كان يتم تصدير النحاس من مطرح في عام ١٨٦٣ هي ملاحظات مضللة وربما يجب عدم الاعتماد عليها، وتقارير «أيه. جيرماين» وهو مهندس للهيدروغرافيا فرنسي الأصل كتب في عام ١٨٦٨ أنه كانت توجد مناجم قديمة للنحاس في المناطق الداخلية من عمان وأن النحاس كان سلعة شائعة في وسط عمان، وتقارير الكولونيل «إس. بي. ميلز» الذى زار نزوى في عام ١٨٨٥ وعلق قائلا إنه بالرغم من أن حرفة صناعة النحاس لا تزال نشطة فإن المواد الخام كان يتم استيرادها في الواقع من بومباي. وبحلول أوائل القرن العشرين كان من الواضح أنه بالرغم من عدم استخراج النحاس في عمان فقد كان هناك نشاط كبير لاستخراج النحاس في الماضي. وقد حدى الاهتمام بالتقارير المختلفة عن مناجم النحاس القديمة في عمان إلى قيام الجمعية البريطانية للعلوم باجراء بحث خاص في عام ١٩٢٤ بهدف «اعداد تقرير عن المصادر المحتملة للنحاس الذي كان يستعمله السومريون». وفي نفس الوقت تم اجراء مسح جيولوجي لعمان برعاية «وليام نوكس دي أركاي» الذي أسس شركة النفط الانجليزية الايرانية. وقد أوقف مؤقتا أحد أعضاء فريق الجيولوجيين وهو المهندس الجيولوجي «جي. إس. ليز» أعمال البحث عن النفط التي كان يقوم بها ليتولى تحري مناجم النحاس القديمة وجمع بعض عينات


جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني

كتلة «خادعة» من مخزون العجير. يتألف اللب من بقايا متخلفة من المعدن مغطاة بطبقة من النحاس.



المعدن الخام والخبث من احدى المناطق الداخلية بالقرب من صحار.

وقد أثمرت الدراسات التي قام بها فريق الجمعية البريطانية وكذلك نتائج تحليل عينات المعادن عن اعلان أن «المكان الذي حصل منه السومريون على النحاس هو عمان» وذلك في المؤتمر الدولي السابع عشر للمستشرقين الذي انعقد في اكسفورد في ٢٩ أغسطس ١٩٢٨. وقد استند أساس الخلاصة على تحليل محتوى النيكل في المعدن الخام المستخرج في عمان وفي الآثار النحاسية المرتبطة ببلاد ما بين النهرين. ومع ذلك فقد تم منذ ذلك الحين ايضاح وجود مستويات مماثلة من النيكل مرتبطة بالنحاس في عدد من المواقع في أنحاء العالم. وكان أساس الاستنتاج خاطئاً لكن الاستنتاج نفسه لم يكن باطلاً بالضرورة.

وقد تم الآن اكتشاف وجود حوالي ٥٠ موقعاً للتراكم الطبيعي للنحاس في عمان. وبالاضافة إلى ذلك تم توثيق ما يزيد عن ١٥٠ موقعاً للصهر تتراوح في الحجم بين أكوام صغيرة ربما تحتوي على طن واحد من الخبث وأكوام ضخمة يقدر محتواها من الخبث بحوالي ١٥٠٠٠٠ طن. وقد كشفت الدراسات التي اجريت على العديد من مواقع الصهر والتعدين هذه أن بعضها كان يتم العمل فيه في الألف الثالث ق. م. وقد غل الموقع المعروف باسم ميسر والواقع في وادي سمد عدداً كبيراً من حجارة السندان والسحق. وقد أتاحت لنا النتائج المستخلصة من هذه الدراسات وكذلك الاستقصاءات التي اجريت لمواقع المناجم الأثرية والتي قام بها فريق فرنسي في منتصف السبعينات من هذا القرن الحصول على صورة واضحة نسبياً عن كيفية مباشرة استخراج النحاس في عمان في عصر أم النار. ومن الواضح أنه كان يتم استخدام أفران صغيرة في صهر خام المعدن المحتوي على النحاس والمستخرج محلياً. وكانت الأفران ذاتها تتميز بسعة داخلية تتراوح بين ١٠ و١٥ لترا فقط مما يوحي بأن هذه العمليات كانت متواضعة.

وليس هناك شك في أن السكان المحليين كانوا يستخدمون المنتجات النهائية لهذه الصناعة في شكل أوتاد وأزاميل وسكاكين وخطافات لصيد السمك وأبر مصنوعة من النحاس. فقد تم في المسرة على سبيل المثال اكتشاف فرن للصهر مع بعض خرزات النحاس والأزاميل والحلقات والأبر والفؤوس في مواقع الحفر في مستوطنة أم النار. كما تم اكتشاف وجود بعض الكتل النحاسية التي في شكل كعكة في أحد المنازل في ميسر. كما تشير التقديرات إلى أنه قد تم انتاج ما بين ألفين وأربعة آلاف طن من النحاس في عمان في عصر أم النار.

وبعد تأكيد عملية انتاج النحاس في عمان خلال الألف الثالث ق. م. وتصنيع الأدوات النحاسية في البلاد

أعلاه: فرن تم تجديده لصهر النحاس في جنوب وادي الجزي.

أدناه: بقايا متخلفة من معدن النحاس بعد صهره.

أدناه جهة اليمين: مقبرة ترجع إلى نهاية عصر وادي سوق اكتشفها بعض الأطفال في الواسط. كانت تستخدم كمقبرة للفقراء.

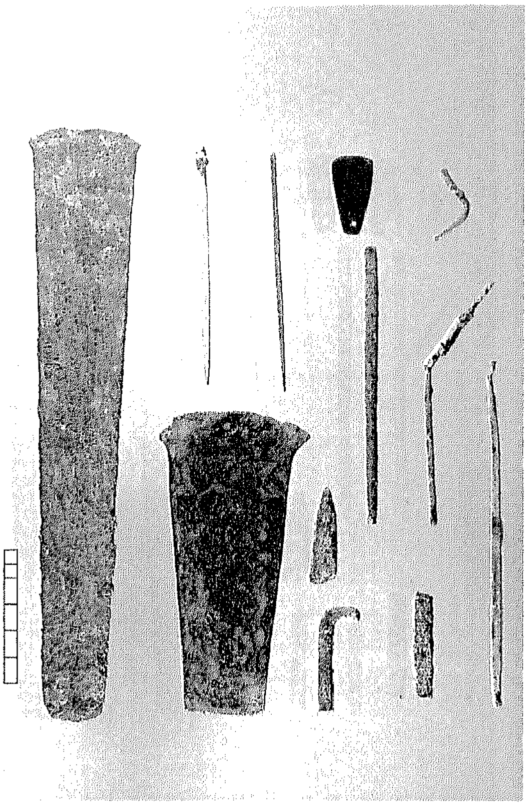


إس. كاي



جي. فيسجربر. متحف الصناعات التعدينية الألماني

مجموعة من اكتشافات النحاس في المسرة من عصر أم النار.



جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني

في ذلك الحين يصبح السؤال الأخير هو ما هي الأدلة المتوفرة لدينا والتي تشير إلى أن هذه المنتجات كانت تجد طريقها إلى بلاد ما بين النهرين ؟. إن هذه الأدلة، كما سبق أن أشرنا، موجودة أساساً في شكل نصوص مترجمة من اللوحات المسمارية التي تم العثور عليها ضمن آثار المنازل الأكدية القديمة والسومرية الجديدة. ولم يأت ذكر مجان في هذه اللوحات حتى عصر سرجون.

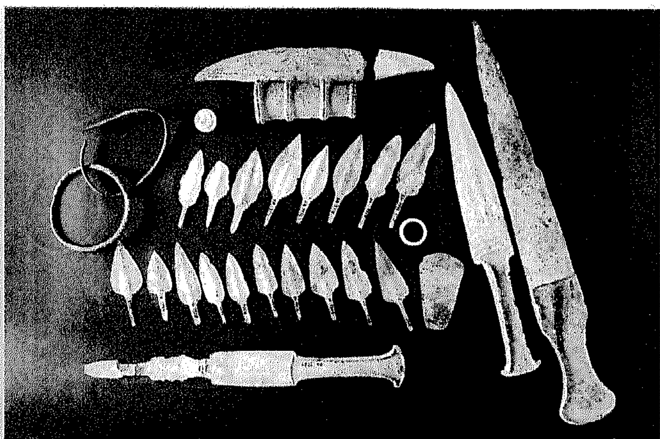
وفي «النقوش القياسية» لمانيستوسو نسمع كيف أن مانيستوسو أبحر جنوباً بعد أن جمع جيشاً ينتسب مقاتلوه إلى ٣٢ مدينة. وتنص النقوش على أنهم قد قبضوا على قوات الأعداء في أماكن متفرقة بعيدة بعد مناجم المعادن وأنهم استخرجوا حجراً أسود أخذوه معهم إلى أكد لاستخدامه في نحت تمثال له. وقد تم بعد ذلك اهداء التمثال للآله إنليل. إن ارتباط الحجارة السوداء، التي كانت موضع تقدير السومريين والأكديين، بمجان مذكور أيضاً في رواية هجوم «نرام - سين» على مجان.

وقد ذكر العديد من المؤلفين أن الحجارة المشار إليها هي حجارة الديوريت، غير أن التحاليل التي اجريت على تمثالين من عصر مانيستوسو محفوظين في متحف اللوفر في باريس قد كشفت أنهما مصنوعان من حجارة الجابرو الأولڤيني وهو نوع من الحجارة شائع في عمان بصورة كبيرة.

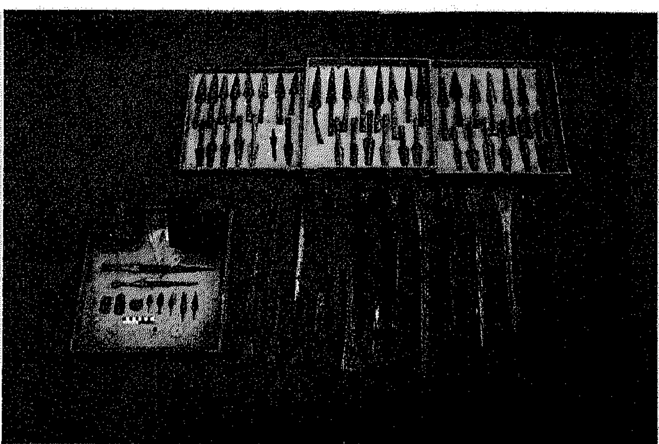
كما تم في لوحتين مسماريتين من نفس العصر تسجيل أنه كان يتم جلب النحاس إلى القصر من مجان، وأنه تم نقل النحاس القادم من مجان من أحد المنازل. ومن الواضح أيضاً أنه كان يتم استيراد النحاس في أشكال مختلفة وليس في هيئة كتل خام فحسب. فقد نصت احدى اللوحات المسمارية من عدب أن أحد تماثيل «زا - هوم» المصنوعة من البرونز قد أتت من مجان. كما يطلعنا أحد النصوص على أن بحارة مجان قد أبحروا حتى بلاد ما بين النهرين وذلك من خلال الاشارة إلى رسو سفنهم عند رصيف أكد ومن خلال أحد النصوص التي تسجل تقديم الجعة كهدية إلى رسول من مجان في خلال عصر الأكديين القديم.

أدناه جهة اليسار: بعض السيوف والخناجر ورؤس الرماح النحاسية العديدة التي تم العثور عليها في مقبرة الواسط.

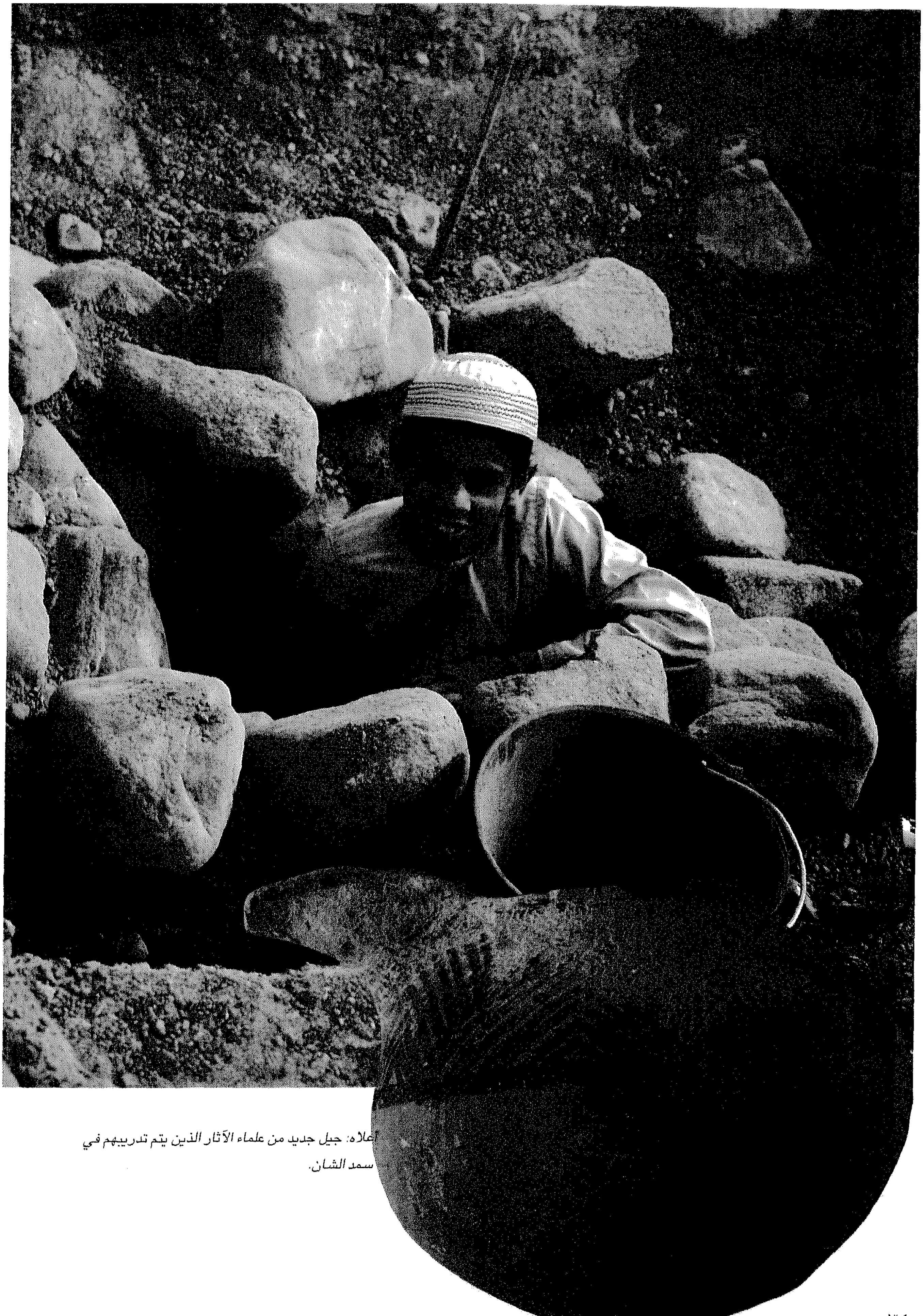
أدناه: مقبرة أحد المقاتلين التي ترجع إلى نهاية عصر وادي سوق والتي تم اكتشافها في عام ١٩٨٥. تضم المقبرة مجموعة كبيرة من الأسلحة.



جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني



جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني



بول يول، بعثة الآثار الألمانية إلى سلطنة عمان

جي فيسجربر، متحف الصناعات

أعلاه: جيل جديد من علماء الآثار الذين يتم تدريبهم في
سمد الشان.

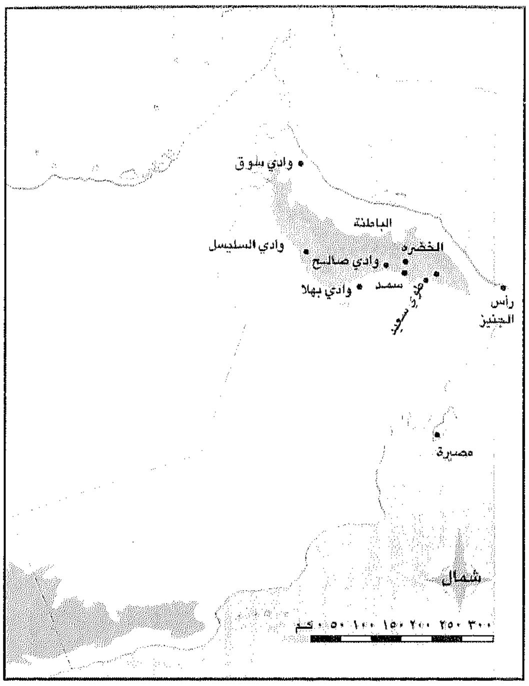
عصر وادي سوق من عام ٢٠٠٠ إلى عام ١٣٠٠ ق. م.

اختفاء التراث الثقافي لأم النار

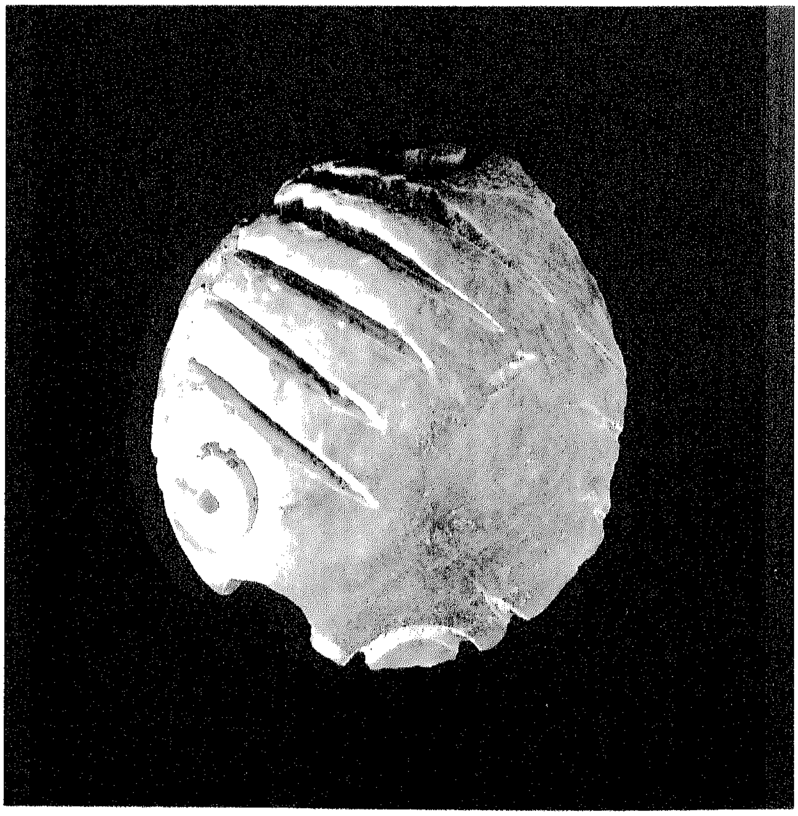
لم تكن سجلات الآثار القديمة المتعلقة بهذه الفترة متوفرة بكثرة كما أوحت بذلك العديد من الروايات القديمة عن تاريخ عمان القديم. وكان من المعتقد أنه قد حدثت ثغرة كبيرة في التسلسل الآثاري في أعقاب أوائل الألف الثاني ق. م. مباشرة في إشارة إلى اختفاء التراث الثقافي لأم النار بصورة يصعب تفسيرها. وقد أوضحت دراسات الآثار التي تمت مؤخراً حدوث التغير فعلاً، لكنها أكدت انه كان تغيراً تدريجياً على عكس الاعتقادات السائدة في السابق. وفي الواقع يمكن نسب بعض الآثار التي تم اكتشافها في وادي سوق إلى فترة منتصف الألف الثاني ق. م. وربما ما بعدها وبذلك يمكن سد الثغرة الواقعة بين الفترة من ١٨٠٠ ق. م. وبداية عصر الحديد في عمان. ويعلق «بوتس» على ذلك بقوله «وهكذا بات من الواضح أنه لا توجد ثغرة في التاريخ الاستيطاني لشبه جزيرة عمان أثناء الألف الثاني ق. م. وأن ما كان يعرف في المنطقة باسم عصر الظلام لم يكن سوى نتيجة لجهلنا (بوتس، المجلد الأول، ١٩٩٠). ويشير العلماء الآن إلى الفترة من سنة ٢٠٠٠ ق. م. إلى ١٣٠٠ ق. م. بأنها الفترة التي تضم عصر وادى سوق والتي تنقسم إلى مرحلة مبكرة (من ٢٠٠٠ ق. م. إلى ١٦٠٠ ق. م.) ومرحلة متأخرة (من ١٦٠٠ ق. م. إلى ١٣٠٠ ق. م.).

التجارة مع دلمون

واكب بزوغ الألف الثاني ق. م. ازدهار دلمون كمحور لتجارة الخليج. وكان مكسب دلمون خسارة لمجان. فمع ازدهار الحضارة القديمة في البحرين خبت أم النار وتدهورت المستوطنات التي نمت خلال الألف سنة الأخيرة بين جبال عمان. وكان تجار وبائعو النحاس في عمان قد جمعوا ثرواتهم أساساً من خلال التجارة المباشرة مع مدن سومر. ومع تحول التجارة ليصبح مرورها الآن عن طريق البحرين قلت امكانية تحكمهم فيما يجنوه من المنافع والمكاسب. وحدثت عملية إعادة تنظيم أصبحت البحرين بموجبها أهم الشركاء التجاريين لعمان وتركزت التبادلات الثقافية بين هذين البلدين بدرجة أكبر مما كانت عليه بين عمان وسومر في السابق. وكانت تلك الأوضاع جديدة بالنسبة لعمان والبحرين لأنه لم يكن هناك في الماضي القريب اتصال مباشر يذكر بينهما، وكان كل منهما يتنافس على التجارة مع دول الشمال الغنية. ولم تكن براعة عمان في

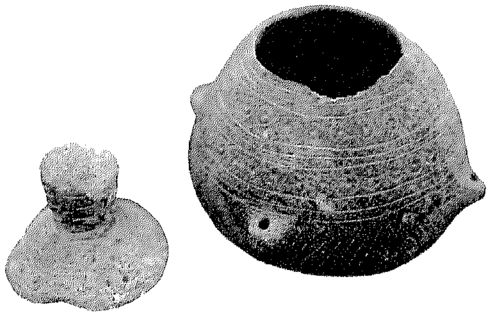


المواقع الرئيسية لفترة عصر وادي سوق (طبقا لبوتس، ١٩٩٠).



خلفية ختم من الحجارة الطرية المصقولة تم العثور عليه في مقبرة سمد الشان.

جي نيسجبرين، متحف الصناعات التعدينية الألماني



كل منهما يتنافس على التجارة مع دول الشمال الغنية. ولم تكن براعة عمان في الملاحة البحرية وبناء الزوارق موضع خلاف قط كذلك هو الحال بالنسبة لوفرة مواردها الطبيعية، لكنها لم تكن تستطيع توفير المزايا التي تقدمها دلمون سواء من ناحية الموقع الجغرافي أو مدى ملاءمة موانئها للسفن التي تبحر في الخليج جنوباً وشمالاً.

الأواني الخاصة بالمدافن

بالاضافة إلى الأدلة المكتوبة عن التغيرات التي وقعت، فقد أكدت الآثار التي تم العثور عليها في المقابر التي اقيمت في هذه الفترة والموجودة في وادي سوق ووادي السليسل على سبيل المثال أن الروابط الرئيسية لعمان كانت مع البحرين وليس مع بلاد ما بين النهرين. إن وادي سوق هو أحد روافد وادي الجزي الذي يمتد من واحة البريمي إلى الساحل بالقرب من صحار، بينما تقع المقابر الموجودة في وادي السليسل على مسافة أربعة كيلومترات تقريبا شمالي ابرا. وكانت مقابر وادي السليسل تضم مدافن (حفر)مبطنة بالحجارة ومقامة تحت سطح الأرض ومغطاة بأكوام من التراب ومحصورة بواسطة جدران دائرية تحيط بها. وكانت الأواني الفخارية والأواني المصنوعة من الاستيتيت والتي تم العثور عليها في هذه المقابر تماثل الأنواع التي تم العثور عليها في المقابر الموجودة في البحرين. وعلى عكس الأواني الفخارية الحمراء أو البرتقالية اللون والمزخرفة باللون الأسود والتي ترجع إلى أواخر الألف الثالث ق. م. كانت الأواني الفخارية التي تم العثور عليها في هذه المقابر والتي ترمز إلى عصر وادي سوق أقل إحماءاً من تلك الأواني التي ترجع إلى عصر أم النار وكانت أقل جودة منهابصورة عامة. وكانت هذه الأواني بصورة عامة ذات لون أصفر بني أو أسمر ضارب إلى الصفرة أو ذات لون برتقالي إلى حد ما. ومع ذلك فقد شهد هذا العصر ادخال إحدى التحسينات على تقنية صناعة الفخار، اتخذت شكل عمل شريحة في قاعدة الاناء باستخدام حبل مشدود وهي طريقة لم يستخدمها صناع الأواني في عصر أم النار. وبالاضافة إلى ذلك ظهرت بعض الأشكال الجديدة مثل الأواني المفتوحة والدائرية والأواني الخفيضة إلى حد ما والمزودة بفتحة للصب تشبه أعناق الأباريق.

ولا تكشف الأواني المصنوعة من الاستيتيت والتي ترجع إلى أوائل عصر وادي سوق عن وجود أي اختلافات واضحة تميزها عن تلك التي ترجع إلى الألف الثالث ق. م. مثلها مثل الأواني الخزفية التي ترجع إلى عصر وادي سوق. ولا يزال نمط الدائرة المنقطة هو النمط المفضل في ذلك الوقت وكان يتم زخرفة الأواني عادة بزخارف بسيطة كهذه حول الحافة. أما الأواني التي تمت صناعتها في مرحلة لاحقة فكانت من نوع



جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني

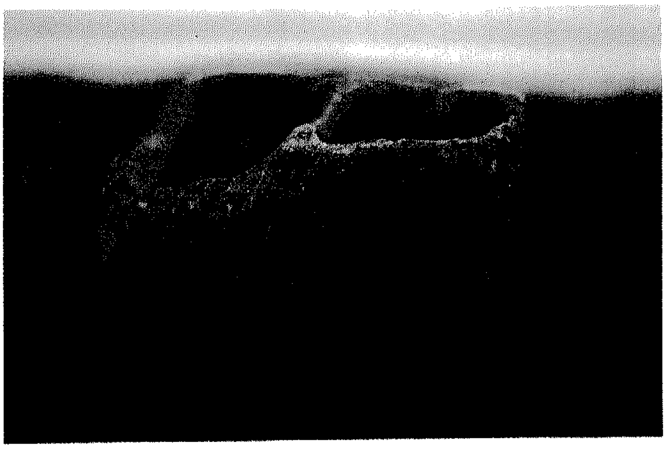
مجموعة من بعض الأوعية المصنوعة من الحجارة والتي تم العثور عليها في المقابر المشتركة التي اكتشفها بعض الأطفال في الواسط.

أدناه: رؤوس رماح نموذجية من عصر وادي سوق مثل تلك التي لا تزال موجودة عند مدخل المقبرة.

أدناه جهة اليمين: وعاء من الاستيتيت محفوظ في المتحف الوطني العماني.



جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني





جي فيسجرير، متحف الصناعات التعدينية الألماني

إناء من الفضة باطار ضيق تم العثور عليها في مقبرة أمرأة ثرية في سمد الشان.

أواني التعليق ذات الجسم الدائري ومزودة بأربعة عروات للامساك مثقوبة رأسيا وعلى أبعاد متساوية حول وسط الجسم ومزودة بغطاء (بوتس، المجلد الأول، ١٩٩٠). وأخذت التعديلات التي تم ادخالها شكل الأناء المخروطي ذي الغطاء المزود بأربعة مساكات أنفية رأسية،، وشكل اناء مسطح ذي فتحات الصب الجانبية وكليهما من الأواني النموذجية التي تمثل عصر وادي سوق، وقد تم العثور على أعداد كبيرة منها في المقابر التي ترجع إلى فترة عصر وادي سوق.

وباستثناء الأواني الفخارية والأواني المصنوعة من الحجارة الطرية فقد تم العثور على بضعة نماذج من التحف البرونزية في حفريات الآثار الخاصة بفترة عصر وادي سوق. وكانت الأسلحة المفضلة في هذا العصر هي الرماح والسهام ذات الرؤوس المصنوعة من النحاس أو البرونز والخناجر ذات النصل المصنوع من البرونز والرماح ذات الرأس البرونزي المجوف.

الأدلة المدونة

تم تسجيل فترة أوائل الألف الثاني ق. م. على اللوحات التي تم اكتشافها في بلاد ما بين النهرين. وتوجد أدلة وافرة على نقل السلع المنتجة في مجان من دلمون إلى اور وعلى قيام تجار اور بزيارات منتظمة إلى البحرين خلال الفترة من عام ١٩٣٢ ق. م إلى عام ١٨٦٦ ق. م. أي خلال عصور ملوك لارسا الثلاثة الأوائل وهم «جنجونوم» «عبيسار» و«سومو ـ إيلوم». وكما ذكرنا آنفا، لم يعد تجار اور يقطعون كل الطريق إلى أم النار أو إلى جبال عمان لعقد الصفقات بل أصبحوا يكتفون بالقيام بزيارات متكررة إلى موانيء السفن في دلمون. كما أشارت النصوص المكتوبة في أثناء فترة حكم «ريم ـ سين» (١٨٢٢ ق. م. إلى ١٧٦٣ ق. م.) إلى كميات النحاس الضخمة التي لايزال يتم استيرادها والتي تم استيراد معظمها عن طريق أحد التجار واسمه «إيا ـ ناصير» ويعمل كوكيل للسلطات المحلية والمستثمرين الأهليين. غير أن ازدهار تجارة النحاس كانت تقترب من نهايتها. ففي عام ٢٠٠٣ ق. ب. وفي أبان نهاية فترة حكم «ريم ـ سين» في اور سقطت اور في أيدي العيلاميين القادمين من مرتفعات فارس وعانى التراث الثقافي لسومر بأكمله من التدهور السريع حتى أن اللغة نفسها تعرضت للضياع.

غزوات من الشمال

أدى الضعف الناتج عن هذه الاضطرابات إلى انفتاح أبواب القلاقل الخطيرة في أنحاء منطقة الخليج. وكان العامل الرئيسي لذلك هو حملات الغزو الطويلة القادمة من الشمال والغرب والتي كانت تضم أعداداً كبيرة من الهنود الأوروبين الذين كان العديد منهم يمتطي الخيول وكانوا مسلحين بفؤوس القتال. لقد كانت مستوطنات الخليج، والتي عاشت في سلام نسبي وازدهار لفترة طويلة، غير مستعدة ببساطة لمثل هذا الغزو. وأخيرا وصل الغزاة إلى عمان حيث كان لعدوانهم تأثير كبير ساهم في تدهور دلمون ومدن الجنوب الواقعة عند رأس الخليج مثل اور والتي ازدهرت جميعاً نتيجة لنشاطها في استخراج النحاس في عمان ونشاط التجارة المرتبط بها.

أواخر عصر وادي سوق

لم تمر فترة طويلة حتى سقط اسم مجان تماماً من سجلات بلاد ما بين النهرين. وبمعزل عن الصعوبات الاجتماعية والاقتصادية التي أثقلت كاهل عمان، فقد لعبت العوامل الطبيعة دورها في احداث التدهور العام. فقد تسببت فترات القحط الطويلة في فشل زراعة المحاصيل وفناء الحيوانات والطيور البرية وفي معاناة الناس. كما تسببت العواصف الرملية الشديدة في تدمير



عاصفة رملية في شهر نوفمبر تذكرنا بقسوة الظروف الجوية في أواخر عصر وادي سوق.

جميـع نواحـي الحياة اليـومية وسـد المنازل بـالرمـال الضـارة وأقـامة كثبـان الـرمـال. واستمر أهـل مجـان يعتمـدون بـدرجـة كبيـرة على مهـاراتهـم فـي الصيـد والابحار. وبـالرغم من تـدهور روابط التجارة كثيـرا فقد واصلوا المحـافظة علـى علاقـاتهم بجيـرانهم فـي أنحاء الخليـج والمحيط الهنـدي.غير أن اهتمـامهـم الرئيسـي بـالتجارة انحصـر في الضـروريـات اللازمـة لمزاولـة النشاطات التجارية مثل السلع الزراعية. ويقال أن العديد من البحارة العمانيين قد هـاجروا إلى الشمال عبر البحر الأحمر إلى بلاد المشرق حيث عـرفت سلالاتهم فيما بعد بالفينيقيين.

المستوطنات

تم التنقيب في موقـع مستوطنـة ترجع إلـى عصر وادي سـوق فـي رأس الجنيـز الواقعـة جنـوب رأس الحـد مباشـرة وهو مـن المواقع المعـروفة اليـوم للعديـد مـن زوار عمان كمـوقع هـام يضم شاطـىء عش السـلاحف الخضـراء. وتضمنـت الآثـار المكتشفـة والتـي تبـعد بضعـة أمتار عـن رأس الشـاطـىء بنـاءاً مـن الطـوب الطينـي يـزيـد طـوله عــن ٣٠ متـراً، وكـان يستخـدم كمستـودع لبلاطـات القار.ويـوحي العثـور على كسـرة أثريـة لآنية فخاريـة منقوشة بنقوش حـربانية بـأن هذا الموقـع كان أحد المواقـع الرئيسية لنزول تجـار حربـا عند وصولهـم إلى عمان في خلال أوائل الألـف الثاني ق. م. كمـا تم اكتشـاف مجمع بنـايـات مقامـة من الطـوب الطيني في طوي سعيـد بالقرب من إبرا يرجـع إلى نفس الفترة. ولم يزدهر النشاط التجـاري جدياً مرة أخرى في المحيط الهنـدي وعمان حتى حلـول النصف الثانـي من الألـف الأول ق. م. عنـدمـا هيـأ ملـوك الأمبـراطـوريـة الأخمينيـة الفرص الظـروف للنمـو الاقتصـادي وقدمـت الامبراطورية اليـونانية والامبراطورية الرومـانية شركاء تجاريين أثرياء للغاية.

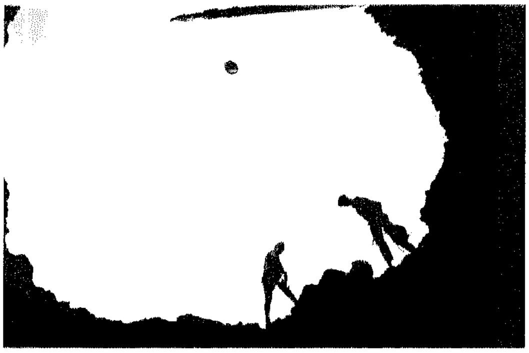
أقامت السلاحف أعشاشاً لها على شواطىء عمان منذ آلاف السنين. وعندما تصبح الظروف أكثر صعوبة في المناطق الداخلية كان الناس يعتمدون على البحر في الحصول على امدادات كافية من الطعام.



عصـر الحديـد أو عصـر لـزق من عام ١٣٠٠ إلى عام ٣٠٠ ق. م.

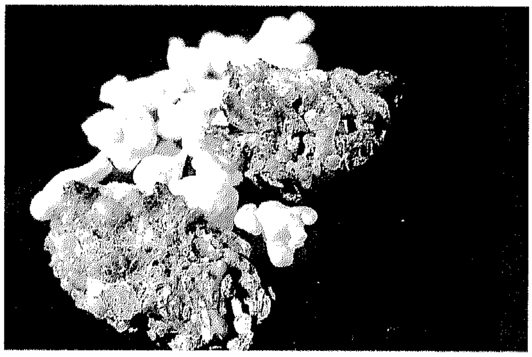
البرونز: المعدن المفضل

بالرغم مـن وصف هذه الحقبة بأنها عصـر الحديد، فقـد ظل البرونز طوال هذا العصر في عمان المعدن المفضـل. كـذلك فـإن الحديـد «لم يثبـت عمليـا تواجـده في هــذه المنطـقة قبل عصر سليوسيد» (بوتس، ١٩٩٠). والاسم البديل لعصر الحديد وهـو «لزق» مشتق من اسم موقـع حصيـن فـي جنـوب وادي سمـد. لكـن هنـاك بعـض الصعوبات الملازمة المرتبطة باستخدام هذا الاسم.



المؤلف فينس

الحفريات في شصر والتي يعتقد البعض بأنه الموقع القديم لمدنية اوبار.



سي فيرجسال، بإذن من وزارة الاعلام

اوبار: جزيرة «أطلنتس» الرمال

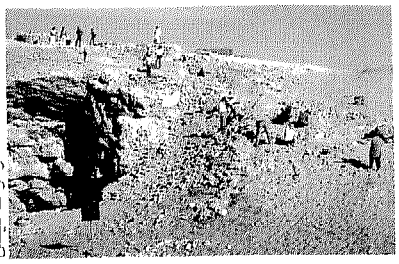
فـي أعقاب فتـرة طـويلة مـن الانعـزال النسبي والكسـاد أصبحـت عمـان تشهـد الآن فترة مـن النمـو السـريـع، وسجلت المصادر التوراتية كيف أن قوافل الجمال كانـت في العصـور المبكرة في عام ٢٠٠٠ ق. م. تحمـل السلع مـن أحد طرفـي الجزيرة العربية إلى طـرفها الآخر أي من المصادر الجنوبية للبخور واللبـان والمر والسلع الأخرى المتوفرة في عمان إلى بـلاد الحضارة المزدهرة في مصر القديمـة. وكانـت هـذه الرحـلات تحتـاج إلـى تنظيمات هامة للانسـان والحيـوان وتعتمـد على امـدادات كافيـة من المـاء العذب. وكانـت قوافـل الجمـال تقطـع الرحلـة على مراحـل، تبدأ من أحد المـراكز الهامة للتـزود بالمـاء والمؤن إلى المركز الذي يليـه وهكـذا.

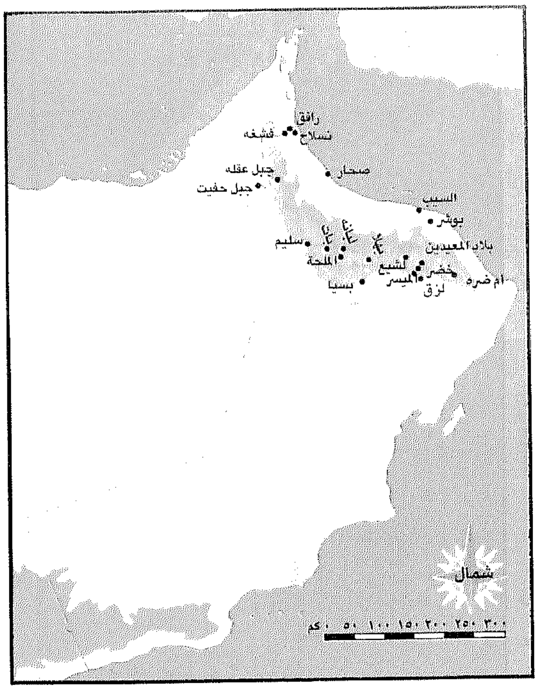
وتعتبر مدينـة اوبـار المحصنة والتي جاء ذكـرها في القـرآن الكريم باسـم مـدينة إرم المـدينة ذات الأبــراج العديـدة التي لـم يشيّد مثلهـا في أنحـاء المعمورة. وقـد روى «سير رانـولف فينس» في كتـابه الذي يحمـل نفس الاسم والـذي تم نشره فـي عام ١٩٩٢ قصة البحـث عن «جزيـرة «أطلنتس الرمال» هـذه. وفي هذا الكتـاب ساوى المؤلف مـدينة اوبار بمدينـة شصر الحالية الـواقعة على مشارف الـربع الخالـي حيث كشفـت الحفريات عـن آثار هامة لمستوطنـة مسورة ومحصنة بالاضافة إلـى العديد من المستـوطنات المحيطة بهـا. كما أوضحـت الـدراسات التي قاموا بها كيف أن انهيـار الكهف المقـام تحت سطح الأرض قد تسبب فـي دمار المدينة حيـث سقطت معظمها في فجـوة هائلة. ولا تزال الـدراسات التـي يتم اجـراؤها على هذا الموقع في مراحلهـا الأولية نسبيا وهي تتواصل تحت اشراف لجنة وطنية يرأسهـا وزير الاعلام بمساعدة من الـدكتور خـوريس زارينس وغيـره من علمـاء الآثار. ويتضح من خلال مـوقعها أنها كانت مركـزاً رئيسياً على طريق مسار قـوافل الجمال حيث كانت القـوافل المتجهة إلى الشمـال تتوقف فيها للتـزود بامدادات المـاء العذب قبل أن تواصل رحلتها عبر الرمـال إلى ليوا أو إلـى تقاطع المسارات الأخـرى عبر اليمن وشمـالاً عبر مــأرب ومكة المكرمة على طول تهامة على البحر الأحمر.

إن وجود الأواني الفخـارية اليونانية والرومـانية فـي مدينة شصر وهي الموقع الحـالي لمدينة اوبار هو دليـل علـى مـدى أهميتهـا الكبيرة كهمـزة وصـل علـى طـرق التجـارة الداخليـة الهامة. وبالأخذ فـي الاعتبار موقعهـا الاستراتيجـي والحاجـة إلى ضـرورة حمايـة آبار الماء العـذب المـوجودة بهـا فليس من المـدهش أن تقـام فيها تحصينات قويـة في شكل حيز مسيج خمـاسي الزوايـا والاضلاع تبلـغ مساحته التقـريبية ٥٤ متـراً ×٥٧ متراً، مـزود بأبـراج دائرية ومـربعة ليستعملهـا الحراس فـي مراقبـة الأراضـي المحيطة بهـا. وقد تـم استخدام هــذه المنطقــة لعـدة قـرون، وكشفــت اختبـارات التـأريـخ بالتحليل بالكـربون المشع أن احد أماكن التخـزين كان مستعمـلاً فـي عـام ٣٥٠ ق. م. ممـا يـوحـي بمعـرفـة بطليمـوس بـوجودها وأنـه ضمها إلـى خريطته فـي ذلك الحيـن. ومن المثيـر للدهشـة أن خريطـة بطليموس قـد سجلت في نفس المنطقة التي تحتلها شصر اليوم وجـود الأوبـاريتيين فيها، الذين هم ربما أهل اوبار.

كان البخور واللبان هو السبب الأهم في تواجد المراكز التجارية العمانية مثل ذلك الموجود في خور روري.

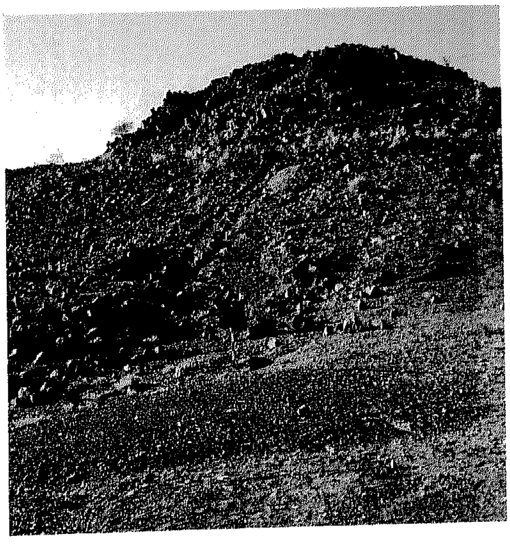



رالف فيس



الاستيطان

توجد في عمان مواقع عديدة ترجع إلى عصر الحديد تحفل بها سجلات الآثار. وتم اكتشاف العديد من هذه المواقع أثناء تنفيذ مشاريع البناء. ففي عام ١٩٧٩ على سبيل المثال، تم اكتشاف ٥٥٠ إناء من البرونز والاستيتيت والفخار أثناء اجراء أعمال الحفر بالبولدوزر في قرية حيل السلم بالقرب من ابرا. وكانت هذه المجموعة هي مخزون أحد لصوص المقابر


جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني

وكان معظمها يعود إلى عصر الحديد. وقد سبق لنا بالفعل ذكر موقع بات في مستهل تناول عصر أم النار. ولقد تمخضت الاكتشافات في الطبقات العليا في هذا الموقع عن اكتشاف بعض رؤوس الرماح المصنوعة من البرونز والأواني المصنوعة من الاسيتيتيت وكسر أثرية من الأواني الفخارية ترجع إلى عصر الحديد. وهناك رقعة قطرها ١٠٠ متر مربع تقع عند حافة وادي بهلا على مسافة كيلومترين شمالي غرب بيساح تحتوي على ما يتراوح بين ثمانية وعشرة أمتار من المخلفات المتراكمة منذ فترة الاستيطان الطويلة في عصر الحديد. كما توجد بعض المواقع في منطقة وادي سمائل. وتم أيضا العثور على آثار قرية صغيرة في المنحدر الغربي لوادي سمد على مسافة قصيرة شمال قرية ميسر الحديثة سماها علماء الآثار «ميسر ٤٢».

ويبدو أنها اقيمت في نفس فترة اقامة نظام قنوات الأفلاج القريبة والتي ظلت مستعملة منذ انشائها. وكانت احدى المقابر القريبة والتي ترجع إلى عصر الحديد وتضم ما لا يقل عن ٧٠ قبرا قد تعرضت للسرقة منذ فترة طويلة ومع ذلك فإنها كانت لا تزال تضم آثاراً كافية أتاحت للعلماء تحديد تاريخها.

ويستحق الموقع الموجود في لزق اشارة خاصة، فهناك هضبة شديدة الانحدار ارتفاعها ٦٥ مترا تقع على مسافة قصيرة شرقي المستوطنة الحديثة. ويقع على قمة الهضبة بناء محصن مقام من كتل ضخمة من الحجارة، يتم دخوله عن طريق سلم من الحجارة يتكون من ٧٩ درجة متصلة ببعضها بالملاط الطيني ومدعمة عند كلا الجانبين بجدار منخفض ارتفاعه نصف متر تقريباً. ويوجد في أعلى بئر السلم برجان يمكن للحراس من خلالهما الدفاع عن المستوطنة وهم داخل جدرانها الحصينة.

وفي الباطنة يوجد عدد من المواقع الهامة التي ترجع إلى عصر الحديد، فهناك أسفل القلعة الاسلامية في صحار آثار كثيرة ترجع إلى العصور المبكرة التي تمتد حتى عصر الحديد. كما توجد مواقع أخرى قريبة يمكن نسبها إلى الألف الأول ق. م. وكذلك مجمع للمقابر يضم ما لا يقل عن ٢٠٠ مقبرة متداخلة في وادي بشر في المنطقة الداخلية وجد فيها مؤخرا عدد كبير من الأواني النموذجية المصنوعة من الاستيتيت والفخار والتي ترجع إلى عصر الحديد.

المواقع الرئيسية لعصر الحديد(طبقا لبوتس، ١٩٩٠).

أعلاه جهة اليمين: الحفريات في شصر.

أعلاه في أقصى اليمين: رأس الجنيز.

جهة اليمين: مشهد لدرج السلم المؤدي إلى القلعة الكائنة فوق الهضبة في لزق والتي ترجع إلى عصر لزق.

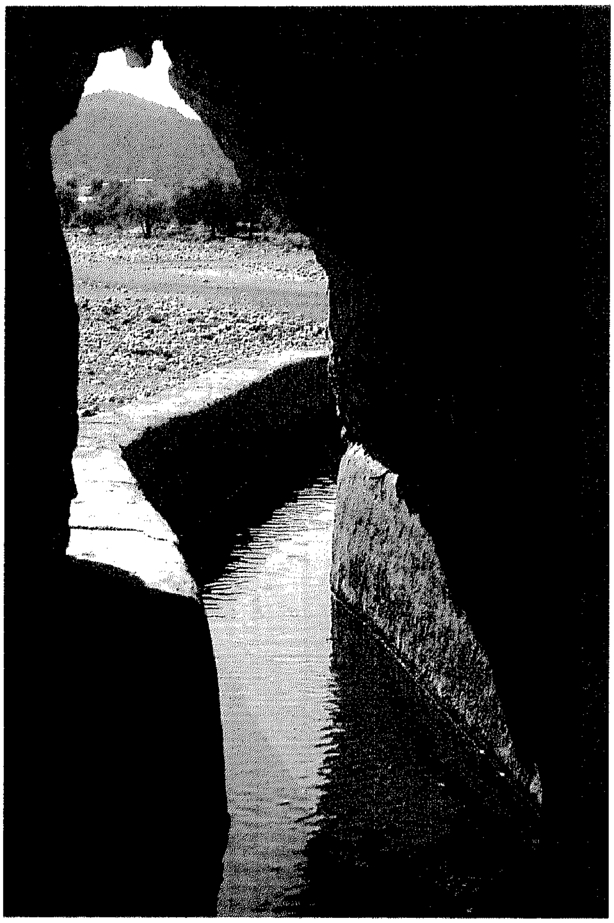
مجان ـ كاد

عمان المعروفة باسم كاد

بحلول عـام ١٠٠ ق. م. لم يعـد اسم مجـان يشير إلـى عمـان، وفي تغيـر محير لأسمـاء الأماكـن، ربما يمكـن تفسيره مـن خلال تنقـلات الناس وتبـادل الأدوار بيـن هذه الأماكـن، أصبحـت ملوخـا ومجـان تشيـران الآن إلى مصر.

ومن المحتمـل أن يكو ن المهاجـرون من مجـان قـد قـدمـوا لمصر الفـرعـونيـةمفتاح استعـمـال ثرواتهـا الطبيعيـة. ومـن غير المتصـور أن العمانييـن الذيـن سافـروا إلى مـصر مـع اللبان والبخور لـم يتقاسمـوا معها أيضاً خبراتهم المكتسبة في مجال تجارة المعـادن. غيـر أن عمـان، التـي كانـت تعـرف فـي ذلـك الوقـت باسـم كـاد، قـد بـدأت تشـهد أوقاتـاً أفضـل. فبحلول عـام ٧٠٠ ق. م. تحـول أفـراد الجمـاعـات الهنـديـة الأوروبيـة الفظـة التي غـزت ملـوخـا إلى أفـراد أكثـر انضبـاطـاً وحضارة وصـاروا يهتمـو ن بـإعادة اقـامـة الروابط التجـارية واعادة بناء الحضارات التـي دمروها. وهكذا تمـت اعادة الـروابط التجاريـة مـع عمـان. وقـد بلغنا أن ملـك كاد قـد سافر مـن مقر حكـومته فـي ازكي لـزيارة بـلاط الامبراطوريـة الأشـورية في نينـوى وذلك في حوالي عام ٦٤٠ ق. م.

أنا باد، ملك بلاد كاد المقيم في مدينة ازكي التي لم يطأ أي ملك في تاريخها حدود بلاد الأشوريين: بأمر أشور ونين ــ ليل سافر رسـولهما للمحبة والسـلام محملا باحتـرامهما وثنائهما فـي رحلة استغرقت ستـة أشهر ليـأتي ويمثـل أمامـي. (نقـوش موجـودة على احـدى اللوحـات التي تم العثور عليهـا في نينوى، ترجـع إلى حوالي عام ٦٤٠ ق. م).



إس. كاي

فلج قديم.

نظام جديد للري

شهـد الألف الأول ق. م. ادخـال تحسينـات جديـدة فـي عمـان صحبها زيـادة كبيـرة فـي تعداد السكـان. ومـن الـواضح أن شيئـا هامـا قـد حـدث وأدى إلى زيـادة طاقات البـلاد في توفير الغذاء لسكانهـا. وهـذا الشـيء الهام هـو ابتكار جديـد شهدتـه عمان في حـوالي عـام ١٠٠٠ ق. م. وكان هـذا الابتكـار هـو سر نقـل المـاء إلى الصحـراء عبر شبكـة دقيقـة من القنـوات المقامـة تحت سطـح الأرض وفوقه تعـرف باسم الأفـلاج. وطبقا للأسـاطير كان الملـك سليمان مـؤسس بلاد فـارس هو المسؤول عـن هذا النمـوذج القديـم لنقل التكنـولوجيـا. وتـروي القصـة أنه حـاد عن مسـاره أثنـاء طيرانـه فوق المملكـة، وحملته الـرياح العـاصفة عبـر الخليـج وهبط في سلـوت. وعندما شاهـد أن المنطقـة ينقصهـا المـاء أمر النـاس ببنـاء الأفـلاج. وبـالرغـم من هـذه التـرجمة المنمقـة فمن المحتمـل أن تكـون هناك بعـض الحقيقة فـي هذه الروايـة نظـراً لأن أقـدم الأفـلاج في عمـان موجـودة بالفعل فـي هـذه المنطقـة وأن أهلها هم مـن الخبـراء المشهوريـن في مجـال اقامـة الأفـلاج. وهــذه الأفلاج هــي عبارة عــن نظـام لتوزيـع المـاء بسيط بشكل جميـل لكنه غاية في الكفـاءة، وليس هـناك شـك فـي أن اقامـة هـذه الأفـلاج قـد غير عمـان تغييراً جذرياً.

الأفــــلاج

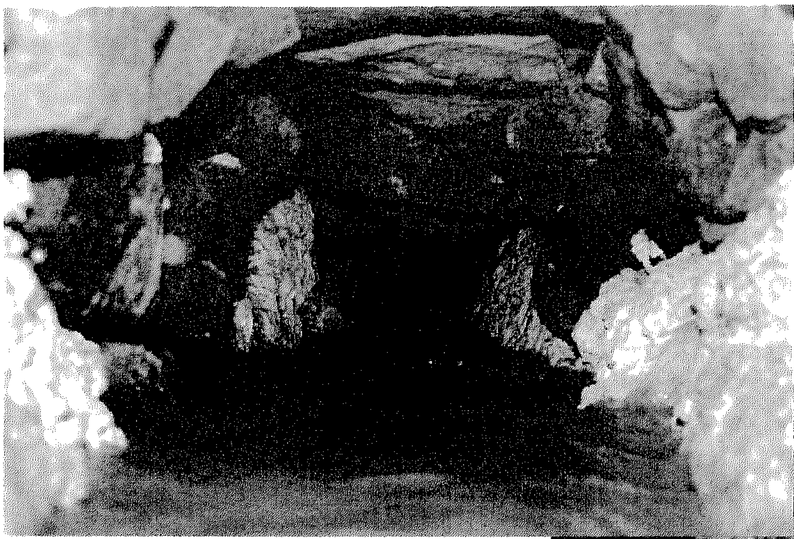
الماء هـو عماد الـزراعة والثروة فـي عمان، لأنـه لا يمكن زراعـة الأراضـي فـي عمـان دون الاعتمـاد علـى الـري بـاستثناء بضعـة أمـاكن محـدودة. وينتشـر في بعـض الأماكـن وخاصة في البـاطنة استعمال أنظمة الـري التي تستخـدم ميـاه الآبـار المحفـورة فـي طبقـات الأرض الحاويـة للماء. ومـع ذلك يعتبر النظـام المعروف بـاسم الأفلاج المصدر الـرئيسي لمياد الري اليـوم ومنذ ٢٠٠٠ سنـة على الأقـل فـي معظم أنحـاء عمـان وخـاصة فـي المناطـق الداخلية من البـلاد. وتتيح هذه القنـوات سواء المقامة تحـت سطح الأرض أو فوقه توفيـر نماذج ممتازة تدل على المهارات الهندسية العمانية الرائدة.

وقد اقيمت العـديد من قنوات الأفـلاج هذه منذ ٢٠٠٠ أو ٢٥٠٠٠ سنـة، وتم بنـاء نظام الأفـلاج الضخم الـذي يحيط بصحار والذي توقـف استعماله اليوم منذ ١٠٠٠ سنة مضـت، كما قـام الحكام اليعـاربة العظـام ببناء أو تجديـد بعض أنظمة الأفـلاج الأخرى. إنها جميعـا أنظمة عريقـة في القـدم. ومن الجديـر بالـذكر أن كلمـة الفلج العربية هي كلمة مشتقة من كلمة سامية عريقة في القدم تتعلق بالتقسيم والتوزيع. وتعتبـر الأفلاج شريان الحياة في القرية ولـذلك يتم توزيع مياهـها على أفراد المجتمع عـن طريـق بـوابات تتحكـم فـي اغـلاق وفتح القنـوات الفرعيـة. كما يتم تقـاسمها عن طـريق التقسيم الـزمني المبنـي على أسـاس تحركـات الشمـس والنجوم. ويتـم تخصيص حصة من امدادات الميـاه السنوية للاستخدام



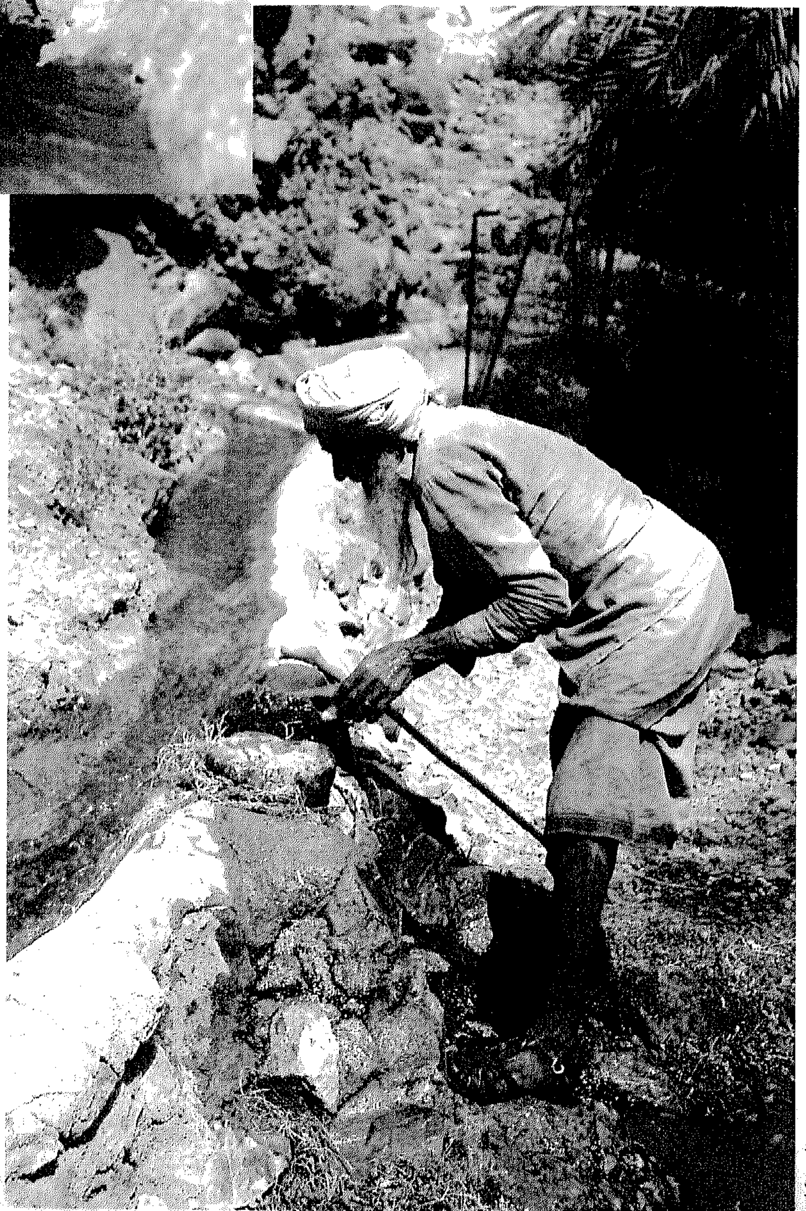
فلج قديم.

شركة تنمية النفط العمانية



بول يول بعثة الآثار الألمانية إلى سلطنة عمان

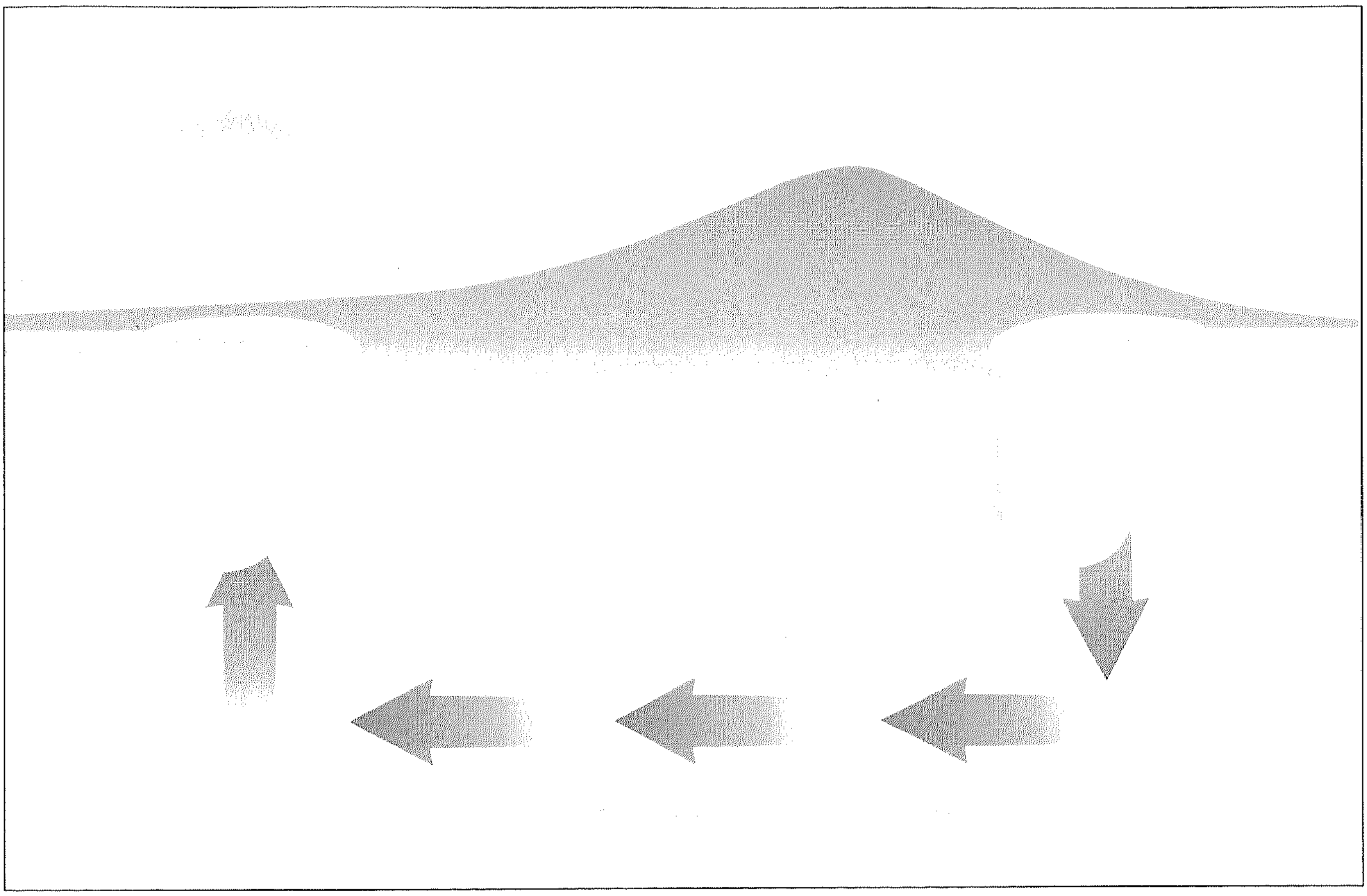
ربما تكون قنوات الفلج قد وصلت إلى عمان في بداية الألف الأول ق. م.. ويقع أقدم هذه الأفلاج التي أمكن تحديد عمرها في ميسر وتم بناؤها في أواخر عصر لزق/رميلة.

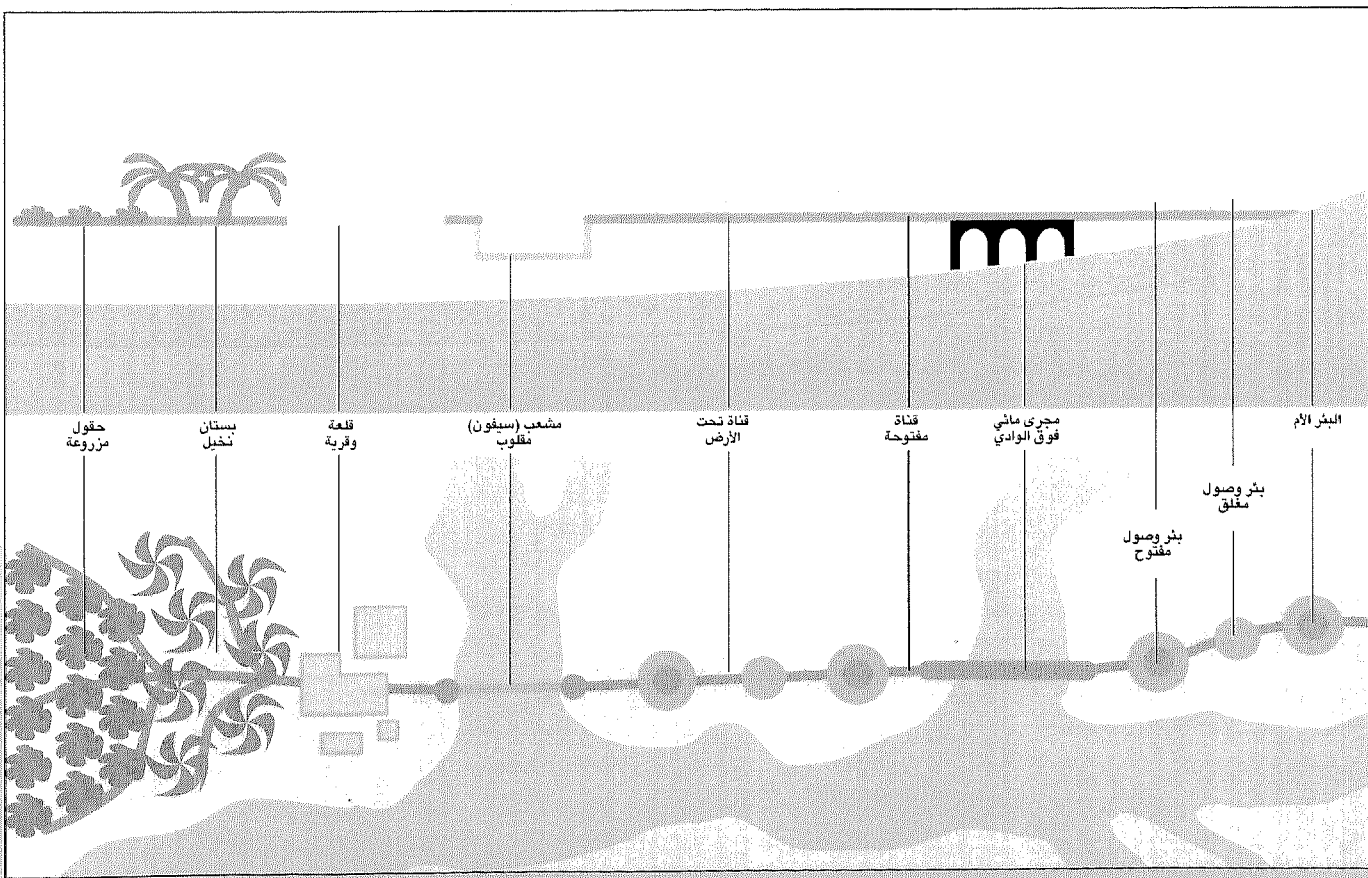


إيلي كاي

فتح قناة الفلج

في صيانة الأفلاج. وتعرف هذه الحصة باسم «القاعدة»، وكان يتم بيعها بالمزاد العلني أو استخدامها في زراعة المحاصيل المخصصة للبيع. ويتيح ريع بيع هذه المحاصيل تعيين أحد المسؤولين «بيدار» لصيانة الشبكة المشتركة عن طريق تنظيف القنوات المقامة تحت سطح الأرض وصيانة واصلاح الانشاءات الطوبية والصخور والبطانات والممرات الرأسية وكذلك مداخل الأفلاج والقنوات المفتوحة المتجهة نحو البساتين. ويوجد نوعان من الأفلاج في عمان هما الأفلاج السطحية والأفلاج المقامة تحت سطح الأرض والمعروفة باسم قنوات الأفلاج. وتسحب الأفلاج المقامة تحت سطح الأرض الماء من الطبقات الحصوية العليا لقاع الوادي وتحملها عبر قناة متدرجة برقة إلى الأراضي الصالحة للزراعة والتي تبعد في الغالب عدة كيلومترات . كما يتم استخدام القنوات السطحية إلى جانب المجاري السفلية لقناة الفلج. إن سحب الماء هو أمر غاية في السهولة، لكن عملية نقله تحتاج في الغالب إلى اقامة قناة خاصة من الحجارة والملاط على طول الجدران الصخرية للوادي أو منحوته فيها. كما يلزم أن تعبر هذه الأفلاج العوائق المختلفة مثل الحيود الصخرية وذلك عن طريق شق الأنفاق. أما الوديان الجانبية ذات التدفق الرقيق للماء فيتم عبورها عن طريق اقامة مجاري مائية قنطرية، في حين يتم عبور الوديان ذات التدفقات القوية عن طريق اقامة مشعبات (سيفونات) معكوسة. ويتم اقامة المشعبات المعكوسة عندما يكون تدفق الماء في قاع الوادي قوياً بدرجة قد تؤدي إلى جرف المجاري المائية. ويتدفق الماء عبر أنبوب رأسي إلى أسفل الوادي في قناة من الحجارة والملاط ذات تبطين جيد. وإذا كان قاع النظام لا يسرب عندها يمتلىء الأنبوب ويتدفق الماء عبر الجانب الآخر للوادي في نفس مستوى القناة المفتوحة الموجودة على الجانب الآخر ومن ثم يمكن توجيه الماء إلى الحقول.وتقوم القناة المقامة تحت سطح الأرض والمعروفة باسم قناة الفلج بسحب المياه الباطنية سواء مياه الينابيع الموجودة تحت سطح الأرض أو المياه الموجودة في المناطق التي يكون فيها منسوب الماء في الطبقات الحصوية القريبة من الجبال أعلى من مستوى سطح الأرض في السهول. ويتم في البداية تحديد أماكن توفر امدادات المياه الباطنية عن طريق فحص النباتات النامية أو الكشف عن وجود برك مائية أو أي شيء آخر قد يوحي بوجود نبع أو كميات وفيرة من الماء في باطن الأرض. ويتم التأكد من



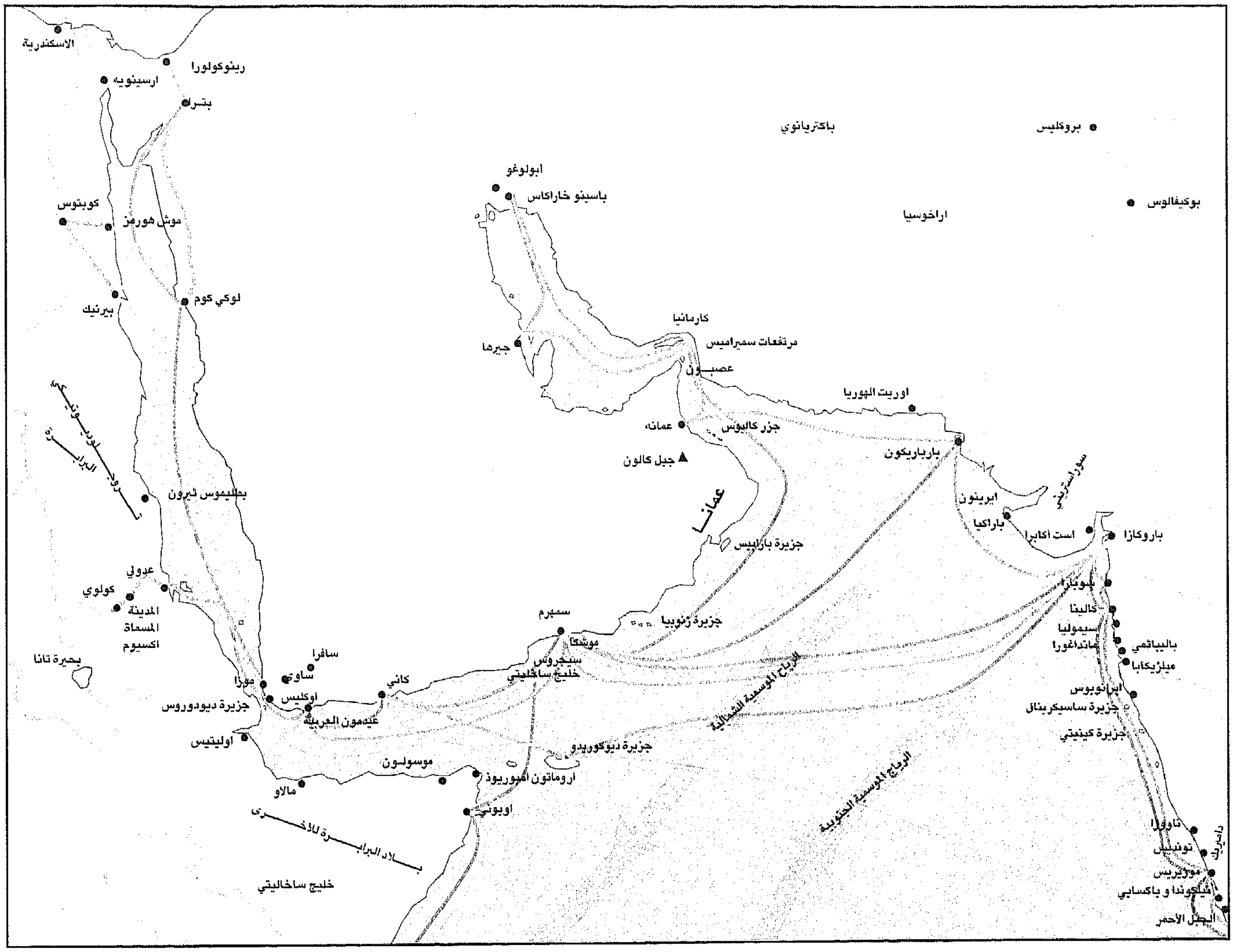

البئر الأم
بئر وصول مغلق
بئر وصول مفتوح
مجرى مائي فوق الوادي
قناة مفتوحة
قناة تحت الأرض
مشعب (سيفون) مقلوب
قلعة وقرية
بستان نخيل
حقول مزروعة



قناة فلج حديثة تستخدم في أعمال الري في عمان.

في الصفحة المواجهة: رسومات هندسية تبين كيف تحمل شبكة الأفلاج الماء من منبعها إلى حيث تستعمل. وتوضح الصورة العليا مشعب (سيفون) معكوس يستخدم في حمل الماء عبر قاع الفلج، أما الصورة السفلية فتصور مقطعاً عرضيا عاما للشبكة بأكملها.

حجم الماء الباطني عن طريق حفر بئر أو سلسلة آبار تجريبية وقياس مقدار التدفق عن طريق النزح. وإذا كانت نتيجة هذه الفحوص مرضية يبدأ العمل في اقامة الفلج بالابتداء من مصبه الذي يبعد في الغالب عدة كيلومترات عن البئر الأم للماء ثم يتم حفر قناة مائلة برقة مع اقامة مجاري رأسية على فواصل منتظمة لتوفير الهواء النقي اللازم لعمال حفر القناة والسماح بنقل الأنقاض. وعندما تمر القناة عبر تربة رخوة أو رملية يتم تبطينها بالحجارة أو الفخار. وتأتي أصعب لحظة في هذا العمل عندما تقترب القناة من المنطقة الحاوية للماء أو المحيطة بالبئر الأم. فإذا تم اختراق الطبقات الحاوية للماء فجأة فقد يتسبب اندفاع الماء المفاجىء في اغراق العامل الذي يقوم بالحفر وتدمير ما قام به من أعمال. أن الأعمال المرتبطة بالانشاءات قد تكون ضخمة حتى وإن كان قطر القناة لا يتجاوز نصف متر فقط لأنه يلزم إزالة حوالي ثلاثة إلى أربعة آلاف طن من الحجارة عن كل كيلومتر يتم حفره. وقد يبلغ طول أطول قناة تسعة كيلومترات بينما يصل عمق البئر الأم في المتوسط إلى ٢٠ متراً. ويلزم أن يتم اصلاح القنوات بصفة منتظمة وتطهيرها باستمرار من الطمي... وحتى هذا العمل قد يشكل مهمة عسيرة.



خريطة المنطقة العربية كما يعرفها اليونانيون والرومان.

الاهتمام اليوناني بعمان

بعد أن فتح الحاكم الأخميني الفارسي «كامبيسس» (٥٥٠-٥٢١ ق. م.) مصر توثقت الروابط بين جنوب الجزيرة العربية ومنطقة البحر المتوسط الكلاسيكية. وقد تحمس داريوس الأول (٥٢١-٤٨٤ ق. م.) خليفة «كامبيس» لاعادة العلاقات التجارية البحرية القديمة التي كانت تربط الجزيرة العربية ومناطق المحيط الهندي الأخرى بدول الشمال. وفي مسعاه لتحقيق هذا الهدف قام بتوكيل البحار اليوناني «سيلاكس الكريندي» بدراسة احتمالات اقامة طرق بحرية بين الهند ومصر. وأكدت رحلته الناجحة من وادي الاندس عبر فارس وعمان وساحل حضرموت ثم البحر الأحمر إن هذا الطريق البحري يوفر بديلاً صالحاً للرحلات البحرية الطويلة، غير أن هذا المسار لم يسهم اسهاماً كبيراً في احياء طريق الخليج القديم.

ومع ذلك ففي عام ٣٢٦ ق. م. أي بعد حوالي ٢٠٠ سنة عاد أسطول الاسكندر الأكبر (الاسكندر المقدوني) المكون من ١٥٠٠ سفينة من الهند بقيادة قائده اليوناني «نيرتشوس» الذي ذكر في سجل السفينة أنه مر على رأس الجزيرة العربية، وربما كان يعني بذلك مسندم، التي يتم منها تصدير القرفة والمنتجات الأخرى إلى الأشوريين. كما ذكر في سجل السفينة أيضا ميناء Teredon الواقع عند رأس الخليج ووصفه بأنه «سوق التجارة البحرية للبخور واللبان وجميع المنتجات العطرية الأخرى للجزيرة العربية». وبعد مضي بضع سنوات وقبل مصرعه بقليل أرسل الاسكندر الأكبر بعثة استكشافية جديدة عبر الخليج. وبينما وصل الأميرال «أرشياس» إلى البحرين قامت السفينة التي يقودها «هيرون السولي» باكتشاف ساحل مسندم.

اللبـــان

تم اعداد المعلومات الخاصة باللبان والمدرجة في هذا الفصل من الكتاب من مرجع «نباتات ظفار» تأليف الكاتبين أنتوني ميللر وميراندا موريس.

جاء ذكر الذهب واللبان والمـر في الكتاب المقدس كهدايا مقدمة إلـى عيسى المسيح وهو طفل في بيـت لحـم. ومن المحتمل أن يكون المنتوجان الأخيران من صادرات ظفار في عمان. وربما كان اللبان من بين قرابين الهدايا الثلاث الشـهيـرة هـذه هـو أكثـرهـا جـذبـاً لـلانتبـاه نتيجـة لاستخداماتـه المتعددة الكثيرة ولأن اللبان العمـاني كان يعتبر أفضل أنواع اللبان في العالم.

وتنمـو أشجـار اللبـان العمانيـة المعروفـة باسـم بوزفيليا سـاكرا Boswellia sacra بارتفـاعات تصـل إلى خمسة أمتـار تقريبـاً. وهذا النـوع من الأشجـار وكذلـك أشجـار المر همـا من فصيلـة الأشجار البخـورية التـي يتميز أعضـاؤها بـوجود مجاري راتينجيـة في لحـائها. وباستثناء أنواع أشجار اللبان التـي تنمو في عمان يوجد أنواع أخرى فـي شمال شرق أفريقيا والهنـد. وفي عمان توجد هذه الأشجار في أمـاكن محصورة نسبيا بعيداً عن منطقة الأمطـار الموسمية مباشـرة، لكن ضمن المنـاطق التي تتعـرض لريـاح باردة تتسبـب في انخفـاض درجة حرارة الهواء فـي شـهور فصل الصيف. وبالاضـافة إلى ذلك توجـد هذه الأشجار بالقـرب من الساحل فـي نطاق منطقة سقوط الأمطـار الموسمية، غير ان مـن المعتقد أنه قد تم زراعة العديد منها هناك.

ويقال أن جمـع صمغ اللبـان في العصـور اليونـانية كانت تقوم به مجموعة من العبيـد الذين كانوا يعانون من سوء التغذية والـذين لقى العديد منهم حتفـه نتيجة لسوء التغذية والمـرض. وبمجرد الانتهاء من جمـع الصمغ يتم نقلـه إلى ميناء سمهـرم الذي كـان يعتبـر ميناء اللبـان الرئيسـي حيث يتم شحنه فـي السفن بإذن صريـح من الملك. لقد كـان اللبان سلعة ثمينة لها نفس قيمـة الذهب في أسواق الأمبراطورية الرومانية.

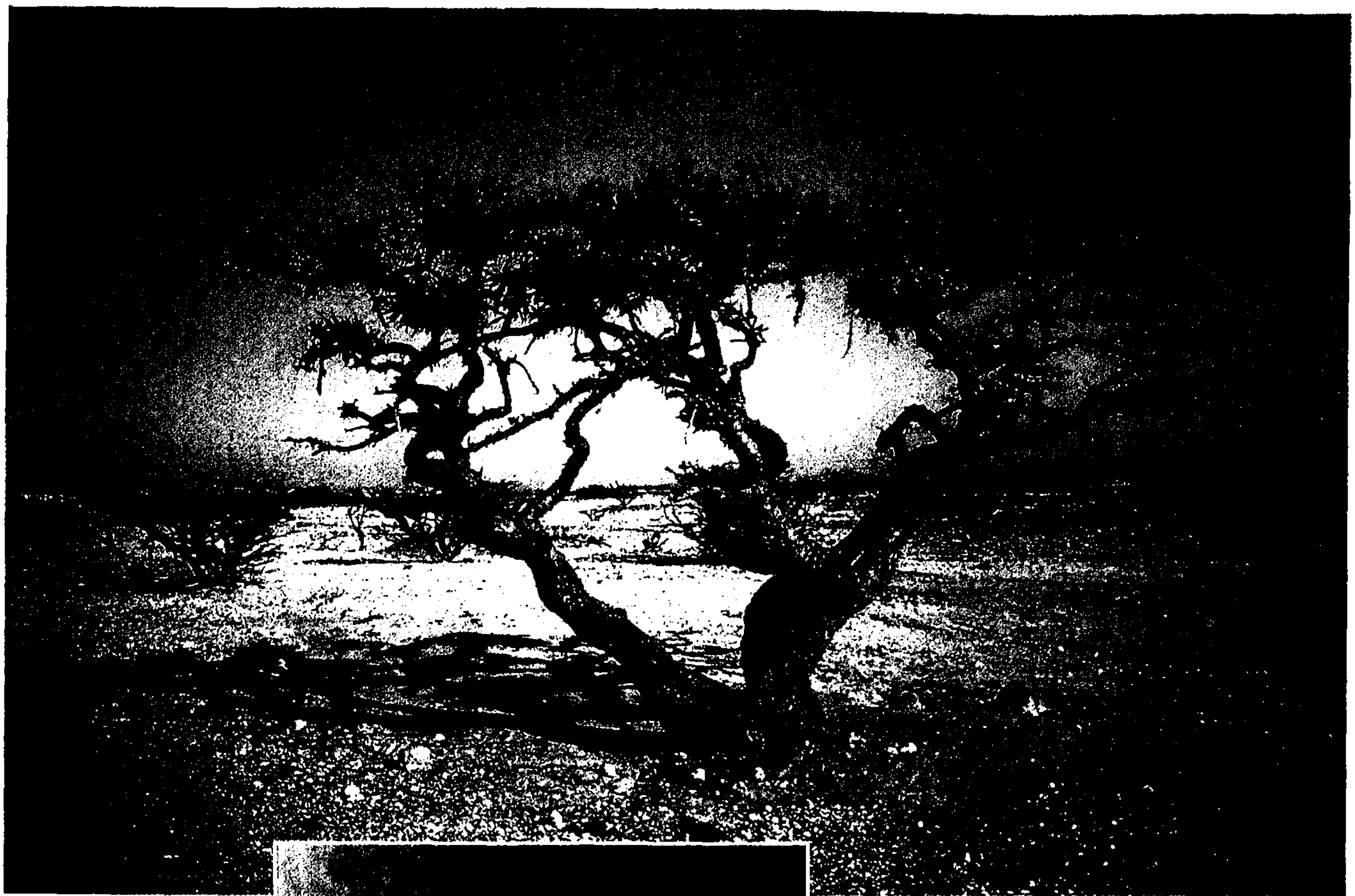
وإلى جانب حرق بخور اللبان كقـربان للآلهة كانت له أهميـة كبيرة مـن النـاحيـة الطبية، وكـان يستخـدم كبخـور لمكافحـة الأمراض والقضـاء على الـروائح الكريهة. وقـد أوصى مؤلف كتاب «مـوت المصريين القدماء» (الـذين كانوا يعتقدون بأن اللبـان هو حلاوة الآلهة التي تتسـاقط على الأرض) باستعمـال البخور فـي عديـد مـن الطقوس الجنـائزيـة وفي الطهـارات الشعـائرية. وقـد استخـدم اللبان بعـد اشعـاله فـي أحواض من الصلصال واطفاء لهبه بحليب الأبقار في دفـع الشر والخصـوم الحاقـديـن والضغينة. ومـن الناحيـة الطبية كـان للبان مكانـة كبيرة لـدى الأطباء اليونـانيين والـرومان الـذين استخـدموه فـي علاج جميـع الأمـراض المتصورة. كمـا ظهـرت الأدويـة المحتويـة على اللبـان في كتاب «الطب السريـاني» ضمـن نصـوص الأطبـاء المسلميـن فـي العصـور الوسطى وفي المخطوطـات الطبية الهندية والصينية (ميللر وموريس، ١٩٨٨).

ويدعي المـؤلف اليوناني «ثيوفـراستوس» أن قطرات اللبان النقي كانت أفضل جـودة من الصمغ المقشوط من لحـاء الشجر أو المـؤخـوذ مـن فوق الأرض. ويقـال أن الصمغ الذي يتم جمعه في فصل الخريف أفضل من ذلك



إس. كاي

شجرة لبان تبين سائل (نزّ راتينج) اللبان.



تتوفر أشجار اللبان بكثرة في بعض مناطق ظفار.



سائل (نز راتينج) اللبان من شق في لحاء شجرة اللبان.

الذي يتم جمعـه في فصل الربيع. وقد علـق «بليني» على موسمـي الجمع هـذين. ومن المثير أن الاسمين اللـذين أعطاهما للمـوسمين وهما كلمة «كارفياثـوم» للتعبير عن فصل الخريف وكلمة «داثياثوم» للتعبير عن فصل الربيع يتشابهان فـي النطق جدا مع الكلمتين اللتين تـرمزان إلى موسمي الجمع في اللهجة الجبالية في ظفار. وكان اللبان مرتبطـاً بصورة ثـابتة بالاحتفـالات التي كـانت تتـم في العالم اليوناني والعالم الـروماني. ففي أوج الامبراطورية الرومانية عنـدما كان الترف هو القاعـدة وليس الاستثناء ذكر «بلوتـارك» أنه تم صب تمثال لثور مـن اللبان والمر والمنتجـات النـادرة الأخـرى كـوجبـة لضيـوف أحـد المضيفين النباتيين الذي كان يحتفـل بالفوز الذي حققه في أحـد سباقـات الخيل. وفـي أثناء جنـازة «سولا» تـم اقامة تمثال بـالحجم الكامل للطاغية المتـوفي باستخدام خليط من اللبان والقرفة والتـوابل المختلفة الأخرى. وفي فترة مبكـرة وأثناء مـرحلة صعـود الحضارة اليـونانيـة عنـدما كـان الاسكندر الأكبـر لا يزال طفـلاً صغيرا أنّبـه معلمه لاهداره اللبـان. وتقول الرواية ان معلـم الاسكندر قال له إن عليـه الاقتصاد في هذا السلـوك المترف إلى أن يصبح هـو نفسه سيد بلاد اللبـان. وبعد مضي عقـد من الزمن وفي أعقاب نجاح الاسكنـدر الأكبر في غزو «غزة» وبداية حملاتـه الجنوبية تذكر عتاب معلمـه وأرسل إليه شحنة كبيـرة تتألـف من ٥٠٠ طـالن مـن اللبان و١٠٠ طالن مـن المر. وقد كانـت هناك اعتقادات عديـدة غريبة حول اللبان بمـا في ذلك تصنيفه إلى لبـان «ذكر» ولبان «انثى» (نتـاية) مـع القول بـأن اللبان الـذكر كـان أعلى منزلة. إن السهولة التي يمكـن بها عجن الصمغ وتشكيله قد شجعت التجار على تشكيلـه في أشكال تجذب اهتمام المشترين. وقد ذكر «بليني» أن فتات اللبان المتخلف من القطع الكبيرة بعد تشكيلها كان يسمى «مانع».

التاريخ القديم

ويجمع أهل ظفار اللبان اليوم بنفس الطريقة التي كانت متبعة منذ ٢٠٠٠ سنة. وقد ذكر المؤلف «ثيوفراستوس» أن الأشجار التي شاهدها الزوار اليونانيون كانت تحمل علامات الفؤوس التي كان يسيل منها اللبان قبل أن يتم جمعه بمكاشط من الحديد أو تركه يتساقط فوق حصيرة من أوراق أشجار النخيل التي يتم فرشها فوق الأرض. وقد أدهشه معرفة أن هذه السلعة الثمينة لم يكن يتم حراستها ليلاً ونهاراً بل كان يتم تركها في أكوام فوق الأرض. وطبقا لتعليقات «بليني» فإن بعض المراقبين قد ذكروا أن حقوق جمع اللبان كانت مقصورة على ٣٠٠ أسرة فقط. بينما ذكر البعض الآخر أن ملكية أشجار اللبان كانت ملكية مشتركة وأن حقوق جمع اللبان كان يوزعها الحاكم المحلي على أساس سنوي. وانحصرت احدى العادات المرتبطة بقطع أو جمع اللبان في أنه إذا لمس أحد القائمين بقطع اللبان في الآونة الأخيرة أمرأة حضرت جنازة مؤخرا فيتم منعه مؤقتاً من جمع اللبان.

وقد ارتبطت العديد من الأساطير باللبان، فكان قدماء المصريين يعتقدون بأن «بلاد بونت»وهو مصطلح غير محدد يشير إلى منطقة جنوب الجزيرة العربية يوجد فيها طائر ذو رائحة حلوة ومثيرة يحمل اللبان بين مخالبه. كما أن طائر الفونيكس كان أحد الطيور الاسطورية الأخرى التي كانت تبني عش موتها من غصون اللبان ومنتجات ثمينة أخرى. وكان يعتقد بأن طائرالفونيكس يعيش في عمان وبعض مناطق جنوب الجزيرة العربية الأخرى حيث كان يلتهم «دموع» وزهور أشجار اللبان وندى الجنة. ويقال أنه كان يقوم برحلة طيران طويلة إلى هليوبولس مرة كل ٥٠٠ سنة ليدفن أباه المتوفى في كفن مشبع بالمر. ويقال أن هذه المعتقدات الغريبة حول اللبان في مصر كانت نتيجة لأن التجار العمانيين الذين كانوا يغزلون الخيوط لعملائهم المصريين، كانوا يبذلون أقصى ما في وسعهم لأبقاء سر الأصل الطبيعي للبان طي الكتمان. وليس هناك شك كبير في أن أهل ظفار أنفسهم كانت لديهم أساطيرهم الخاصة ومعتقداتهم حول اللبان. ومن المدهش أن الكلمة العبرية التي ترمز إلى طائر الفونيكس وهي كلمة «حول» تشبه اسم الآله «حول» القديم في جنوب الجزيرة العربية. إن هذا الترابط قد يفسر لماذا كان قدماء المصريين يعتقدون بأن اللبان هو هدية الآلهة.

وتسجل احدى الأساطير الرومانية كيف أن أحد الآباء قرر أن يقتل إبنته حرقاً، حنقاً منه على علاقتها الغرامية بآله الشمس، لكن حبيبها إله الشمس أنقذها بأن حولها



إلـى غصن لبـان ينمو علـى إحدى الأشجار.

ومع ذلك فقـد كان اللبان أكثـر مـن مجرد مـوضـوع للـروايات والأسـاطير، فقـد كانـت له استخدامـات عملية عـديدة وكـان يتم استخـدام جميع أجـزاء أشجار اللبـان بما في ذلـك الصمغ واللحاء والخشب والأوراق والزهور. وكـان يتـم طحـن اللبـان ليصبح مسحوقاً دقيقاً يقدم فـي هيئـة بـودرة التلـك العطرية أو كمـادة مضافـة تعطـي رائحة النبيـذ الحلـوة. ويبـدو أن تنـاوله بجـرعات مفرطـة يدفـع متعاطيـه إلى الجنـون وأحيانـا إلـى الهلاك. وقـد ألهمـت الاهتياجـات الشرسـة التي تظهر على متعـاطي النبيذ المعد مـن اللبان البعض للقيام باعطاء اللبـان والنبيـذ إلى فيلة القتـال قبل اصطحابهـا إلى ساحة المعركة. كما تم استخـدام اللبـان كمخـدر لتهدئة المذنبين قبل تنفيذ حكم الاعدام فيهم. كما كان اللبان أحد العناصر المستخدمة باستمرار في الطب الشعبـي لعلاج مجمـوعة كبيـرة من الأمـراض، كما كـان الامبراطور الـروماني «نيرون» يستخدمه فـي اخفاء آثار ليالي السهر الطويلة المتعددة!.

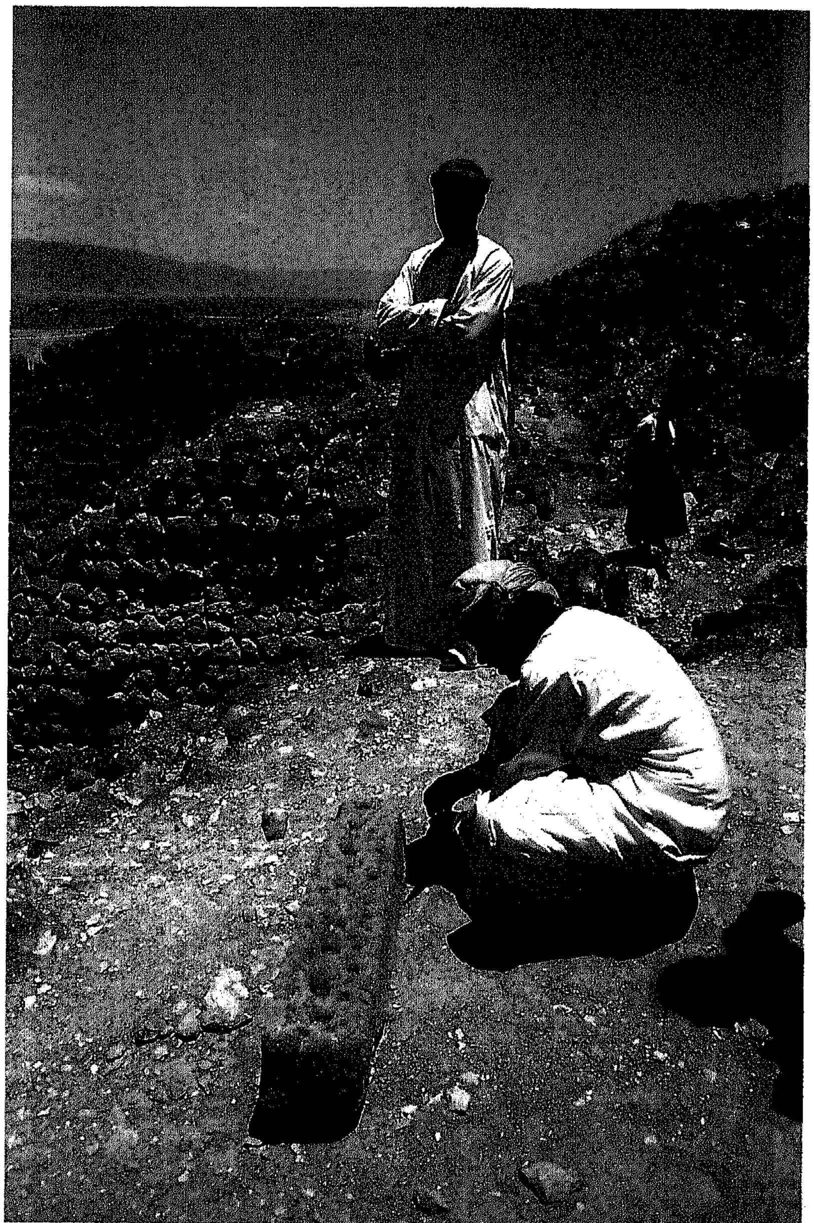
سمهرم ـ موشكا

لم يكن الاهتمام اليـوناني بتجارة اللبان أمراً مـدهشا، فقد كانـوا يقدرونـه بنفس مرتبـة تقديـرهم للذهـب تقريبـا (انظر المـربع). وقد تركـزت تجارة اللبان العمانيـة حول مينـاء سمهرم (والـذي كـان يعرف أيضـاً بـاسم سمهـر وسمارم وسمهـورم) الذي يمكن مشـاهدة آثـاره اليـوم عنـد خور روري علـى مسـافة قصيـرة شمـال صلالـة. وكانـت المـدينة تحتـل موقعـاً رائعاً فـوق شبه جزيـرة عاليـة ناتئة عن البحـر وتبرز في داخل الميناء الطبيعي، لذلك فليس مـن الصعوبة تصور لماذا أقيمت المـدينة في هذا الموقع أو لمـاذا تدهورت في النهاية. ومـن خلال آثار المباني الحجرية يظهر مشهـد واضح للميناء والـذي مـن المؤكد أن السفـن كانت ترسو فيـه يوماً ما، وكـذلك صف من حواجـز الأمواج قائـم عـند مدخـل الخليـج ويوحـي بـأن الحاجـز الـرملي قـد تسبب فـي غلـق المينـاء فـي النهايـة. وفي القـرن الـرابـع ب. م. دمرت قـوات الفتـح الفـارسية مـدينة سمهـرم ونهبت المنـازل التي هجرهـا أهلهـا. ونعلـم من خـلال عدة نقـوش محفوظـة بوضـوح علـى قطـع حجرية كبيرة مقطـوعة موجودة عنـد مدخـل المـدينـة وفـي شـوارعها الضيقـة أن المـدينـة أقـامهـا «ليازياليت الأول» ملك بلاد اللبان في القرن الأول ق. م.

وقد قـام فريق علماء الآثـار الأمريكيين تحـت اشراف «ويندل فليبس» بالتنقيب عن جزء مـن آثار المدينة الرائعة خـلال الفترة من عام ١٩٥٢ إلـى عام ١٩٦٢. وقد كشـف هذا التنقيب عن وجـود جـدران ضخمـة يزيـد ارتفاعـهـا عن ٤ أقـدام وعن وجـود آثار معبـد في منـاطق عديـدة. وتتضمـن المكتشفات التي تم العثـور عليها تمثـالاً صغيراً من الهند مصنـوع من البرونز وتحفاً من الفخـار من روما

خور روري كما يظهر من موقع آثار سمهرم التي كانت يوماً ما ميناءاً هاماً يتم منه تصدير اللبان.





إس. كاي

التنقيب عن آثار سمهرم.

وصوراً بارزة لهيئة رجال وثيران وقاروة (أمفورة) يونانية. ومن الواضح أن هذا الموقع كان موطناً لمستوطنة كبيرة قبل أن يأمر الملك «ليازياليت» بنّائيه باقامة مدينة هناك بزمن طويل.

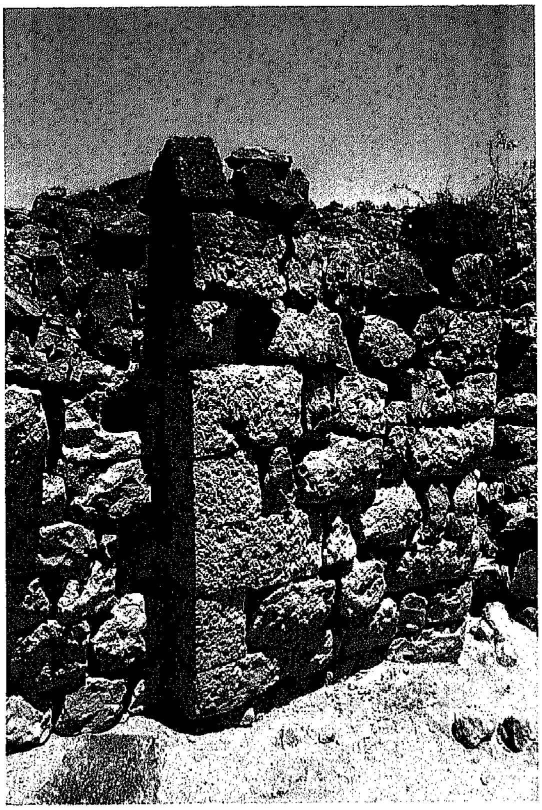
إن عسدام تال أم، ابن كالموم، خادم إلياد وملك حضرموت وسكان مدينة صبوا قد تحمل طبقاً للخطة المسؤولية عن مدينة سمهرم وعن تسوية الأرض وتدفق الماء إليها من مرحلة الأرض العذراء إلى أن يتم تنظيمها وانشاؤها واقامتها بناء على مبادرة وأوامر سيده «عبيت سلحيم» ابن «دالما على» قائد الجيش في حضرموت في بلد سكلان. (أحد النصوص المنقوشة على آثار سمهرم عند خور روري).

كما نعلم من خلال بعض النقوش أن هذه المدينة كانت موقع تحميل محصن لنقل لبان عمان بحلول أواخر القرن الأول ق. م. على الأقل. وكان اليونانيون يعرفون هذه المدينة باسم موشكا. ومن المؤكد أنه كان لدى الرومان في عام ٢٤ ق. م. طموحات للسيطرة على تجارة اللبان. وقد حاولت قوات الجيش بقيادة الجنرال «أليوس جالوس» الوصول إلى جنوب الجزيرة العربية براً عن طريق الساحل الشرقي للبحر الأحمر. وبرغم من قوتهم العسكرية فقد هزمهم المرض. كان اللبان الظفاري يتراكم في سمهرم ويتم شحنه من ميناء المدينة إلى «عيدمون» العربية (بالقرب من عدن) قبل أن يتم نقله في النهاية عبر البحر الأحمر إلى مصر وما بعدها. وطبقا «لبليني» فإن تجارة اللبان هذه قد جعلت أهل جنوب الجزيرة العربية من أغنى الناس في العالم أجمع.

بعد سيجروس مباشرة يغور خليج عمان عميقاً في الساحل، وخلف هذا الساحل تقع جبال .. عالية .. ذات منحدر صخري .. وخلف ذلك يوجد ميناء تمت اقامته لاستقبال لبان مدينة «سوسوليتك». والمرفأ هو ميناء يسمى موشكا وتتوقف به السفن القادمة من كانا بانتظام والسفن العائدة إلى دامابايجازا (جنوب الهند) إذا كان الموسم هناك هو نهاية فصل الشتاء .. ويقوم التجار مع موظفي الملك بمقايضة الملابس والقمح وزيت السمسم باللبان الموجود في أكوام منتشرة في أنحاء مدينة «سوسوليتك» .. في أماكن مفتوحة لا يحرسها أحد وكأن المكان تحت حماية الآلهة .. ولا يمكن تحميل اللبان على متن السفينة لا في السر ولا في العلن دون إذن من الملك .. وإذا تم تحميل ذرة واحدة منه بدون هذا الإذن فإن السفينة لا تغادر الميناء (ترجمة من كتاب بريبلوس الدليل الملاحي للبحر الأرتيري).

وهناك ترجمة بديلة للترجمة المذكورة آنفا، تقول:

هناك مكلاً (مكان قرب الشاطىء تستطيع السفن الرسو فيه) مخصصة لتحميل بخور موشكا التي يتم إليها ارسال السفن بانتظام من كل مكان.. وتأتي السفن من دايمرك (جنوب الهند) ومن بريجاز (عند مدخل خليج الاندس) لتجوب المنطقة وتمضي فصل الشتاء هناك نتيجة لتأخر الموسم، وتحصل من الموظفين الملكيين مقابل الكتان والحبوب والزيت على شحنة



إس. كاي

من هـذا البخور الموجود في أكوام لا يحرسها أحـد في أنحاء خليج «ساكالايتـس» لأن هنـاك قـوة إلهية تحرس المكـان .. ومـن المستحيـل سـواء فـي السـر أو العلـن تحميل السفينـة بدون إذن ملكـي. وإذا أخذ أي شخـص حفنـة ولـو صغيـرة منه لا يمكـن للسفينـة أن تبحـر. (ترجمـة من كتـاب بريبلـوس الدليـل المـلاحي للبحـر الارتيري).

موانىء هامة

كان العلماء يفتـرضـون حتى وقت قـريب أن «سيجروس» الواردة في النـص القديم (المكتوب مـا بين عام ٤٠ ب. م. وعام ٧٠ ب. م. تقريبا) يقابل رأس فـرتاك. ومـع ذلك، فقد تم القـول بأن رأس سجير هي التـي تقع في أقصـى غرب خليج صلالة.

وربما كـانت القلعـة التي يطـوقها المنحـدر الصخري الشاهـق والتي كان يتـم تخزيـن اللبان فيها هـي القلعة الساحلية ذات غـرف التخزين والسياج الجـداري المتهدم جـزئيا والمـوجودة عنـد ريسوت. ويتمتـع هـذا الموقـع بمشهـد رائـع للميناء المحصـن المعـروف الآن بـاسم ميناء ريسوت.

وبالاضافة إلى موشكـا وسمهرم الموجودة عنـد خور روري وريسوت كان هناك بعض الموانىء الهامة الأخرى على ساحل عمان. وأحد هذه المـوانىء كان يـوما من أكبر الموانىء فـي العالم النامـي. وكان هذا الميـناء الـذي يقع في صحـار يعرف فـي ذلك الحيـن باسـم عمانـة وكـان يشتهر بوجود بنـاة الزوارق الذين برعوا فـي بناء القوارب التي تـم خياطتهـا وبالتمـر الذي يتـم جمعه مـن أشجار النخيـل التي تنمو في المناطق الداخلية من الميناء. كمـا كـان هنـاك أيضاً ميناء في شبـه جزيرة مسنـدم يعـرف بـإسـم عسيلة. وقـد ذكـر المـؤلـف الـرومانـي بلينـي (٢٣-٧٩ ب. م.) أيضاً «باتراسيـف» (ربما رأس الخيمة) و«دابيميجوريس ريجيو» (ربما دبي) كمدينتين في شـبه الجزيرة العمانية.

ولقد لقي وصف بليني اهتمامـا كبيراً لأنه وصف بيـن أشياء أخـرى كيف كـان يتم بنـاء القوارب عـن طـريـق خياطـة مجموعة من الألـواح الخشبية معاً (وهـو اسلـوب دام حتـى العصـور الأخيـرة وانتشـر إلـى حد كبيـر فـي المحيط الهـادىء الهندي، مـن جنوب الجـزيرة العربيـة حتى جزر المحيـط الهادىء) وعلق أيضاً علـى كيف كان البحارة يستغلـون الريـاح الموسمية الشمـالية الشـرقية للابحـار إلى الهند. وكـانت الرحلـة التي تتم علـى امتداد السـواحـل العربيـة تتسـم بـالخطورة وتستلـزم وجـود مجموعـة من رمـاة السهام على متـن سفن البضـائع لرد «القراصنة» الذين انتشروا كالطاعون في المياه الساحلية.

المدخل إلى سمهرم.

سمهرم وخور روري.



إس. كاي

وربما كان لهذه الهجمات ما يبررها من وجهة نظر الناس المحليين نتيجة لحقيقة أن القوات الأجنبية هي التي سيطرت على التجارة المربحة التي كانت ولفترة طويلة مصدر ثروتهم الرئيسية. وفي هذه الحالة فإن ما يعتبره البعض قرصنة يعتبره البعض الآخر احتجاجا مشروعاً. وعلى أية حال، إذا ما قارنا الأوضاع في مستهل الألف سنة بالأوضاع في نهايتها نجد من الواضح أن تجارة اللبان والمر وغيرهما من المنتجات المحلية قد جلبت ثروة عظمية إلى عمان وسمحت لها بأن تنمو في مواكبة شركائها في عالم البحر المتوسط الكلاسيكي وفي امبراطورية السيليسيين الايرانية.

ويعلق «وليام فيسي» في كتابه «عمان: أمة بحرية» على الأحداث التي وقعت في نهاية الألف سنة بقوله:

في حوالي عام ١٠٠ ق. م. حدث تطوران هامان اجتمعا معاً ليجعلا جنوب الجزيرة العربية مركزاً تجارياً أقل أهمية. الأول هو أن ملك مصر الهليني (بتولمي السابع) بدأ يشجع تجارة على الابحار بين مصر والهند مباشرة، والثاني أنه أثناء هذه الارساليات أو بعدها مباشرة اكتشف رجل أسمه «هيبالوس» طريقاً جديداً لم يتم استعماله من قبل قط للابحار إلى الهند. فقد أدرك كيف يبحر مباشرة عبر المحيط الهندي مستغلاً الرياح الموسمية الجنوبية الغربية.

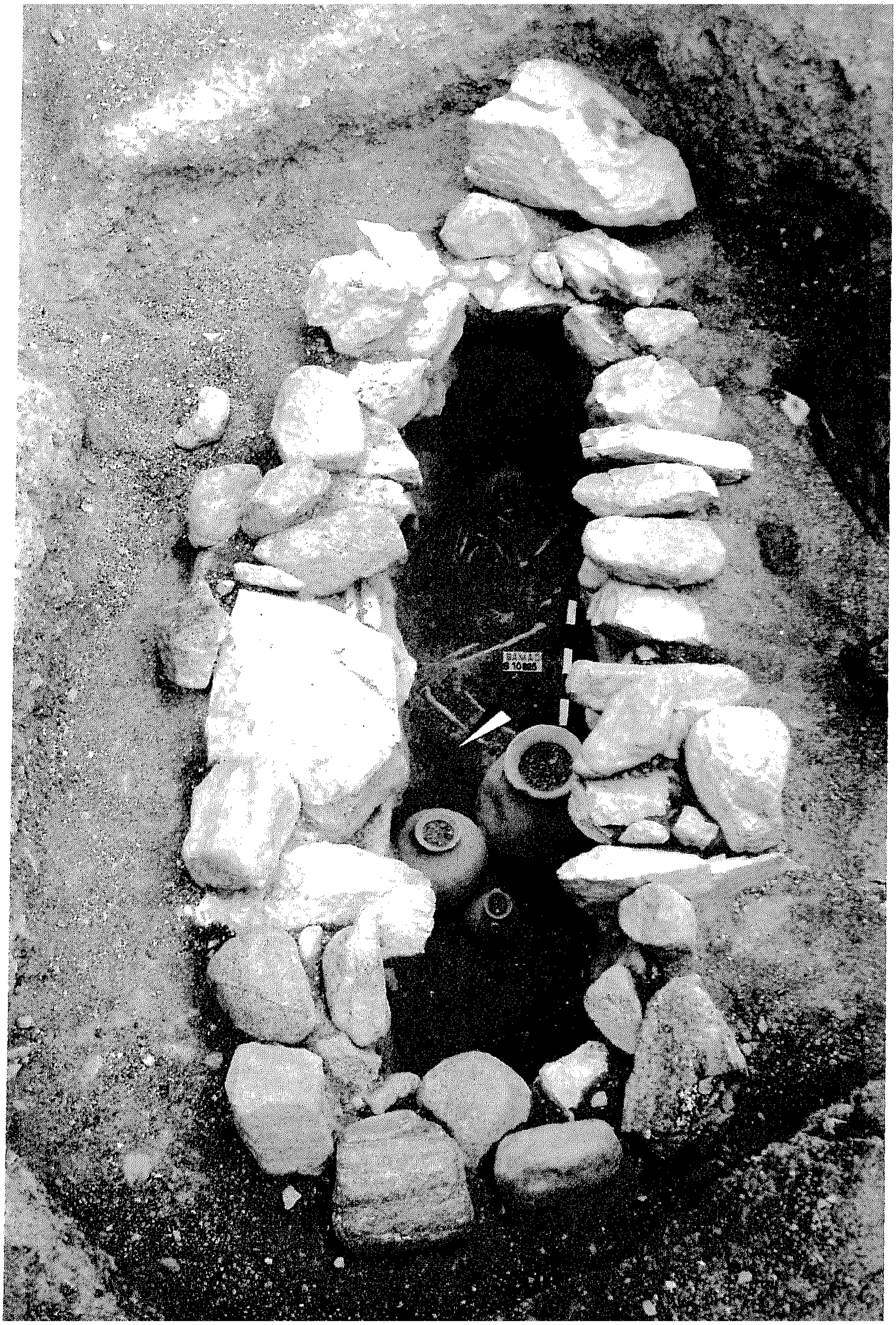
وأدى هذان التطوران إلى سحب حركة التجارة من الهند إلى مصر بعيداً عن موانى عمان مما تسبب في حدوث تدهور محلي وربما أدى إلى أعمال «القرصنة» التي علق عليها بليني. وبحلول عام ٥٠ ب. م. أصبحت طرق الابحار المباشر مع الهند راسخة لدرجة أن أسعار المنتجات العطرية في مدن الامبراطورية الرومانية تدهورت تدهوراً كبيراً وبلغت جزءاً ضئيلاً من قيمتها في السابق نتيجة لفرط المعروض منها.

السماء في المساء في سمهرم.



سي فيرجسال، بإذن من وزارة الإعلام

مقبرة من نوع مقابر سمد في سمد الشان. كان يتم وضع جثة الذكر على جانبه الأيمن ورأسه في اتجاه الجنوب الشرقي، مع وضع جرار التخزين الكبيرة عند قدميه.



بول يول، بعثة الآثار الألمانية إلى سلطنة عمان

عصر سمد
من عام ٢٠٠ ق. م. إلى عام ٩٠٠ م

أواخر عصر الحديد

أوضحت دراسات الآثار في عمان أن عصر سمد كان يقع بين عصر الحديد وأوائل عصر الاسلام، وامتد من عام ٢٠٠ ق. م. إلى حوالي عام ٩٠٠ م. وتتوفر لدينا أدلة كثيرة في شكل تحف أثرية عديدة تم جمعها من القبور التي ترجع إلى هذا العصر وذلك بالاضافة إلى الآثار الانشائية والنقوش الهامة. وكان يتم دفن الرجال مع أسلحتهم ومجموعة من السلع الأخرى. وتميل قبور الرجال في هذه الفترة إلى أن تكون غنية بالسلع بدرجة أكبر من قبور الأناث، ولذلك فمن الواضح أن المرأة كانت تحتل مكانة اجتماعية أقل من مكانة الرجل. ومع ذلك كانت المرأة ترتدي المجوهرات مثل العقود المصنوعة من الخرز والأساور المصنوعة من الفضة. ويتضح أيضاً من هذه الاستكشافات أن الوفاة كانت مناسبة للتبهرج في الحداد ولأقامة قبور ضخمة تعكس مكانة المتوفى الاجتماعية.وعلى العكس من ذلك كانت شعائر الدفن الاسلامية مختلفة تماما حيث أن القرآن الكريم يحث المسلمين على تفادي الافراط في الحداد العام وفي اقامة المقابر المبهرجة.

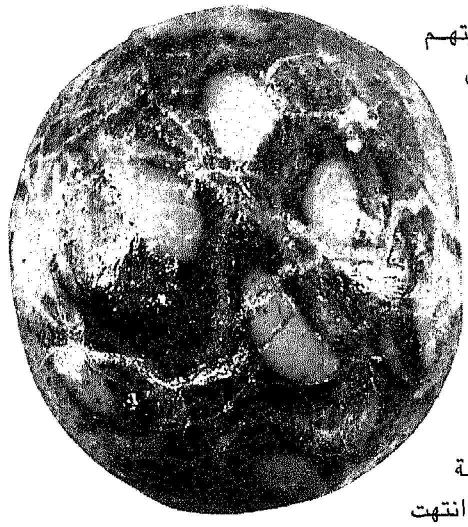
هجرةالأزد

كانت عمان ولآلاف السنين توفر مكانا جذابا للاقامة، فقد أدى النجاح في استئناس الجمال إلى فتح المناطق الداخلية للجزيرة العربية وزيادة سبل الاتصال بين القبائل بصورة كبيرة. كما أدى أيضاً إلى ازدهار اللغة والثقافة الموحدة التي نعرفها اليوم باسم اللغة والثقافة العربية. وكان العرب يعيشون في عمان بالفعل قبل زحف أفراد قبيلة الأزد بقيادة مالك بن فهم في خلال القرن الثاني الميلادي (أو قبل ذلك بكثير طبقاً لبعض المصادر الأخرى وفي أثناء حكم داريوس الثالث (٣٣٦-٣٣١ ق. م).

وبينما استوطن بعض أفراد الأزد في مدينة الشحر على ساحل حضرموت، فقد جعل مالك وأتباعه الأوفياء من قلهات قاعدة لهم في عمان. وبدأ مالك، ادراكا منه لتواجد قوات الفرس في صحار شمالا، محاولة التفاوض معهم لعقد اتفاقية سلام. ويقول التاريخ العماني عن هذه الفترة المسجلة في كتاب «كشف الغمة» أن ما بدأ في البداية كشعور ودي ودبلوماسي قد اختفى سريعاً نتيجة لانعدام الثقة المتبادلة الذي نجم عنه اندلاع المعارك الحربية. فقد انطلق الفرس من حاميتهم في صحار بقوة قتال كبيرة يتراوح تعدادها بين حوالي ٣٠٠٠٠ و٤٠٠٠٠ رجل بمعداتهم وبفيلة القتال. وتقابل هذا الجيش مع جيش مالك في سهل سلوت بالقرب من نزوى حيث ألحق بهم جيش مالك الهزيمة بالرغم من قوتهم. كما انتهت محاولة أخرى تدعمها التعزيزات المرسلة من صحار بهزيمة الفرس. وهكذا طرد الأزد المنتصرون، المستعمرين الفرس من صحار ومن قواعدهم الأخرى على امتداد سواحل عمان وفتحوا الطريق أمام أفراد قبيلة الأزد الآخرين لدخول عمان. وبحلول حملة الغزو الفارسية التالية لعمان والتي قام بها الساسانيون كان الأزد هم القوة المسيطرة في البلاد.

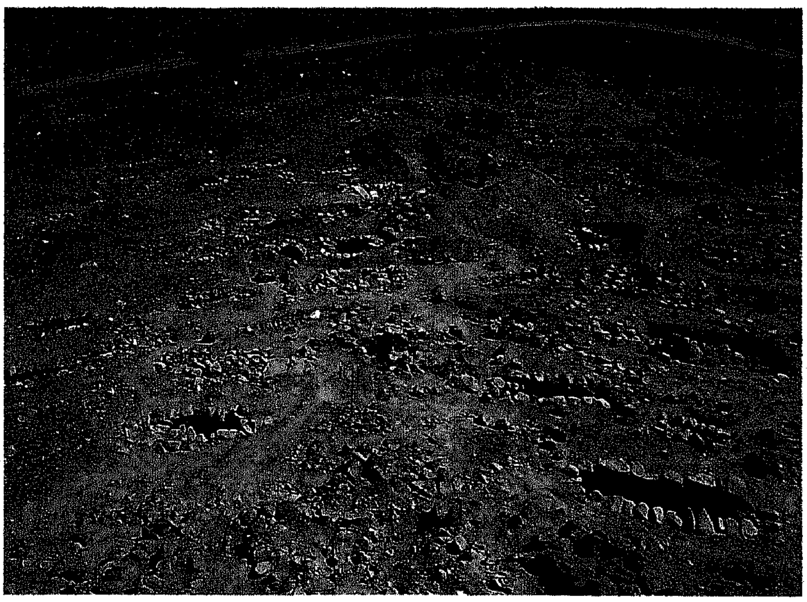
السيطرة على الطرق البحرية

نشط الرومان على وجه الخصوص في البحر الأحمر والمحيط الهندي وكانوا يرسلون تجارهم إلى أماكن



جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني

احتوت العديد من مقابر سمد الشان على خرز زجاجي جميل مثل ذلك الخرز المتفتت والذي ربما تم استيراده من جنوب الهند.



جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني

استغرق حفر المقبرة «سمد ٢١» ثلاثة مواسم وتضمنت أكثر من ١٠٠ قبر ترجع إلى الفترة من عصر وادي سوق إلى عصر سمد.

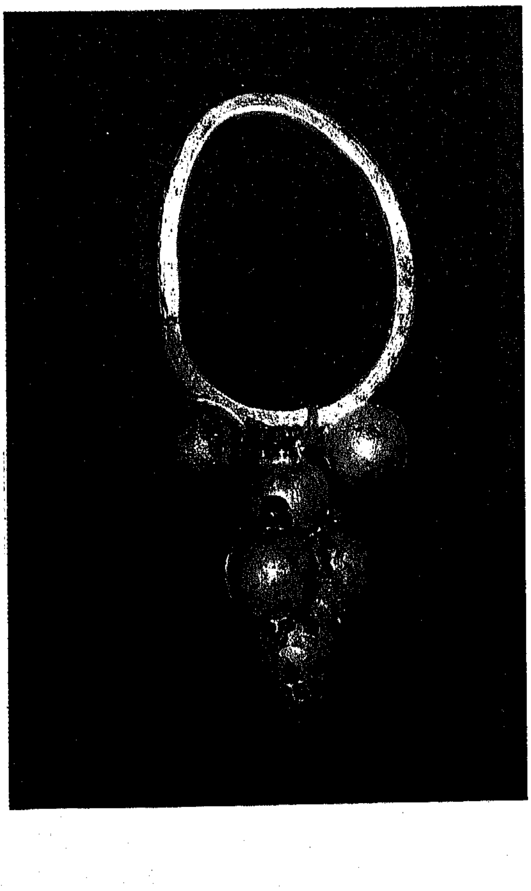
بعيـدة بعد سيلان والكنج وشبه جزيرة المـلايو وحتى إلـى حـدود الصين. وفـي نفس الـوقت كـان البحـارة العمانيـون يميلون إلـى الحفاظ على طـرقهم التقليـد ية وكانـوا يبحرون إلى ميناء بـاريجاز وغيره من المـوانيء الهنديـة. كما زاولـوا التجـارة مع أفـريقيـا حيث كانـوا يجمعـون القـرفة التـي كـان ينقلهـا بـالمراكـب التجـار القادمـون من أمـاكن بعيدة مثـل جنوب الصيـن وجاوه ويحملونها إلى الميناء القديم فـي عدن بالقرب من مدخل البحر الأحمر.

ومـع ازدهار حـركـة التجارة المبـاشـرة بين مصـر والهند منـافسة بـذلك جنـوب الجزيـرة العربيـة، واصل بحارة السـاحل منـاوشاتهـم مع السفـن الأجنبية التـي تبحـر بالقـرب من شـواطئهـم. وأرسل تـرخان، مفعمـاً بخيبـة الأمل نتيجة للخسائر التـي تتعرض لهـا السفـن التجاريـة، حملة في عام ١١٦ م للاستيـلاء والسيطـرة على طـرق الملاحة البحريـة، غير أن جنوده لـم يصلـوا إلى عمـان على الاطلاق. وبعـد مضي مئتي سنـة، وكان بحارة جنوب الجـزيرة ما زالـوا يعتزمـون أخـذ حصة لهـم فـي التجـارة المـربحـة، قـام شـابـور الثـانـي (٣١٠-٣٣٠م) بغـارة ناجحـة علـى سـاحل الجـزيـرة العربية. ويذكـر كتاب «بريبلوس الدليل المـلاحي للبحر الارتيري» الـذي كتب فـي الفترة بيـن عامـي ٤٠ و٧٠م على أكثـر الاحتمالات، وصفاً أكثـر دقة لجنوب الجـزيرة العربية يقول فيه:

خلف ميناء مـوشكا ولمسافة ١٥٠٠ فـرسخ وحتى أزك تمتد سلسلـة جبال علـى طـول السـاحل فـي نهايتهـا صـف يتـألف من سبعة جـزر تسمى زنوبيـا، وبعـدها يوجـد إقليم بربري لـم يعد جزءاً مـن نفـس المملكـة لكنـه يتبع الآن بـلاد فارس. وأثـنـاء الابحـار عـلى امتداد السـاحل فـي أعماق البحـر على مسـافة ٢٠٠٠ فرســخ من جــزر زنجبــار تلتقي بجـزيـرة تدعـى ســرابيـا تقع علـى مسـافـة ١٢٠ فـرسخـاً مــن البـر الرئيســي، ويبلـغ عرضهـــا ٢٠٠ فـرسخـاً تقريبـا وطولهـا ٦٠٠ فرسخـاً ويقطنها مستوطنون مـن «أكلة السمك». يستعملون اللغة العربية ويـرتدون أحزمة من أوراق أشجار النخيـل. وتقوم الجزيـرة بانتـاج كميات كبيـرة مـن عظم ظهـر السلاحـف ذي الجودة الفـائقة ويتم ارسـال القوارب الصغيرة وسفن البضـائع إليهـا بانتظام من كانا.

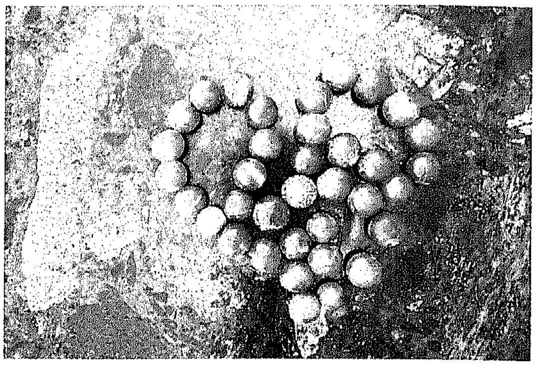
وأثناء الابحار على امتداد السـاحل نحو الشمال في اتجاه بحر فارس توجد عـدة جزر تعرف باسم Calaei على مسـافة ٢٠٠٠ فـرسخاً تقريبـا وتمتد علـى طول السـاحـل وتقطنها جماعـة غـادرة تفتقد إلـى التحضر. وعنـد الطـرف الجنوبـي لجـزر Calaei هـذه توجـد سلسلة جبليـة تسمى Calon وبعدها ولكـن ليس بعيداً عن مدخل خليج فارس تتم أعمال الغوص بنشاط كبير لصيد محار اللـؤلؤ. وعلى مسار المضيق تـوجد جبال عظيمة تسمى عصبـون يقف على يمينها شـامخاً جبل آخر شاهـق ودائري يسمى سميراميس، وبينهمـا ممر عبر المضيـق عرضه ٦٠٠ فرسخـاً. وبعد ذلك يـوجد خليج فـارس، هذا البحر العظيـم الشاسـع الـذي يصل لمسافات بعيدة في الداخل. وعند الطرف الجنوبي لهذا الخليج تـوجد المدينة التـي خصصها القانـون كسوق وتسمـى «أبـولـوجـوس» بـالقـرب مـن «شـاراكـس سباسيني» ونهر الفرات.

وأثناء الابحـار عبر مدخـل الخليج بعد رحلـة ستة أيام توجـد مدينة سوق فـارسية أخرى تسمى عمـانة. ويتـم بانتظـام ارسال سفـن كبيـرة من بـايجاز إلـى



جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني

تحفة فنية من صنع صائغ الفضة تتضمن قرطاً واحداً كانت ترتديه أمرأة عجوز يرجع إلى عصر سمد (١٠٠ ق.م - ٦٢٩ م).



جي فيسجربر، متحف الصناعات

سلسلة تضم ٣٦ خرزة من العقيق الأحمر في حجم الكرز تم العثور عليها في قبر امرأة عجوز. ربما كان ذلك هو أحد النماذج المبكرة للمسبحة، لكن هذه المسبحات كانت تضم عادة ٣٩ خرزة وليس ٣٦.

مدينتي السوق هاتين محملة بالنحاس وخشب الصندل وخشب الساج وكتل الخشب الأسود والعاج. كما يتم جلب اللبان من كانا إلى عمانة ونقله من عمانة إلى قوارب الجزيرة العربية التي كان يتم خياطتها حسب النمط السائد في هذا المكان والتي تعرف باسم مدراطة. ومن مدينتي السوق هاتين يتم تصدير العديد من أنواع اللؤلؤ الذي يتسم بنوعية أقل جودة من لؤلؤ الهند، والصبغة الارجوانية (وهي صبغة مستخرجة من الرخويات) والملابس المصنوعة حسب الموضة السائدة في هذا المكان والنبيذ وكمية كبيرة من التمر والذهب بالاضافة إلى أعداد كبيرة من الرقيق (العبيد).

إن من السهل علينا أن نستوعب هذه المعلومات المدونة في كتاب الدليل الملاحي للبحر الارتيري بدرجة أكبر من استيعابنا لتسجيل بليني. ويبدأ النص المقتطف من كتاب بريبلوس بالقول بأن السفن تبحر من ميناء موشكا القديم المعروف في السابق باسم سمهرم والواقع عند خور روري شمال مدينة صلالة الحديثة في ظفار. وعقب مغادرة ميناء اللبان هذا مباشرة، تلتف هذه السفن حول رأس مربط وتتجه إلى الشمال الشرقي عبر خليج الحلانية حيث تمر بجزر الحلانيات المسماة هنا جزر زنجبار والتي كان يشار إليها في السابق باسم جزر كوريا موريا. ثم يذكر بريبلوس أن الموانىء الساحلية الموجودة شمال هذه الجزر كانت تسيطر عليها قوات الفرس. ومصطلح الفرس في السابق يعني ايران. وبعد ذلك يذكر النص جزيرة سرابيس وهي ربما جزيرة مصيرة التي لا تزال تأتي إليها كل عام حتى الآن ٣٠٠٠٠ سلحفاة من السلاحف ذات الرأس الكبير لتضع بيضها وذلك إلى جانب عدد أقل من السلاحف الخضراء وسلاحف البحر. ومن المؤكد أن أجود دروع (ظهور) السلاحف الذي يشير إليه كتاب بريبلوس تأتي من سلاحف البحر. وفي جهة الشمال من هنا، يذكر النص، أن أحد المعالم الهامة التالية على الطريق هي مجموعة الجزر العديدة الممتدة على طول الساحل. ومن المؤكد أن هذه الجزر التي

أدناه جهة اليسار: طبق تم تجديده من النحاس من المجموعة التي عثر عليها في ابرا/سليم. وكانت هذه هي أكبر مجموعة معروفة من الشرق الأدنى القديم بأكمله وتتألف من ٦٠٠ قطعة تقريباً.

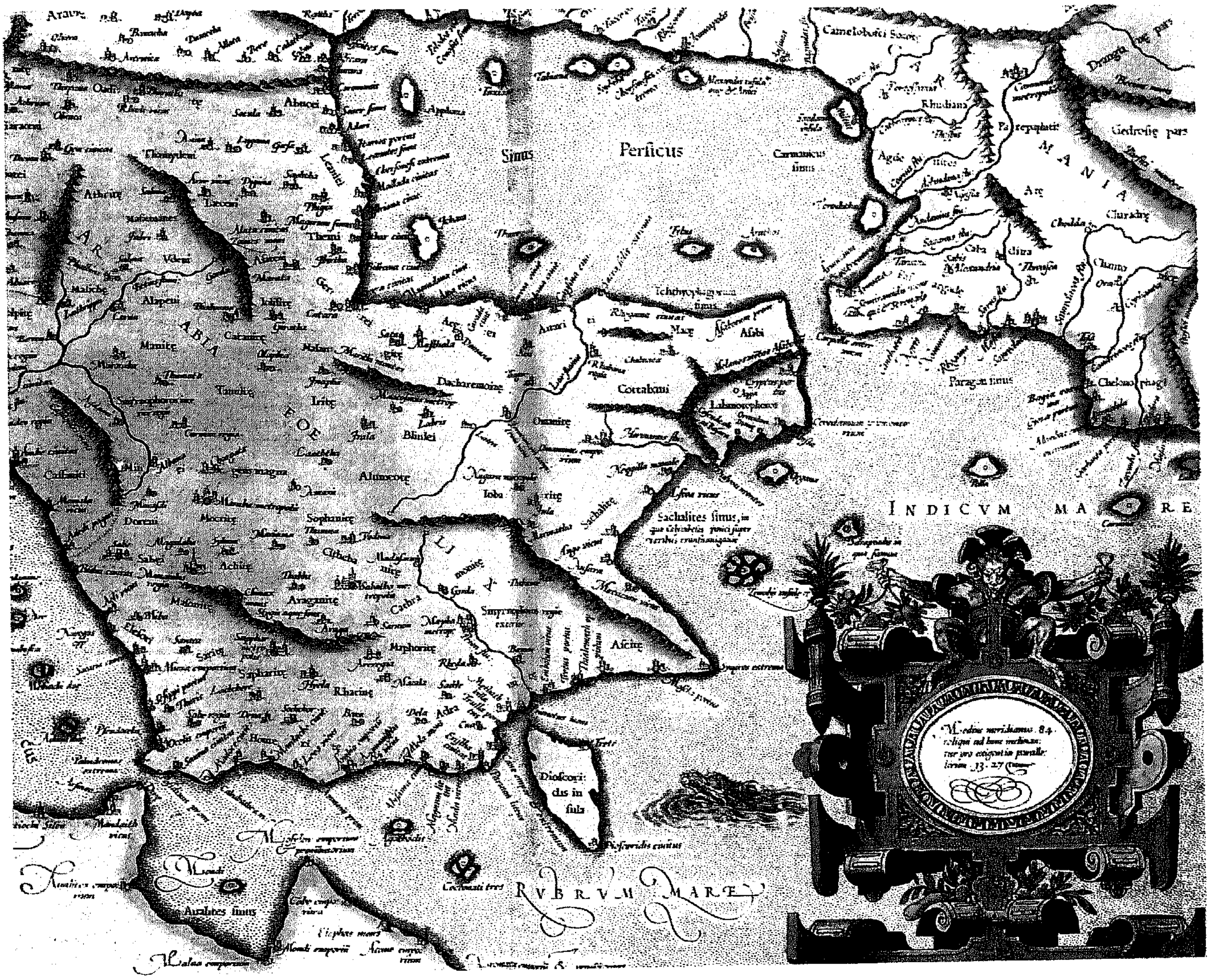
أدناه: طبق لصورة أسد يبحث عن طريدته، تم العثور عليه في أحدى المقابر في سمائل. لقد تم التوصل إلى أنه يرجع إلى عام ٢٠٠-٤٠٠م وذلك اعتماداً على طرازه وتركيبته.



جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني



جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني



مكتبة شيستر بيتي، دبلن

كانت تعرف في ذلك الحين باسم كاليه هي الجزر المعروفة اليوم باسم مجموعة جزر الديمانيات بالاضافة إلى جزيرة «جون» ومجموعة جزر السوادي، وعند الاتجاه شمالاً، يأخذنا النص إلى عصبون ومن المؤكد أنها تقع في شبه جزيرة مسندم حيث تقع المدينة الرئيسية خصب.

والمصدر الكلاسيكي التالي الذي يمكننا الاعتداد به للحصول على معلومات عن عمان هو المؤلف «بطليموس كلوديوس» الذي كتب كتاب «الجغرافيا» في الفترة ما بين عامي ١٤٧ و١٨٠م. وقد تم جمع الخريطة التي تحمل إسمه بعد ذلك بفترة طويلة اعتماداً على ملاحظاته، ولذلك فإن هناك مجالاً أكبر لاختلاف التفسيرات فيما يتعلق بمواقع المدن المختلفة أوالمعالم الهامة الأخرى. وعند الانتقال هذه المرة في اتجاه الشمال بعد الالتفاف حول عصبون (رأس مسندم) يذكر بطليموس ميناء «كريبتوس ليمين» الذي يمكن ربطه اليوم بمدينة مسقط، ثم تأتي بعد ذلك «كورودامون والتي يقال بأنها هي رأس الحد. وبعد ذلك وبالقرب من خور جرماح وعند الانتقال جنوباً مع الساحل يذكر جزيرة «أوراجانا/سرابديس» والتي من الواضح أنها جزيرة مصيرة. إن ملاحظات بطليموس عن عمان يصعب تفسيرها إلى حد ما. وربما كانت رفانا أو رابانا أو روانا باسيليون هي نزوى أو الرستاق وباستثناء ذلك فالبقية غير واضحة.

كما تمت الاشارة إلى عمان خلال عصر أسرة «كاراسانيني» فقد كتب «إيزودروس الشراكسي» الذي من المؤكد أنه عاصر أيام المسيح عليه السلام عن ملك اسمه «جيوسوس» الذي كان «ملك العمانيين في بلاد البخور». ويؤكد بليني هجرة أفراد قبيلة الأزد الذين استوطنوا معظم الجزيرة العربية في اتجاه الشمال تاركين جنوب الجزيرة العربية حيث كتب يقول «كانت البلد حتى شركس يقطنها العمانيون». وهناك مرجع مجهول لا يستعمل كثيرا ويرجع إلى أوائل القرن الثامن ب. م. وهو مرجع

خريطة بطليموس التي تبين الجزيرة العربية والتي تم طبعها في عام ١٥٨٤ والتي تشير إلى أسماء الأماكن المعروفة لليونانيين.

«جغرافيا الكون أو جغرافيا العالم» الذي يعتمد على المصادر الرومانية بما في ذلك أعمال «كاستوريوس» والذي ذكر «ساميماترايد كاستيرليم أماريوم» والتي تم تفسيرها على أنها تعني حصن عمان أو تحصينات العمانيين والتي يقال أنها تشير إلى مينائي مطرح ومسقط.

الساسانيون

اعتمدت الامبراطورية الساسانية، التي كانت تنافس الامبراطورية البيزنطية وتأسست في المناطق التي تعرف اليوم باسم العراق وايران وانتشر نفوذها إلى أبعد من حدود هذين البلدين، على ثقافة أسرة حاكمة ترجع جذورها إلى جنوب فارس. وقد اعتنق الساسانيون الديانة الزرادشتية التي تقوم على نظرية الخير والشر. ويصف «ألبرت حوارني» في كتابه «تاريخ العرب» فلسفة ديانة زرادشت هكذا «كان العالم ساحة لمعركة بين الخير والشر تحت رعاية الآله العظيم، والخير هو الذي سينتصر لكن عفة النساء والرجال وطهارة مذهبهم ستعجّل من تحقيق الفوز».

وقد حارب «أردشير» أول الملوك الساسانيين والذي قام بحملة شرق الجزيرة العربية في حوالي عام ٢٢٥ م في عمان أيضاً. وجاء في أحد المراجع العربية التي ترجع إلى حوالي عام ١٠٠٠ ب. م. أن «أردشير» قد توجه مع جنوده وعساكره ... وحاربوا معركة دامية قتل فيها العديد من الطرفين. كما قتل أيضاً Sanatruk ملك البحرين وعمر بن الوكيد الحميري ملك عمان. ويدعي الجغرافي ياقوت بأن أردشير ابن بابك قد ثبت أقدام الأزد كبحارة في مدينة الشحر في عمان قبل ظهور الاسلام هناك بحوالي ٦٠٠ سنة». وقد ذكر «بوتس» في مجلديه الممتازين المعنونين «الخليج العربي في العصور القديمة» أن حملة أردشير ربما كانت اشارة «العودة إلى عمان» والتي صاحبت سقوط فارس في أيدي بني ساسان كما جاء في كتاب «كشف الغمة».

ومع ذلك يبدو أنه بنهاية القرن الثالث الميلادي كان نفوذ الفرس في عمان قد قضي عليه.

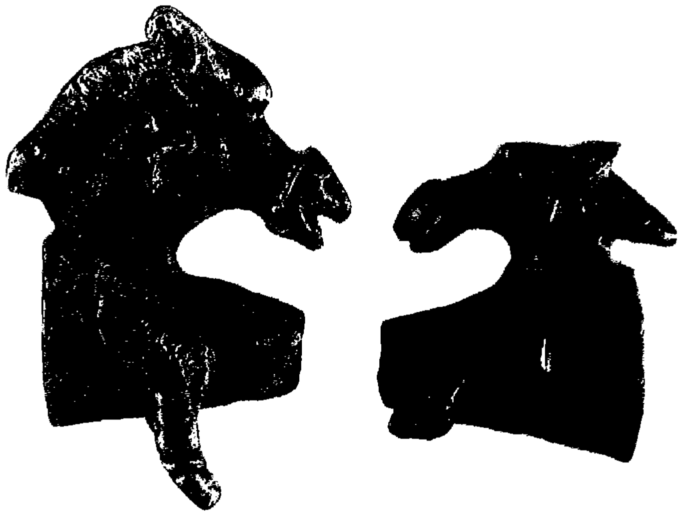
وفي عام ٥٣١م أصبح خسرو أنوشيروان ملكاً للامبراطورية الساسانية. وبعد توليه مقاليد الحكم بفترة قصيرة اعترف بالمنذر ملكاً على منطقة كبيرة من جنوب الجزيرة العربية بما في ذلك عمان. وأرسل في عام ٥٧٥م جيشاً إلى عمان قوامه ٨٠٠ رجل على متن ثمان سفن رست ست منها على ساحل حضرموت.

ويسجل كتاب «كشف الغمة» أن «ملوك الفرس قد اعتادوا على ارسال كل من يتعرض لغضبهم أو يخشون منه إلى جيشهم في عمان. واستمر هذا الحال إلى أن أرسل الله الاسلام». وذكرت أحدى المصادر الأخرى توقيع معاهدة بين خسرو أنوشيروان والأزد العمانيين. وقد اعترفت هذه المعاهدة بوجود منطقة تخضع للسيطرة الفارسية على امتداد ساحل الباطنة. وتم في الاسم العربي لقلعة الرستاق (قلعة كسرى) ويعني (قلعة خسرو). وقد تم وضع هيكل للسيطرة العسكرية يتضمن تعيين حكام محليين (مرازبة) يقع مقرهم في القلاع الموجودة في المستوطنات الكبيرة، وهيكل للقيادة العسكرية (أساورة)يسيطر على المناطق المختلفة، وأخيرا إدارة محلية في القرى باسم (حناقرة) ، تم وصفهم بأنهم «فئة رأسمالية مستعمرة للأراضي». وهكذا تمت اقامة نظام طبقي في ثلاثة مستويات يدعم قاعدة السلطة الساسانية. وكان الأزد يتزعمهم رئيس أخذ لقب الجلندى من بني معولة. وقد قام بالسيطرة على مناطق عمان التي لا تخضع بصورة مباشرة لسيطرة الساسانيين مثل دبي ومستوطنة واحة توام (في البريمي) وكان يجبي الضرائب من السكان ويكون مسؤولاً أمام المرزبان الساساني الموجود في الرستاق.

ويعلق كتاب «كشف الغمة» على العلاقة بين قوات الاحتلال الفارسية والدويلات العمانية ويقول: «ساد السلام بينهم وبين الجلندى في عمان واحتفظ الفرس بقوة قوامها ٤٠٠٠ مقاتل في عمان وبمندوب لدى ملوك الأزد. وأقام الفرس عند ساحل البحر، بينما حكم الأزد سهول وتلال المناطق الداخلية وضواحي عمان، وكان توجيه الشؤون في أيديهم تماماً. ومع ذلك نعلم من عدة مصادر أن سلطة الجلندى لم تستمر دون معارضة أو تحدي، فقبل وصول الاسلام مباشرة على سبيل المثال تم الايحاء بأن نفوذ «لقيط ابن مالك ذو التاج» كان يعادل نفوذ الجلندى وكان له اتباع كثيرون.

المسيحيون الأوائل في عمان

يبدو أن المسيحية قد وصلت إلى عمان خلال القرن الرابع م، ويقال أنه كانت هناك كنيسة نسطورية في صحار وذلك على الرغم من عدم تأكيد هذا ويشك بعض



جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني

تم العثور على هذين الحصانين المنحوتين في المقابر الموجودة في سمائل وفي سمد الشان حيث كان يستوطن أفراد قبلية الأزد كما هو معتقد.

الكتاب في أمـر ذلك. وقد حضر أحد الأساقفـة من عمان «يوحنـا» اجتماع المجمع الكنسي فـي عام ٤٢٣/ ٤٢٤م والذي تـم فيه اعـلان انفصال الكنيسـة النسطوريـة عن النصرانيـة البيزنطية. كمـا حضر أسقف مـزون اجتماع المجمع الكنسـي النسطـوري فـي عـام ٥٤٤م، وكـانت هذه هـي أول زيارة مسجلـة بعد الزيـارة المذكـورة آنفاً والتي تمـت في عام ٤٢٤م. كمـا تمت زيارة أخـرى قـام بهـا الاسقـف صمـويل الـذي حضـر اجتمـاع المجمـع الكنسي في مار عسقيل في شهر فبراير عام ٥٧٦م. كما أننا سمعنـا عن قيس بـن زهير الـذي عاد إلى عمـان في أعقاب احـدى المعارك التـي نشبت فـي وسط الجـزيرة العربية ليصبح راهباً ، مما يوحـي بوجود أحد الأديرة في عمان في ذلك الحين.

السنوات الأخيرة قبل وصول الاسلام

تـم بـذل جهـود جبـارة أثنـاء حكـم الامبراطـورين البيزنطييـن جوستين (٥١٧-٥٥٢ ب. م.) وجـاستنيان (٥٢٥-٥٥٦م) لتجريد القوات الساسـانية من سيطرتها على مملكـة أكسوم الحبشية، غيـر أن الهزيمة السـاحقة التي تعـرض لها الجيـش الحبشي فـي اليمن قـد عززت سيطـرة الساسـانيين علـى المنطقة السـاحلية لجنـوب الجزيرة العربية خلال النصف الثاني من القرن السـادس الميلادي. وتميل الآثار الفخارية التي تم العثور عليها في مسندم والتـي ترجـع إلى هـذا العصر إلـى الايحاء بـأن سيطرة السـاسانيين قد امتـدت على طول ساحـل عمان في ذلك الوقت.

إن المعلومات المـدونة عن عمان خلال هـذه المرحلة الأخيرة مـن تاريخها السـابق علـى الاسـلام محـدودة جداً، وعلينـا أن نعتمد جزئيـاً على الأدلة الموجـودة في الكتب التـي تـم تدوينها بعـد ذلك الحيـن والتـي تشيـر إلى هذه الفتـرة. وأحـد هـذه الكتب هـو كتاب «المحبار» لأبـن حبيب الـذي يصف الأوضـاع فـي بعض الأسـواق العمانيـة فـي حوالـي عـام ٦٢٠ ب. م. أي فـي نهايـة عـصر الساسانيـة وقبل بـزوغ الاسـلام مباشـرة. وفيما يلي ترجمة لمقتطفات من هذا الكتاب:

وأحـد الأسواق الأخـرى هو سـوق صحار وسـوق عمان والذي كان يقام عـادة فـي اليـوم الأول مـن شهر رجب ويستمـر لمدة خمس ليـالي. وقد اعتـاد الجلندى ابن المستكبر ان يجبي ضريبة صغيرة (ضريبة العشر) من التجـار هنـاك. وكـان هنـاك سوق آخر هو سـوق دبي. ودبي هـي أحـد المـينائين العربـيين اللـذيـن يأتـي إليهما التجـار من السند والهنـد والصين ويـأتي إليـهما الـناس مـن الشـرق والـغرب. وكـان هـذا السـوق يقـام فـي اليوم الأخير من شـهر رجب وكـان التجـار يتـاجـرون هـنـاك عـن طـريق المساومة.وكـان الجلندى ابن المستكبر يجبـي ضريبة صغيرة (ضريبـة العشر) في هذا السوق كمـا هو الحال في سـوق صحار. كمـا أنه اعتـاد على التصـرف مثل الملوك الآخـرين في الأماكـن الأخرى. كذلك كـان هناك سوق آخـر هو سوق الشهـر «شهر محرم» وكـان يقام عند قاعدة الجبل حيث يوجد قبر النبي هود. وكان لا يتم جباية أي ضرائب في هذا السوق لأن سوق شهر محرم كان لا يخضع لسلطة المملكة.

ويبدو مـن الواضـح الآن أن نفوذ السـاسانييـن قد خبـا كثيراً، وأن الجلندى يسيطر على مـوانيء الباطنة سيطرة تجارية تامة إن لم تكن عسكرية.

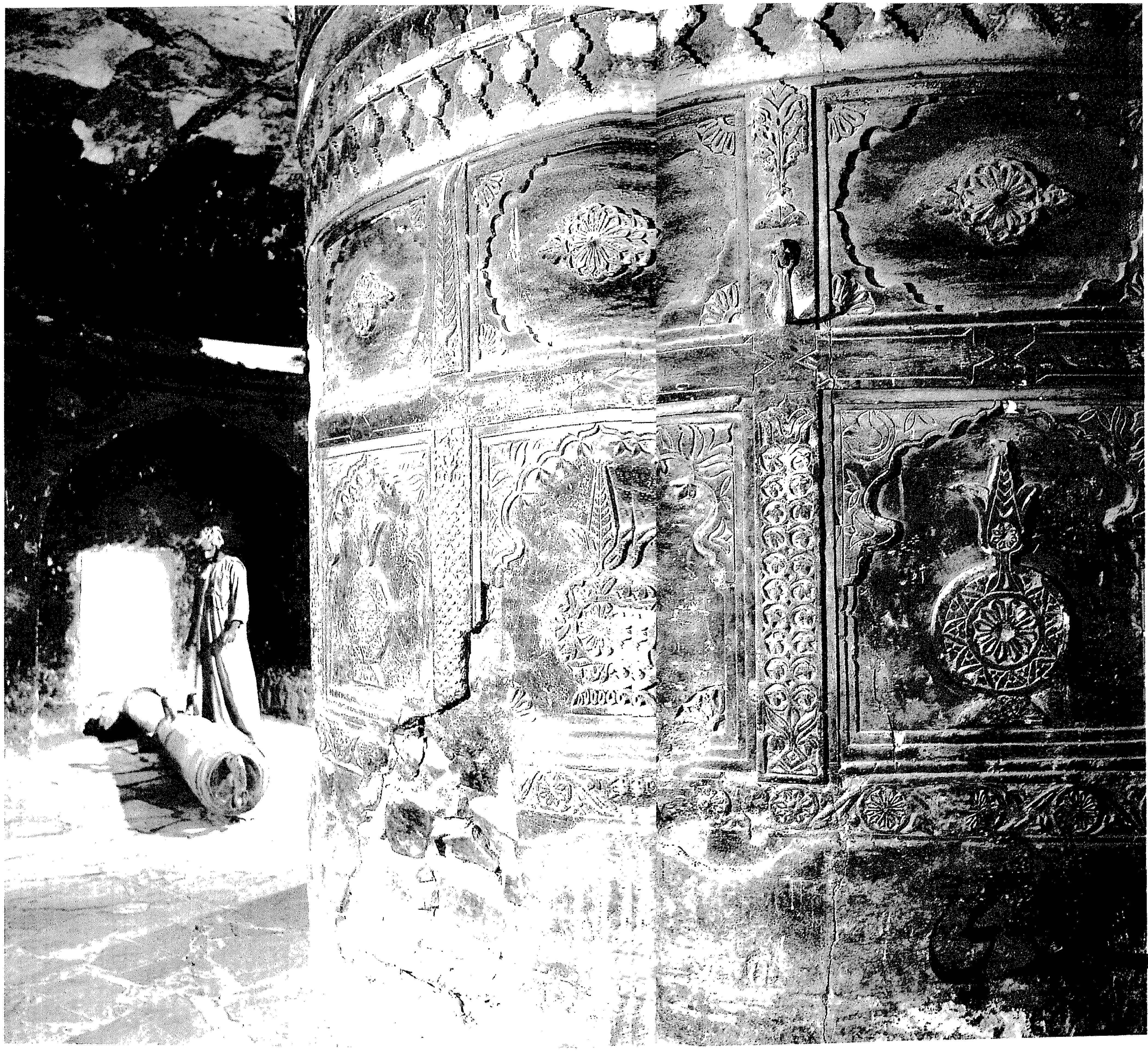


جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني

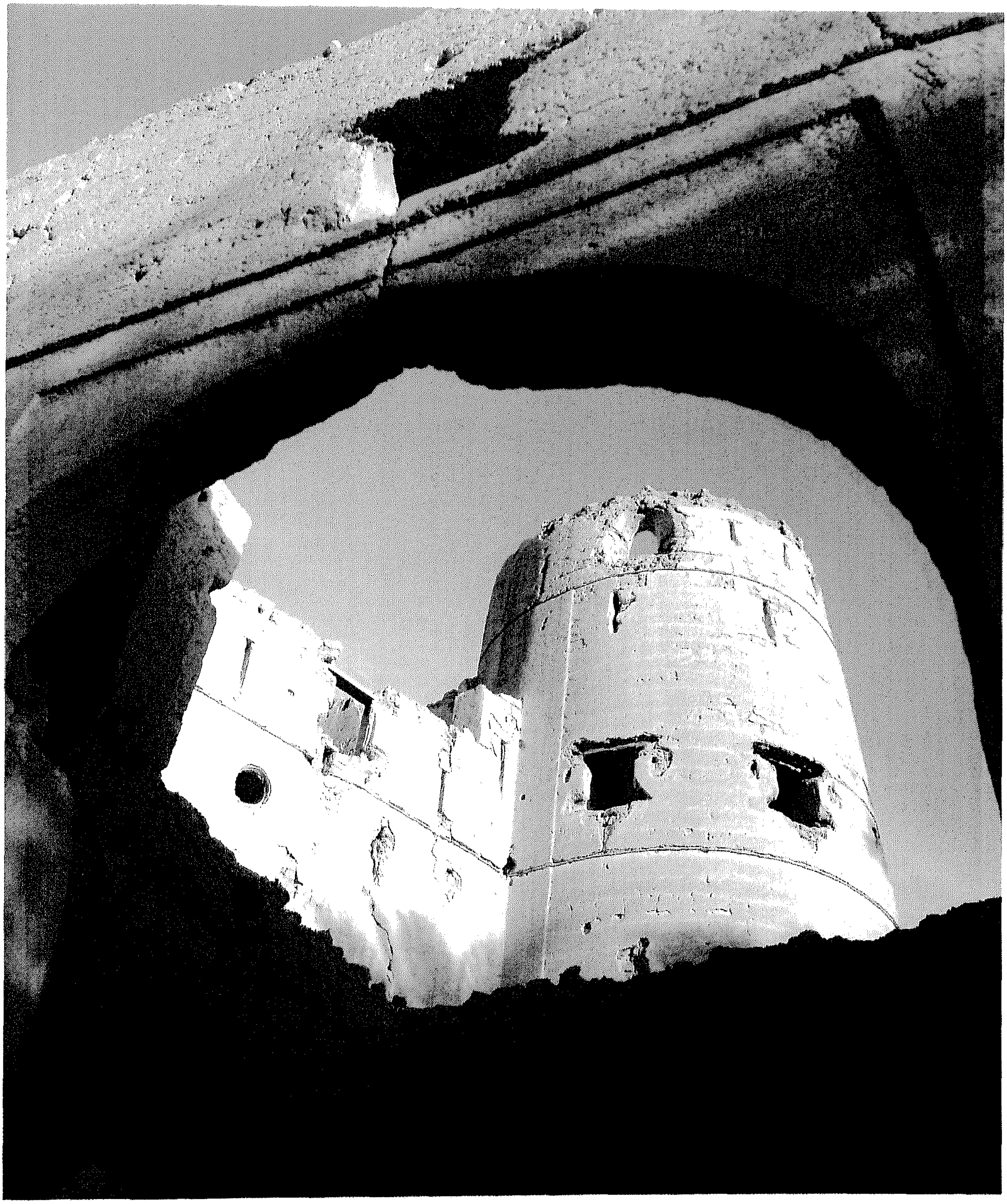
بعض الأواني التي تم العثور
عليها في المقابر والتي ترجع
إلى عصر سمد.

العصر الاس

داخل قلعة الحزم.
يحمل المدفع العلامات
البرتغالية.



شركة تنمية نفط عمان



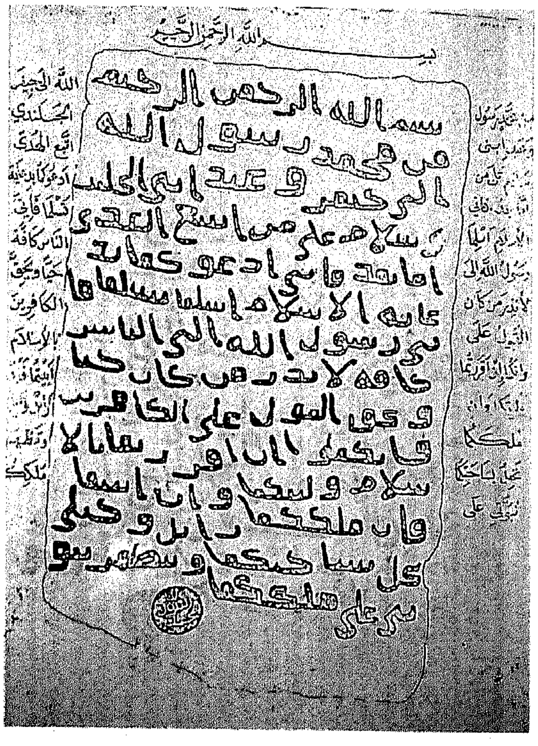
شركة تنمية نفط عمان

ازدهـار عمـان المسلمـة

دخول عمان في الاسلام

طبقاً للمخطوطات المعنونة «تـاريخ الرُسل والملوك» والتي كتبها الطبري في الفترة بيـن عامي ٨٣٨ و٩٢٣م. (أي بعد حوالي مائتين إلى ثلاثمـائة عام من دخول عمان في رحاب الاسلام) ذكر رجل يدعى وكيـدي أن اعتناق عمان للاسلام نتج عن قيـام رسول الله محمد ﷺ بارسال مبعـوث له، هو عمرو بـن العاص، إلـى عمان حيث التقـى بإبنـي الجلندي الذي توفى مؤخراً. ويقال أن ابنـي الحاكم المدعوين: جيفر وعبد قـدما ولاءهمـا لرسـول الله ﷺ ووافقا علـى تحصيل الزكـاة من أغنياء عمان بهـدف توزيع الثروة بصـورة أكثر عدالة تمكّن من رعاية الفقراء.

وهناك روايـة مختلفة قليلاً عـن تلك الواقعـة وردت في كتاب «الطبقـات الكبرى» الذي كتبـه محمد بن سعيـد قبل وفاته بفتـرة في عام ٨٤٥م. وطبقاً لرواية محمـد بن سعيد فإن مبعـوث رسول الله ﷺ قد وصل يحمـل كتاباً مختـوماً مرسـلاً إلى إبني الجلندي جيفـر وعبد مباشرة. وتـم اعطاء الكتاب، الذي ينصح الأخوين باعتناق الاسلام، إلى عبد لأنه كان أكثر الأخويـن حلماً وتعقلاً وذلك بالرغـم من أن جيفر كان يحتـل مرتبة أعلى بصفتـه الأخ الأكبر سناً. وإحتـراما لمكانـة أخيه الأكبـر قدم عبد الكتـاب إلى أخيـه. ويبدو أن



كتاب رسول الله الكريم محمد ﷺ المحرر في عام ٦٣٠م. والمرسل إلى حاكمي عمان.

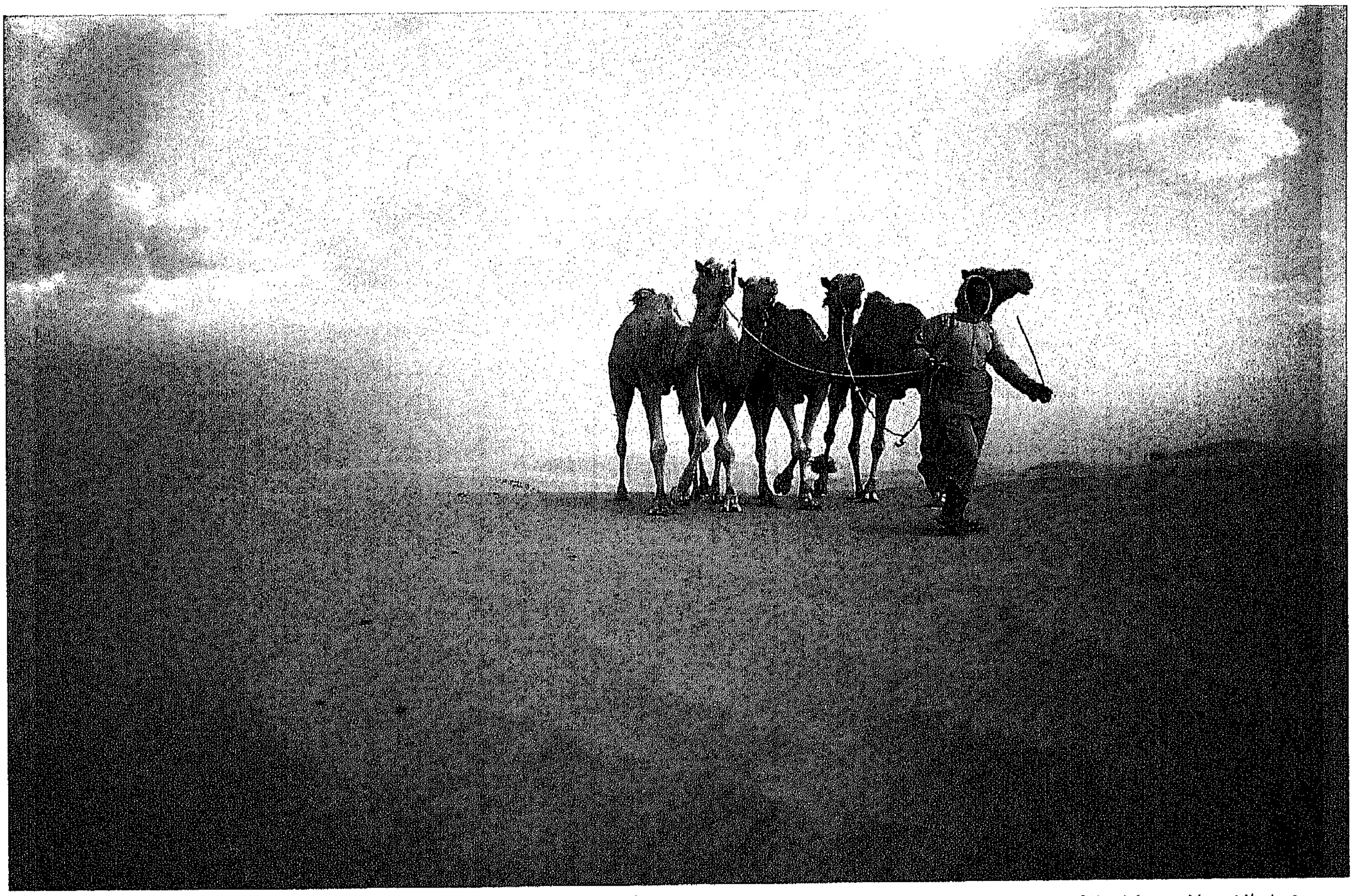
الكتاب كان له وقع عميق في نفس الأخ الأصغر.

ولا يزال نص الكتابين اللذيـن أرسلهما الرسول الكريم محمد ﷺ إلى الأخوين محفوظـاً وقد استطعنا الاطلاع على الاسلوب المقنـع المستخدم في نشر الـرسالة المحمـدية. فقد تعهـد الرسـول ﷺ في هذيـن الكتابيـن بأنـه إذا قبل الأخَوان اعتناق الاسـلام فسوف يخولهما الرسـول الكريم ﷺ السلطـة ويمنحهمـا التـأييد. أمـا إذا رفضـا اعتنـاق الاسلام فسوف يعـزلهما الرسول الكريـم ﷺ من السلطة ويحاصرهما بفـرسانه ولن يسمح لهما بالـوقوف في وجه انتشار الاسلام في عمان.

ويضمـن الكتـابـان المعنـونان كـل علـى حـدة، إلـى الحاكميـن الأخويـن، عبدي اللـه وأميري عمـان السلامـة والأمـن لأولئك الـذين «يقيمـون الصـلاة ويأتـون الزكـاة ويطيعون اللـه ورسولـه ويؤدون ما عليهـم إلى الـرسول ويتبعون طـريق المسلمين». كمـا تم إبـلاغ الأخوين بـأنه سيتم احترام ممتلكـاتهما باستثناء خزانة معبـد النار التي ستصبح مـن ممتلكات اللـه ورسوله، وبـأنه سيتـم جمع ضـريبـة الزكـاة بمقدار عشـرة في المـائة على محصـول الفواكه وخمسة في المائة على محصول الحبوب.

وكان رد جيفر علـى الكتاب هو كما يلي طبقـا لما ذكره وكيدي: «لقد فكرت ملياً في مطـالبكم، لكنني أكون أضعف ضعفـاء العرب إذا سمحـت لـرجل آخـر بـأن يتحكم فـي ممتلكاتـي». ويقال أن جيفـر عندمـا رأى مبعوث الـرسول يستعد للعـودة لنقل رده إلى الرسـول الكريم ﷺ فـي مكة المكـرمة فكـر فـي الأمر مـرة أخـرى واستـدعاه واعتنـق الاسلام. وهنـا شرع عمرو بن العـاص في جمع ضـريبة الزكاة وعين نفسـه قاضيا بموافقة جيفر واسـرته وبدأ في تلقين شعـب عمان تعـاليم الاسلام. ويقـال أنه مكـث في عمان إلى أن بلغه نبأ وفاة الرسول الكريم محمد ﷺ.

وقد جاء ذكر هذه القصة بصورة مختلفة إلى حد ما في كتاب «فتوح البلدان» للبلاذري الذي توفى في عام ٩٨٢م. وطبقا للـرواية التي وردت في هـذا الكتاب فقد تـم ارسال مبعوثيـن هما عمرو بن العـاص الذي ورد ذكره آنفـا وأبي زيد. وكان الكتابان اللذان حملهمـا المبعوثان معنونين إلى جيفر وعبد وينصـان على أنه عند قبول الشـروط المدرجة فيهما يصبـح عمـرو بن العاص أميـرهم ويتحمل أبو زيد المسؤولية عن تلقيـن الناس التعاليم الدينية ومسـاعدتهم



أندرو سبالتون

تعبر الجمال الصحراء الرملية في أواسط عمان لتذكرنا بالعصور القديمة.

علـى دخول الاســلام». وكان الأخـوان في صحـار عندمـا وصلهمـا الكتابـان وقبلا الشـروط الـواردة بهما وشجعـا الآخرين على الدخول في الاسلام.

وأخيراً، جـاء ذكر هذه الواقعـة في المصدر التـاريخي الغني «كشف الغمة» والذي جاء فيه ما يلي:

قيـل إن أول من أسلـم من أهـل عمان هـو مازن بـن غضوبة بن سبيعة بن شماسـه بن حيان بن مر بن حيان بن أبي بشر بـن خطامه بن سعد بن نبهـان ابن عمرو بن الغوث بن طي، وكـان يسكن قرية سمايل، وقيـل إنه جد سعيد أمبو علـي، الذي طلب من النبـي ﷺ: ادع الله لأهل عمان، فقـال النبي «اللهـم اهدهـم وثبتهم» فقلـت زدني يـارسـول الله فقـال: «اللهم ارزقهـم العفـاف والكفـاف والرضـا بما قدرت لهم». قـال مازن: يارسـول الله البحر ينضح بجانبنـا فادع الله في ميرتنا وخفنـا وظلفنا فقال: «اللهم وسع عليهم في ميرتهم وأكثر خيرهم من بحرهم» فقلت زدني فقال: «اللهم لا تسلط عليهم عدواً من غيرهم» وقال لمـازن: « قل يامـازن آمين فـإنه يستجيب عنـدها الدعاء». فقال مازن «آمين».

ثم قـال: يارسـول الله إني مـولع بـالطرب وبشـرب الخمرة لجوج بـالنساء وليس لي ولد فـادع الله أن يذهب عني ما أجـد ويرزقني ولداً تقـر به عيني، ويأتينـا بالحيا فقال عليـه السلام: «اللهـم أبدله بـالطرب قـراءة القرآن وبالحـرام حلالاً وبالعهر عفـة الفرج وبالخمر ريـاً لا إثم فيه وآتهـم بالحيا وهـب له ولداً تقـرّ به عينه» قـال مازن فأذهـب الله عني ما كنت أجـد من الطرب وحججـت حجاً وحفظـت شطراً مـن القرآن وتـزوجت أربـع عقائل مـن العرب ورزقت ولداً وسميته حيان بن مازن.

ثـم إنه صلـى الله عليـه وسلـم كتب إلـى أهل عمـان يدعوهم إلى الاسلام. وعلى أهـل الريف منهم عبد وجيفر ابنا الجلنـدى، وكان أبـوهما الجلندى، قـد مات فـي ذلك العصر. وكان كتـابه ﷺ: «من محمد رسـول الله إلى أهل عمان. أما بعـد، أقروا بشهادة أن لا إله إلا الله وأنـي محمد رسـول الله وأقيمـوا الصـلاة وأدوا الـزكـاة وأعمـروا المساجد وإلا غزوتكم».

وكتب ﷺ إلى عبد وجيفر: «مـن محمد رسول الله إلى جيفر وعبد ابني الجلنـدى، أما بعد فإني أدعوكـم بدعاية الاسلام أسلمـا تسلما فإني رسـول الله إلى الناس كـافة لأنـذر من كـان حياً ويحـق القول علـى الكافـرين، فـإن أسلمتمـا ولّيتكمـا وإن أبيتمـا فـإن ملككمـا زائل عنكمـا وخيلي تطأ ساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما».

وكان الكـاتب لهـذا أبي بـن كعب وهـو عليه السـلام المملى عليه. وقد طوى الصحيفـة وختمها بخاتمه وبعث بها مع عمرو بن العاص فقـدم بها عمرو إلى عبد وجيفر، وأول موضـع نـزل به بعمان هو «دستجرد» وهـي مدينة بصحار بنتها العجم فنزل بها وقت الظهر، وبعث إلى ابني



الجلندى وهمـا ببادية عمان، فأول من لقيه عبـد وهو أحلم الـرجلين وأحسنهمـا خلقـاً فـأوصل عمـرو إلى أخيـه جيفـر ودفع إليـه الكتـاب مختـومـاً ففـض ختـامـه وقـرأه ثم دفعـه إلى عبـد فقرأه ثم التفـت إلى عمرو فقال إن هذا الذي تدعو إليه من جهـة صاحبك أمـر ليس بصغير وأنـا أعيد فكـري فيه وأعلمك. ثـم استحضر جمـاعة الأزد وبعثوا إلـى كعب بن بـرشه العودي فسـألوه عـن أمر النبـي ﷺ فقـال إنه نبـي وقد عـرفـت صفته وإنـه سيظهر علـى العرب والعجـم وأسلم كعـب وعبد وجيفـر وبعثوا إلـى وجوه النـاس فبايعـوهم للنبـي ﷺ ودخلوا في دينـه وألزمهم تسليم الصدقـة وأمروا عمرو بقبضـها فقبضـها منهـم على الجهة التي أمـره بها رسول الله ﷺ.

ثم بعـث جيفر إلى مهرة والشحـر ونواحيها فدعـاهم إلى الإســلام فأسلموا وبعث إلـى دُبا وما يليها إلـى آخر عمان فما ورد رسوله علـى أحد إلا أسلم وأجاب دعوته إلا الفرس الذين كانوا بعمان فحين أبوا عن الاسلام اجتمعت الأزد إلى جيفر وقـالوا لا تجاورنا العجم بعـد هذا اليوم. وأجمعوا علـى اخراج عامـل الفرس «مسكان» ومـن معه من الفـرس. فدعا جيفر بـالأساورة والمرازبة فقـال لهم إنه قد بعث نبـي من العرب فاختاروا منا إحـدى حالتين: أما أن تسلموا وتـدخلوا فيما دخلنا وإما أن تخـرجوا عنا بأنفسكم. فأبوا أن يسلموا وقالوا لسنا نخرج.

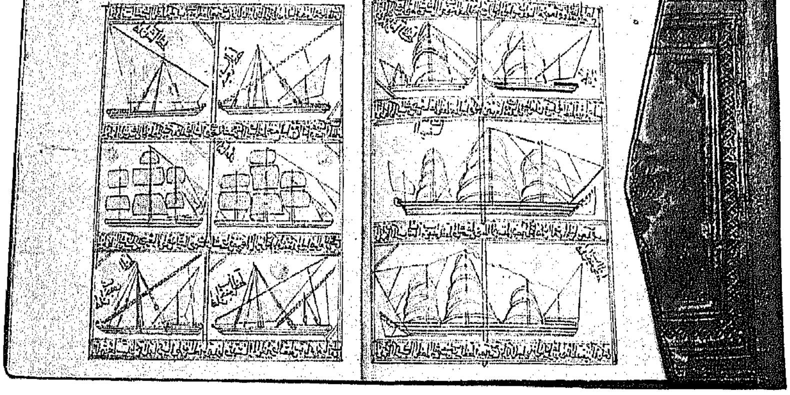
فعند ذلك اجتمعت الأزد فقاتلوهـم قتالا شديداً وقتل مسكان وكثير من أصحابه وقواده ثم تحصن بقيتهم في مدينـة دستجرد فحـاصروهم أشد الحصار. فلما طال عليهم الحصار طلبوا الصلح فصالحـوهم على أن يتركوا كل صفـراء وبيضاء وحلقـة وبراع فـأجابـوا إلى ذلـك وخـرجوا مـن عمان وبقيـت أمـوالهم وهـذه الصوافـي (الأملاك والأرض). ومكث معهم عمرو وهـم له طائعون ولقوله سامعون إلى أن بلغته وفاة النبي ﷺ.

وطبقاً لأحد المصادر فإنه عند وصول نبأ وفاة الرسول ﷺ إلى عمـان، ارتد بعض أولئك الـذين اعتنقوا الاسـلام تحت راية لقيط بـن مالك ذي التاج الذي سبق أن ذكـرنا أنه كان يشغل مكانة قـوية في عمان قبل وصول مبعـوثي الرسول ﷺ. وقد علـق بوتس فـي كتابه علـى ذلك بقولـه: «يمكننا تصور أن هـذا الارتداد كان يهـدف إلى عزل جيفـر وليس إلى رفض الاسلام».

على أيـة حال، تـم ارسال قـوات من جيـش المسلمين بقيـادة حذيفـة بن محسـن المخـزومي الـذي انضم إلـى القوات المـوالية بزعامـة عبد وجيفر. ولقي لقيـط مصـرعه في سـاحة المعـركة فـي دبا حيـث يقال أن ١٠٠٠٠ مـن المتمرديـن قد لقوا مصرعهـم بينما وقع ٤٠٠٠ منهـم في الأسـر. وعاد السكـان المحليون مـرة أخـرى إلى رحـاب الاسلام، لكـن حدث عصيان آخـر في الشحر تـم القضاء عليه أيضـا بواسطة القوات التـي كان يقودها عكرمـــه بن أبي جهل.

النفوذ العباسي

شهدت عمان خلال الفترة بيـن القرنيـن الثامـن والعاشر الميـلاديين فتـرة مـن الازدهار المبنـي علـى عـلاقاتهـا الزراعيـة والتجارية. وكـانت هـذه الفترة أيضـاً هـي فترة الفتوحـات العباسية التـي بسطت نفـوذها من بغـداد إلى



المقاطعات الجبليـة والداخلية لنزوى وبهلا وهمـا مركزان مهمـان في قلب عمان. إن سيطـرة النفوذ العبـاسي علـى هذيـن المركـزين كان يعنـي إنتشـار نفـوذهم فعـلاً في منطقة كبيرة من عمان باستثنـاء مسندم التي كانت لا تزال نائيــة بدرجــة لا تستطيــع معهـا الجيـوش البـريـة أن تخضعها بصـورة فعالة. وكان حـافز العباسيين هـو ربط طـرق التجـارة المـربحـة بيــن الهند والشــرق الأدنــى وأفريقيـا وجنـوب الجزيـرة العربية بـالموانىء العمـانية التي تحتـل مواقع هـامة كمراكز تجـارية رئيسية. وكـانت هـذه الفترة هــي فتــرة أوج عظمـة صحار وأوج عظمـة الاسطول البحـري العماني الذي سـاعد في المحافظة على الطرق البحرية خالية من القراصنة.

التطورات التجارية

وضع وصول السـلاجقة الأقوياء عسكرياً عقـب هزيمتهم للبويهييـن في عام ١٠٦٢م. نهـاية للسلام النسبـي الذي تمتعت به التجارة في الخليج لمدة قرنين أو أكثر. ومع ذلك لم تعمـل أسرة حكام السـلاجقـة في عمان ضد المصـالح التجارية تمـاماً حيث استمرت معظم حركـة تجارة المحيط الهندي مع دول الخليج في الانتقال إلـى الموانىء العمانية.

وقد واكب ازدهار هرمز كمركز تجاري اقليمي خلال القرن الثالـث عشر نمو المـوانىء العمـانية في صحـار ومسقط وقلهات. وكانت السفن القادمة من أماكن بعيدة بعد الصين تصل إلـى الشواطـيء العمانيـة بانتظـام. وقد كتـب «توم بيرس» ما يلي عن هرمز كمـا كانت قبل عام ١٥١٤م عندما استولى عليها البرتغاليون:

كانـت هرمـز تزاول التجـارة مع عـدن وكمبا ومــع مملكـة دكـان وجاوه ومـع مـوانـيء مملكة نـرسينجـا ومـوانـيء مكبار. وأهـم السلع التـي كان يـأخذهـا تجار هرمـز هي الخيول العربيـة والفارسية واللؤلـؤ الصغير والملح الصخـري والكبريـت والحريـر واكسيد الزنــك الخام والشـب ـ المعروف في منطقتنـا من العالم بـاسم الالكسندرينـا ـ وكبـريتات الحديـدوز والزاج وذلـك إلى جانب كميـات كبيرة من الملح والحرير الأبيـض والعديد من قطـع التنجا وهـي عملة فضيـة تبلغ قيمتهـا حوالـي خمسـة وستين ريـس (وحـدة نقد بـرتغـاليـة قديمـة) والمسك وأحيانـا الكهرمان وكميات ضخمة مـن الفواكه المجففة والقمح والشعيـر ومواد غذائية مشـابهة أخرى. وكـان هؤلاء التجـار يجلبـون معهـم الفلفل والقـرنفـل



جزء من آثار البليد.

إس. كاي



إس. كاي

عمود من آثار مدينة البليد، ظفار.

والقرفة والزنجبيل وجميع أنواع التوابل والعقاقير التي كان عليها طلب شديد في بلاد فارس والجزيرة العربية والتي كان يذهب جزء منها ــ عندما تكون متوفرة ــ إلى عدن. لكن نظراً لأنها كانت غالية بالفعل في هرمز فأعتقد أنها كانت تذهب إلى القاهرة ليتم ارسالها إلى ايطاليا. كما كان هؤلاء التجار يجلبون معهم أيضاً كميات كبيرة من الأرز على قدر الامكان وكذلك القماش الأبيض. كما كانت تسيطر عليهم فكرة جلب الفلفل والأرز والذهب. وكانت أسعار الخيول مرتفعة جداً في مملكة جاوه ودكان ونارسينجا ولذلك كان تجار هرمز يذهبون إلى هذه الممالك قبل عام محملين بالخيول. وكان ثمن الحصان عندما يكون من النوع الممتاز هو سبعمائة زرافين وهي عملة تبلغ قيمتها حوالي ٣٢٠ ريس. وكانت أفضل الخيول هي الخيول العربية تليها الخيول الفارسية ثم خيول كمباي.

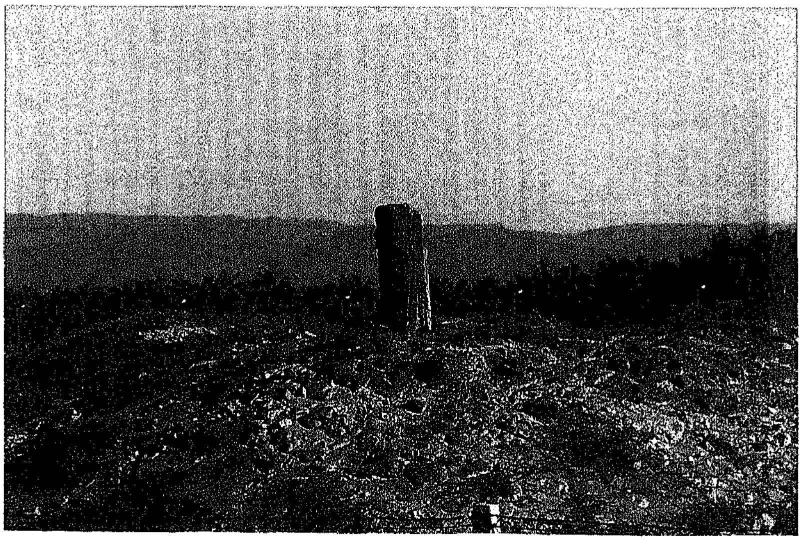
ومع وجود مثل هذا المحور للنشاطات التجارية على امتداد سواحل عمان وعند مدخل الخليج، فليس من المدهش أن تركز البرتغال اهتمامها على هذه المنطقة في أعقاب وصول اسطولها البحري إلى المحيط الهندي.

وفي عام ١٥١٤م. سقطت هرمز في أيدي البرتغاليين وبعدها أصبح النفوذ البرتغالي أحد العوامل الرئيسية في عمان والدول المجاورة لها.

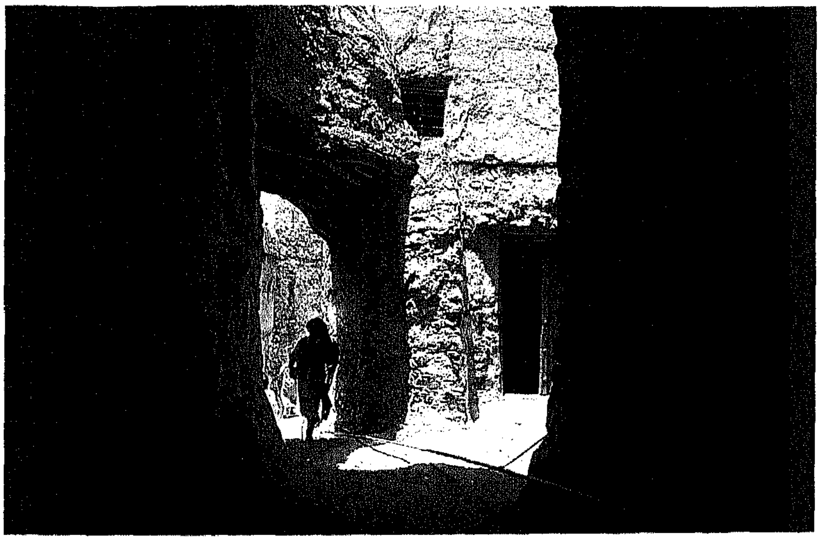
وقبل أن نترك موضوع التجارة البحرية في أوائل القرن السادس عشر الميلادي، فمن الجدير بالاهتمام أن نشير إلى عبارة أخرى من كتاب توم بيرس تشرح كيف أن السلع القادمة من جنوب الجزيرة العربية قد وصلت إلى القاهرة حيث كان يتم كما رأينا آنفاً نقلها على متن السفن إلى أوروبا.

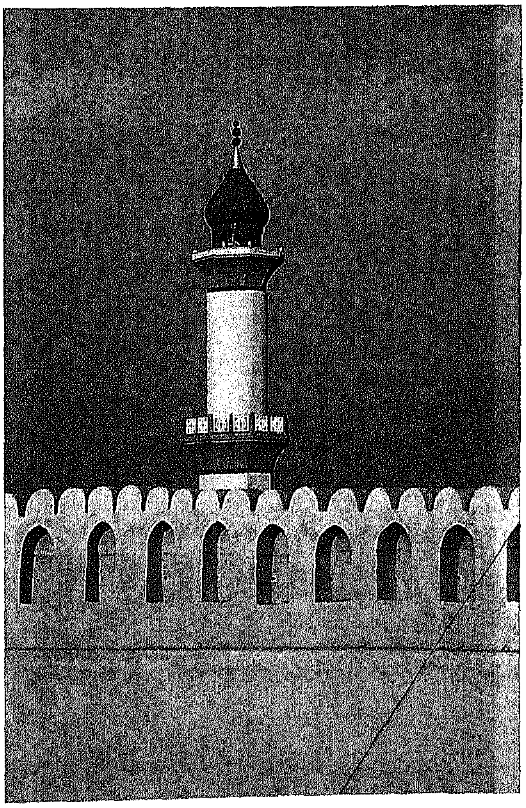
كان التجار هناك يحفظون التوابل بأنفسهم ويرسلونها إلى القاهرة بالطريقة التالية: كانوا يتجهون من عدن إلى جزر قمران ومن جزر قمران إلى زلكا ومن زلكا إلى جزر سواكن ثم عبر مضائق جزر سواكن حتى ميناء القصير المصري. ومن هناك إلى نهر النيل في رحلة تستغرق ثلاثة أيام ثم إلى القاهرة في رحلة تستغرق عشرة أيام. وكان هؤلاء التجار هم وحدهم الذين لا يتبعون هذه الطريق بسبب اللصوص. فقد كانوا عند وصولهم إلى جزر سواكن يتجهون إلى جدة مبحرين أثناء النهار. وقد تعرض العديد منهم للغرق لأن المضائق كانت عاصفة نتيجة للرياح البرية. وعندما يصل هؤء التجار إلى جدة يفرغون حمولتهم هناك وينتظرون حتى موسم الحج عندما تأتي إلى مكة المكرمة قوافل كبيرة يشترك فيها التجار بعد أن يقنعوا قائد القافلة بالموافقة على إنضمامهم إليها.

بعض آثار البليد.



إس. كاي





وكانـت الرحلـة إلى القـاهرة تستغـرق سبعين يومـاً، وأحيانا كـانوا يتوجهون مـن جـدة إلـى منطقـة الطـور عـبر البـحر الأحمـر لكـن ليـس دائـما لأن هـذا هـو الطريق الرئيسي المؤدي إلى القـاهرة وكانوا يتعرضون فيه دائما للسرقة.

ابـن بطـوطـة

في ٢٩ سبتمبر ١٣٢٩م وصل عالـم الجغرافيا المسلم ابن بطوطـة إلى جـزيرة الحلانيـات بالقرب مـن ساحـل ظفار العماني (وكـانت هذه الجزر ـ المعروفة حتى وقـت قريب كما رأينا آنفا بـاسم جزر كوريا موريا ـ معـروفة للرومان باسـم جزر زنجبـار). وكان ابـن بطوطـة يقطع جـزءاً من رحلته الطـويلة في هذه المـرحلة بين ظفار وميـنـاء قلهات القديم. وبعـد وصوله إلى الجـزيرة ارتقى تلها لـزيارة أحد النسّاك الروحانيين.

... فـي أعلـى التل يـوجـد سكـن مبني مـن الحجـارة بسقـف مـن عظام السمك، وأمـامه بـركة من مـاء المطر المتجمع. وعندمـا ألقينا رحالنا عند أسفـل التل صعدنـا إلى هـذا السكن حيث وجدنا رجلا كهلا نائماً. ألقينا عليه بالتحيـة فاستيقظ من نـومه ورد علينا التحية بـالاشارة وتحدثنـا إليـه لكنه لم يتحـدث إلينا وواصل هـز رأسه. وعرض علـيه مـلاحو السفينة بعض الطعـام لكنه رفض قبوله. ثم استعطفناه أن يصلي مـن أجلنا فواصل تحريك شفتيه لكننـا لم نعرف مـا كان يقول. كـان يرتدي ثـوباً مرقعاً وقلنسوة من اللباد ولم يكن معه كيس من الجلد أو أبـريـق أو عكـاز أو صندل. أمضينـا هـذه الليلـة عـند الشـاطـئ فـوق التـل وأدينـا فـرائض صـلاة العصـر والمغرب معـه وعرضنا عليـه بعض الطعام لكنـه واصل الصلاة حتـى حان موعد صـلاة العشاء حيث صلينـاها معه عندما أذن إلى الصلاة. كـان صوته جميلاً في تلاوة القرآن الكريم وتـرتيله. وعندما انتهى من تـأدية فرائض صلاة العشاء أشـار إلينا بالانسحاب والقـاء التحية عليه ففعلنا مندهشين مما رأيناه».

(اقتبسـهـا بـراين دو فـي كتـابـه «سـوقطرة: جـزيـرة السكون»، ١٩٩٢).

السيطـرة البرتغاليـة

هجمات البوكيرك

أرسل ملك البرتغال ثلاثة أساطيل من السفن البحرية إلى المناطق الأجنبية في عام ١٥٠٦م.، ورحل أحد هذه الأساطيل المكّون من ١٦ سفينة من ميناء تاجوس البرتغالي في السادس من شهر مارس وطاف حول رأس الرجاء الصالح متجهاً إلى جنوب الجزيرة العربية. وقد حمل هذا الاسطول بقيادة القائد البحري تريستان دي كونها الفاتح ألفونسو دي البوكيرك. ووصلت السفن إلى سوقطرة في شهر ابريل ١٥٠٧م.

وبعد معركة مع الحامية (قتل فيها ٨٠ عربياً وأحد البرتغاليين وجرح فيها ٥٠ شخصاً) استولى البرتغاليون على القاعدة العسكرية. إن وجود المسيحين في سوقطرة قد جعلها مكاناً مفضلا للبرتغاليين لأنهم اعتقدوا بأنهم سوف يزودون قاعدة البوكيرك الجديدة بالطعام والماء العذب. وعين البوكيرك ابن أخيه ألفونسو دي نورونها قائداً لحامية قوامها ١٠٠ شخص ثم رحل مع الاسطول بعد ذلك إلى الجزيرة العربية حيث سرعان ما ارتبط اسمه بالأعمال الوحشيه تجاه أهل جنوب الجزيرة العربية المسلمين.

وقد ذكر توم بيرس محاولات البوكيرك للاستيلاء على عدن في كتاباته التي دوّنها بعد انقضاء بضع سنوات على محاولات الاستيلاء هذه، جاء فيها:

توجد في داخل المدينة قلعة كبيرة فيها قائد يقف على أهبة الاستعداد دائما - كما يقضي عليه الواجب — لأنه كان طوال السنوات العشر الماضية يخشى حملاتنا. وقد ساعد جميع المسلمين هذه المدينة حتى لا يتم الاستيلاء عليها. فقد كانوا يخشون في حال الاستيلاء على هذه المدينة أن تكون النهاية قريبة لأنها المدينة الوحيدة التي بقيت لهم. وقد شهدت هذه المدينة بالفعل معركة كبرى وكانت على وشك أن يتم اقتحامها لولا كارثة تحطم السلاسل لثقل وزن الأفراد الذين كانوا يتسلقون الجدران. وكانت معركة شهيرة لأنه للاستيلاء على هذه المدينة كان يجب أولاً السيطرة على مقر المعسكر وإذا تم ذلك يفقد المسلمون هذه المدينة. وكانت هذه المعركة مأثرة شهيرة فبالرغم من عدم التمكن من الاستيلاء على المدينة إلا أن الأمور لم تسر بعدها على مايرام وقد شعر شيوخها بأن تدمير مدينتهم بات وشيك الوقوع.

لقد اشتهر العمانيون بين البرتغاليين بأنهم مقاتلون مهرة وشجعان. ويعلق توم بيرس على جنوب الجزيرة العربية بأكمله حيث كتب:

بعد عدن جاء الدور على جزر كوريا موريا ومصيرة، وكان أهلها جميعا من البدو التجار والمحاربين البارعين. وكان العديد منهم يذهب من فرتاك إلى سوقطرة وزيلا وبربرا كقادة للحاميات. ويعيش هؤلاء الناس على التجارة وإن لم تكن كثيرة. وتقع البلاد الممتدة من رأس الحد تحت سيطرة هرمز ولدى أهل فرتاك سيوف جميلة ولديهم أيضاً جميع أنواع الأسلحة. إنهم رجال باسلون.

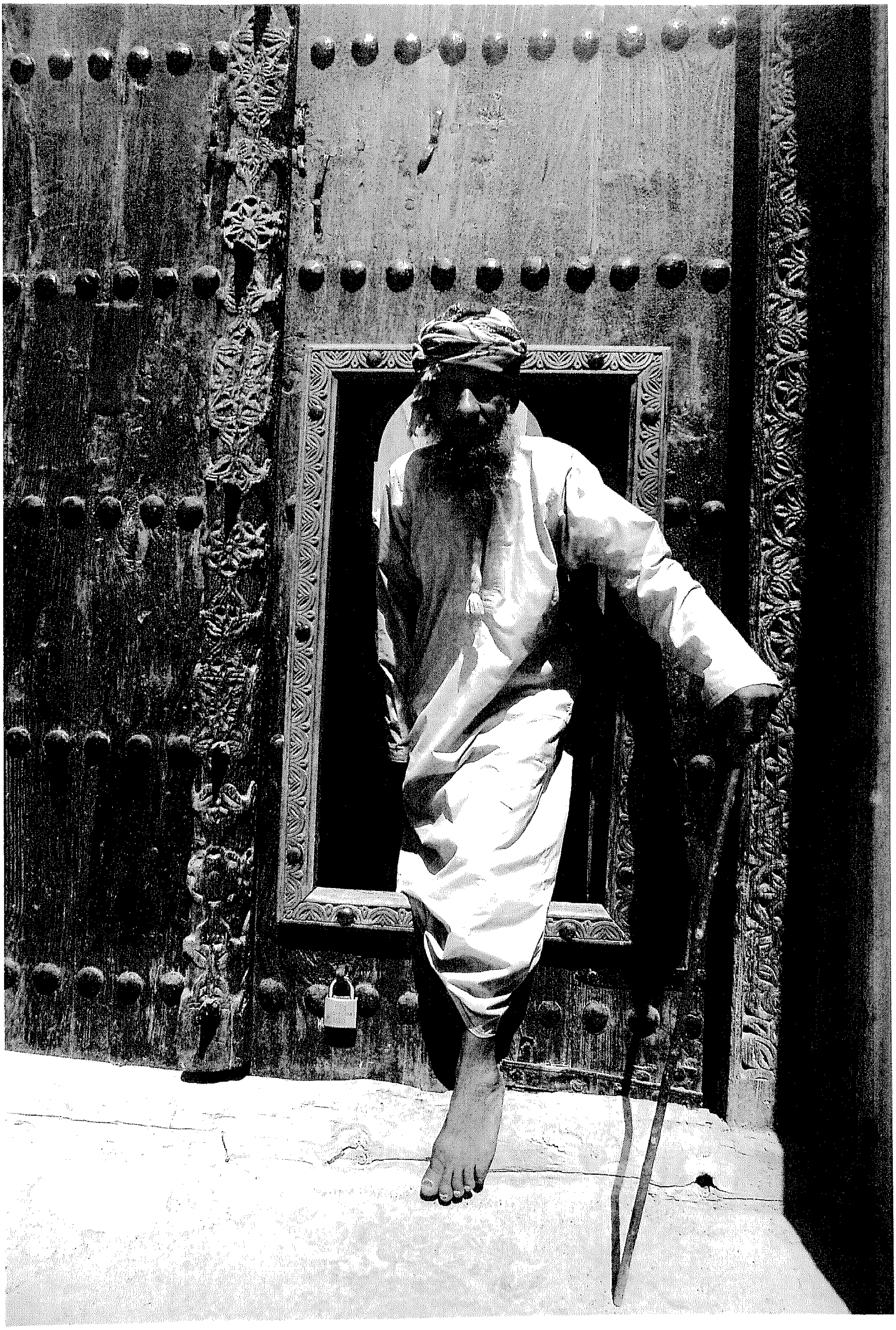
وفي أعقاب هجومه الأول على خور جرماح قاد البوكيرك قواته إلى قلهات حيث لم يكن أمام حاكمها سوى خيار واحد هو الترحيب بالبرتغاليين.

وبعد انقضاء عدة أيام وعقب مرورهم على طيوي وصلوا إلى قريات وارتكبوا أول أعمالهم الوحشية العديدة ضد أهل عمان. فقد هاجموا أولاً تحصينات المدينة وقاموا بذبح الرجال والنساء والأطفال دون تمييز أثناء فرارهم للنجاة من المذبحة. وأخيرا نهب البرتغاليون المدينة وأشعلوا النار في منازلها وحرقوا السفن في الميناء. وانتشرت قصة الهجوم في أنحاء الساحل كالنار في الهشيم ووصلت إلى مسقط قبل أن يصل الاسطول البرتغالي بفترة طويلة والذي وصل إليها بعد أربعة أيام من مذبحة قريات.

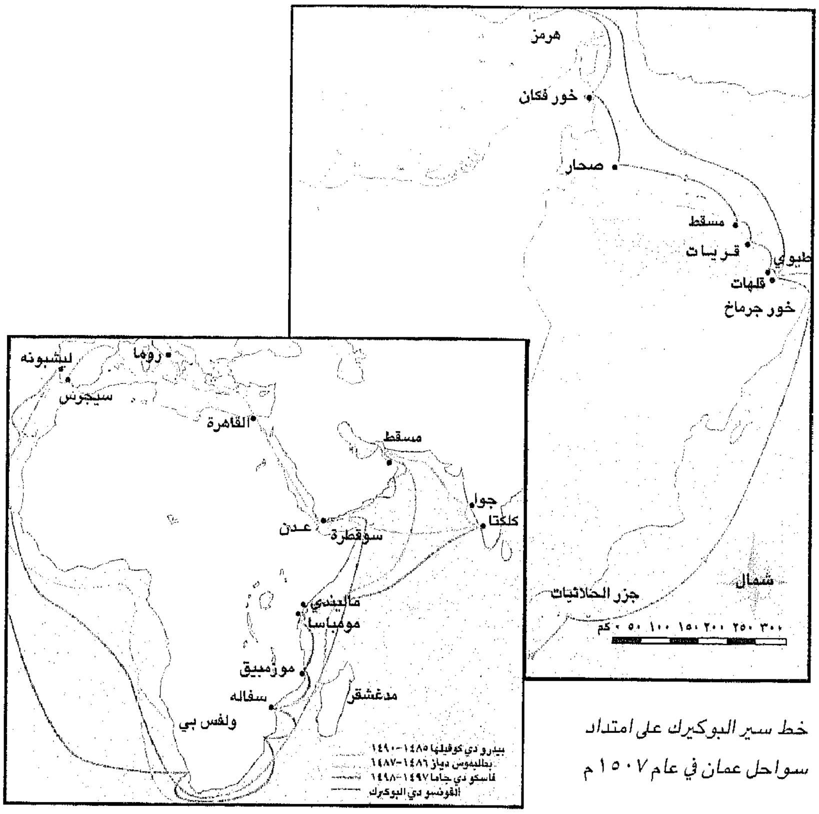


وزارة الاعلام

قلعة الحزم من الداخل حيث يوجد المدفع البرتغالي.







خط سير البوكيرك على امتداد سواحل عمان في عام ١٥٠٧م

أعلى جهة اليسار: صورة الفونسو دي البوكيرك كما ظهرت في كتاب بي. بارتو دي ريسنده «دولة الهند».

جهة اليسار: كان المر والبخور من مصادر الثروة في عمان منذ أكثر من ٢٠٠٠ سنة.

في الصفحة المواجهة: مدخل سوق نزوى.



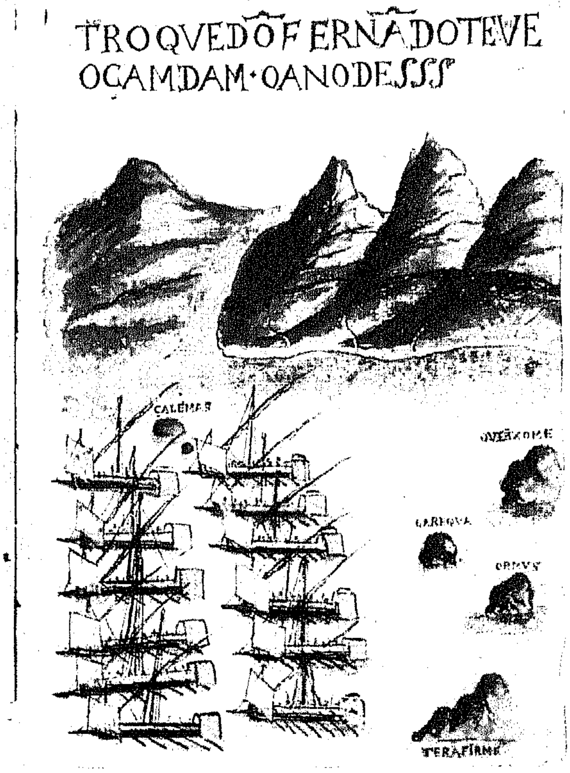
وقد قام أهل مسقط بتحصين المدينة والاستعداد للدفاع عنها ضد هجوم البوكيرك الوشيك الوقوع.

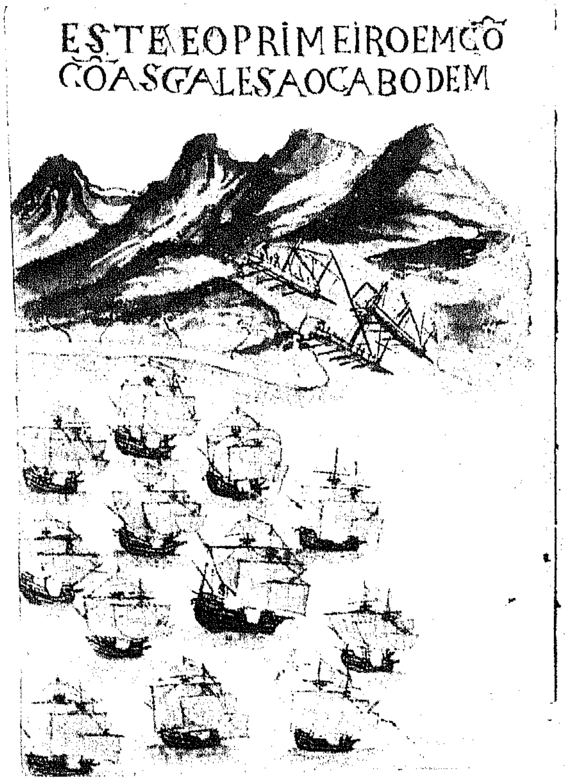
وفي البداية وهنت عزيمة البرتغاليين إلى حد ما نتيجة لحالة الاستعداد في مسقط، لكن البوكيرك لم يكن اطلاقاً ذلك الشخص الذي يتراجع.

وقد سيطر الرعب على أولئك الموجودين عند الشاطىء بانتشار الأنباء عن وحشية البرتغاليين في أعقاب المذابح الدامية التي وقعت في قريات وباتوا معها يخشون على أرواحهم. ولذلك اتجه اثنان من قادة المدينة إلى الاسطول البرتغالي الذي كان يرسو في الخليج في محاولة لعقد اتفاقية سلام. وبمجرد أن بدأت المفاوضات شعر البوكيرك بأن هذين القائدين لا يحملان تفويضا مطلقا من كافة الناس الموجودين عند الشاطىء للموافقة على شروطه فأمرهما بالعودة إلى اليابسة والحضور إليه في اليوم التالي.

وعندما عادا في اليوم التالي عرض عليهما شروطه التي تضمنت دفع جزية أو اتاوة للأسطول البرتغالي كل عام وتزويده بالامدادات والتموين بما في ذلك الطعام والماء اللازم لهجومة المزمع على هرمز. وافق المتفاوضون العمانيون على هذه الشروط وحين عادا إلى الشاطىء وجدوا الناس يتحدثون عن مقاومة البرتغاليين. وفي تلك الليلة وصلت التعزيزات والتجهيزات إلى مسقط عن طريق البر وشجع أحد الشيوخ المدينة على المقاومة.

وبمجرد أن أصبح ذلك واضحاً بدأ البوكيرك هجومه على مسقط وقصف سواحلها والمدينة بالمدافع الثقيلة. غير أن السفن كانت بعيدة عن الشاطىء ولذلك لم يكن للقنابل تأثير كبير. وأوقف البوكيرك عملية القصف وعقد اجتماعاً لقادته لوضع استراتيجية جديدة. وأعرب الضباط عن استعدادهم لتنفيذ أوامر البوكيرك خشية من غضبه وبطشه وعند ئذ أمرهم البوكيرك بالقيام بهجوم تطويقي التفافي من الجانبين على المدينة، وتولى بنفسه قيادة قوات الجبهة





في شهر أغسطس ١٥٠٧م رسا الاسطول البحري البرتغالي بقيادة فرناندو دي مينزس بالقرب من مسقط قبل أن يواصل رحلته إلى مسندم حيث واجه اسطول السفن الشراعية التركي الذي أبحر حول الجزيرة العربية مـن قاعدته في السويس. تم أخذ اللوحة المصورة هنا مـن كتـاب «تاريخ ليزورت» المجهول مؤلفه والذي نشر في حوالي عام ١٥٦٤م.

اليسرى بينما تـولى الكـابتـن دي تافـورا والكـابتـن دي كوستا قيـادة الجبهة اليمنى التي ستقـوم باختراق الخط أو الحاجز الدفاعي.

وهبطت القوات أسفل التحصينات مباشرة واستطاعت بالرغم من بسالـة وعزيمة القوات المدافعة أن تخترق كلتا الجبهتين. والتقت فـرقتا الهجـوم عند اقتحـامها للمـدنية وقامـت بطرد سكـان المدينة وقتـل أو تشويـه أهلها كلما أتيحـت لهم الفرصـة. وكانـت هـذه المعركـة صورة مـن مذبحة قريات.

وبعد أن تمكن كل مـن استطاع الهرب من الهروب وتم القبـض على النسـاء والأطفـال والكهلـة أمـر البـوكيرك شخصياً بقتلهـم. وقام كل من الكـابتن أنتاو دي كـامبو وخواو دي نوفـا على وجه الخصوص بدور شنيـع في قتل النسـاء وتمردا على البـوكيرك فيما بعـد. وبعـد انتهـاء المذبحة بدأت عملية السلب والنهـب وتم الاستيلاء على كل مـا يمكن حملـه وعـادوا به إلى السفـن البرتغـالية. وقـد تضمنت غنـائم الحرب هذه ٣٠ مدفعـاً واقوساً وسهـاماً ورماحاً وغير ذلك من الأسلحة.

وواصل الاسطـول رسوه لمدة ثمانية أيام قـام خلالها بتزويد السفـن بالفواكه الطازجـة والماء العذب وغير ذلك من الامدادات. وكان البـوكيرك على وشك اشعال النار فيما بقي من المدينـة. لكن وقبل أن يصدر أوامره بـذلك وصله رسـول يستعطفه ليعفو عن المدينة مـدافعا عنها بقوله «ألا يكفـي أنه قـد تم قتـل العديـد مـن الأبريـاء من النسـاء والأطفـال على حد سـواء؟» ورد عليـه البوكيرك مستعينـا بكل ما لديه مـن مبررات قائلا: «كان يجب على أهل المدينة عـدم نقض وعـدهـم لـه عندمـا تـوصلـوا معه إلى اتفـاق مبـدئي». وبـدلا من أن يحرق المدينـة في الحال قـال أنـه سيـوافـق على التخلي عن خططـه إذا حصـل على ١٠٠٠٠ أشرفية من الذهب بحلـول ظهر اليوم التالي. ونظراً لأن البرتغاليين كانوا قد سلبوا بالفعل كل الغنائم التي وصلت إليها أيـديهم فقد كان أهـل المدينة في موقـف لا يحسدون عليه ولم يستطيعـوا بالطبع تلبيـة هذا الطلـب. وأخيراً تم حرق مسـاكنهم ومنازلهم (حوالي ٣٥ مسكنـاً على الأقل). ولحقت بالعـديد من الانشاءات أضرار لا يمكـن إصلاحها وتـم بصورة خـاصـة تدمير أحـد المساجـد المقـامة مـن الخشب المنقوش تدميراً تاماً.

وبعد تـدمير مسقط اتجه الفاتـح البوكيرك بإسطـوله الجبّـار إلى صحـار. وأمكـن مؤقتـاً تفادي مـذبحـة أخـرى عندمـا سافر وفـد من المدينة إلى بـارجة البوكيرك لتقـديم فـروض الولاء لملـك البرتغال ولـدفع أي مبلـغ يطلبه هـذا الطاغية البرتغالي مهما كان كبيراً.

وقبـل وصول الاسطـول البرتغالي طلـب أهل صحـار المسـاعـدة العسكريـة مـن هـرمز، لكنهـم لم يتلقـوا أي استجـابـة لمطلبهـم وكان ذلـك هـو السبـب في اذعـانهم للبرتغاليين.

وبعد أن اتفق البوكيرك مـع حاكم المدينة على الضرائب التي ستتم جبايتها ودفعها له عنـد زيارته القادمة للمدينة واصل رحلته شمالاً في اتجاه هرمز.

وكانت المستوطنة الرئيسيـة التالية على امتداد الساحل هـي خـور فكان حيث تـم تكـرار نفس العمليـات التـي شهـدتهـا الموانـيء العمانيـة الأخـرى، وفي هـذه المـرة

حاول أهل المـدينة المقاومة غير أن قـوة البطش الجبارة للقـوات البرتغـاليـة كانـت أقـوى منهـم واضطروا إلـى الاستسلام وتحولت المدينة إلى رماد.

ومن هناك أبحر االبرتغاليون إلى هرمز حيث واجهتهم تحصينات دفاعيـة أقوى، ومنها أبحروا إلى سـوقطرة حيث تركـوا حاميتهـم قبل ثمانيـة أشهر. وعنـدما وصلـوا هناك وجدوا الحامية البرتغالية الصغيرة فـي حالة يرثى لها، فقد كان رجالهـا يموتون من الجوع لأن المسيحييـن أخفقوا في العنايـة بهم خشية عقاب جيـرانهم المسلمين. وفي طـريق عودته إلى هرمز في عام ١٥٠٨م هجم البوكيرك بقواته على قلهات مرة أخرى وسلبوا ما تبقى منها وأحرقوا المسجد.

وقد جاء فـي كتاب «رحلات عبر الشـرق» لتوم بيرس الـذي يتضمن وصفـاً لرحـلاتـه عبر الشـرق من البحـر الأحمر إلى اليابان والذي كتبـه أثناء وجوده في الهند في الفترة بين عامي ١٥١٢ و١٥١٥م ذكـر السـاحل العماني كجزء من المقاطعة التي كانت تسمى الجزيرة العربية.

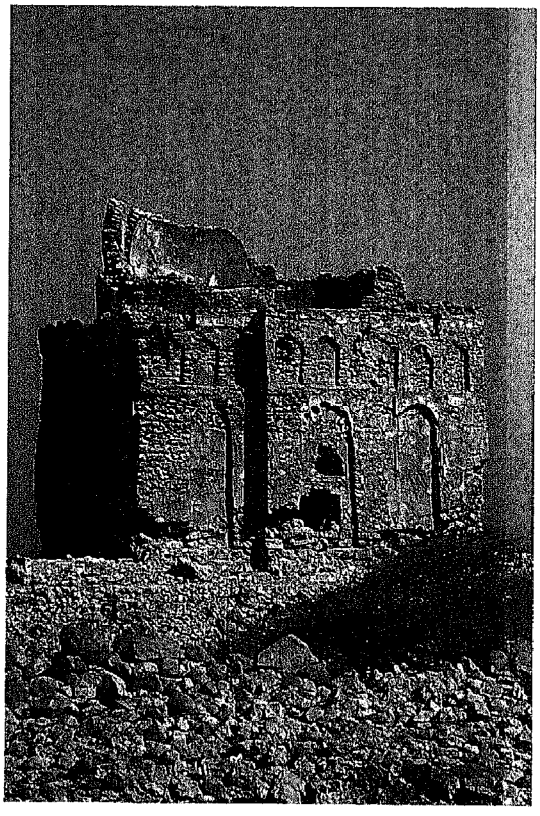
يوجـد في هذه المقاطعـة بعض المدن الواقعـة على امتداد السـاحل فهي تضم جدة وعدن وفرتاك ومصيرة ورأس الحد. وعلى امتـداد سواحل هرمز تـوجد قلهات ومسقط وقريات وغيرها مـن المدن. وعند الاتجاه عبر الجبال إلـى المناطق الداخليـة توجد بعض المـدن التي تقطنها مجمـوعة كبيرة مـن السكان وبعـض الأراضي الجميلة التي يعيش فيها العديد من الناس.

إن أهل هذه الجـزيرة العربية يشبهـون المحاربين، يحـاربـون وهـم يمتطـون الخيـول بنفـس طـريقتنـا ويستعملـون المهاميـز. ويقبضـون علـى سير اللجـام بإحدى اليدين وعلى الرمح باليد الأخرى. ولديهم أعداد كبيرة من الرجال. والخيول الموجودة في هذه الجزيرة العربيـة أفضل من الخيـول الأخرى الموجـودة في أي منطقة من المناطق الأخرى، ولديهم أيضاً عدد كبير من الجمال والثيران التي يستعملونها والحيوانات الأخرى. إنهـم رجـال صيـادون يعملـون دون كلـل وهـم متغطرسون وغاية في البسالة.

وقـد سيطـر البـرتغـاليـون علـى عمـان وبعـض المستوطنـات الساحلية الأخـرى منذ عـام ١٥٠٧م حتى قام بطـردهم *الإمام* سيف بـن سلطان اليعربي فـي عام ١٦٥٠م. وتنحصر معظـم آثارهـم في ثـلاثة مـن أعظـم القـلاع العمانيـة وهما قلعتـا الميـراني والجـلالي فـي مسقط وقلعة مطـرح. وهذه هي القلاع البرتغاليـة الوحيدة التي لا تزال شامخة في عمان حتى اليوم.

وتتضمـن الآثـار الأخـرى التي تـرجـع إلـى العصـر البرتغالي بعـض المدافع المصنوعة من البـرونز. وتوجد أفضل مجموعة من هذه المـدافع والتي تتكون من خمسة مدافع في ميناء الحزم اليعربي. وأخيراً فقد أثرث التقنيات البرتغـالية لبناء السفن علـى تلك التقنيات الموجـودة في جنوب الجزيرة العربية. وقد ابتكـر البرتغاليون على وجه الخصوص طريقة التثبيت بالمسامير الحديدية التي حلت محل طريقة الخيـاطة بالحبال والتي كان يتـم استعمالها في عمان منذ عدة آلاف من السنين.

وقد وجه البـرتغاليون اهتمامهم للسيطـرة على المدن الـرئيسية فـي المحيـط الهندي حتـى يمكنهـم بـالتالـي الاستفادة من التجارة المربحة للتـوابل والحرير التي تمر عبر هذه الموانيء. وقد أقـاموا ٢٣ مستوطنة محصنة في أنحاء المحيط الهندي من ملقا في الشرق إلى ساحل كينيا فـي الغـرب. وكـان طلـب الأوربييـن علـى الفلفـل (مـن سومطرة) والقـرفة (من سيلان) والكافور (مـن بورنيو)



تعتبر آثار ضريح بيبي مريم أشهر آثار المباني الأثرية في قلهات المدينة الساحلية التي سلبها البرتغاليون.

وجوز الطيب (من جزر باندا) والقـرنفل (من ملوقا) يذكر بالرغبـة المبكرة الملحة للحضارات الكلاسيكية اليـونانية والرومانية للحصول على اللبان والمر.

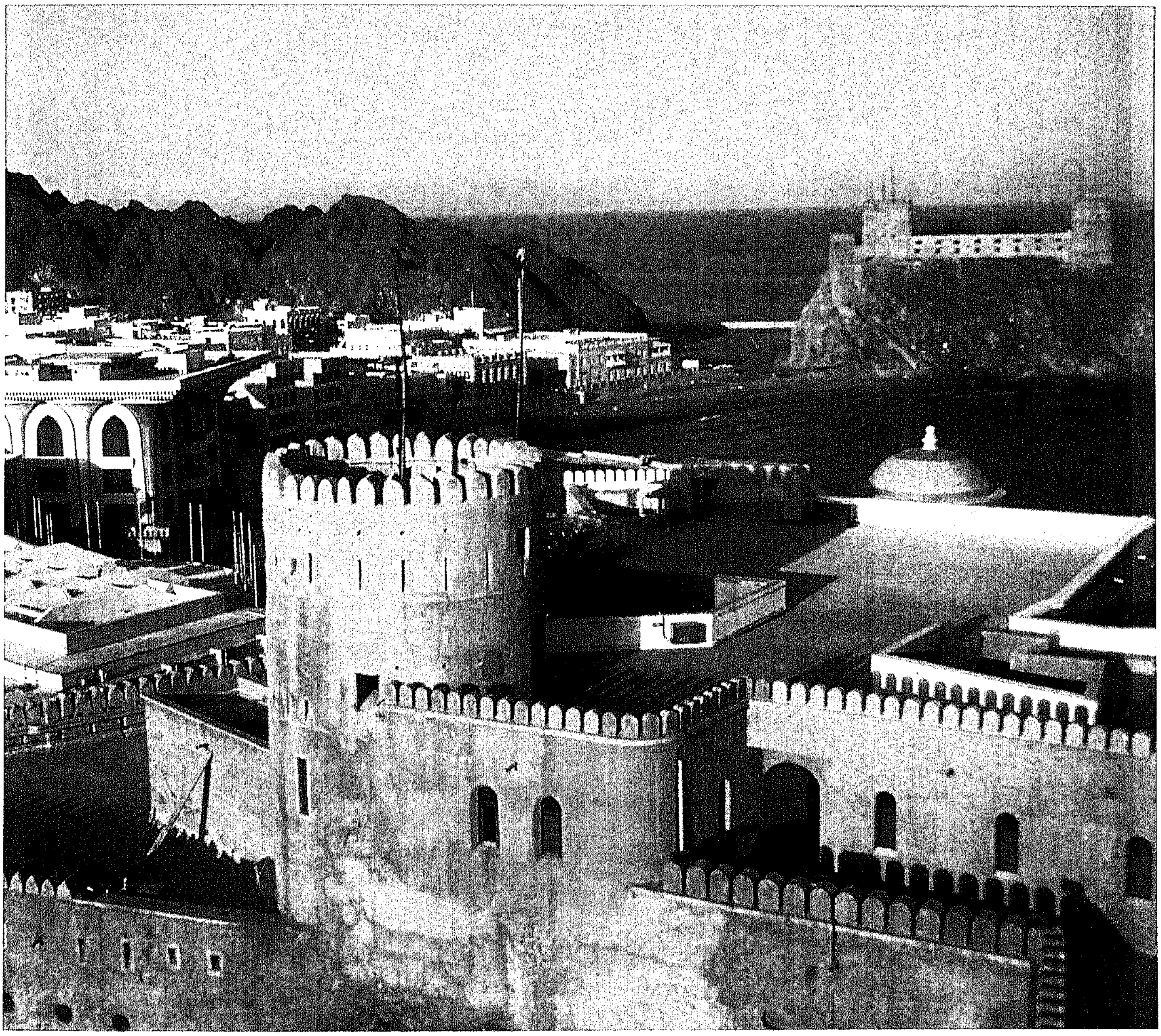
ومـرة أخـرى تـم جـذب القـوات الأجنبية إلـى عمان وإلى الدول الساحلية الأخـرى لتحصل على حصتها من التجارة المـربحة. وفرض البـرتغاليـون في نفس الـوقت الضرائب علـى الأعمال التجـارية الاقليميـة الأخرى مثـل صـادرات عـمان مـن الخيول العـربية الأصيلـة إلـى الهند وصادرات الهند من القطن إلى افريقيا.

تركيا ضد البرتغال

في عام ١٥٤٦م قـام الاسطول التركي الذي كـان يرسو بالقرب من السـاحل بقصف مسقط بالقنابل، لكنه لم يتبع ذلك بالنزول إلى الشـاطىء لمـواجهة المدينة التي يحتلها البرتغاليون والمزودة بتحصينات دفاعية قوية.

ومع ذلـك، ففي عـام ١٥٥٠م أحضر القـائد التركـي

قلعتا الجلالي والميراني في مسقط.



وزارة الاعلام



بيري باشا قوة أكبر إلى مسقط لمعاقبة البرتغاليين على تأييدهم للثوار العرب في البصرة ضد تركيا.

واستعدادا لهذا الهجوم بدأ القائد البرتغالي لحامية مسقط ببناء قلعة ضخمة.

وفي وقت الهجوم التركي لم تكن البناية قد اكتملت بعد لكنها مع ذلك وفرت موقعاً جيداً للمدافعين البرتغاليين.

وظل البرتغاليون لمدة ١٨ يوماً مختبئين في القلعة والأتراك يحاصرونهم. وأخيراً اضطروا إلى الاستسلام طالبين تأمين طريق لانسحابهم. وتم توقيع معاهدة على عجل سرعان ما تم نقضها عندما نكث القائد التركي بوعده وقتل بعض البرتغاليين المحاصرين وقبض على بعضهم الآخر بما في ذلك القائد المحلي البرتغالي. ونهب الأتراك القلعة واستولوا على كل ما وصلت إليه أيديهم من غنائم يستطيعون العودة بها إلى سفنهم.

وقد شجع هذا النجاح الأولي ضد البرتغاليين الأمير سلطان بأن يأمر بالقيام بهجمات أخرى ضد الأوروبيين، في البحر الأحمر أولاً ثم في جنوب الجزيرة العربية بعد ذلك. وغادر الاسطول التركي البصرة في أغسطس ١٥٥٣م، لكن الهزيمة لحقت به بالقرب من مسندم وأبحر ما تبقى من الاسطول مرة أخرى في العام التالي في شهر يوليو ١٥٥٤م. وفي هذه المرة واجه البرتغاليون عند خور فكان. وانسحب البرتغاليون إلى مأمنهم في مسقط، لكنهم أجبروا في النهاية على الخروج إلى البحر مرة أخرى لمواجهة سفن الاسطول التركي.

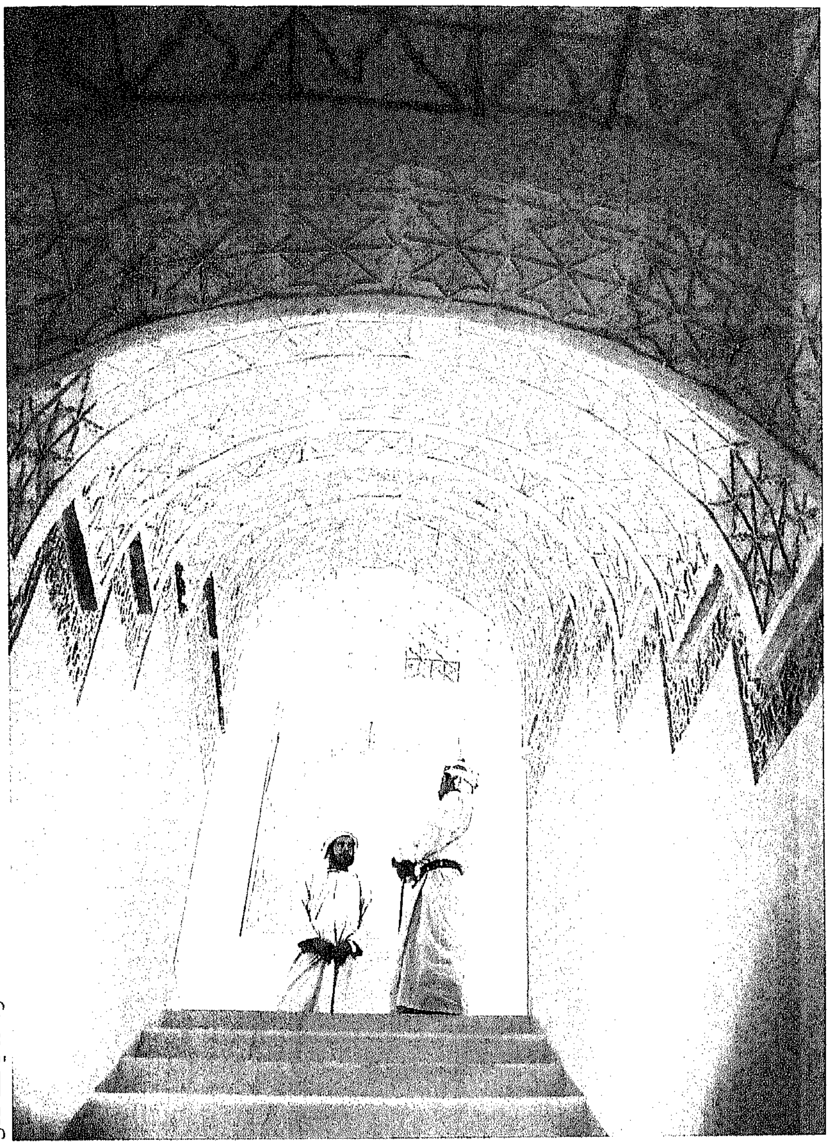
وفي هذه المرة لم يكن البحارة البرتغاليون وهم على متن سفنهم متيقنين من النصر، حيث كان لدى الأتراك قوة يعتد بها وكانوا يضارعونهم من الناحية الفنية ومن ناحية مهارات الحرب البحرية. وقد سجل المراقبون البرتغاليون حادثتين في شهر أغسطس من ذلك العام كنذيرين بسوء الطالع، الأولى هي حوم أحد الحيتان الضخمة حول السفن البرتغالية، وهو مشهد ليس غريباً على مسقط حتى في هذه الأيام. وقد أوقع فضول هذا الحوت وجرأته الرعب في قلوب البحارة البرتغاليين. أما الحادثة الثانية فهي سقوط نيزك صغير في البحر بالقرب من مسقط في ذلك اليوم. ونستطيع تصور مدى الرعب الذي سببه سقوط هذا النيزك بين الرجال الذين كانوا على وشك الدخول في معركة دفاعاً عن أرواحهم.

وأخيراً نشبت المعركة البحرية على مسافة قصيرة من جزيرة الفحل التي سماها البرتغاليون بعد ذلك جزيرة النصر لأنهم هم وليس الأتراك الذين حالفهم النصر في ذلك اليوم.

وقد تركت هذه المعركة البرتغاليين ولديهم ٤٦ مدفعاً آخراً وكمية ضخمة من الأسلحة.

لكن مع مرور الوقت، تم بذل بعض المحاولات لطرد البرتغاليين من عمان. فقد قام القائد التركي مير علي بك بهجوم على مسقط في عام ١٥٨١م ترك البرتغاليين «مرتجفين ولكن غير مزعزعين» وجعل مير علي متلهفا لتكرار محاولته المحدودة النجاح هذه في أماكن أخرى.

وأخيرا تم القبض عليه وارساله إلى لشبونه حيث توفى كما يقال من تأثير التعذيب. وكانت مثل



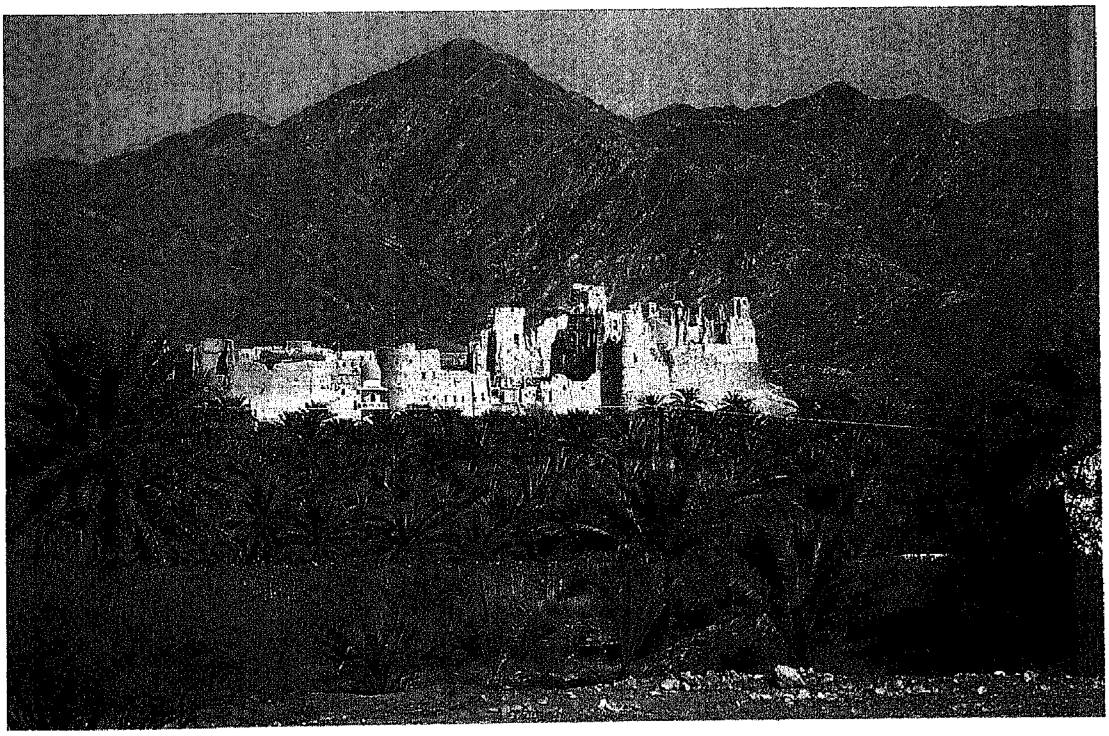
شركة تنمية نفط عمان

هذه الهجمات الخاطفة هي التي أدت إلى اقامة قلعتين ضخمتين في مسقط هما قلعة الجلالي التي اقيمت في عام ١٩٨٧م وقلعة الميراني التي اقميت في عام ١٥٨٨م.

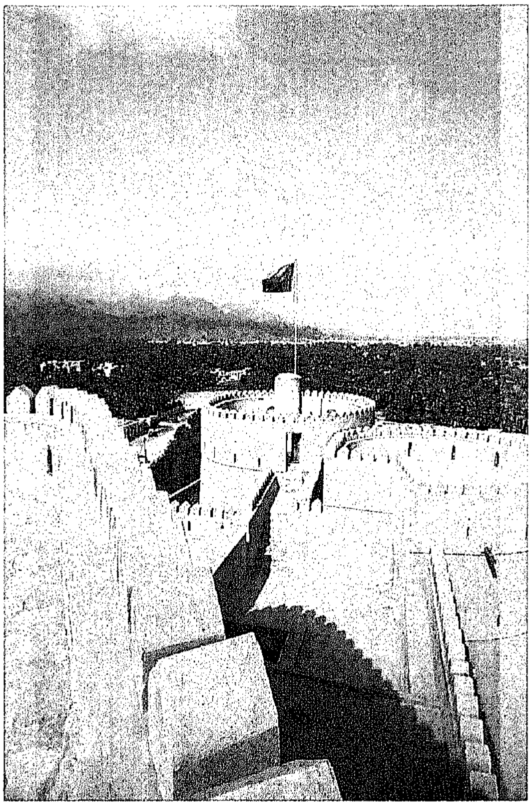
الأعمال المشتركة لطرد البرتغاليين

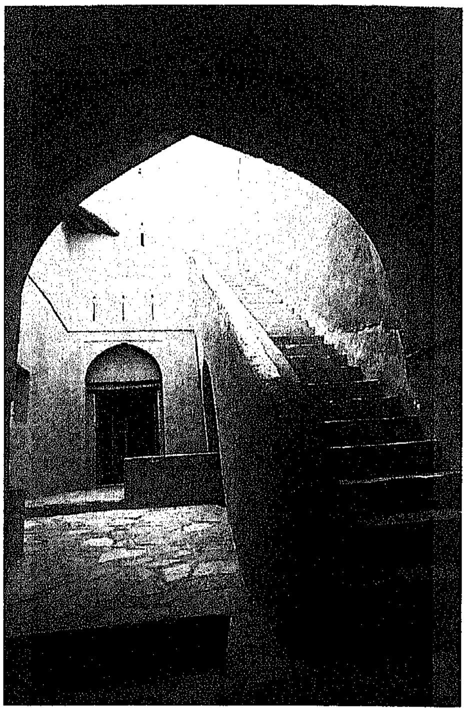
بحلول أوائل القرن السابع عشر كانت السيطرة البرتغالية في المحيط الهندي تواجه تحديات متزايدة من قبل القوات المحلية، فقد سقطت هرمز في أيدي الفرس في عام ١٦٢٢م، بينما استولت القوات العمانية على جلفار. واعتمد البرتغاليون على قاعدتهم شديدة التحصين في مسقط وواصلوا منها تطبيق نظامهم باصدار تصاريح «سلامة المرور» للسفن التجارية العابرة مقابل الحصول على مبالغ كبيرة من المال.

وقد تلت ذلك فترة توتر شديد بين البرتغاليين والسكان المحليين. (كان ذلك هو الوقت الذي تم فيه بناء الجدار الرئيسي لمدينة مسقط). وحاول الفرس، بتشجيع من النجاح الذي أحرزوه في هرمز، الحصول على بعض المكاسب واستطاعوا السيطرة على صحار لكنهم أخفقوا في طرد القوة الأوروبية من مسقط. وقد قام الأدميرال روي فراير دي أندراد الذي قاد قواته للدفاع عن مسقط بالزحف على صحار لاستعادة الميناء. وعندما لم يتمكن



قلعة بهلا.





قلعة الرستاق.

أندراد مـن شن هجـوم على هـرمز من الجبهـة الأمامية، اكتفى بتعـزيز احـدى القواعـد فـي خصب بشبـه جـزيـرة مسنـدم، وقـام منهـا بمحاصـرة هرمـز انتظاراً لـوصول التعزيزات من جوا.

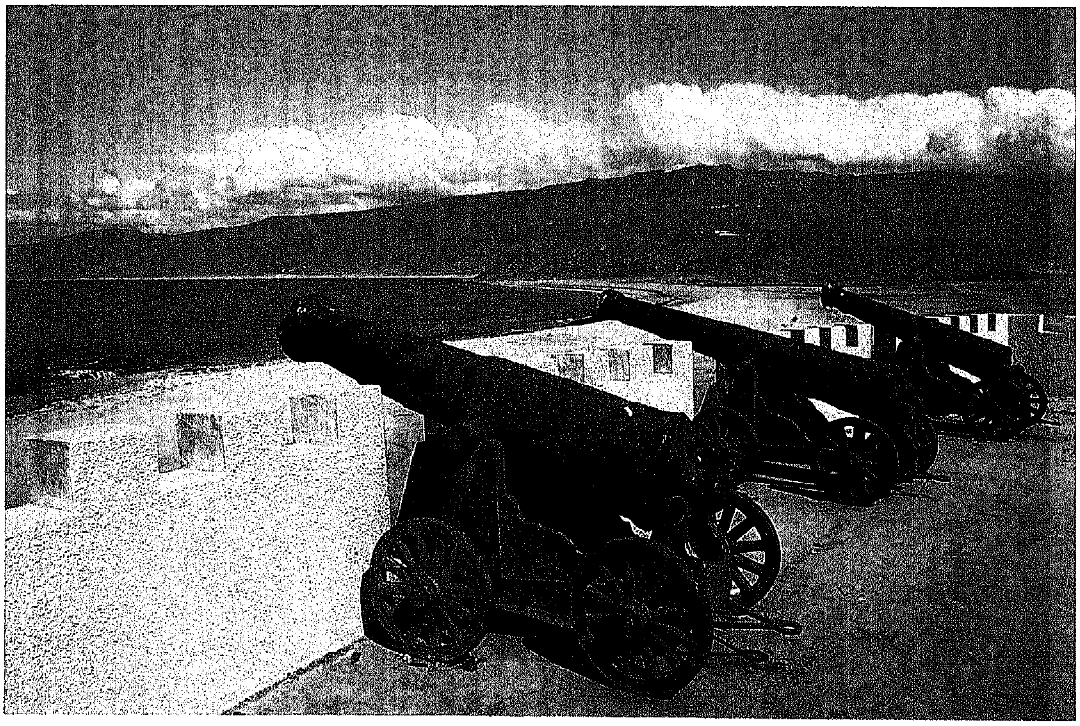
وبحلـول عام ١٦٢٤م ضعفـت مكانة الفرس إلى حد أنهم طلبوا من القوات البحرية الأوروبية المنافسة التابعة لهولندا وانجلتـرا مساعدتهم فـي طـرد البـرتغـاليين. ونشبـت معركة بحرية كبرى فـي شهر فبراير ١٦٢٥م دامت لمدة يوميـن وتحدى فيها اسطول فـارسي هولنـدي انجليزي مشترك القوات البحرية البرتغالية.

وكانت خسائر الطرفين كبيرة لكن الاسطول الانجليزي الهولندي الفـارسي كانت لـه اليد العليا لأنه كـان يستطيع اصـلاح سفنه وتمـوينهـا في مينـاء جـو مبارون (بنـدر عباس) القريب بينمـا لم يكن أمام البرتغاليين سوى ميناء مسقـط البعيد يستطيعـون الـرجـوع إليه. وبـدلاً مـن أن ينسحب الأسطول البرتغـالي بقيادة نونو الفاريـز بوتيلهو مـن المنطقة مكـث عند مـدخـل الخليج فـي انتظار عـودة الاسطـول المشترك. وفـي ٢٣ فبـرايـر اشتبك جـزء مـن اسطول الحلفـاء في معـركة مع البـرتغاليين في محـاولة يـائسة لاغـراق بارجـة الأدميـرال. ومع ذلـك فقد نقصـت الذخيرة لدى الطرفين ولم تكن النتيجة حاسمة.

الإمام ناصر بن مرشد

(إمام من عام ١٦٢٤ إلى عام ١٦٤٩م)

انقسم الاسطـول البرتغـالي بعـد المعركـة، حيث عـادت العديد من السفن إلى قاعـدتها الحصينة في جوا بالمحيط الهنـدي، بينما ظلـت بارجـة الأدميرال وعـدد صغير مـن



قلعة مرباط المطلة على البحر.

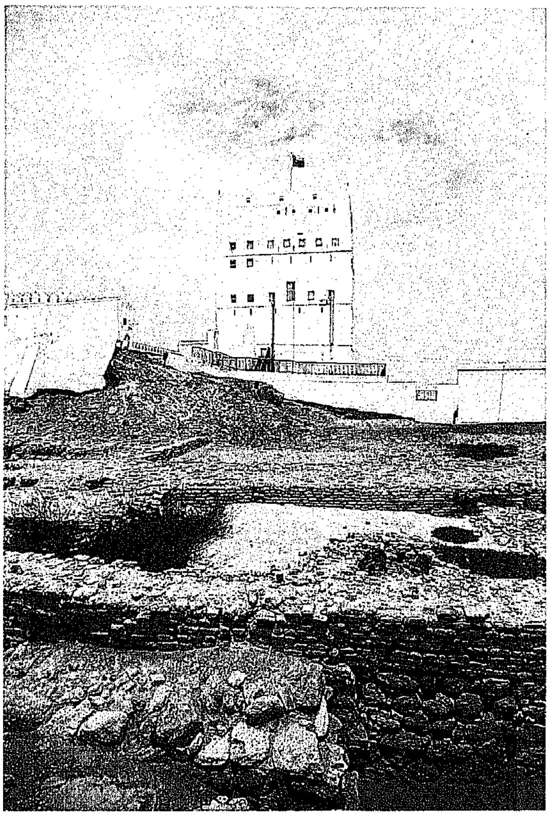
السفن للدفاع عن مصالحهم في الجزيرة العربية. وفي هذا الوقت كانت تتعرض للهجـوم من البر والبحر ونجح القائد العمـــانـــي الإمام ناصر بن رشيد (الذي تم انتخابه حاكماً لعمان فـي عام ١٦٢٤م) فـي شن عـدة هجمات بـرية ضـد المعاقل البـرتغالية. وفي عام ١٦٣٣م استولـى على القلعة الموجودة في جلفار (في رأس الخيمـة) والتي تم انشاؤها منذ ثلاثـة أعوام فقط بناءاً على أوامر الأدميـرال روي فرير دي أندراد. وفـي العام التالي استـولت قواته علـى صحار، وتمكن بعـد مضي عشر سنـوات أي في عـام ١٦٤٤م من طرد البرتغاليين من قلعـة رأس مسندم في خصب. وكادت احـدى محاولات طـرد البرتغـاليـين من مسقـط في عـام ١٦٤٨م أن تنجح فقد تمـت محاصرة المدينة بـأكملها من ١٦ أغسطس إلـى ١١ سبتمبر وأجبـر البرتغـاليون علـى قبول شروط السلام التي قدمها الإمام، ووافقوا على تدمير تحصيناتهم في صور وقريات والغاء الضرائب المفروضة على العمـانيين وتـدمير الحصـون الخارجيـة في مسقـط ودفع تعويض مالي قدره ٢٠٠٠٠٠ باردوس.

وقد بدا مـن المؤكد أن النهاية وشيكة الـوقوع، ولكـن البرتغاليين بعد أن وافقوا فـي البداية على شروط السلام أعادوا التفكيـر مـرة أخـرى، ومن ثـم تمت محـاصـرتهم مرة أخرى ولـم يتم اجبارهم علـى الحضـور إلـى خيمة المفاوضـات حتى ٣١ اكتـوبر ١٦٤٨م. وقــد تمخضت الشروط الجديدة عن طرد القـوات البرتغالية مـن قلعتهم فـي مطـــرح والغـاء الضرائـب وعقد اتفـاقية للتجـارة الحرة والتعهد بعدم قيام البرتغـاليين ببناء أية تحصينات جديدة خارج مسقـط. ولم يدم انتصار الإمام ناصر فترة طويلة، فبمجرد وصول الاسطول البـرتغالي من جاو في نوفمبر ١٦٤٨م نقض البرتغاليون نصوص المعاهدة في محـاولة منهـم لـلاحتفـاظ بسيطرتهـم عـلى مسقـط وتعزيـز قاعـدتهم في خصـب بشبـه جزيــرة مسنـدم. وقـد توفى الإمام نـاصر في عام ١٦٤٩م قبـل أن ينجـح أبـن عمه وخليفتـه سلطـان بن سيـف اليعـربي بفتـرة قصيرة في طـرد البرتغاليين من مسقـط وتدعيـم حكـم أسرة اليعاربة في مسقط.

الأمام سلطان بن سيف اليعربي

(من حوالي عام ١٦٤٩م إلى عام ١٦٦٨م)

يصـف حميد بـن محمـد بـن رزيق فـي كتـاب «الفتـح المبيـن» هــذا الانتصـار العمانــي الشهيــر علـــى البرتغاليين كما يلي:

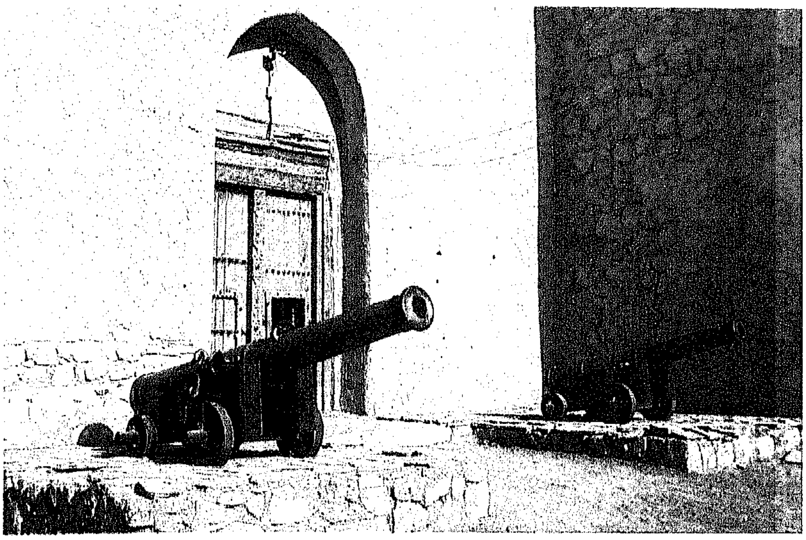


قـال المصنف السـائل ربه عنـه وعـن المسلمين، أهـل الاستقامـة في الديـن دفع كـل ضير وضيق، حميـد بن محمـد بـن رزيـق، أخبـرني غيـر واحـد مـن الثقـات المسنين، الـذين نشأوا في زمـان سلطان بن سيـف بن مالـك اليعربي، رحمـه الله. فاتفقـوا في الروايـة معنى، واختلفـوا لفظـاً، فكـان معنـى كلامهـم اللفظـي والمعنـوي، أن الإمـام سلطـان بن سـيف بـن مـالـك اليعربـي المذكور لمـا توفى إبن عمـه الإمام ناصـر بن مرشـد لم يمكث بعمان بعـدما خلصت لـه الإمامـة إلا أيـامـاً معـدودة إلى أن أسـرع الوثبـة لحرب النصـارى الذين بيدهم زمام بلـدة مسقط، ومطرح، وهـم المسمون البـرتكيس (البـرتغـاليون)، وولاتهـم، مـن الهندجـوة (الهنود)، وهـم يومئذ أشـد النصارى قوة فـي المملكة والسلطــان، وإليهم سـائر النصارى عضـداً وأعوانـاً، ولكن لكـل زمـان دولـة ورجال، فكـان معسكر الإمـام سلطان بن سيــف، لما عزم على حربهم، بطـوى الرولة



بالقرب من مطرح إلى سد روى، ومعه من الجند خلق كثير، فطفق جنده يغزون البرتكيس صباحاً ورواحاً، وهم مستعدون لحربه، لم يظهروا له الجبن ولا الاذعان، وقد أفعموا حصني مسقط وبروجها وسورها وجبالها برجالهم الشهيرة بالصبر على القتال، وحدّ غزوات عسكر الإمام سلطان بن سيف عليهم إلى بير الراوية من مسقط، إذ هم قد بنوا على رؤوس جبال مسقط بروجاً، وأكمنوا فيها رجالهم، أهل التفق (البنادق)، فكل من اقترب منهم من عسكر الإمام رموه برصاص التفق، وقد نصبوا في الهواء سلسلة من حديد، عليها سور من حديد من البرج المسمى الآن برج والدى محمد بن رزيق إلى البرج المسمى الآن المربع، فلم يزل من كمنوا في سرر تلك السلسلة المذكورة يرمون من اقترب منهم من عسكر الإمام برصاص التفق، وقد قبضوا الجبل المسمى السعالىّ، من أوله إلى آخره، وقبضوا جبل المكّلا من أوله إلى آخره، وصوت التفق من الكامنين في الجبال وسائر المقابض لا يفتر لا سيما إذا جنّ الليل، وحراسهم وجواسيسهم يترددون عليهم بالأخبار بالليل والنهار، قد أخذوا من حزمهم الغاية، وبلغوا من الحذر النهاية، وقد أفعموا الصيرتين برجالهم المتقنين ضرب التفق والمدفع، فما تركوا للدخول عليهم سبيلاً.

فكانت الحرب يومئذ بينهم وبين الإمام وعسكره سجالا، لا قدرة للبرتكيس أن يخرجوا الإمام وعسكره من مطرح، ولا قدرة للإمام وعسكره أن يدخلوا مسقط على النصارى، بل كانت عسكر الإمام تدلف لهم، فيقتلون من يرونه حذاء الراوية في الأرض، ويقتلون من يرونه سائحاً في المكان الذي يسمى حلة العجم، والبحارنة، ونحوهم، ويرفعون أصواتهم إلى من بالسور من البرتكيس، ناجزونا، بارزونا، فإن الشجاع مع الحرب لا يتحصن بالقلاع والنيران، ويعيرونهم طويلاً، فلم يخرج إليهم منهم أحد لعلمهم أنهم ليسوا كفئاً لهم على المبارزة بالسيف ولا الرمح، ولا يمنعهم عن الدخول عليهم غير التفق والمدفع، فطالت الحرب بينهم على تلك الحال حتى كاد الإمام وحزبه أن يثنوا عزيمتهم عنهم لعدم القدرة على الدخول عليهم، حتى جرى بين البرتكيس وعابد البقر (طائفة من الهنود)، وهو المشرك المسمى «نروتم البانياني»


إس كاي

مدخل قلعة نزوى.

الشقاق في المصاهرة والتزويج.

وذلـك أن نروتـم المـذكور كـانـت لـه بنت جميلـة الصـورة، قـد خطبهــا مــن أميــر البرتكيس علــى لسـان رجل من شمـاستهـم (من قسس النصـارى) وطموسهم الـملازم لكنيستهم التـي بالحصن الغربي، وكان اسم أميرهـم المذكور فرفرة، وقيل الفـريرة، فما رضـي نروتـم أن يزوجـه بابنتـه، وقد بـذل الفريـرة البرتكيسـي مـالا عظيماً، فأبـى عن ذلك، فكان جـوابه لرسـول الفريـرة، ان هـذا الشـأن الـذي يـريده منـي السلـطان لا يليــق بـه ولا يليق بي، إذ هـو نصرانـي المـذهب، ومـذهبي غيـر مـذهبه، فهـو وأهل مذهبـه يحلـلون شـرب الخمـر، وأكـل لحـم البقـر وسـائـر الحيـوان غير الناطـق، فما في القديم ولا فـي الجديد زوجنا نصرانياً، ولا زوجنا نصراني.

فقـال له رسـول فـريره، لا ينبغـي لـك أن تخالـف الأمير، وهـو قد أحسـن إليك غـاية الاحسـان، وأعطاك مفـاتيـح حوانيت الحصـن، وغيـرها ووكلـك المــال والبلاد، وفـوض إليك الحـل والعـقد، فهــو يقـول، إن لم تـزوجه طوعـاً زوجته بها غصبـاً، وفعل بك مـا لـم يفعـل بأحـد قبلـك مـن التعزيـر والغرامــة وسـائـر العقوبـة المهلكـة لـك ولأهـلـك فأطعـه ولا تخالفـه، فـإن مـن خـالف الملـوك العظـام أسلمـته مخالفتــه للحمام.

وأكثر عليه رسول الفريرة بمثل هذا الكلام.

فلمـا رأى نروتـم، لا تنقذه مـــن شـر الفريـــرة إلا الحيلة لَيّن للـرسول الجانب ومـوّه له الطاعة وقـال له، أمض أمـامي إليـه، فإننـي جعلت في هـذا الشأن، وإن شـان معولـي عليه، فليطلـب من قبلـي نفسـاً، وأنـت كـذلك، فلمـا سارا إليـــه وجـداه بـارزاً برزة عظيمـــة بقومه في الجزيرة.

فلمـا سلـم عليـه تسليم رعـايـا النصـارى لملـوك النصارى أخـذ بيدهما، وفسـح بعسكره المحدقين به، فصعد بهمـا إلى غرفة الجـزيرة، فقال، ما خطبكمـا في الخطبة، فقـال له نـروتم، اعلـم أيها الأميـر، أن الأمـر الذي جاءني رسـولك به فهو علىّ يشق، لأجـل المباينة فـي المـذهب بيننـا وبينكم، وعـدم العـادة، فـــإذا كـان ولابد مـن ذلك فـامهلني إلى سنـة حتى أحلـى ابنتـي الحلى التي تلبسها نساؤها اللـواتي لم يمسسهن بعـل وهـذه الصيغة المحكمـة لا يقدر علـى نظمها إلا بعـض صـوّاغ بلـدة ناجنة، وقبـل خروج هذه السنـة، ودخول الثانيـة لا يسـهل نظـم الصيغـة المحكمـة، وكـلّ ما هو آت قريب، وإني لك لــمن الناصحيـن العـارفيـن بعواقب أمور الحـرب، وما فيها من الـراحة واللغـوب، فـإن ملك عمان، سلطـان بن سيف، مــا رفـع عنـك السيـف، فهو كامن لـك برجال كالصـلال، وعساكره تتـرى إليه من عمان، يرجوك أن تبارزه، وأنـت متقهقر عنه، لا قدرة لك على مبارزته، فصـرت كالذليل، وصار كالعـزيز القوي، فعلى هذا الشـأن أخشـى أن يهجـم عليك هـو ومن معه من العسـاكــر، فيقتحمـون سور البـلاد كالآسـاد، فهو الآن على مـا يرجحه ظني ينتهـز الفرصة للهجـوم على البلاد، والـدخول مـن أبــواب السور قسراً، فـإنهم إذا أقلوا عليه السلالم، فلا أشــك أنهم يبلغون فيك مرادهم، فـلا يبقـى معـك إلا الحصنـان، الغـربـي والشـرقـي، فيحصـرونك حينئـذ أشد حصـار، وتنقطـع عنك مـادة الانتصار، لا سيمـا من قبـل الماء العـذب، فإنـه ليمنعه عنك، فتبقى أنـت وأصحابـك فـي أشد عطـش، وهيهات أن يصبر محصور علــى عـدم الماء، وبه حيـاة النفس، فإن المـاء الذي هو في بـرك الحصنين والصيرتيـن ماء قديم، تسبح فيه الديـدان المضرة بالأحشاء، فعلى طول مدة الحصار لا يسـلم من شرها المحصور الشارب من مياه هـذه البرك، والثـانية أن البـارود والزاد الـذي في الحصنين والصيرتين صـارا قـديمين،فالأولىّ أن تنزف المـاء منهـن، وتغسل البـرك قبل الحصـار بماء جـديد عـذب، وتخـرج البـارود منهـــن، فتصلحــه بالــدق، وتخـرج منهن الطعـام القديـم، فتـدخل فيهـن طعامـاً جديـداً، فإننا إن أدخلنا الطعام الجـديد مع الطعام القديم دخل دود الطعـام القديـم في الطعـام الجديـد فيفسده، وتحصل منه الاسقام المفضية إلـى الحمام، وأكثر عليه مثل هذا الخطاب في هذا الباب.

فلما سمع الفريـرة منه ذلك قلده في جميع مـا قال له من الأمر، وتخيلت له هذه الخـديعة منه نصيحة خالصة، فأمهله التزويج كما طلب إلى سنة.

فلما أخرج نـروتم ما في الحصنين والصيـرتين من

الماء والزاد والبارود قاطبة كتب إلى الإمام سلطان بن سيف بسرعة الوثبة إلى مسقط، وأنفذ الكتاب بيد رجل من أصحابه سراً، ومعنى كتابه له، أنك يا إمام عمان، طالما حاصرت البرتكيس، وأنت في مطرح، وهم في مسقط، فما أجدتك المحاصرة شيئاً، إذ هي لا شيء، فالرأي السديد، إذا كان يوم الأحد من هذا الشهر أسرع الوثبة إلى مسقط، فإني صنعت بهم كذا وكذا لما أرادوا أن يصنعوا بي كذا وكذا من قبل الصهرية، فالآن لا ماء ولا زاد، ولا بارود في الحصنين والصيرتين، وإنما القوم في يوم الأحد، وهو يوم عيدهم لا يحملون فيه السلاح، لاشتغالهم بشرب الخمر والنفخ في الزمر، فإنك إذا دخلت رقعة مسقط بلغت منهم المطلوب، وفي حال دخولك، اركض أنت وقومك على الكوتين والحصنين، فاحرق أبوابها المغلقة بالنار، فإن البارود الذي فيهما قد أخرجته، وأدخلت عوضه باروداً صبّ عليه الخل فلا يجديهم بشيء، وإياك والمهلة بعد اليوم الذي ذكرته لك، فإنك إن نبذت كلامي وأخذت بكلام غيري، وكلامه ضد كلامي، لم تبلغ المطلوب، ولو حاصرتهم سنين.

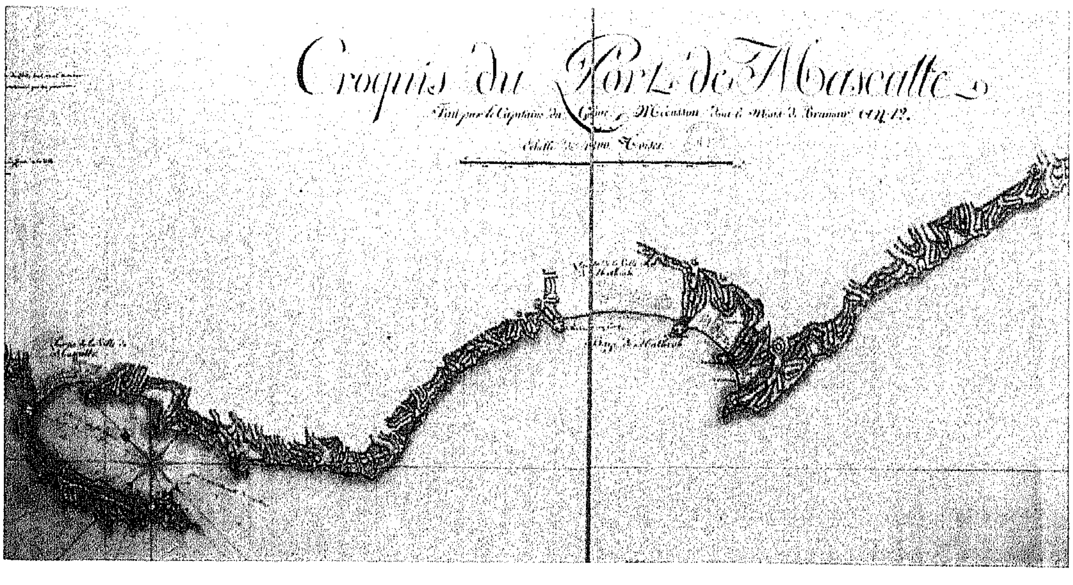
فلما قرأ الإمام الكتاب وأسمعه الآتي بنصيحة نروتم، وما صنعه في البرتكيس من الحيلة بعد ما كان فيه منهم من قسرية التزويج والتكليف على المصاهرة، وحلف له بالله العظيم، أنهما في قولهما له من الصادقين، أجاب الآتي بالكتاب بامتثال الأمر، وأخفى الخبر عن الخاصة والعامة، فرجع الآتي بالكتاب إلى صاحبه مسرور القلب، قريراً.

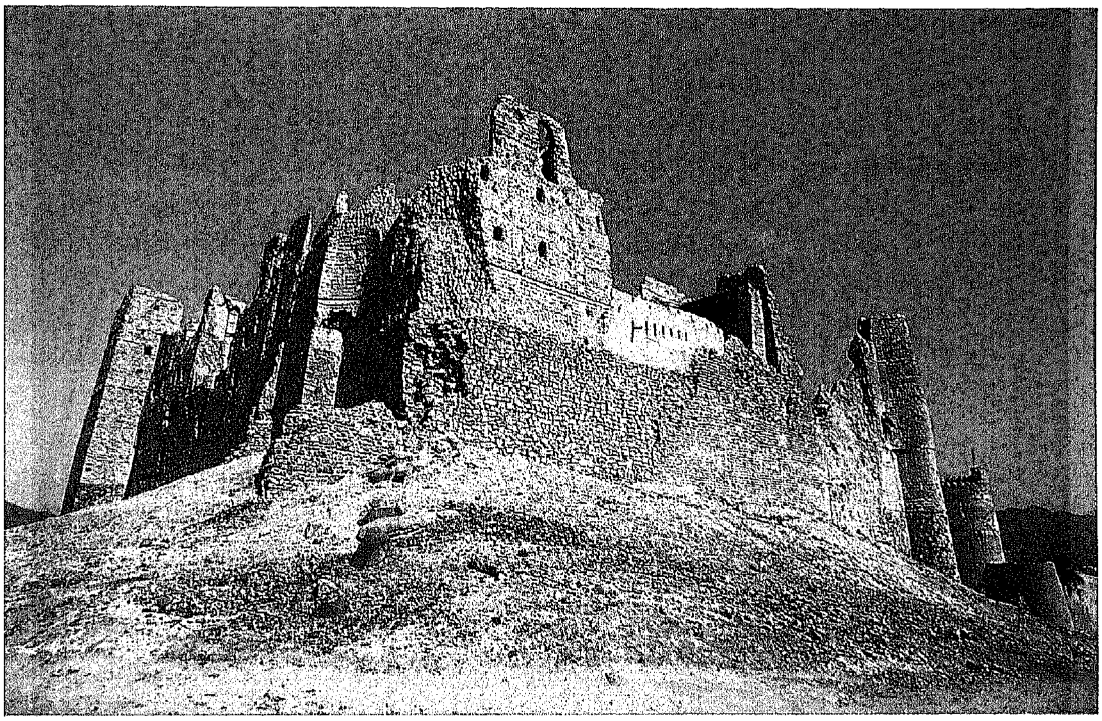
فلما أخبر نروتم عن امتثال الإمام إليه، وأنه عوّل على ما عول عليه انشرح صدره، وكاد من السرور المستلاح أن يطير إلى الإمام بلا جناح.

فلما كان يوم الأحد من الميعاد صلى الإمام بالقوم صلاة الضحى، وصلاة الحرب بعد صلاة الضحى، وسأل الله له وللمسلمين بعد الفراغ من الصلاتين النصر والفتح المبين على المشركين، فنهض بقومه جميعاً، وأسرع بهم الوثبة.

فلما بلغوا إلى رأس عقبة الوادي الكبير من جبال مسقط أخذ منهم البيعة على التسور للسور والركضة على الكوتين الحصنين، وسائر المقابض التي بيد البرتكيس من حد مسقط إلى مطرح، فبايعوه على التفصيل والجملة.

فلما أخذ البيعة منهم مشى أمامهم، وهم يكررون، الله أكبر، اللهم انصر المسلمين الاستقامية، على البرتكيس أهل الحرلحيه، حتى إذا كانوا تحت السلسلة المنصوبة جعلوا يضربون من في سورها برصاص التفق والحجارة، فلم يلتفت إليهم أحد بضرب تفق ولا برمي حجارة، قد أغل الله أيديهم عنهم فانصرفوا عنهم، فلما وصلوا إلى السور أقلوا عليه السلالم، فملكوا أبواب السور كلها، ولم يكن من البرتكيس غير العربدة بالسكر، لا تصل أيديهم لقبض السلاح، فضلاً عن الضرب والطعن به، فوضع المسلمون فيهم السيف وطعن الرماح،





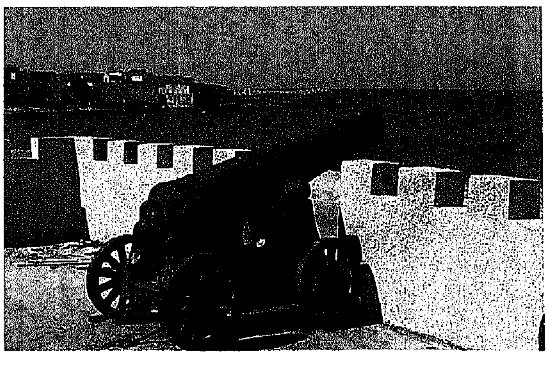
قلعة بهلا.

فتركوهم صرعى، كأعجاز نخل منقعر، ثم انقسموا قسمين، قسم ركض على الحصن الغربي، وقسم ركض على الحصن الشرقي، فأقلوا عليهما السلالم، فلما شرع من فيهما إلى ضرب المدافع خانهم البارود، فما شعروا إلا والسيوف تقد جماجمهم وحناجرهم والرماح والخناجر في صدورهم.

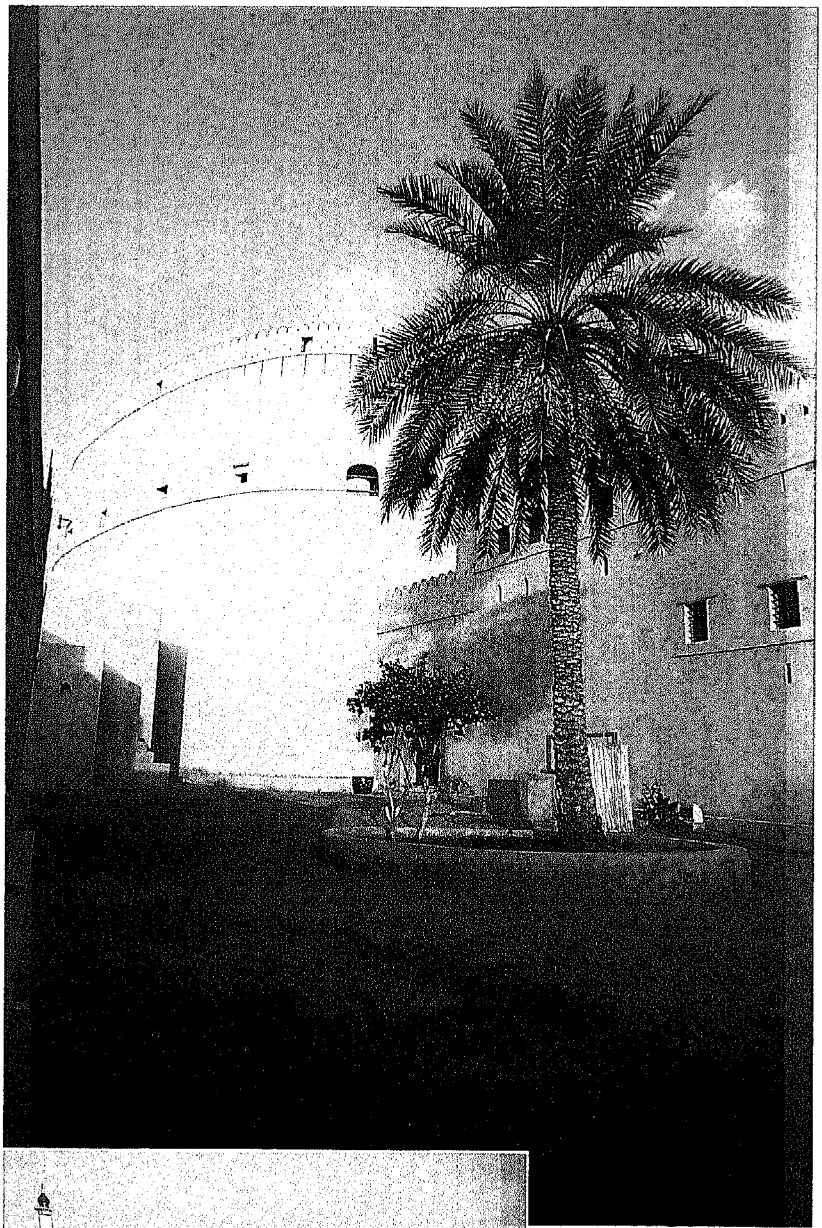
فملك الإمام وقومه السور والحصنين والصيرتين وسائر المقابض إلا البرج المسمى بإسم أميره، كبريته، وكان كبريته من شجعان البرتكيس، فظل يحارب الإمام وقومه، ويركض عليهم إذا وجد الفرصة للركضة ومعه من أصحابه رجال عدة، فهجم ذات يوم على المسلمين القابضين بالجزيرة فخرجوا إليه، فانكسر عنهم، فتبعوه حتى إذا كان بسوق البز وقف وقفة شديدة، فأشرعوا فيه وفي أصحابه الشرع الرماح، والبيض الصفاح، فقتلوه ومن معه جميعاً، وأراح الله المسلمين منه ومن أصحابه المشركين.

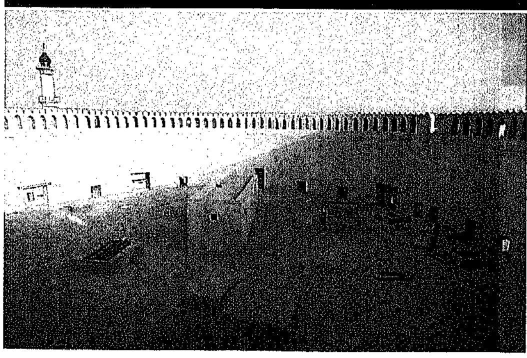
ثم إن الإمام أمر بعض أصحابه الركضة على القابضين حصن مطرح من فئة البرتكيس، فما استتم كلامه إلا وأميرهم قد أقبل إلى الإمام يريد منه الأمان، فأمنه الإمام على قبض الحصن منه، فسلمه إلى الإمام، ونهى عن قتله وقتل أصحابه، وما بقي للإمام منازع من البرتكيس إلا أهل مركبين عظيمين من مراكبهم، فمضى أحدهما إلى مطرح، فطرح أناجره (مرساه السفينة) بعيداً من الحصن، وجعل يضرب البلاد بالمدافع، والحصن يضربه، فلم يصبه رصاص مدفعه لابتعاده منه، والثاني جعل يضرب الرقعة الداخلية من مسقط، فبلغ رصاص مدافعه إلى أقصى سداب.

فلما أكثر من الأذى أمر الإمام المسلمين بالركضة عليهم، فاعتذروا له وقالوا، لا يركض على



أحد المدافع في مرباط.





قلعة نزوى، وفي الصورة الصغيرة، سقف القلعة.

المـركـب العظيم إلا مـركـب مثلـه، فقـال لـه صـاحـب المغيـوث، أيهـا الإمام، إن الأرواح نفيسـة، لا تبـاع إلا بالمـال الجزيـل فعليك المـال وعلي الـرجال، فأجابـه الإمام على ذلك.

فمضى صـاحـب المغيوث إلـى عمان، فانتخـب منها مائة رجـل في فمهـم الحمام ألـذ من المـدام في أهـل المدام، فلمـا أقبل بهم إليـه، وأجزل لهم المـال ركضوا على المركبيـن المذكورين على سفـن صغار فنصرهـم الله على الكفـار فاستـأصلوا المركبـين، وقتلوا مـن فيهما من المشركين.

ثـم إن الإمام ولـى علـى مسقـط سيف بـن بلعـرب اليعـربي، وتـرك معه عسـاكر جمـة، وأمـره بالحـزم والأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر، ونـزول الرعيّـة في الحكم بـالسويق، ورفع الجـزية عن نروتـم وأهـل بيته جزاء إعانته إليه وإلى سائر المسلمين.

وبعـد نجـاح الإمـام سلطـان بـن سيـف فـي طـرد البرتغاليـين من عمان، شرع فـي ملاحقتهم في المـواقع الأخرى من المحيط الهندي معلنـاً الحرب المقدسة عليهم وقام بتعـزيز التحصينات الـرئيسية وكان مسـؤولاً عـن بناء أول قلعـة برجية دائرية فـي نزوى وهي القلعـة التي استغرق بناؤها ١٢ عاماً.

وسـرعـان مـا أدرك حكـام عمـان اليعـاربـة، وعبـرة ودروس تجربـة القوات البحـرية البرتغـالية لا تـزال في ذاكرتهـم، مدى أهمية الاحتفاظ بـاسطول بحري حـديث يضـم سفنـاً بحـريـة تستطيع حمـايـة مصالحهـم فـي المحيـط الهندي وفـي الخليج. وقـد سـاعدهـم في ذلـك استيلاؤهـم على السفن البرتغـالية والأسلحة فـي مسقط وحقيقة أن البـرتغاليـين لم يعـد لهم ملجـأ مأمـون علـى امتداد سـواحل عمـان. وبينما تم الانتصـار في المعـركة البريـة فإن المعركة البحـرية لم تنتـه بعد فقد كـانت لدى البرتغـاليين قـواعد هـامـة في المحيـط الهندي وكـانوا لا يـزالـوا يغيـرون علـى السفـن العربيـة أثنـاء قيامهـا بالتجـارة بين الهنـد وأفريقيـا والجزيـرة العربيـة ومصر ودول الخليج.

ومـع ذلـك تزايـد تعرض البـرتغاليـين للهجـوم مـن جانـب السـفن العمانـيـة التـي قامـت بمهاجمـة الحاميات الموجودة فـي بومباي في عام ١٦٦١/١٦٦٢م وفي ديـو في عـامي ١٦٦٨ و١٦٧٦م وفـي باسيـن فـي عام ١٦٧٤م وفـي كونـج (على السـاحل الفـارسي) في عام ١٦٧٠م.

وفي أفـريقيا تعرض المعقل البـرتغالي في مـوزمبيق للهجوم في عام ١٦٧٠م.

وبعد ضـغـوط متواصلة مـن البحرية العربيـة دامـت ٢٨ عاماً تم في عام ١٦٩٧م الاستيلاء على قلعـة المسيح في مومبـاسا. وبالرغم مـن هذا النجاح فقد عـانت السفن العمانيـة الكثير علـى يد البـرتغاليـين وذلك خـلال فترة



مكتبة شيستر بيتي، دبلن

خريطة تبين عمان والجزيرة العربية والمحيط الهندي الذي يسيطر عليه البرتغاليون مأخوذة من كتاب الأطلس لبلاو، ١٦٦٢م.

القلاقـل البحرية الطـويلة هذه وتم وصــف الوضـع بــأنه «متجمد ومكلف وضار للطرفين» (بوكسر، ١٩٦٩).

وعلى الرغـم من أن المعركة ضــد البرتغاليين لـم تنته بعـد، فـإن الفـوز السـاحق فـي مسقـط وطـرد القـوات البرتغاليـة من الموانيء السـاحلية العمانية قـد ترك هذه الموانيء تحـت السيطرة التامة للـوكلاء التابعين لـلأئمة اليعاربة الذين ظلوا في المدن الداخلية مثل نزوى وبهلا.

وهكـذا أصبح مـن الممكـن الآن أن تفرض السلطـات المحلية الرسوم الجمركيـة وأن تسيطر سيطرة أعظم على التطور والتقدم الذي يحدث في مناطقها.

وقد كتـب المـؤرخ العمانــي حميد بن محمد بن رزيق ما يلي عن هذه الفترة:

أن عمان اعتمرت فــي أيام دولته وزهرت، واستـراحت في عصــره رعيتــه، ورخصت الأسعـار، وصلحـت الأسفـار، وربحـــت التجـار، وسـدت الأثمار، وكـان متـواضعـاً لله الواحـد القهار، رؤوفـاً بالرعيـة صفوحـاً عنهم عمـا جاز الصفح فيـه شرعـاً، ولم يكـن متحجباً عـن رعيته، وكـان يخـرج إلى الطـريـق بغير عسكـر ، ويجلـس مع النـاس ويحدثهم، ويسلم على الصغير والكبير، والحر والعبد.



من منتصف القرن السابع عشر حتى القرن العشرين

الإمام بلعرب بن سلطان

(من حوالي عام ١٦٦٨م إلى عام ١٦٩٢م)

عند وفـاة الإمام سلطـان تم اختيـار أبنه بلعـرب امامـاً، ومرت الأمـور سلسة لبعـض الوقت وقـام بلعرب بـدعم هيكل الاصلاحـات الاجتماعية وحركـة النمو الاقتصادي وهي من العلامـات التي كانت تميز فترة حكـم أبيه وقام بتأسيس وتمـويل كلية في نزوى ووفر التعليـم المجاني للطلاب المسجلين بالكلية.

وفي النصـف الثاني من فتـرة حكمه نشأ شقـاق بينه وبين أخيه سيف بن سلطان تسبـب في وقوع اضطرابات خطيرة. وفـي النهاية هيمـن سيف وتم اعــلان تنصيبـه إمامــاً على عمـان بينما كـان بلعرب لايـزال يحمل هـذا اللقـب. وأخيـراً حاصـر سيــف بلعـرب عنـد جبريـن حيث قتل الأخير.

سيف بن سلطان

(من حوالي عام ١٦٩٢ إلى عام ١٧١١)

إن أحد المعـايير التـي تعبر عـن كيفية نجـاح عمان فـي تجارتهـا الدوليـة تتضح من حقيقـة أن الإمام سيـف بن سلطـان، الذي امتـد حكمة عبـر القـرنين السـابع عشـر والثامن عشر (١٦٩٢-١٧١١م)، كـان يمتلك ٢٨ سفينة مختلفة تتضمـن سفينة حـربية واحـدة مجهزة بثمـانية مدافع هي سفينة «الفلك» و٧٠٠ شخصاً.

وقد قام العاملون لديـه بغرس حوالي ٣٠٠٠٠ شجرة نخيل فـي عمان في ذلـك الوقـت بالاضافـة إلى ٦٠٠٠ شجرة من أشجار جوز الهند.

ويوجد تقريركتبـه أحـد الزائريـن الانجليز لمسقـط في عام ١٧٠٥م يتحـدث فيه عن ١٤ سفينة حربيـــة في ميناء مسقط و١٥ أو ١٦ سفينة أخـرى في عرض البحر. وطبقا لما جـاء في كتاب ألكسندر هاملتـــون عــن جـزر الهنـد الشـرقيـة والذي نشـر فــي عــام ١٧٢٧م فـإن الاسطول البحـري العمانـي فــي عصـر خامــس الأئمـة اليعاربة، وهو الإمام سلطان بن سيف الثاني، كان يتألف مــن سفــن بتصميمــات أوروبيـة تتضمــن سفينـة حـربيــة واحـدة مجهــزة بــاثنيـن وسبعيـن مـدفعـاً وبارجتين مجهـزتين بستين مـدفعاً وبـارجة واحــدة مجهزة بخمسيـن مدفعـاً و١٨ بارجـة مجهزة بمـا يتراوح بيـن ١٢ و٣١ مدفعـاً وبعض السفن الصغيرة المجهزة بأربعة إلى ثمانية مدافع.

لكن ما كان يعتبر في عيون حكـام عمان نشاطاً بحرياً شرعياً كان يعتبره الذيـن يحاولون السيطرة عليهم أعمال قـرصنة. ولـم يلتفـت أحد إلــى الرعـب والحـرمان الــذي فرضته القوات البرتغالية علــى العمانيين أو إلى جهودهم المفهومة للانتقام لما أصـابهم.

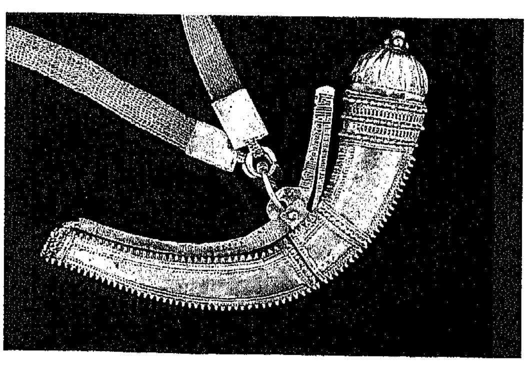
وبينمـا أصر الأوربيـون على آرائهـم المنحازة حـول العـرب، فإنهـم لـم يروا أي خطـأ فـي مهـاجمة سفنهـم وارهـاب أهلهـا. وقد تنحصـر النظرة الأكثـر موضوعيـة في هـذا الخصوص فـي أن العمانييـن كانـوا في الـواقع أكثـر تحفظاً فـي ردهـم وكانـوا مهتمين فعـلاً بـإقامـة علاقـات دولية جيـدة مبنية علـى المعاملـة العادلـة. وقد أصروا عـن حق على الـدفاع عـن تراب عمان وعـن أهلها وثقافتهم ودينهم ضد التدخل الأجنبي.

ومن الغريب تماماً أن يكون نجاح العمانيين في القيام بذلك هو الـذي جعل من بلادهم اليوم مكـانـاً مثيراً يغري الأوربيين بزيارته.

الامام سلطان بن سيف الثاني

(من حوالي عام ١٧١١م إلى عام ١٧١٨م)

تـوفـى الإمـام سيف فـي الرستــاق فـي عـام ١٧١١م، وخلفـه إبنه سلطـان بن سيف الثاني الـذي نـقل قاعدتـه العسكريـــة مـــن الرستـــاق إلـــى الحـــزم. إن القلعـــة الموجـودة هناك هي تـذكار له حيث يقال أنه أنفـق كـل ثـروته علـى بنائهـا. وقــد اتســم عـصره باستمــرار الســلام والازدهار الــذي كانـت عمان تتمتـع به خـــلال معظم سنوات القـرن الماضـي. وقد حـاز الإمـام سلطـان على احتـرام الجميع بصفته حاكمـاً قوياً وعادلاً، وتـوفي في القلعة حيث دفن هناك.



الصراعات في الإمامة

الامام سيف بن سلطان

(حـــوالـي عـــام ١٧٠٨-١٧١٩م، ١٧٢٣-١٧٢٤م، ١٧٢٨-١٧٤٣م)

الامام مهنا بن سلطان

(من حوالي عام ١٧١٩-١٧٢٠م)

الإمام سلطان بن مرشد

(من حوالي عام ١٧٤١-١٧٤٢م)

في أعقـاب وفاة الإمام سلطان بـن سيف الثاني فـي عام ١٧١٨م شهدت عمان فترة من الصـراعات نتيجة للتناز ع على السلطة بين الطوائف اليعربيـة المتنافسة. فقد اعتبر البعض أن سيـف بن سلطـان، الذي كـان لا يزال صبيـاً، أصغر من أن يتولي مقاليد السلطـة وكانت هناك اتجاهات قوية لتنصيب مهنا بن سلطان إماماً.

وقد تمخضـت مقاومـة هذا الاتجـاه عن مصــر ع مهنا وعندئذ ازداد التباس الأمر مع ظهـور عدة مرشحين جدد. وشهدت عمـان صراعاً دام عـدة سنين وانتهى أخيـرا في عام ١٧٢٤بانتصار محمد بن ناصـر الغافري الذي كانت قبيلته فـي تنافس شـديد مع قبيلـة الهناويين التـي كان يتزعمها خلف بن مبارك. ومع ذلك، فلم يدم هذا الانتصار طويلاً لأن خلف بن مبارك تمكن مـن اقناع أتباعه بمقاومة الغافريين، ووقعـت معركة حامية في صحـار لقـي فيهـا خلف بن مبـارك مصرعه وأصيب فيها نصيـره محمد بن نـاصر بجـرح مميت. وفـي أعقاب وفـاة ابن نـاصر فـي مـارس ١٧٢٨م إعيد انتخـاب سيف بـن سلطـان إمامـاً بتأييد من الطائفتين المتنافستين.

وبـرغم ذلـك لم تستتـب الأمـور فقد قـاد أحد أخـوال سيف وهو بلعرب بن حمير المقيـم في نزوى ثورة ضده. وحققت هذه الثـورة نجاحاً جزئياً واستولـت على السلطة في نـزوى وسمائل و إزكـي ونخل والشـرقية والظـاهرة. وبينمـا تم اعـلان تنصيـب بلعرب إمـامـاً فـي المناطـق الداخليـة، كان سيـف يسيطر علـى المناطـق الساحليـة. وهكذا تمت تجزئة السلطنة في عمان.

وقـد أدت الحـرب الـداخلية (الأهليـة) إلـى إضعـاف الأوضاع الدفاعية في عمـان وهي حقيقة لم تكـن لتغيب عن عيون الفرس الذين لـم يغفلوا مطلقاً عـن مصالحهـم فـي عمان. وكـانت ايـران تحـت حكـم نـادر شـاه قــد أصبحــت مـرة أخـــرى قـــوة محليـــة لا يستهان بهـــا حيـث استولـت علـى البصـرة فـي عام ١٧٣٥م وعلـى البحـرين فـي عام ١٧٣٦م. وقـد طلب الإمـام سيف بـن سلطـان المساعـدة مـن نـادر شـاه ليستعيد سيطـرته علـى عمان بـأكملها ودعـاه ليجلب جيشـه إلى البــلاد. وانتصـر الجيـش الفارسـي فـي خور فكان فـي ابريـل عـام ١٧٣٧م، لكن هـذا الانتصـار أفسـدته فـي الحـال تصرفـات القائد الفارسـي لطيف خان وانسحبـت قوات نـادر. وقد أدى الاحتجـاج على قيـام الإمـام سيـف بـن سلطان بدعــوة الفرس لمهاجمـة العمـانيين إلـى اندلاع بعض الاحتجاجات الأخرى علـى حكمه أسهمـت بدورها في معاودة الإمـام سيف طلب المساعدة مـرة أخـرى من نادر شاه.

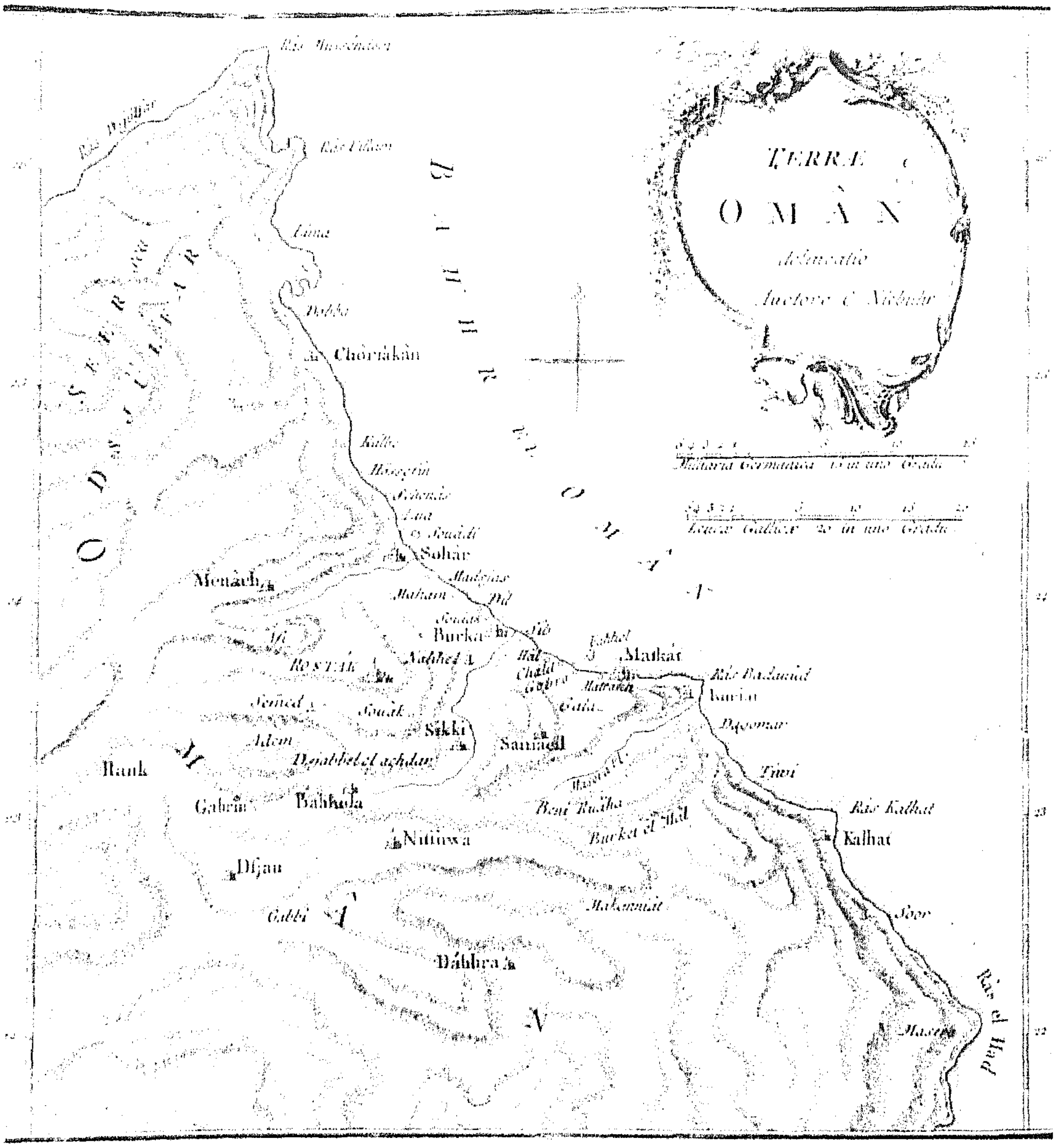
وفي هذه المرة أرسل الحاكـم الفارسي جيشاً قويـاً إلى عمان قـوامه ٦٠٠٠ رجلاً بقيـادة تقي خان ولطيـف خان. وكان هـذا الجيش قوياً وكـاملاً بالتجهيزات والمعـدات ولم تستطع القوات العمانية المنشقة أن تقف في وجهه.

وبحلـول الوقـت الـذي سيطـرت فيه قـوات الجيـش الفارسي على مدينتي نـزوى وبهلا ومدينة مسقط (دون أن تفلح فـي الاستيلاء علـى قلعتيها المحصنتيـن جيداً) كان الإمام سيف قد ندم على هـذه الدعوة. فقد قتل العديد من المدنييـن أثناء تقدم القوات الفارسيـة وانتشر النفور



وزارة الاعلام

الساحة المركزية لحصن جبرين.



خريطة لعمان رسمها كارستين نيبوهر.

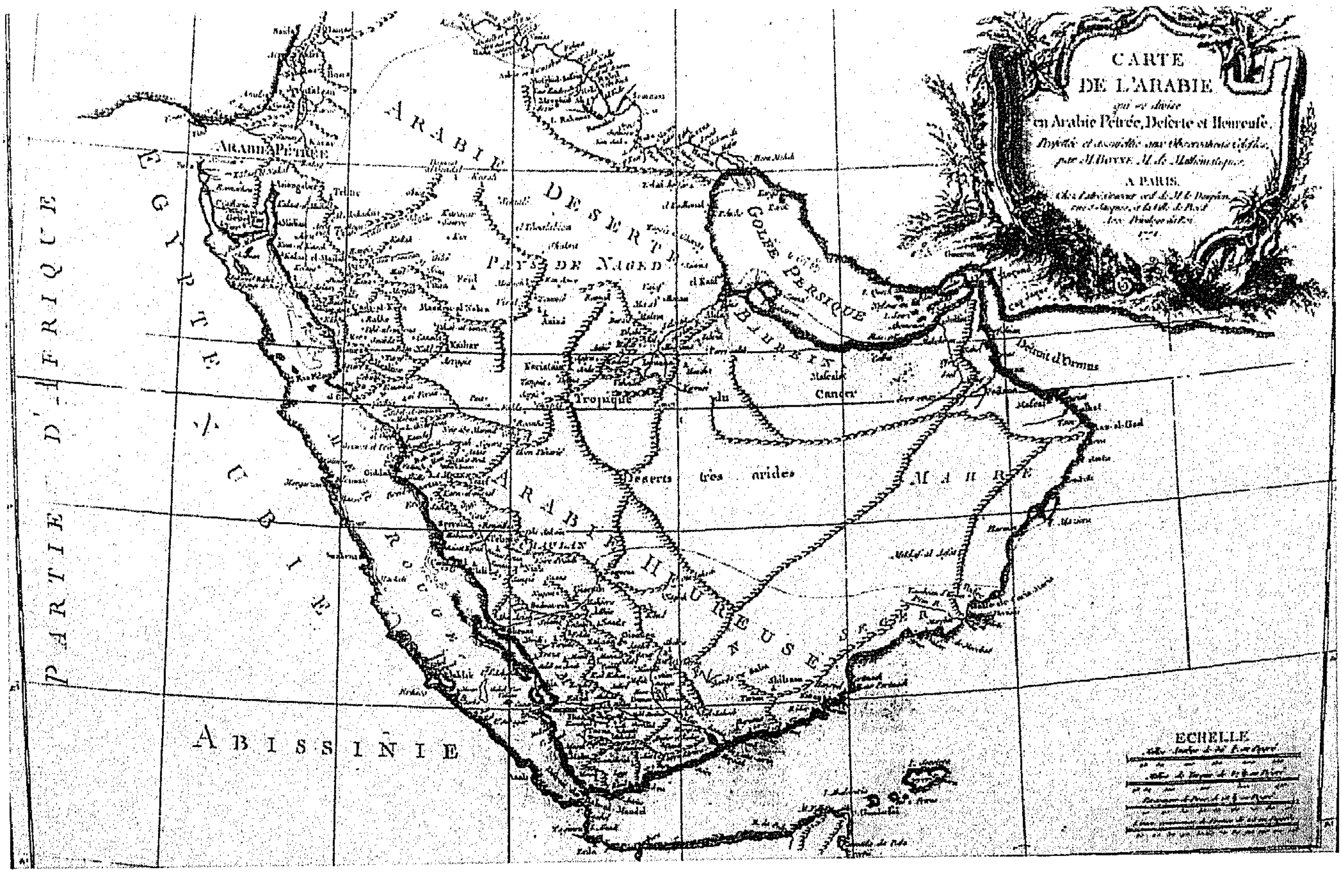
مما حدث. وهرب الإمام سيـف بسفنه إلى أحضان الأمان النسبـي في بـركـاء وقام بتشكيـل فـريـق من الحلفـاء المتآلفيـن قادر على طـرد الفرس. ولتحقيق هـذا الهدف إضطر إلـى الالتجاء إلى عـدوه الأسبق بلعرب بـن حمير الذي استطـاع أن يصل معـه إلى اتفاق لتـوحيد قـواتهما تحت راية واحدة لمواجهة العدو المشترك.

وبينما كـان الأعداء يتحدون كـان الرفاق علـى وشك الانفصـال. فقد وصـل النزاع بيـن القائديـن الفارسييـن ذروته لـدرجة أن تقـي خان دس السـم لرفيقـه السابـق لطيف المتعجرف.

ومرة أخرى أصبحت عمان المتحـدة عسكريـاً في وضـع أفضـل كثيـرا لمجابهـة الغـزو الفارسـي، وتـم استـرداد سمائل وإنهـاء حصار صحـار وتقهقر الجيـش الأجنبي إلى جلفار في مسندم. وفي نفـس الوقت كان نادر شاه يواجـه بعض الصعوبات في بلاده أولهـا ثورة شعب Gombroon، واضطر إلـى إستدعـاء قواتـه. وأخيـراً وفـي عـام ١٧٤٢م استقـر الـرأي على أن الإمـام سيـف بـن سلطـان قد أصبـح ضعيفـاً ولا يصلـح كحاكـم وطلـب مجلـس من القضـاة والشيـوخ من سلطـان بـن مرشـد اليعـربـي أن يتولـى مقاليـد الحكـم. وأيـدت المـدن الـداخليـة، سمائـل وإزكـي ونـزوى وبهـلا قـرار التنصيب الجـديد وهجـم جيش ابـن مرشـد علـى مقـر الإمـام سيـف في قلعـة الـرستـاق وتـم اجبـاره عـلـى الانسحاب إلى مسقط.

وفي نفس الوقت وصل الجيـش الفارسي إلى مسندم حيث قـابله الإمام سيف بعـد أن طلب العون مـرة أخرى مـن نـادر شاه. وفـي مسقـط قـررت القوات البحـريـة العمانيـة تأييـد الإمام الجديـد سلطان بـن مرشـد الذي يحظى بشعبية أكبر. ووافق المخططـون العسكريون في مسندم على أن تقوم سفن الاسطـول الفارسي بهجمتين طويلتين بقيادة كلب علي خـان لمحاصرة صحـار على أن يعود مرزا تقي خان مع الإمام سيف إلى مسقط.

وكان ذلك هـو الحصار الثالث لمدينة صحـار حيث تم الحصار الثاني في عام ١٧٣٨م عنـدما قاد أحمد بن سعيد



(مؤسس أسرة البوسعيد) مقاومة حاسمة. وفي تلك المرة حاصر الفرس صحار عن طريق قطع طرقها البرية ومحاصرة مينائها لمدة سبعة أشهر.

وكانت معركة مسقط دامية وتصدت القوات الموالية لسيف بن حمير في البداية للقوات الفارسية عند نزولها بالقرب من سيح الحرمل ودفعوهم نحو روي. وفي اليوم التالي عاد الفرس لمهاجمة مطرح حيث قابلهم المدافعون العمانيون.

وبعد معركة عنيفة اشتبكوا فيها بالأيدي انتصر الفرس وتم قتل سيف بن حمير والعديد من أتباعه. وبعد هذه المعركة امتطى العديد من الفرس خيولهم واتجهوا إلى مدينة قريات الساحلية غير الحصينة حيث قاموا بأسر النساء والأطفال. وقامت مجموعة أخرى من جنود الفرس بمهاجمة قرية مسلمات.

وبعد محاولتين مضنيتين للاستيلاء على قلعتي الجلالي والميراني نجحت القوات الفارسية في المحاولة الثالثة، وجمع الإمام سلطان بن مرشد قواته من المدن الداخلية واتجه إلى صحار لمساعدة الوالي أحمد بن سعيد الذي كان يقود مرة أخرى مقاومة المدينة ضد القوات الفارسية. ووقعت معركة خارج المدينة انتهت بمصرع القائد الفارسي كلب علي خان وإصابة الإمام سلطان بن مرشد إصابة مميتة.

الإمام أحمد بن سعيد البوسعيد

(مؤسس إسرة البوسعيد)

(من حوالي عام ١٧٤٤-١٧٨٣م)

فقد الإمام سيف بن سلطان، الذي أصبح ضعيفاً الآن، تأييد شعبه، وكان من الواضح أمامه إنه حتى ولو انتصر الفرس فإنهم لن يعيدوا إليه كل شيء. فقد تم الاستيلاء على قلعتي مطرح ومسقط بالدم الفارسي ولو كان الأمر في يد نادر شاه إذن لظلت القلعتان في أيدي الفرس. وكان سيف بن سلطان معرضاً للخطر من قبل شعبه بنفس درجة تعرضة للخطر من قبل الفرس أنفسهم.

وأصابت الإمام سيف نوبة من الكآبة الحادة واليأس وغادر صحار واتجه إلى قلعة الحزم حيث يقال أنه أبلغ أحد رفاقه القدامى «تلك هي قلعتي وقبري لأن راحة الموت أفضل من أي سعادة جلبها علي حكمي. إن طلعتي تزعج عيون الجميع». وقد توفى بالفعل بعد وصوله إلى قلعة الحزم بفترة قصيرة وتم دفنه هناك.

وكـان مـن الطبيعـي الآن أن تنتقل قيـادة المقـاومـة العمانيـة للغزاة الأجانب إلـى أحمد بن سعيد الـذي أبدى بالفعل بسالة كبيرة. وأصبـح الأختبار الذي يواجهه الآن اختباراً قـاسياً. فقد كان الجنـود العمانيون غير قـادرين ببساطة على فك الحصار الفارسي لمدينة صحار بالرغم من بذل عدة محاولات باسلة لتـزويد المدينة بالتعزيزات والمؤن والامدادات.

ورغم استشهـاد ثلاثـة آلاف عمانـي في القتـال فقد رفضت صحار أن تذعن للضغوط الفارسية.

وسعـى القائد الفـارسي للقـوات المحـاصرة والـذي أدرك مـدى العـزيمة الجبـارة للـوالـي أحمد بـن سعيـد وأتباعـه، إلى طلـب موافقة نـادر شاه علـى عقد اتفـاقية سـلام يتم بمـوجبها إنهـاء الحصـار وانسحاب القـوات الفارسية من عمان مـع الاحتفاظ بمسقط واحتفاظ أحمد بن سعيـد بمدينتي صحـار وبركـاء ودفع اتاوة للحـاكم الفارسـي. ووافق نـادر شاه على شـروط الاتفاقيـة وتم عقدها مع أحمد بن سعيد.

وبمجرد إنسحـاب القوات الفـارسية لـم يجد الإمـام أحمد مـا يدعوه إلى إحتـرام شروط المعتدي وامتنـع في الحال عن دفـع الاتاوة واتخذ في نفس الوقـت الترتيبات لتحويل جميع خطوط التجارة البحرية عبر بركاء بدلا من مسقط المحتلة.

وعندما أدرك تجـار مسقط ما يحدث هجـروا المدينة التي تحـولت إلى شبح تعيـش فيها القوات الفارسيـة في عزلة داخل القلاع العمانية.

وقد تلى ذلك سلسلة من الأحداث السعيدة التي مكنت أحمد بـن سعيد مـن استرداد قلعتـي مسقط دون إراقـة قطرة دم. فقد هبـت عاصفة قوية سببـت انحراف إحدى السفن التي كـانت تحمل ماجـد بن سلطان، أحد أقـرباء الإمام سيف بن سلطـان الذي توفى مؤخراً، عـن مسارها وطلبت اللجوء إلى صحار.

كان ماجد في طريق عودته من شيراز حيث سلم نادر شاه حـاكم ايـران رسالة مـن قائد حـامية قـلاع مسقط يطلـب فيهـا تسليم القـلاع إلـى مـاجد بصفتـه الخلـف المباشر لسيف بن سلطان الذي تـوفى مؤخراً. وقد وافق نادر شاه على هـذا الطلب وكتب رسالة إلى القـائد يأمره فيها بتسليم القلاع.

وعندما لجأت السفينة بتأثيـر العاصفة إلى صحار تم إحضار ماجد إلى الوالي أحمد بن سعيد الذي أخذ رسالة نادر شاه وإطلع عليها بعد أن استجـوب ماجد عن رحلته.

وشعوراً منه بـأن الفرصة التي كـان ينتظرها قد حـانت، قام بتجهيـز قوة قـوامها ٤٠٠ رجل بقيـادة والي بـركاء خميس بن سالم البوسعيد الـذي حمل رسالة نادر وأمره بالذهاب إلـى قلاع مطرح ومسقط وتسليم الرسـالة إلى القائد الفارسـي الذي قام بتسليمهم القلاع مقتنعـاً بأنهم الممثلون الشرعيون لماجد بن سلطان.

وبوقـوع هذه القـلاع الدفـاعية الحصينـة في أيـدي العمانيـين، أصبحت لهـم أخيراً اليـد العليا علـى القوات الفارسيـة، لكن جيـش نادر شـاه كان لا يـزال موجـودا ويجب القيام بطرده.

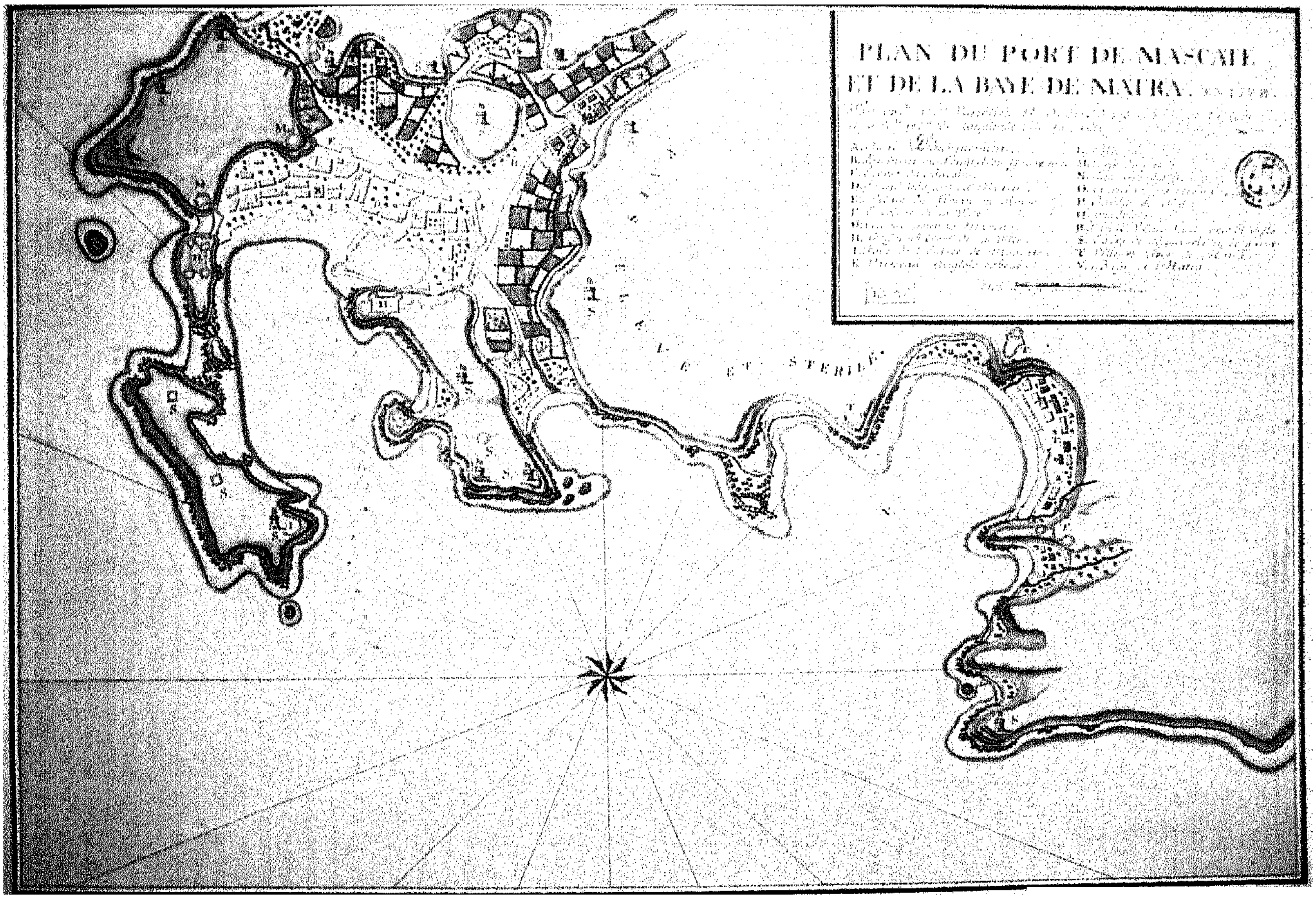
واستمراراً في تطبيـق سياسة الخداع طلـب أحمد بن سعيد مـن قائده في القلاع، خميـس بن سليم، أن يـدعو الفـرس إلـى قلعته فـي بـركـاء. وعنـدما وصلـوا تمـت استضافتهـم وتكريمهم واقامـة الولائم لهم لبضعـة أيام حتي أصبحوا علـى سجيتهم وشعروا بالـراحة كضيوف مكرمين عند الوالي.

وفي اليـوم الثالث دعى أحمـد بن سعيد قـادة القوات الفارسيـة إلى حفل إستقبال خـاص في قلعته، حضـرها حوالي ٥٠ منهم. وعندما أصبحـوا داخل القلعة قام أحمد بـدعوة أتبـاعة للثـأر من الفـرس في داخـل القلعة وفـي المنطقة المحيطة بها.

وبـاغت العمـانيـون الفرس وتفـوقـوا عليهم عـدداً وبراعة، وأخيراً نفّسوا عـن غيظهم المكظوم بشكل واضح وتام. وبنهـاية اليوم لم يبـق على قيد الحياة مـن الفرس سوى ٢٠٠ شخصاً فقط.

وتتضح أحـد مظاهر الامتعـاض الأخرى ضـد الفرس بجـلاء في الحـادثة التـي وقعـت أثناء تـرحيل الأسـرى الأحياء. فعند نقلهم بالسفينة مـن صحار إلى بندر عباس أشعـل البحارة العمـانيـون النار فـي السفينـة وتركـوا الأسرى يموتون في البحر.

وفي أعقاب هذه الواقعة الدامية بدأ أحمد بن سعيد في بث جو من الهـدوء في البلاد، وعاد خميس بن سـالم إلى مسقط بصحبة العديد من سكانها وأهلها السابقين الذين فقدوا منـازلهم عندما احتلـت القوات الفارسية المـدينة. وقد حدث إلتبـاس كبير من جراء تأثير الاحتـلال، فقد تم تدميـر الأسوار والجـدران وتحويـل بعض المنـازل إلى اسطبلات وحـرق بعضها الآخر تمـاماً. ولـم تعـد الحدود القائمة بين الممتلكات المختلفة واضحة ووقعت مشادات حاميـة حول تحديد الملكيـة أدت إلى حدوث مصـادمات وإلى اندلاع العنف الداخلي من جديد.



وأخيرا وبعـد وساطة خميـس بن سـالم تم حـل هذه النزاعات.

وكان أحمـد بن سعيـد لا يزال يـواجه معـارضة مـن الجماعات القبلية المختلفة الموجـودة في المدن الداخلية في عمان وخاصة القوات المـوالية لبلعرب بن حمير الذي تم اختياره إماماً للرستاق والـذي كان يحظى بتأييد قبيلة الغافري.

وإصراراً منه على توحيد البـلاد تحت راية واحدة، قام أحمـد بـن سعيد بمـواجهـة بلعـرب وغيـره من الـذيـن يعارضون حكمه. ووقعت عـدة مناوشات ومعارك انتهت بمقتل بلعـرب بن حمير وموافقـة والي سمد على إطـاعة أحمد بن سعيد.

وأخيـراً تـم توحيـد البـلاد، وتنصيـب أحمـد بـن سعـيد باجمـاع العلمـــاء إمامـاً لعمـان. ومـــع ذلك فـقد كـان للتطاحـن الطويــل والقلاقـل الكثيرة تأثيـر كبـير علـى عمان، فـأصبحـت مكانتهـا فـــي شـرق أفريقيـا ضعيفة للغـاية. وتمخضت الحـادثة العنيفة لمـوت نـادر شاه بـاجماع العلمــاء عـن فترة راحـــة قصيرة لـلامام أحمد بن سعيـد لأن الحاكم الفارسـي الجديد كريـم خان الزنـد الذي تولـى مقاليـد السلطة في عـام ١٧٥٦م كان يمثل تهديداً متجدداً.

ومـع ذلك فقـد حقق الإمـام أحمد بـن سعيد، بصفـة عامــة، انجازات ضخمة وكان زعيمـاً محبوباً مـن شعبه. ولأنــه أمضى أحلـى سنوات عمـره في مكـافحة الطغـاة وأبدى شخصياً بسالة كبيرة فـي حالات عديدة فقد جلب لشعبه الاحترام والاخلاص.

وقد جلـب السلام معه فـرصة إصلاح الأضـرار التي نجمت عن الصراعات وبناء مستقبل أكثر طمأنينة.

وقد علق حميد بن محمد بـن رزيق في كتابـه التاريخي المعنون «الفتح المبين» على الزيـارة التـي قام بها الإمام أحمد بـن سعيد إلى مسقط مـن قلعته في الرستـاق. وقال في صدد تعليقه مركزاً على شعبية الحاكم ما يلي:

«... مضى إلى مسقط على الماشوّات والرايـات منشورة عليه، فإذا وصـل إلـى مسقـط ودخـل الجـزيرة ترادف ضرب المـدافع مـن الصيرتيـن والمراكـب والحصنين، فيبرز الناس فــي أعلـى الجزيرة فتـأتيه الرعية أفـواجاً أفواجاً على ترتيب، فيسلمـون عليه، فيرد عليهم السلام، ثم يسألهم عن حوائجهم فيقضيها لهم».

أصبحت الأخطار التي تهدد أمـن عمان الآن تكمن في المصـادمات والمنـاوشـات الداخليـة (الأهليـة) وتزايـد تعرض السفن العمانية لهجوم سفـن القواسم التي توجد قـواعدهـا فـي رأس الخيمة. وقـام القواسـم بمـا كانـوا يعتبـرونه غـارات مشـروعة علـى سفـن شـركة الهنـد الشرقية التي تستخدم ميناء بندر عباس في الخليج.

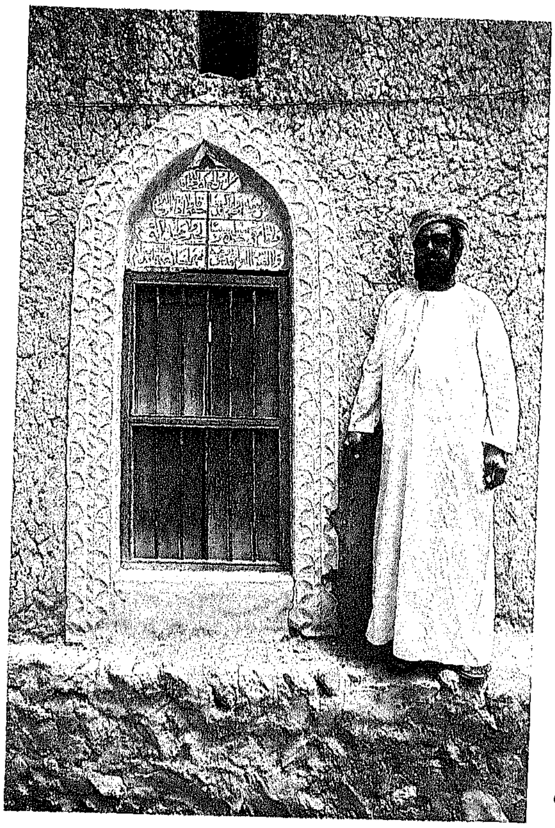
وقد طلب زعيم الفـرس الجديد كريم خان، مـزهواً بما حققه من نجاح في إيران، أن تدفع عمان أتاوة سنوية عن طريـق مكتب أحمـد بن سعيـد. وتم رفـض هذا المطلـب تماماً، مما أعطى الفرس الحجـة لتجديد الأعمال العدوانية ضد السفن العمانية.

وفـــي هـذا الوقـــت لـم تـــعد البحـرية العمانيـــة موضـع سخرية ولو بسيطة فقد توجهت في عام ١٧٧٥م لمساعدة الامبراطوريـة العثمانيـة وساعـدت في الدفـاع عـــن البـصرة ضـــد هجمات الفـرس. وكـان أسطـــول أحمد بن سعيـد في هـذه المهمـة وحـدها يتكـون مـن عشـر سفن حـربية ضخمـة و٧٠ سفينة صغيـرة و٥٠ قارباً تحمل المقاتلين.

البحرية العمانية

إن مفهوم إقـامة قوة بحـرية عمانية منظمـة ليس مفهومـاً جديداً، فقـد تبنـاه غسان بـن عبداللـه الفجحي الأحمدي فـي عام ٨١٤م عندمـا أمر ببنـاء سفن خاصة لاستعمـالها كأسطول للحمـاية البحرية. وفـي خلال القرنين السـابع عشر والثـامن عشر الميلادييـن حافظت عمـان على القيام بدور رئيسـي في الخليج وعززت نفوذهـا متجاوزة السواحل العربية إلى ساحـل شرق أفريقيا. وبنهاية القرن السابـع عشر كانت البحرية العمانية هي أقـوى قوة بحرية في المحيط الهندي بأكمله وكان لديها سفن ضخمة تم بناؤها في الهند وتجهيزها بعدد كبير من المدافع مثل السفن الأوروبية.





مدخل المسجد القديم.

وبرغم غضـب كريم خان فقد نجحت هـذه السفن في فك حصار الفرس لمدينة البصرة وأعادت تموين المدينة. وكـان من نتـائج هذا العمـل أن أمر السلطـان العثمانـي مصطفى الثالـث أن تدفع خزينة المال فـي البصرة مبلغاً سنـوياً إلـى عمان. (وقـد استمـر دفع هـذا المبلغ حتـى منتصف القرن التاسع عشـر الميلادي وطوال فترة حكم السيد سعيد بن سلطان).

وفي العـام التالـي وفي أعقـاب استيلاء الفـرس على بعض السفن الحربية، أرسل الأمـام أحمد بن سعيد الجزء الرئيسي من أسطول سفنه الحربيـة إلى بوشاهر لمعاقبة الفـرس على ذلـك. واشتـرك القواسـم فـي هذه الحملـة وأغرقوا عدة سفن فارسية.

وعندما انخفضـت امدادات الأرز إلى عمان تـم إرسال السفينة العمانية «رحماني» إلـى ساحل ملبار لاستقصاء الأمر ولوضـع حد لأعمال القرصنة التي تسببـت في قطع طريق التجارة.

ومما يـدل على مـدى الاحترام الذي كـانت تحظـى به القـوات البحريـة العمانيـة فـي ذلك الـوقت أن حاكـم ميسور قد أرسـل في الحال مبعوثـاً إلى الرستاق ليـؤكد للإمـام أحمد بـن سعيد أن بـلاده ترغـب في العيش في سلام مـع عمان. وعقب ذلك تـم تعيين ممثل دائم لحـاكم ميسور في مسقط.

وكانـت حرب السنوات السبع بيـن بريطانيا وفـرنسا (١٧٥٦-١٧٦٣م) فتـرة عصيبة فـي تـاريـخ البحريـة العمانية في عصر الإمام أحمد بـن سعيد فقد كانت عمان تربطها علاقات وثيقة بكـلا الطرفين، ووقعت عدة حوادث أثناء مطـاردة السفن الفـرنسية للسفن البـريطانيـة فقد دخلت سفن كليهما المياه الاقليمية العمانية، مخالفة بذلك القوانيـن المحلية وطلـب حاكـم مسقط مـن سفنه طـرد السفن الفرنسية من المنطقة بإطلاق النار عند مقدمتها.

وبعد مضـي عشـرين سنة تقريبـاً وفي عام ١٧٨١م حـدث صـدام آخـر مـع إحـدى السفن البريطانـية (وهي السفينة «بيجلربرج» التي كـانت ترسو هـذه المرة فـي ميناء مسقـط) أثناء ثـورة إبنـي الإمام أحمـد وردت السفن البحرية الفرنسية على ذلك بالاستيلاء على إحدى البوارج العمانيـة المجهزة بخمسين مدفعاً وهـي البارجة «الصالح» التي تعرضت للهجـوم بالقرب من صحار أثناء رحلتها مـن الهند إلـى زباره والقطيـف والبصرة محملـة بحمولة ثمينـة. وقد تم قتل معظم البحارة العمـانيين في معركـة الاستيلاء على السفينـة وأرسل القائد الفـرنسي «ديستشينز» السفينة «الصالح» إلـى موريشيوس. وفي طريقها إلـى هناك توقفت السفينـة في ميناء مارثـا حيث إدعى الحاكـم المحلي أن بلاده في حرب مـع عمان وقام بمصادرة السفينة.

وتؤكد إحـدى الرسائل المحررة فـي ١٧ سبتمبر عام ١٧٨١م مـدى الأضرار التـي لحقت بتجـار الخليج مـن وراء أعمال القرصنة الفرنسية:

لقد أفلس جميـع تجار زباره والقطيف تقـريباً نتيجة لـلاستيلاء علـى سفينـة مسقـط والتي تقـدر قيمـة حمـولتها بثمـانمـائة ألف روبيـة، كمـا خسر تجـار البصرة أيضاً مبالغ كبيرة وعانى الباشا من الخسائر في الايرادات الجمركية نتيجة لتوقف حركة التجارة.

واحساساً بـالاساءة والاهانة التي لحقت بـالعمانيين من جراء الأفعـال الفرنسية طلب الإمام أحمـد بن سعيد ـ الذي بات كهـلا ـ من الفرنسيين أن يعتـذروا عن فعلتهم وأن يدفعـوا تعويضاً لعمـان عن الخسائر. ولـم يستجب

الفرنسيـون لذلـك، وسرعـان ما اكتشفـوا أنهم يلعبـون بالنـار. فقد قام إبنـا الإمام أحمد اللذان كـانا في معـركة حامية مـع والدهم بشأن قلعتي مسقط (إنظـر التفاصيل أدناه) بمصــادرة إحدى السفـن الفرنسيـة التي وصلـت لتوهـا من البحـر الأحمر ووجهـا مدافعهـا تجاه رجـال الإمام أحمد.

وأخيراً قـدم الفرنسيـون اعتذاراً فاتـراً (أتى متـأخراً ليهدىء من غضب الإمام أحمد الـذي توفى قبل أن تصله الـرسالـة) مصحوبـاً «بهديـة» هي السفينـة الفرنسيـة «إيسكـوريل» كتعـويض عـن الخسـائر بالـرغم مـن أن قيمتها كـانت أقل من قيمـة السفينة العمانية «الصـالح» وحمولتها الثمينة.

ويجب ألا نغفـل حقيقة أنه بالـرغم من أن الصـراعات المختلفة علـى السلطة قـد لازمت فتـرة غير قصيـرة من فترة حكم الإمـام أحمد فإن التجارة البحريـة قد ازدهرت في عهده. وبصـورة خاصة إنغمسـت السفن العمانية في أعمال التجـارة المربحـة للبن المتجـه إلى البصـرة وفي أعمال التجـارة مع الصيـن وكانت تحتـل بصورة عـامة مكانة رائدة في تجارة الخليج.

وللأسف كانت السنوات الأخيرة من حكم الإمام أحمد يشوبها أعمال العنف واراقة الدماء التي أثارها هذه المره بعض أعضاء إسرته. فقد ثـار إثنان من أبنائه، هما سيف وسلطان على والدهما العجوز، ربما بتحريض من الوالي محمد بـن سليمان اليعـربي والي نخـل، واستوليـا على قلعة بركاء.

لقد كان ذلك في الواقع مجـرد خلاف عائلي أكثر منه ثورة علـى الإمام لأن تحرك سيـف وسلطان كان بـدوافع الـرغبة فـي الحصول علـى قسط مـن السلطة والثـروة اللتين كـان والدهما بصدد تـوزيعهما على أبنائه. وكـانا مستائين من حقيقة أن أخيهم غير الشقيق في طريقه إلى أن يصبـح خليفـة للحاكـم وأنـه أصبـح بالفعـل قـائداً للرستاق ونزوى وإزكي وسمائل.

وأمر الإمام أحمـد باسترداد قلعة بركـاء وباستسلام إبنيه. وبـالرغم مـن أن الإمام أحمـد عفا عن إبنيـه إلا أنه أضمر عـدم الارتياح لليعربي الـذي كان يلومه علـى هذه الواقعة.

وبعد مضي فترة قصيرة من الزمن وفي عام ١٧٨١م ثار إبنـا الإمام أحمـد مرة أخرى وتسلـلا هذه المـرة إلى قلعتي الميراني والجلالي، ممـا أدى إلى حضور والدهما من الرستـاق إلى مسقط وأصدر أوامـره شخصياً إليهما



وزارة الإعلام

بالاستســـلام. وعندمـــا رفضـــا الاستســلام أمــر بقصـف القلعتيـن بالقنابـل فـوراً، لكنــه في النهايــة أوقف عمليـة القصف بموجب الاتفـاق الذي تم التـوصل إليه فـي شهر يـونيو والـذي يقضي بـأن تسيطر قـوات الإمام أحمد بقيـادة إبنه الوفي سعيد على قلعـة الميراني بينما يسيطر إبناه ا لعاصيـان سيف وسلطان على قلعتي الجلالي وبركاء.

ولم تدم هذه الهدنة طـويلاً حيث خدع سيف وسلطان أخيهمـا غير الشقيـق سعيـد في شهـر ديسمبـر وقامـا بسجنـه في قلعـة الجـلالـي. واستطاع سعيـد الهـروب بمعاونة أحـد العبيد. وفي أوائل عام ١٧٨٢م لجـأ سيف وسعيد إلى سـاحل مكران حيث استقبلها البلـوشستاني نصر خـان الذي أعطـاهما جزءاً مـن المنطقة السـاحلية ليستعملاه كقاعدة لهم.

الإمام سعيد بن أحمد

(من حوالي عام ١٩٨٤-١٧٩٣م)

عند وفاة الإمام أحمد بـن سعيد في ١٤ ديسمبر ١٧٨٣م عم الحـداد أنحاء عمـان لأنه كـان زعيماً قـوياً فـي فترة عصيبة من تاريخ عمان. وتـم انتخاب سعيد الأبن الأكبر للإمام أحمد إماماً على الـرستاق في شهر يناير ١٧٨٤م، لكنه لـم يعقد أي صلـح مع أخـويه وتـم الشك فـي مدى شرعية انتخابه.

وحصر سيف، الذي كان هـائماً الآن في المحيـط الهندي، إهتمامه في طلـب العون والتأييـد لطرد قـوات سعيـد مـن قلعتـي مسقـط. وبالقـرب مـن ساحـل شرق أفريقيا وجد سيف حليفاً لـه في كلـوه وضـم قواته إلى قوات حـاكم كلوه والتمـس مساعـدة الفرنسييـن ووعد الأوروبيين بحـرية استعمال الموانـــيء العمانيـة كـمــا وعـد الفرنسييـــن بمنحهـم مكتـباً للمحاسبـة وعقـد الصفقـات في مسقـط يستطيعون رفع الراية الفرنسية فوقه.

ومع ذلـك لم يتمخض ذلك عـن شيء لأنه بعـد محاولة صغيرة مجهضـة لعـزل حـاكم زنجبـار (أحبطتهـا قـوة النجـدة التي رأسهـا سلطان، أخـوه ورفيقـه السابـق في السـلاح، وأحد أبنـاء الإمـام سعيـد) إعتزل سيـف عنـد ساحل لامو حيث وافته المنية.

وفي عـام ١٧٨٦م علـق الزائر الانجليـزي «يـوليـوس جريفث» على ذلك قائلا: «لقد قـام الفرنسيون، وخاصة في فترة الحرب، بـرحـلات متكـررة مـن جـزيـرة فـرنسـا (مـوريشيوس) إلى مسقـط حيث كـانوا يحصلـون على شحنات من القمـح وعدد من الحمير التي لها نفس قيمة ممتلكاتهم في موريشيوس».

وكـان ذلـك في نفس الـوقت الـذي تخلـص فيـــه السلطان تيبو من أمير (راجا) ميسور وشرع فـي السعي لتـوثيق العـلاقـات التجـارية مـع عمان. وقامــت عمان بـاستيراد الأرز وحب الهال والخشـب والأقمشة وخشـب الصنـدل والفلفل بينما كـانـت السفـن تعود إلى ميسـور محملة بـالتمر والبغال والخيـول من عمان بالاضـافة إلى اللؤلـؤ ودودة القز (دودة الحريـر) والكبريت القـادم من موانيء الخليج.

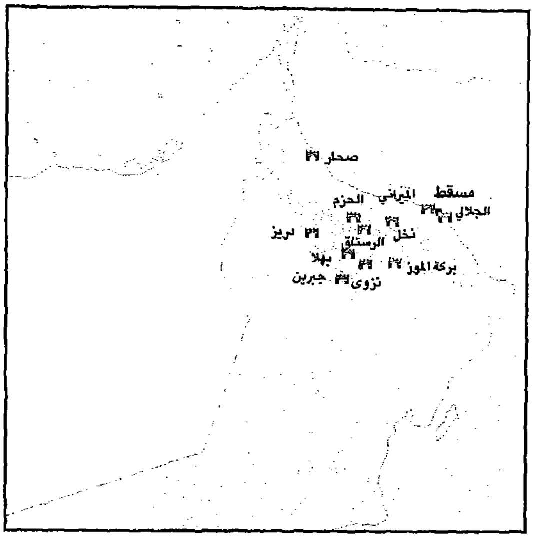
السيد سلطان بن أحمد

(من حوالي عام ١٧٩٣-١٨٠٤م)

كانـت فترة حكم سعيـد في أعقاب وفـاة والـده مباشـرة فترة سـادهـا الشك والاضطرابات في البـلاد وانتهت أخيراً بتبـؤ السيـد سلطـان بن أحمد مقـاليـد السلطـة في عـام ١٧٩٣م.

وبنهـاية القـرن الثامـن عشر، كـان مـن الواضـح حـدوث إنشقاق خطير بــين القاعـدة العسكـرية التــي تتطلـع إلى مسقـــط والمناطـق الداخليـــة لعمان التي شكلــت على نحـو تقليـدي مـركـز السلطـة والمركـز الروحي لعمان.

كما إتسـم حكـم السيـد سلطـان بـن أحمد (١٧٩٣-



مواقع القلاع الرئيسية.

١٨٠٤م) الـذي إمتد مـن نهايـة القرن الثامـــن عشر إلى مطلـع القـرن التـاســـع عشر بـالعـداء بين الفـرنسيين والبريطـانيين في المحيط الهنـدي كما يتضـح من حـروب نابليون (١٧٩٢- ١٨١٥م).

لقد حافظـت عـمان في الماضـي عـلى علاقـات جيـدة إلـى حـد مـــا بكلتا الدولتين، لكـن البريطانييـــن كانـوا متحمسين للتأكـد مــن عدم حصول الفرنسييــن علـى أيـة امتــيازات في عــمـانـ. وأدت سلسلـــة مـــن الحــوادث التي وقعـت للسفـن الـزائرة والحديث عــن إقامـة مصنـع فرنسي في مسقـط إلـى شعـور البريطانيين بـأنهم في مـوقـف الضعـــيف. وكــان أقــرب ممثــل بـريطاني دائم تحت رعايـة شركـة الهنـد الشرقيـة في ذلك الـوقت موجوداً في البصرة، وكـانت مهمة الابـلاغ من هـذا المكـان البعيد عما يحدث في عمان ــ مــن بين البـلاد العربية الأخـرى ـ هي مهمة عسيرة. وقد كتـب «صمويل مانيستي الـذي كان يشغل هذا المنصـب في عام ١٧٩١م إلى أمـانة السر التـابعة للشركـة في لنـدن مايلي: «لا نـزال نجهل مدى نجاح المفاوضات الفـرنسية لاقامة مصنع في مسقط، لكن لـدينا أسباباً قـوية تدعونـا إلى الاعتقاد بأن الإمام ـ بدافع من المصالح وبـدافع من الصداقة ـ سوف يبدي ميـولاً قويـة لتلبية رغبات الحكـومة البريطـانية في جميع المناسبات».

غير أن مسـألة تـأسيس المصنـع الفرنسي لم تنتـــه وقـــام الحاكـم العــام البريطانـــي في كلكـتا باتبـــاع إسلوب التهديد وكتـب إلى سلطان بن أحمد مباشرة محذراً أيـاه من الانخـداع بفتـنة الفرنسيـــين لأنهـم «بعــد أن قتلوا ملكهـم وألغـوا الديـن حاولـوا بــث الاضطـرابات في أنحـاء العـالـم وخلـق نفـس الفوضـــى والقلاقـــل في الممالك الأخرى..».

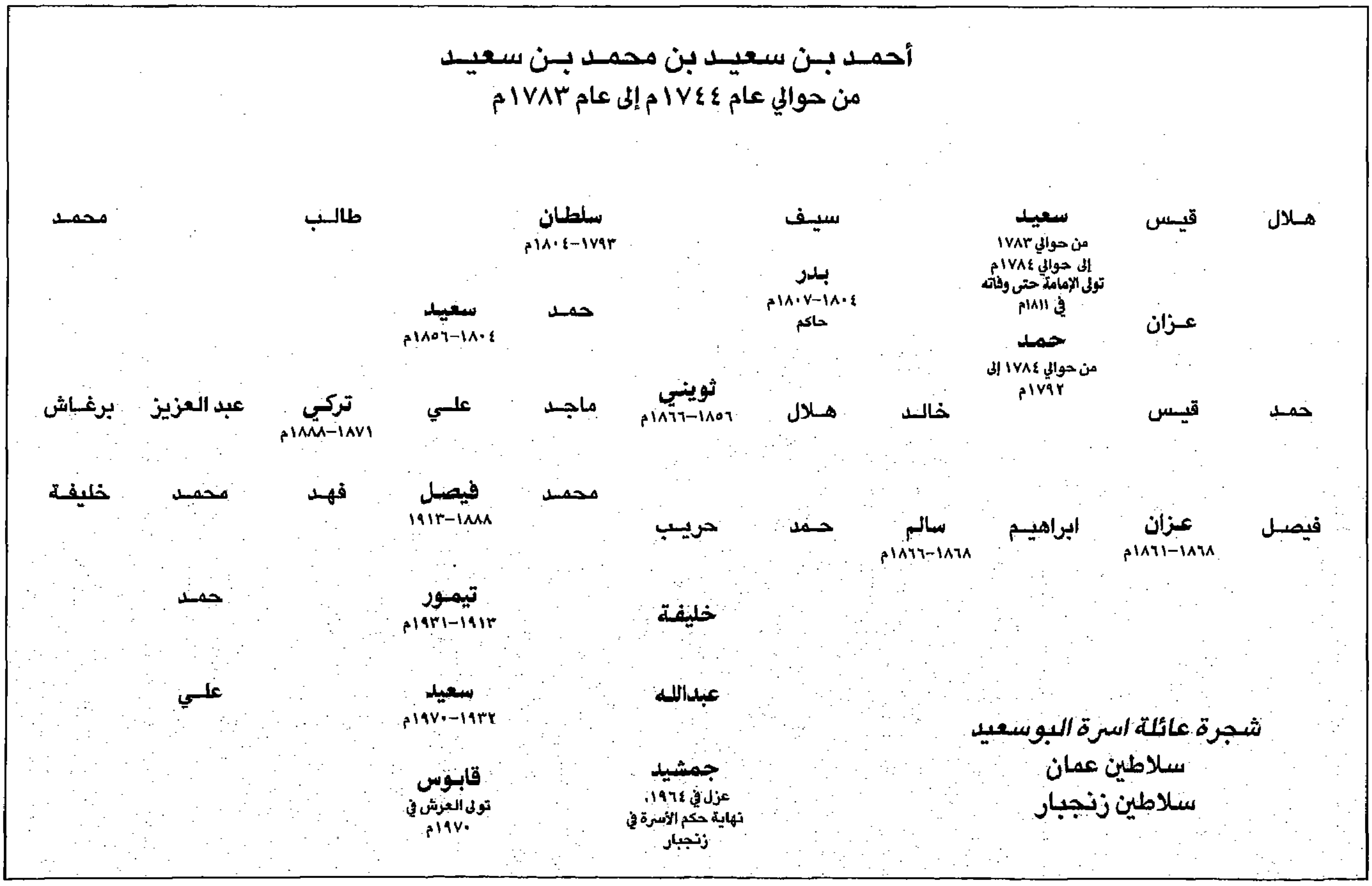
وأكـد سلطان للبريطـانيين أنـه لا يعتزم الانحيـاز إلى

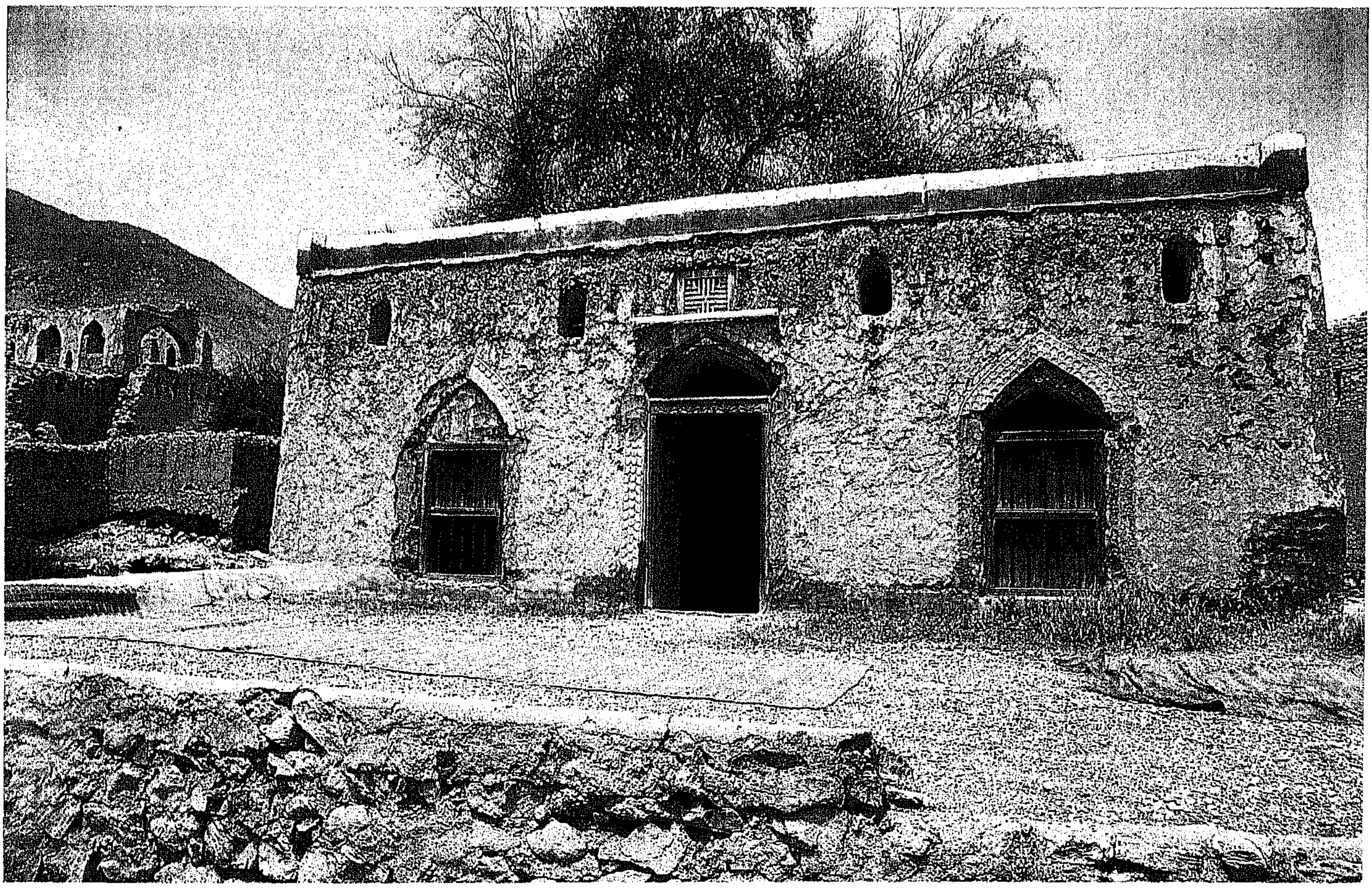
جانب الفرنسيين أو منحهم قاعدة دائمة في مسقط. وفي نفس الوقت تم إبلاغ ممثل شركة الهند الشرقية في البصرة أن عليه التركيز على الجانب التجاري. وهناك وثيقة رسمية تنتقده بالطريقة التالية: «... إن المصالح القوية للمؤسسة (في البصرة) تقتصر (حسب تعليمات مانيستي) على مراقبة تحركات بعض المبعوثين الفرنسيين المشكوك في أمرهم والمتاح لهم دخول الهند عن طريق قنوات مختلفة تخرج عن نطاق سيطرة مستر مانيستي، وعلى توفير مركز مناسب لمزاولة أعمالنا مع الأوروبيين».

وقد أدى غزو نابليون لمصر في شهر يوليو عام ١٧٩٨م إلى تجدد خشية البريطانيين من سياسة التوسع الفرنسية في المحيط الهندي وإلى اهتمامها بالاحتفاظ بعلاقات خاصة مع عمان.

وقام الأمير مهدي علي خان الممثل الجديد لشركة الهند الشرقية في البصرة بزيارة خاصة إلى السيد سلطان بن أحمد بناءاً على تعليمات الحاكم العام البريطاني في بومباي. ويبدو أن حجة مهدي بخصوص سياسة «إخراج الفرنسيين» لقيت ترحيباً من سلطان (الذي لم يبلغ البريطانيين بأنه وافق بالفعل على إقامة مصنع فرنسي في مسقط) وتم إجراء مفاوضات حول مسألة إقامة مصنع بريطاني في مسقط. وقد خدمت هذه الزيارة أيضاً في توضيح مدى نفوذ سلطان (وبالتالي مسقط) وسيطرته السياسية. ورفع مهدي تقريراً فحواه أن هناك علاقات تجارية ودبلوماسية وثيقة مع مدن سواحل شرق أفريقيا ومكران وهرمز وبندر عباس. وبينما كان سلطان يناور كلا الطرفين فقد عقد صفقة جديدة مع الفرنسيين في زنجبار ومع البريطانيين في الهند حيث أدرك أن باستطاعته جعل البريطانيين يتراجعون عن تهديدهم بغلق الموانيء الهندية في وجه السفن العمانية وهو إجراء قد يكون له تأثير مدمر على التجارة العمانية.

ومع ذلك ظلت حالة التوتر قائمة ووقعت عدة حوادث تدل على مدى إصرار عمان على الاحتفاظ





وزارة الاعلام

بعلاقات طيبة مع كلا القوتين الأوروبيتين. وتم في عام ١٧٩٨ التوقيع على اتفاقية تموين متبادل يتم بموجبها تموين السفن البريطانية التي تزور مسقط والسفن العمانية التي تزور الموانيء الهندية، لكن هذا الاتفاق تعرض لاختبار قاس في العام التالي عندما وقعت حادثة اشتركت فيها قوارب القرصنة الفرنسية التي استولت على سفينة بريطانية، هي السفينة «بيرل» التي تم تفريغ بعض حمولتها في مسقط. وقد أدى ذلك إلى عقد اتفاقية جديدة بين سلطان بن أحمد والبريطانيين وتعيين أول مندوب سامي سياسي بريطاني في عمان في سنة ١٨٠٠م هو «أرشيبالد بوجل» الذي كان يعمل أيضاً كطبيب خاص للسيد سلطان.

وقد توفي بوجل بعد بضعة شهور من وصوله إلى مسقط ولم تسنح له الفرصة مطلقاً ليعزز الأوضاع. وقد سجلت الرسائل القليلة التي استطاع «بوجل» أن يكتبها عن الحملات التي شنها سلطان علي القواسم (والتي من أجلها طلب العون البريطاني) ضد الوهابيين.

وكما رأينا كان سلطان بن أحمد يسيطر من مقره في مسقط على إمبراطورية كبيرة تتجاوز حدودها سواحل جنوب الجزيرة العربية، ومع ذلك فلم يكن يسيطر سيطرة تامة على عمان المتحدة. فعندما تولى مقاليد السلطة في عام ١٧٨٣م كان حكمه شخصياً يقتصر على مسقط وبركاء وعلى تلك المناطق التي كانت تحت سيطرة إخوته وهي صور التي كانت تحت سيطرة طالب والسويق التي كانت تحت سيطرة محمد وصحار ومطرح اللتان كانتا تحت سيطرة قيس. أما بقية عمان فكانت تحت سيطرة الشيوخ المحليين زعماء القبائل المهيمنة.

وهكذا كانـت نزوى وابرا وجبرين تحـت سيطرة بني غافر، وبهلا تحت سيطرة البـوسعيد، ونخل تحت سيطرة اليعاربة.

وحتى فـي مسقط نفسها، واجـه مقر سلطـة سلطان تحدياً مـن قبل النفوذ الكبير لخلفان الذي كـان والياً على مسقط منذ أن عينه أحمد بن سعيـد في هذا المنصب منذ أربعين سنــة مضت. وقـد حافظ خلفـان بمساعـدة إبنه محمد بن خلفـان على مسقط كمركز للتجـارة طوال فترة الاضطرابات السياسية التي شهدتها عمان.

وبحلول عـام ١٨٠٢م كان سلطان يسيطر علـى جيش قـوامه ٢٤٠٠٠ رجـلًا و٣٠٠ عبداً و١٧٠٠ مـرتـزقاً مـن السند وبلوشستان. وفي البحر كـان لديه إسطول كبير من السفن الضخمـة يضم السفينـة «جنجاوا» وهـــي سفينة مـربعة ذات إزاحــة قـدرها ١٠٠٠ طـن ومجهـزة باثنيـن وثلاثين مدفعـاً وثلاث سفن مربعة أصغرهـا حجماً مجهز بخمســة عشـر مدفعـاً و١٥ بارجـة تتـراوح حمولتها بين ٤٠٠ و٧٠٠ طناً وثـلاث سفن شـراعية بصـاريين ومـا لا يقل عن ١٥ قارباً كبيراً لنقل الرجال والمؤن.

وفـي عـــام ١٧٩٩م حـدث صـراع مـع البحــريـن بخصـوص الضريبـة الجمـركية، أي ضـريبـة سلامـة المرور التي كان سلطان يفرضهـا على السفن التي تمر في الخليـج. وكان يتم فـرض هذه الضريبـة بمعدل ٢,٥ في المـائة من قيمة جميـع البضائع التي تحملهـا السفن التي تبحر في الخليج من الموانيء الهندية.

وإذا أخفقت السفن في شراء ترخيص سلامة المرور فقد تتعرض لهجوم القوات المـوالية لسلطان والموجودة في هرمـز. وتحدى العتوب هذه الترتيبات لعـدم رضاهم عنها وحاولوا فرض ضرائب خاصة بهم.

وعنـدما هـاجمت القـوات البحريـة لسلطـان ثـلاث سفن أثناء عـودتها من الهند إلـى البحرين في ربيـع عام ١٧٩٩م طلب البحرينيون العون مـن حاكم إيران الشيخ نصر بن نصر الذي قام في مقابل الحصول على فرائض الولاء والاتاوة، بإرسال قوة كبيـرة إلى البحرين مما أجبر سفـن سلطان علـى الانسحاب. وقـد استمرت المعـارك البحرية والمناوشات بين العمانيين والعتوب طوال فصل الصيف وسيطـر سلطان مؤقتاً فـي إحدى المراحـل على جزيرة الخرج.

وفي عام ١٨٠٠م اتخذ التهديـد الوهابـي لعمـان بعداً أكثر خطورة وقام أحـد لواءات عبد العزيز، سالـم بن هلال الحريـق (وهو عبـد نوبـي) بمحاولـة لغزو عمـان بهدف الاستيلاء علـى صحار، غير أن التصـرف الذكـي لسلطان وأخيه قيـس الذي كان واليـاً لصحار حال دون ذلـك لكنه أدى إلى فقـدان أرواح كثيـرة ولم تنتــه المعركة إلاّ بهدنـة تـركت الـوهابييـن يسيطــرون علـى واحـة توام (التـي أصبحب قاعدة لهجمات الوهابيين في عام ١٨٠٣م).

وقد أدت إحـدى الغارات الوهــابية الأخرى التـي تمت في العام التالي على مدينـة أخرى من المدن الداخلية فـي عمان إلـى مقتل أو أسـر حوالـي ١٥٠ رجلًا. وانتشـرت إشاعة تقول بـأن الوهابيين سيقومون بغـزو كامل بقوة تعدادها ٢٥٠٠٠ رجلًا.

ومن الأمـور الأخرى التـي أدت إلى اختـلال موازيـن المعركـة هو التجاء السويـديين إلى معسكـر الوهابييـن بعد أن اضطر سلطـان إلى طردهم من هرمـز (في أعقاب قيامهم بهجـوم أحمق على السفن البريطانيـة التي كـان مـن المفـروض أنهـا معفاة مـن الجمـــارك أو ضريبـــة سلامة المرور).

وكـانت الهجمـة الثانيـة التـي قام بهـا سلطان علـى البحرين فـي عام ١٨٠١م أكثر تنظيما من سـابقتها، فقد أدت سلسلة مـن الأحداث إلى إنحيـاز الفرس إلى جـانبه وبذلـك بلغت قـوته ٢٤٥٠ رجلًا وأصبـح لديـه اسطول بحـري يضم السفينـة العمـلاقـة «جنجاوا» التـي تبلـغ حمولتهـا ١٠٠ طن والمجهـزة بإثنيـن وثلاثيـن مدفعـاً وبارجتين ومـا لا يقل عن عشرة قـوارب. ونجحت القوات

العمانيـة في النـزول عند شاطـئ البحريـن وتنصيب سـالم بـن سلطـان واليـاً. وفي عــام ١٨٠٢م تجمعــت القوات المشتـركة للخليفـة والوهابييـن في زبـره لتقوم بهجـوم مضاد ونجحــت هذه القـــوات فـي الاستيــلاء علـى البحريـن. وفي صيـف عــام ١٨٠٢م قام سلطـان بهجـوم آخر علـى اسطول العتـوب فـي الخليج غيـر أن الأحداث التي وقعت فـي الجزيرة العربية جذبت اهتمامه للدفــاع عن عمـان ضد الـوهابييـن. وقد تمخـض قيامـه بتأدية فرائض الحج في مكـة المكرمة فـي عام ١٨٠٣م عن تـرك فراغ مؤقت فــي مسقط أدى إلى قيام إبـن أخيه بدر بمحاولة للسيطـرة على الحكم، وأدت إلى غضب عبد العزيز زعيم الـوهابيين الذي كان ساخطــاً سخطـاً شديداً من دخول سلطان الحجاز بقواته المسلحة.

وقد أدى ذلك إلــى إندلاع معركة خطيرة مع الــوهابيين تم خلالهـا مطالبة القواســم والعتوب بترك موســم صيد اللؤلؤ وفرض الحصار على عمان.

وأدت الضغــوط المستـمـرة فـي النهايـــة إلـى عقـد هدنة وافق سلطان بمـوجبها على دفع ١٢٠٠٠ دولاراً من نوع دولارات ماريا تريزا سنـويا ولمدة ثلاث سنوات إلى عبد العزيز.

ولـم يدم هــذا الاتفاق طــويلاً حيث قام الــوهابيـون بهجـوم آخر تصـدت له قــوات سلطان بقيـادة إبن أخيـه محمد بـن حميد على مسـافة قصيرة خــارج الرستــاق على ســاحل البــاطنة. وقد قتـل محمد فــي هذه المعـركة وانتصرت القوات الوهابية.

وقد أدى إنتشار نبأ مقتل عبد العزيـز مصحـوباً بإشاعة أن سلطان قد أعـد جيشاً قوياً لــلاغارة على الوهــابيين إلى انسحابهم بسرعة والقضاء على هذا التهديد.

أدت أخبــار مقــاومــة العثمانييـــــن لحركـــــة الوهابييـــن إلى ذهاب سلطــان إلى البصرة علــى متـن سفينتــة الحـربيـة الضخمـة «جنجـاوا» فـــي شهــر سبتمبـر ١٨٠٤م. وكــان سلطان يأمـل من هذه الـزيارة تأميـن مسـاعـدة العثمانيين لمقاومـة الوهابيــين فـي شــرق الجـزيرة العـربية، لكنـه وجدهــم غير مستعـدين لتقديم مثل هذه المساعدات.

وفـــي طريـــق عودتـــه إلــى عمـــان تـــرك سفينتـــه الضخمة «جنجـاوا» واستقل قــارباً صغيـراً ليهبـط فـي جزيـرة قشم، لكن القــارب الصغير تعرض للهجــوم من قبـل القراصنـة أثنـــاء إبحــاره ممـــا أدى إلـى مقتـل السيد سلطان.

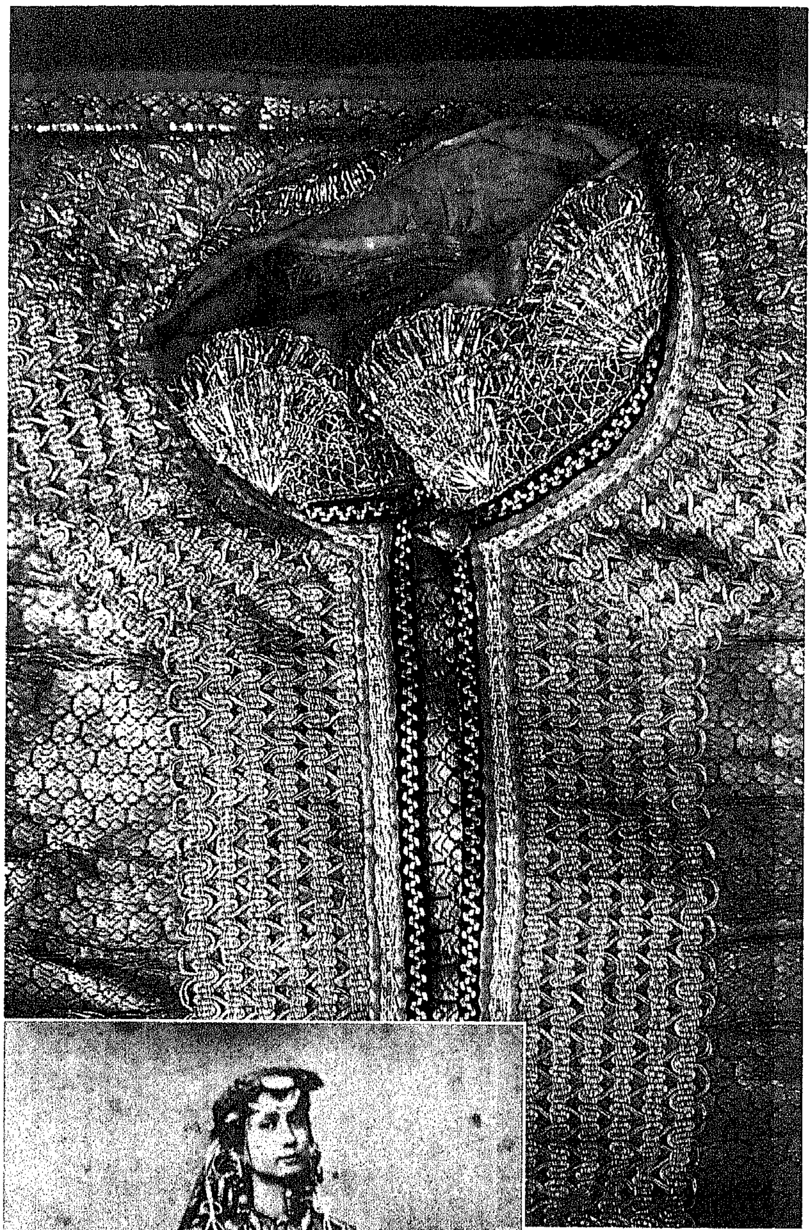


نسخة من صورة معاصرة للسيد سعيد بن سلطان من رسم هنري بلوس لينش

السلطان السيد سعيد بن سلطان البوسعيد

(من حوالي عام ١٨٠٤-١٨٥٦م)

تركت وفاة السيـد سلطان عمان في حالة مــن التخبط وفي حرب داخلية (أهلية) مؤقتة. وحدث نزاع شديد على السلطة بين الأجنحة المختلفة لأسرة سلطــان الكبيـرة. وفي النهاية تولى ابنـه السيد سعيد بن سلطـان مقاليد الحكم مــن عام ١٨٠٤م حتى عــام ١٨٥٦م. وواجـه السيــد سعيد مجموعة جديدة من المشاكل لم يكن أهمها تزايد درجة منافسة تجار العاج والمــلابس الهنـود الذيـن هددوا السيطـرة التجاريـة العمانية فــي المنطقة. وفي نفس الــوقت كانت تجــارة الرق تتعرض لضغـوط كبيرة من قبل البـريطانيين. ولمجابهة ذلك أمـرالسيد سعيـد بن سلطـــان بغـرس العديـد من أشجــار القرنفل في زنجبـار. وكانت الحاجة إلى الاشـراف عن كثب على عمليـات غرس هذه الأشجـار هي أحـد الأسبـــاب التي جعـلت سعيد ينقـل مقره إلــى زنجبار في عام ١٨٣٢م مما شجع العديـد من العمانيين على الاستقـرار هناك. وبعد أن تولى مقـاليد الحكم بفترة قصيـرة وفـي عام ١٨٠٧م وقــع الســيد سعيد بـن سلطـان اتفاقيـة صـداقـة وتجارة مــع الفرنسيين، غير أن البريطانيين وضعوا حداً لنهايتها بالفعل عندما هزموا الفرنسيين فــي جزيرة فرنســا (موريشيوس). ومنـذ ذلك الحيـن أقـام السيد سعيـد عـلاقـات وثيقة مــع انجلترا. وكان سعيد قد حاز طـوال فترة عدائه الطويلـة مع القواســم على تأييـد البريطانييـن الكامـل الذيـــن اعتبروا هؤلاء الناس كالقراصنة.



ويعتقد البريطانيـون أن تأييدهم لعمان كان ـــ من بين أمور أخـرى ـ أحد عـوامل الموازنة الهـامة ضد القـواسم. وفي أعقاب فترة طويلة من الصراع، تم توقيع اتفاقية سلام في عـام ١٨٢٠م مهدت الطريق لاقـامة اتحاد دول الهـدنة الذي وضع حجـر الأساس لتأسيس دولة الامـارات العربية المتحدة في القرن العشرين انفصالاً عن عمان الأم.

وقـد دام حكم السيـد سعيد فتـرة طويلـة، وكان عهـداً ناجحاً. وقد كتب عنه ابن رزيق الذي أرخ حياته ما يلي:

الحمد لله الذي نال به سعيـد الملوك حظاً رضيّاً، ومجداً عد ملياً، وسلطاناً قوياً، وقضى بالسعد له، فكان مركزه في أفـق المجد والجد مكـاناً علياً، فـانقادت بإعـانة الله ونصره لـه ملوك عصره، فشـرّف بضربه وطعنـه في الأعداء سمهرياً ومشرفياً (السمهري هو الرمح السلب والمشرفي هو السيف) ففتح مغـاليق البلاد بالسيوف الحداد، وسلك في قطع وصل أجيـاد أهل العناد صراطاً سوياً، والصـــلاة والسـلام على رسوله المؤيـد، سيدنا محمد المذلـل بعزته الأعداء تذليلاً. وعلـى آله وصحبه المعطين بحد القرضاب (السيف القاطع) حق الضّراب، وما بذلوا عن العز عزائمهم تبذيلا.

لقد كان رجـلاً عظيم الشـخصية بشوش الوجـه كما شـهد



الأميرة السيدة سالمة بنت السلطان السيد سعيد بن سلطان الذي حكم عمان خلال الفترة من عام ١٨٠٤ إلى عام ١٨٥٦م.



أقصى اليسار: صورة أحمد بن نعمان، المبعوث الخاص إلى نيويورك. تم رسم الصورة في عام ١٨٤٠م.



بــذلــك المــلازم جيــه. آر. ويلستد الذي وصفه في عام ١٨٣٥م بــالعبارة التــاليــة: «كان ذا قــامة طويلــة مهيبة وذا مــلامــح بشــوشــة لكنهامؤثرة وكــان لبقاً لطيفاً دمثاً وجليلاً».

وبالرغم من أن مصالح السيد سعيد كانــت تنتشــر في منطقة واسعة تمتد من أرض الفرس إلــى شرق أفريقيا فإن تركيــزه الأعظم كــان على زنجبار التــي أصبحت عــاصمته الثانيــة. وقد ســافر كثيراً عــن طريــق البحر وكــان يفتخر ببحريته وكثيراً ما كــان يتولــى بنفسه قيادة بارجته «شاه علم». وكانــت علاقاتــه الوثيقة بــالبريطانيين تتسم بتبادل الهدايا بانتظام وخاصة فــي مناسبتي تتويــج الملك وليــام الرابــع والملكة فيكتوريا.

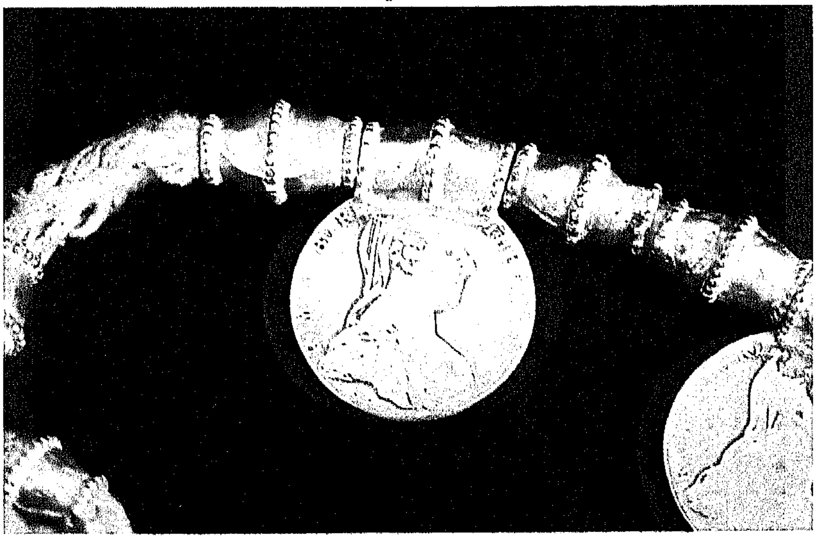
ففــي عام ١٨٣٠ أهــدى الملــك وليــام الرابــع فــرس استيــلاد عــربــي، بينمــا أهدى للملكــة فكتــوريــا فحــلاً للاستيــلاد. ولأنه كــان يفخــر ببحريتــه فقــد أهـــدى للملــك وليــام الرابــع إحــدى سفنــه الحــربية التــي تـــم تسميتهــا فيمــا بعد «إتــش إم إس ليفربــول»، وجاملــه الملــك فـــي المقــابــل بــأن أهـــداه احـــدى الســفـــن البريطانية «برنس ريجنت».

ويعلق دونالد هولي فــي كتابه الرائع «عمان ونهضتها» على الطبيعة الغــريبة لبعض هذه الهدايــا والتي تضمنت (مـــن الملكة فكتوريـــا إلى سعيـــد) حافلـــة للمناسبـات الرسمية مع طقم للفرس ليستعملها سعيد في زنجبار التي كانــت تفتقــر إلى الطــرق المعبدة) ومن (سعيد إلى الملكة فيكتوريا) جزيـــرة كوريا موريـــا التي قدمها إليهـــا كهدية أبدية في ١٤ يوليو عام ١٨٥٤م. وهــي إيماءة تمخضت عن هدية مــربكة هي علبة سعــوط قدمها إليه وزيــر خارجيتها لورد كلارندون. وقد تــم إعادة الجــزيرة إلى عمان في عام ١٩٦٧م (هولي، ١٩٧٧).

السلطان السيد ثويني بن سعيد

(من حوالي عام ١٨٥٦-١٨٦٦م)

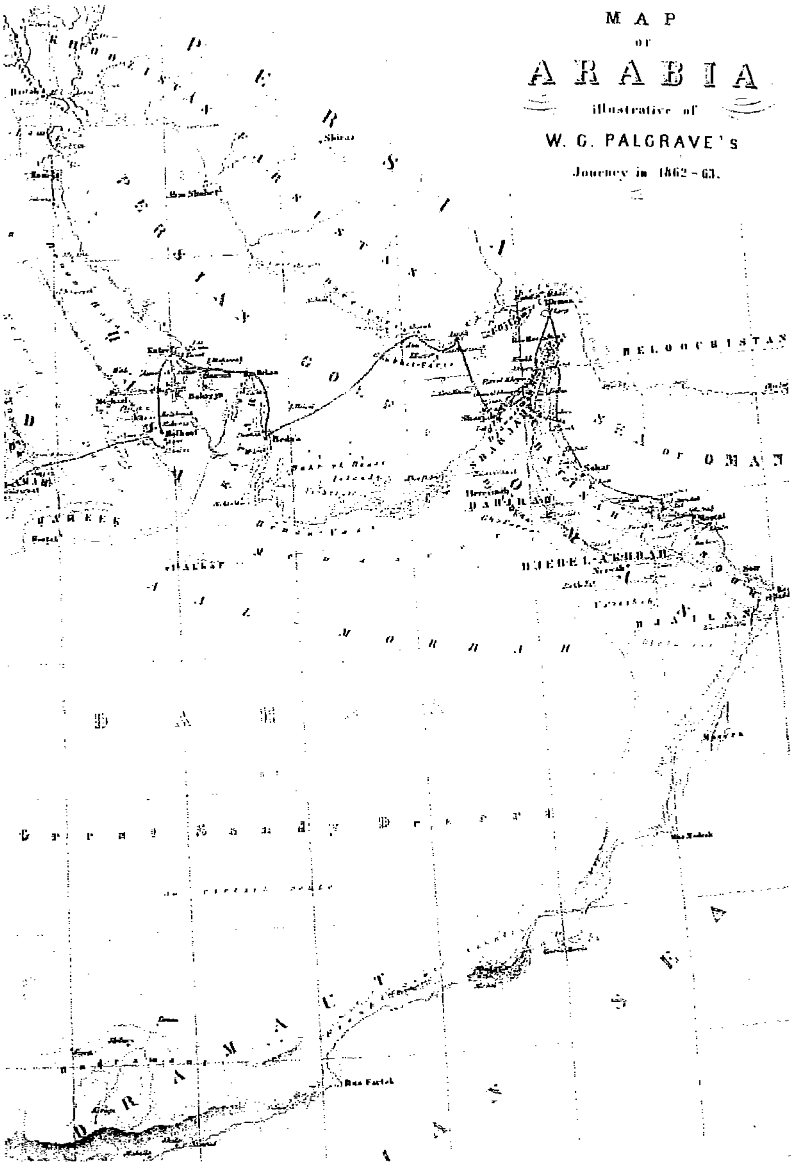
حكــم السيد سعيــد بن سلطــان عمــان وزنجبار ببصيــرة عظيمة وحزم، غير أن الاحساس بالــوحدة الذي كان سائداً





بين الجزيــرة الأفريقية وعمان العــربية قد اضمحل بــوفاة سعيــد فــي عام ١٨٥٦م. وفــي وقــت وفــاته كــان معظــم الأسطول البحري العماني في زنجبــار، ولم تتم اعادته إلى عمان بل ظل تحت سيطرة إبن سعيد، ماجد بن سعيد الذي كان موجوداً في زنجبار وقت وفاة والده.

وبينمــا استولــى مــاجد على السلطة فــي زنجبار فعل أخيــه ثوينــي نفــس الشــيء في عمــان. وبــعد سلسلــة من المشــاحنات والنــزاعات بين الأثنيــن وتهديــد ثوينــي بـــالقيـــام بأعمال عسكرية لاجبــار أخيــه علــى دفــع «إيجــار» سنــوي مقابــل احتــلال زنجبــار تــم التوصــل إلى تسوية بمساعــدة البريطانيين تــم بموجبهــا الاعتراف بمــاجد حــاكمــاً على زنجبــار واحتفــاظ ثوينــي بمنصبــه



مكتبة تشيستر بيتي دبلن

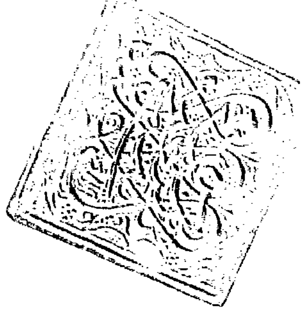
خريطة للجزيرة العربية تم رسمها اعتماداً على رحلة دبليو جي بلجراف التي قام بها خلال عامي ١٨٦٢-١٨٦٣.

(حكايات رحلة عام عبر وسط وشرق الجزيرة العربية «١٨٦٢-١٨٦٣م» للمؤلف وليام جيفورد بلجراف).

كسلطان لعمان. واعترافاً بإدعاءات عمان السابقة في زنجبار وافق ماجد على دفع رسم سنوي قدره ٤٠٠٠٠ كراون.

وفي منتصف القرن التاسع عشر وقعت تغيرات سريعة عكست مكانة عمان البارزة كاحدى أقوى القوات البحرية في المحيط الهندي. فإلى جانب فقدان ثويني لجزء كبير من الأسطول البحري لأخيه في زنجبار، فقد واجه الاسطول التجاري العماني تحديات جديدة من السفن البخارية التابعة لشركة الملاحة التجارية البريطانية الهندية. فقد كانت هذه السفن الحديثة، التي لم تعد تعتمد على الرياح الموسمية في تحديد مواعيد الابحار، تنافس بشدة القوارب الشراعية العمانية التقليدية المصنوعة من الخشب والتي كانت تشكل منذ فترة طويلة العمود الفقري لاسطول سفن المحيط الهندي.

ونتيجة لذلك ولبعض العوامل الأخرى أصبحت عمان تعاني من الكساد الاقتصادي الخطير الذي كان بمثابة الوقود الذي أشعل النزاعات الداخلية. وتم القاء مسؤولية تدهور عمان على ثويني وتعرض حكمه لتحديات من عدة جهات تضمنت ثورة في صحار قادها أخوه تركي، وعصيان عدة قبائل



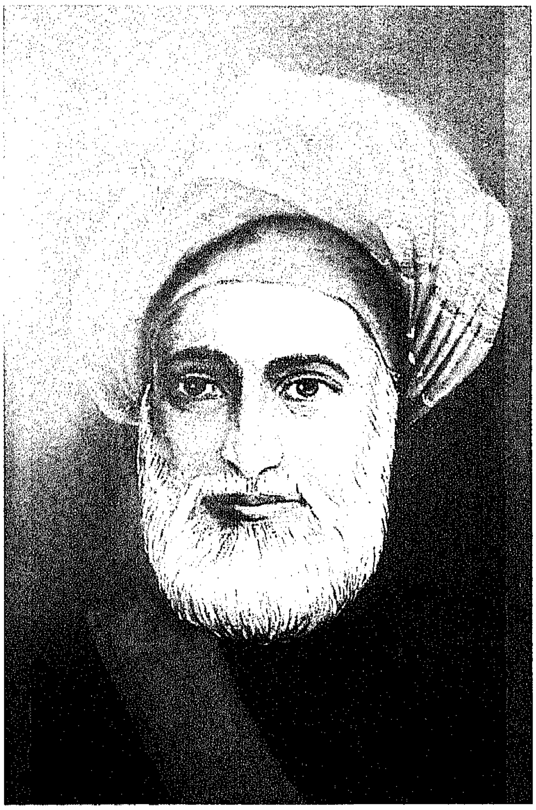
بتحريض من قيس بن عزان والي الرستاق، وغزوة قام بها الوهابيون بتأييد من قبيلتي جنبه وبني أبو علي. وأخيراً لقى حتفه أثناء نومه في القلعة في صحار حيث أطلق عليه أبنه سالم النار من بندقية ذات ماسورتين.

السلطان السيد سالم بن ثويني
(١٨٦٦-١٨٦٨م)

أخيراً تحققت طموحات سالم في حكم عمان، لكن انتصاره دام فترة قصيرة. فقد كانت الطريقة التي تولى بها مقاليد السلطة موضع اشمئزاز كبير، وانتشرت المعارضة لحكمه بسرعة. وقد أدى عدم الاستقرار هذا إلى زيادة ضعف مكانة عمان ورفض سلطان زنجبار دفع الرسوم السنوية لسالم وألغى الفرس اتفاقية استئجار عمان لبندر عباس قبل تجديدها بقيمة إيجارية أعلى. وبعد عامين من الحكم غير الناجح تم إجبار سالم على مغادرة عمان عندما قاد عزان بن قيس أتباعه للقيام بعدة هجمات ناجحة على قلاع بركاء ومطرح ومسقط. وبعد مضي عدة سنوات وفي عام ١٨٧٣م حاول سالم العودة إلى عمان أثناء حكم السلطان تركي بن سعيد. وفي هذا الوقت كان البريطانيون قد اعترفوا رسمياً بتركي كسلطان لعمان وقبضت السفينة البريطانية «إتش إم إس دافني» على سالم وأرسلته إلى حيدر أباد حيث توفي في العام التالي.

الإمام عزان بن قيس
(١٨٦٨-١٨٧٠م)

اتسم حكم عزان بفلسفة دينية أصولية قوية، وتم توحيد البلاد تحت رايته وأتاحت له هذه القوة المتجددة أن يطرد الوهابيين من واحة البريمي التي كانوا يستعملونها كقاعدة لهم منذ عام ١٨٠٠م. وقد تم عمل ترتيبات بين الإمام عزان والأسرة الحاكمة في أبو ظبي تقضي بحماية البريمي من الغزوات في المستقبل. لكن حكم عزان لم يدم طويلاً أيضاً لأنه لقي معارضة تزعمها تركي بن سعيد، أخو ثويني بتأييد من سلطان زنجبار وشيوخ دبي وعجمان ورأس الخيمة. والتقت القوات المعارضة في معركة وادي ضنك التي انتهت بهزيمة الإمام عزان الذي لجأ إلى صحار حيث قتل بعد فترة قصيرة في معركة مطرح التي انتصر فيها تركي.



السلطان السيد تركي بن سعيد

(١٨٧١-١٨٨٨)

بدأ تركي حكمه في ظل معـارضة كبيرة من قبل عدد كبير من الجمـاعات بما فـي ذلك معـارضة أخيه الصغيـر عبد العزيز بن سعيد (الذي كان مثل تركي، أخاً للحاكم ثويني المقتـول) وصـالح بـن علـي (أحـد أبناء قبيلـة حـرث) وابراهيم بن قيس (أخو الإمام عزان الذي قتل مؤخراً).

وعقـب عـدة سنوات عصيبـة نجـح تـركي فـي عـام ١٨٧٥م في اكتساب ولاء ابـراهيم بن قيس. وكـان ذلك علامـة بارزة لبداية تعاون وثيق طويل بين اسرة ابراهيم وسلطان عمـان حيث خـدم أحمد نجـل ابراهيـم كـوزير للداخلية في حكومـة السلطـان سعيد بن تيمـور حتى عام ١٩٧٠.

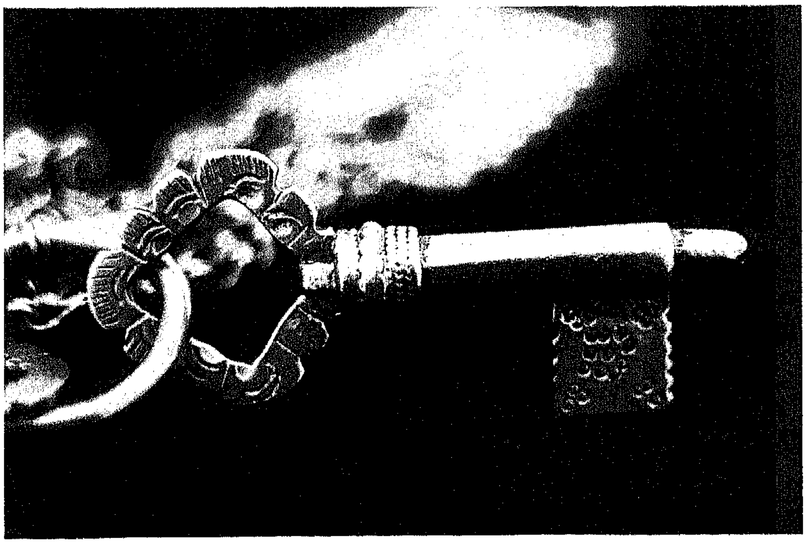
ومع ذلك لـم تخمد معارضة صالح بـن علي وتسببت في اضعاف مكـانة تركي نتيجة للهجمات التـي تم شنها على مطرح ومسقط والتي أدت إلى تخلـي أتباع تركي عنه مما اضطره في عـام ١٨٧٥م إلى التقاعـد والاقامـة في جوادور تاركاً أخاه عبد العزيز يحكم عمان.

على أية حـال، لم تكن تلك هـي نهاية حكم تـركي لأنه بعد أن أمضى عـدة شهور معتكفاً نال خلالهـا قسطاً من الراحـة وتجديـد النشاط عاد فجـأة إلى مطـرح ومسقط أثناء وجود عبد العزيز في زيارة إلى وادي سمائل.

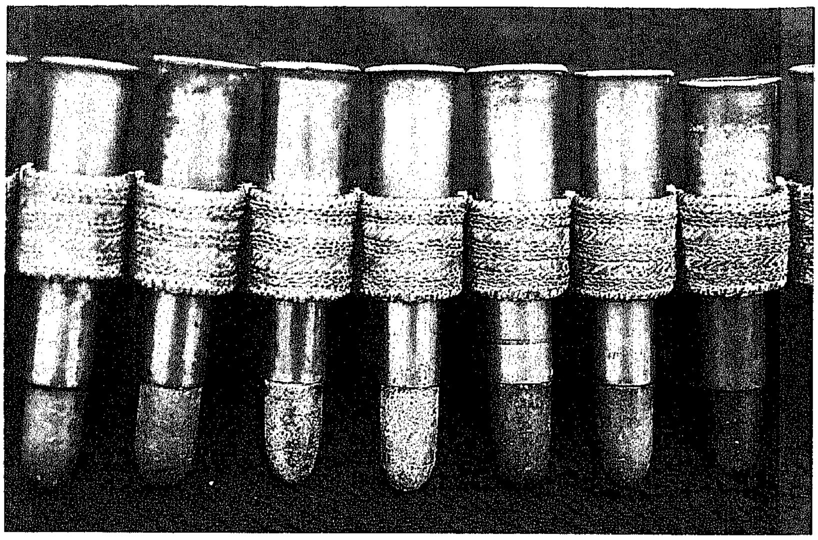
وبعد مضـي عاميـن وفي سنـة ١٨٧٧م شن صـالح هـجومـاً آخراً عـلى حكـم تركـي مدعيـاً بأنـه لا يحتـرم القيـم الدينيـة. وفـي هـذه المـرة تـم رده بمساعـدة السفينــة البريطانــيـة «إتـش إم إس تايـزر» التــي قصفت مخيـم صـالح بـالقنابـل. وفي عـام ١٨٨٣م جـرت محاولـة جديـدة لعزل تركـي عنـدما انضـم سالـم إلى عبـد العزيز شقيـق تركـي الــذي ذاق طعـم الحكـم مرة قبل ثمانيـة أعـوام. ومـرة أخـرى تلقـى تركـي المساعـدات البريطانيـة التي قدمتهـا هــذه المـرة السفينـــة البريطانيــة «إتش إم إس فيلومـل» الـتي قـامت بقصـف القوات المهـاجمة بالقنابـل. كمـا تلقـى تركـي المساعدة من حلفائـه فـي قبيلتـي الحـرث والمساكره الذين هبوا لمسـاعـدته ومن إبنه فيصل الـذي قـاد القوات التـي تعقبت المتمـرديـن وأخضعتهم مـرة أخرى لحكم أبيه.

وبالـرغم مـن هـذه النزاعـات عـلى السلطـة وهـي أحد المعالم الطـويلة للسياسات الداخلية العمـانية، فـقد كـان حكـم تركـي بـنـاءاً وايجابيـاً فـي تأثيره عـلى الحياة العمـانية. فقـد كان حكيـماً وجاهـد فـي سبيـل تسويـة الخلافـات بيـن القبائـل فـي عمـان وطبـق في نفس الوقت سياسة خارجية عملية.

وعـرفـانـاً منـه بـالمسـاعـدات التـي قدمـهـا لــه البريطـانيون ولقلقه مـن جراء تجارة الرقيــق الظالمـة وقـع السلطـان تركـي معـاهدة مـع ممثـل بريطانيــا «سير بـارتل فرير» فـي عـام ١٨٧٣ تهـدف إلـى انهـاء تجارة الرق.



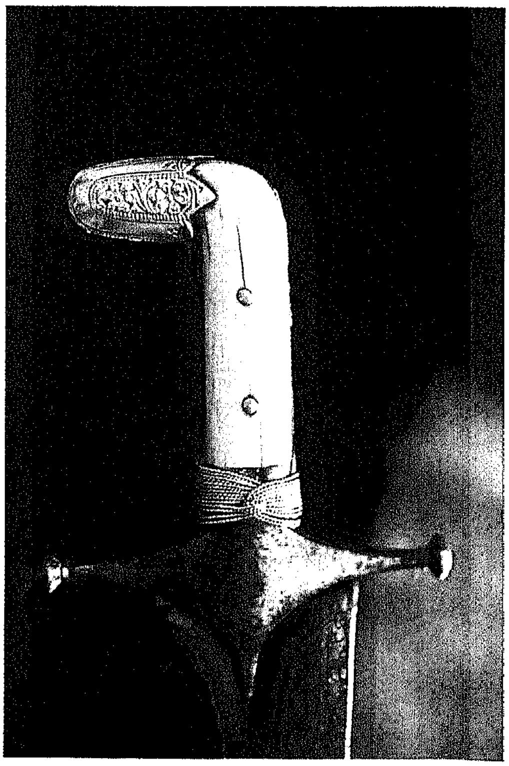




السلطان السيد فيصل بن تركي

(١٨٨٨-١٩١٣م)

استطاع فيصـــل أن يحصل علـــى ولاء أهم زعمـاء القبائل العمانيـة. وقد تولـى مقاليـد الحكم في السلطنـة وهو لا يزال في عنفوان شبابه حيث كان يبلغ من العمر ٢٣ سنة فقط وكـان عليه أن يـواجه بعـض الخصوم الأكبـر سناً والأكثر خبـرة وعلي رأسـهم عمه عبـد العزيز الذي كـافح دون نجاح ضد تركي والد فيصل.



وفـي عام ١٨٩٣م حـدثـت تغيـرات فـي سلطنـة زنجبار تمخضـت عن إحـلال علي بـن سعيد محـل حمـد بـن ثوينـي ممـــا أدى إلـــى تأييـــد محـاولـة تتصـدرهـا زنجبار للسيطـــرة عـلى عمـــان. وقد استطـاع فيصـــل بمســاعـدة البـريطانييـن رد الهجوم علـى مسقـط ومطـرح لـكـــن بعد أن استطاعـت القوات المتمـردة السيطـرة علـى مسقـط لفتـرة وجيـزة. وقـد تعلـم فيصـل دروسـاً وعبـراً مـن هـــذه المحـاولـة واعتبـر نفسـه محظـوظاً لنجـاتـه بحياتـــه، وقـام بتعـزيـز تحصينـاتـه الدفـاعية وسيطر سيطرة قـوية على الـزعامة وظل فـي منصبه كسلطان لعمان حتى وفاته في عام ١٩١٣م.

وفي مطلـع القرن العشريـن وجدت عمان نفسهـا في حيرة تتنـازعها المحاولات القويـةالتي تبذلها المصـالح الفرنسية والبريطانية لكسب تأييدها.

وحـاولـت فـرنسـا وروسيـا إضعـاف السيطـرة البـريطانيـة علـى المحيـط الهندي، وشكلـت الجهـود الفرنسية لتعزيز التواجد الفـرنسي في عـمان جـزءاً من هذه المحاولات.

وأدى بزوغ عصـر السفن البخاريـة إلى ضـرورة تـوفيـر مرافـىء استراتيجية تستطيـع فيهـا هـذه السفـن إعـادة تزويـد مستودعاتهـا بالفحـم كـي تتمكـن مـن القيـام برحلاتهـا الطويلـة. وكـانت مطـرح توفـر مثـل هـذا الموقـع فهـي تعتبـر مركـزاً نموذجيـاً للسفـن المبحـرة من الشـرق إلى الغرب عبر البحر الأحمـر وقـناة السويس والمتجهـة إلى أوروبا والخليـج أو الهند وما بعدها. وقد حـاولـت كـل مـن فرنسـا وبريطانيـا الحصـول علـى قواعـد للتمويـن. واتبـع السلطـان فيصـل الاسلـوب الدبلوماسـي ومنـح كـلا البلديـن قطعـة مـن الأرض متسـاوية فـي المساحـة وسمح لهمـا بإقامـة مبانـي مطابقـة علـى سواحـل خليـج مسقـط. وقـد ظلـت هـذه المبانـي قائمـة حتـى عـام ١٩٧٢م حيث تـم هدمهـا لتوفير الأراضي اللازمـة لاقامـة القاعـدة البحرية الجديدة.

وفي عام ١٩٠١م تم ربط عمان بخط هاتفـي، وواصل فيصل تعزيز مكانته خـلال فتـرة مـن الاستقرار والسلام النسبيين حتى وفاته في عام ١٩١٣م.



صورة للسلطان السيد تيمور مأخوذة من كتاب «أخطار ورحلات قصيرة في الجزيرة العربية» (جورج ألن ويونيون، ١٩١٣م).

السلطان السيد تيمور بن فيصل
(١٩١٣-١٩٣٢م)

خلف تيمـور والده فيصـل في عـام ١٩١٣م وواجه علـى الفـور تقريبـاً عصيـاناً يتـزعمـه الإمـام المنتخب راشـد الخروصي الـذي كسـب تأييد بعض القبـائل. وقد تتـوج هـذا النزاع بهجـوم على مسقـط فـي عام ١٩١٥م بقيـادة سالـم بن راشد تصدت لهـم عند السيب قوة قـوامها ٧٠٠ جندي ونجحت فـي ردهم. وبعد عدة محـاولات زائفة لبدء الهجوم تم التوصل إلى حـل وسط جلب السلام بين قبائل المحافظات الـداخلية والمحافظات الساحليـة مع الاعتراف بـدور السلطان بصـورة عامـة. واستمرت هـذه الاتفاقيـة سارية بصـورة مرضية طوال فتـرة إمامة سالـم بن راشد الخروصي وخليفته الإمام محمد بـن عبد الله الخليلي، لكن إنفرط عقدها في أعقاب وفاة الإمام محمد في عام ١٩٥٤م.

وقد كتـب برتـران توماس الـذي عمل لـدى السلطان السيـد تيمـور عن بعـض خبـراتـه فـي كتابـه «أخطـار ورحلات قصيرة فـي الجزيرة العربية» والـذي تم نشره لأول مرة في عام ١٩٣٢م.

وقد تضمـن الكتاب إهداءاً نصـه: «إلى سمـو سلطان مسقـط وعمان السيـد تيمور بـن فيصـل بن تـركي بـن سعيد، حامـل وسام الامبراطورية الهنديـة ووسام نجمة الهنـد، مع الشكـر والتقـدير لأفضـالـه العديـدة التـي شملنـــي بهـا تحـت رعايـته وتذكـاراً للسنـــوات الخمس السعيدة التي أمضيتها فـي خدمة سمـوه». وفي هذا الكتاب يقص بـرترام خبراته فـي مسنــدم حيـث كـــان الشيـــخ حســن والــي خصــب يتزعـم قبيلــة الشحوح القويـة التي رفضت السماح لفريـق المساحة التابـع للسفينـة البريطـانيـة «إتـش إم إس أورمانـد» بالنزول إلى الشاطيء ورفـع راية المساحـة فـوق قمـة أحـد التلال، وتجـاهلـت رسـالـة مـن حكـومة مسقـــط وتسببـت بـذلـك في احبـــاط عزيمـــة فريـــق برتـــرام للمساحة مؤقتاً.

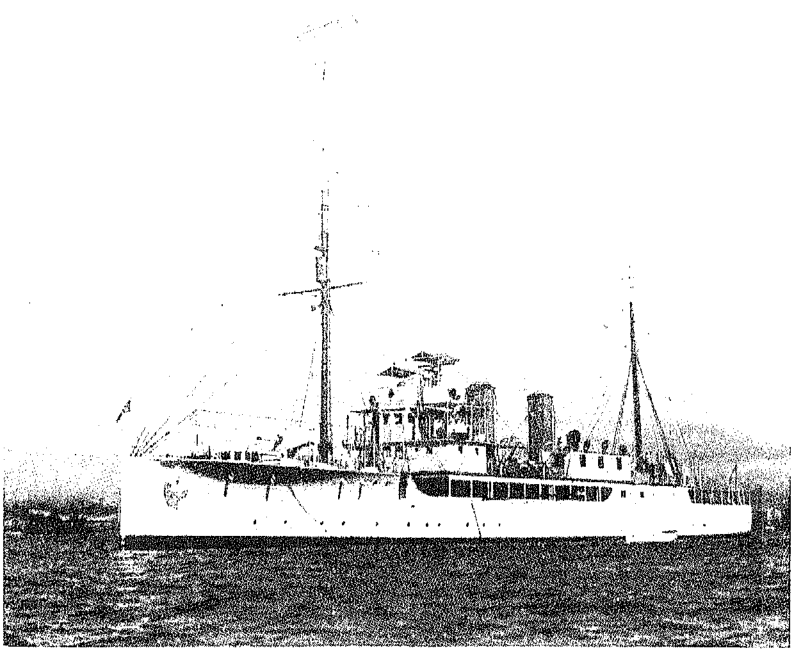
ويعلق توماس على ذلك بقولـه لقد بدأ هذا التحدي في عام ١٩٣٠م قرب نهاية حكـم السلطان تيمور وفي وقت كانت فيـه قبيلة الشحوح في مسندم تعـرض عضلاتها. ولـم ينتهـي الأمـر عنـد هذا الحـد فقـد عـادت السفينـة «السعيدي» بقيادة الكـابتن رشيد إلى مسندم فـي أبريل من ذلـك العام وأحضرت برتـرام توماس للتفـاوض على تسوية سلمية للنزاع.

وبعد محـادثات تمهيدية شعر توماس بأنهم يجهزون قوة دفـاعية لمقاومة أي محـاولة للنزول إلى الشـاطيء. وظهـرت إحدى السفـن الحربيـة البـريطانيـة في الأفـق ووصـف توماس هذه الواقعة كما يلي:

قرع الجـرس أربع مرات حضر بعـدها الكابتـن رشيد للابلاغ عن اقتراب احدى السفن البـريطانية قائلاً تأتي من أعمـاق البحر بـارجة ذات هيكـل طويـل ومنخفض وذات صارية طويلة عليهـا قمعين (رايتين) خفيضين. إنها نموذج رائد جميـل ووقور وأنها لتبدو أنيقـة تحت أشعة الشمس. إنها زيارة غير متـوقعة بالنسبة لي لأن السفينـة السعيدي غيـر مجهزة بجهـاز لاسلكي. لكـن سـرعان مـا تبـادلنـا الاتصال بـالـرايـات وتوجهـت لاستقصـاء الأمـر، فـوجدتهـا السفينـة «إتـش إم إس



بارترام توماس على ظهر جمله المفضل «خوره» كما يظهر على صفحة الغلاف الداخلي لكتاب «أخطار ورحلات قصيرة في الجزيرة العربية»، ١٩١٣م.



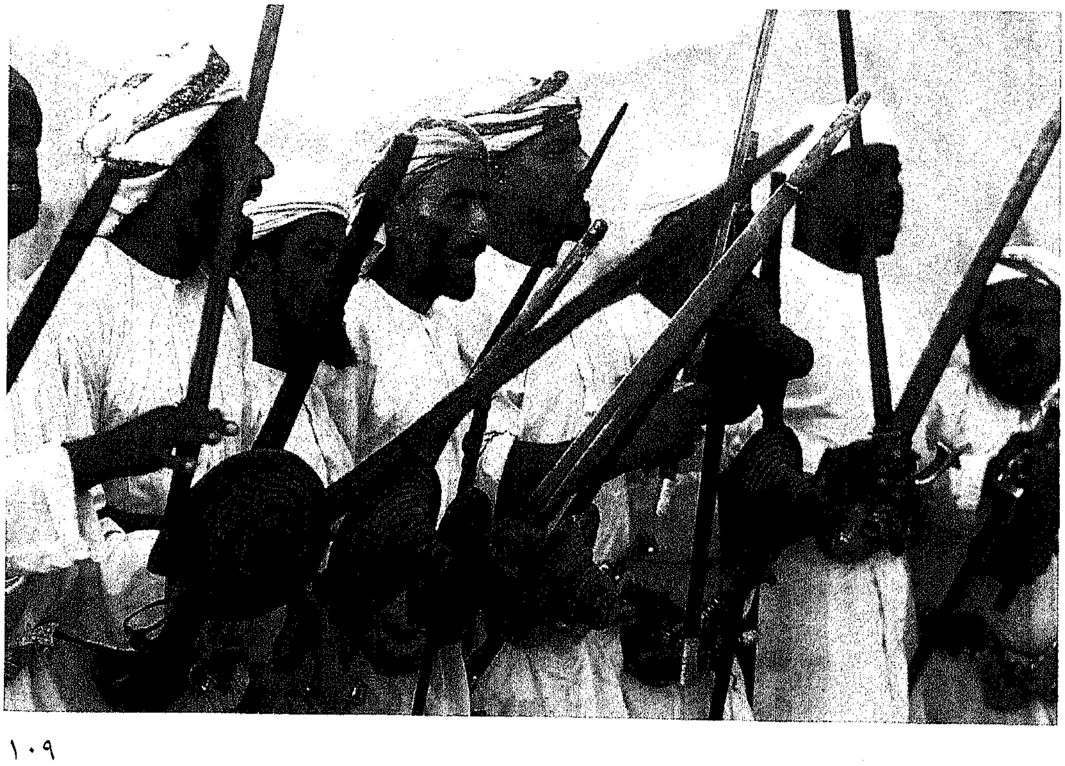
صورة للسفينة الحربية البريطانية «سلوب الخليج العربي، سيكلمين» تم التقاطها في حوالي عام ١٩٣٠ وهي تبحر بالقرب من ساحل عمان. وقد ظهرت هذه الصورة في كتاب برترام توماس «أخطار ورحلات قصيرة في الجزيرة العربية» الذي نشر في عام ١٩٣١. كان قد تم ارسال هذه السفينة لحسم الخلاف القائم بين حكومة مسقط وشيوخ مسندم.

لوبين»، سفينة نائب القائد البحري الأعلى الذي عن طريقه كان علي الابلاغ عن الوضع .....».

وقد نظرت مسقط إلى الحالة في مسندم بجدية، لكن كما يتذكر توماس، فإن ثمانية أسابيع من المفاوضات الصبورة للحصول على الموافقة المحلية بوضع راية على الجبل تمخضت عن رفض هذا المطلب تماماً في رسالة كتبها الشيخ محمد بن سليمان وأنهاها بتحذير حازم نصه «نطلب منكم اتقاء هذا الأمر وعدم التدخل في أراضينا وممتلكاتنا. إن حكمكم المطلق ينطبق عليكم أنتم والخطر يقع عليكم أنتم ولا تلومونا.. والسلام عليكم.».

وفي النهاية وقع إختيار فريق المساحة على تل آخر وحقق الشيخ محمد نصرا مؤقتا. وآخيرا وفي ١٨ أبريل تم إعطاء الناس الموجودين على الشاطيء إنذارا نهائيا «بالاستسلام لحكومتكم دون قيد أو شرط.. حكومة البوسعيد الممثلة في السفينة الحربية المدفعية «السعيدي» وذلك في خلال ٤٨ ساعة من استلامكم لهذا الانذار. وإذا لم تستسلموا فسوف تقوم قوات مسقط بقصف ممتلكاتكم ...». ولم تتم الاستجابة لهذا الانذار وبدأت السفينة بالفعل في قصف قذائفها التي وصفها توماس مستعيناً بالرسومات. ونجحت عملية القصف في الحصول على التنازل الذي تمت كتابته باللغة العربية الفصحى. وهو يستحق أن نكرره هنا حتى ولو من باب المعرفة بأساليب الاتصال في ذلك الزمان والمكان:

إلى السيد تيمور بن فيصل سلطان مسقط وعمان حماه الله وأبقاه ومجده وصانه وجعل جناته ومثواه ومأواه. أما بعد، فإننا نبلغ معاليكم أننا شعبك وعبيدك من قبل قدى. يا أيها السيد نحن شعبك وعبيدك وتراب قدميك من أيام أبائنا وأجدادنا والآن وكما لا يخفى عليكم أصبح حسن هو حاكمنا. واليوم نحن لا نريده شيخاً أو حاكماً علينا على الاطلاق ونتوسل إليك اليوم





أن تعفو عنا وتسامحنا ونحن تحت أمرك وقيادتك ولا نستطيع مخالفتك. إنك إمامنا وسلطاننا ونود أن نتلقى منك رداً في الحال مع حامل هذه الراسلة. ومهما كانت أوامركم فنحن تحت أمركم ونتلمس عفوكم. رحمة بنا يا سيدنا وإشملنا برعايتك فأنتم أهل الرعاية ومهما أمرتنا به فسننفذه.

من جميع أهل شحوح قدى .... الشيخ.

وأصر توماس على أن يتراجع الشيخ حسن بنفسه، وتمت معاودة القصف مرة أخرى وأصيب منزل الشيخ حسن. وأخيراً وفي ٧ مايو وعقب تدخل أحد وسطاء السلام وهو الشيخ سعيد من دبي استسلم الشيخ حسن وتم ارساله إلى مسقط كسجين. وكانت هذه هي الأحداث التي وقعت أثناء حكم السلطان السيد تيمور بن فيصل. وقد عكرت المشاكل المالية معظم هذه الفترة وفي عام ١٩٣٢ سلم مقاليد الحكم لأبنه السيد سعيد بن تيمور وتقاعد في بومباي حيث توفي في عام ١٩٦٥.

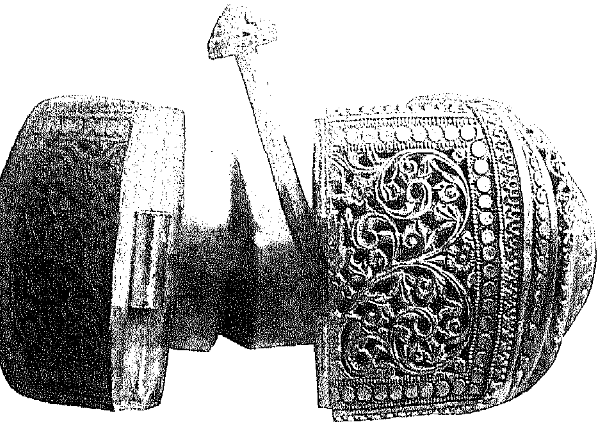
السلطان السيد سعيد بن تيمور

(١٩٣٢-١٩٧٠م)

السلطان السيد سعيد هو والد السلطان قابوس سلطان عمان منذ عام ١٩٧٠م. لقد ورث البلاد وهي تعاني من مشاكل مالية خطيرة وقام بتطبيق سياسة مالية حكيمة أتاحت له إعادة الأوضاع المالية للبلاد إلى الطريق الصحيح. وقد واجه بعض الأزمات أثناء فترة حكمه تركزت أساساً حول تقلبات الولاء القبلي والسياسات الداخلية.

وعندما تم اختيار الإمام الجديد غالب بن علي في عام ١٩٥٤م قامت ثورة أخمدتها في البداية الاجراءات العسكرية الصارمة. لكن تجدد هذا النشاط في عام ١٩٥٧م بزعامة طالب شقيق غالب وبتأييد من الشيخ سليمان بن حمير، من بين آخرين، وأمكن إخماده بمساعدة البريطانيين.

وكان لمجيء عصر النفط تأثيره أيضاً على عمان أثناء حكم السلطان السيد سعيد. فعقب



اكتشاف النفط العربي لأول مرة في البحرين في عام ١٩٣٠م وعقب الاكتشافات الأخرى في المملكة العربية السعودية جذبت المنطقة الجنوبية الشرقية للجزيرة العربية بأكملها اهتمام شركات النفط الدولية. وتم بالفعل أثناء حكم السيد تيمور اجراء أعمال مسح للنفط في العشرينات من القرن الحالي لكنها لم تسفر عن اكتشاف أي نفط وانحسر الاهتمام بالأمر.

وتم منح شركة امتيازات البترول المحدودة امتيازاً للتنقيب عن النفط في عام ١٩٣٧م، لكن لم يحدث أي شيء إلا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عندما قامت نفس الشركة والتي اعيد تسميتها باسم شركة تنمية نفط عمان باجراء مسح جيولوجي في عام ١٩٥٤م لشمال عمان في فهود. وبالرغم من أن المؤشرات الجيولوجية كانت موجبة إلا أن الجهود الأولية لم تنجح في الكشف عن أي حقل للنفط.

وفي عام ١٩٦٢م تم اكتشاف أن البئر الاستكشافية قد أخطأت في تحديد مكان حقل ضخم للنفط لا يبعد عنها إلّا مسافة بضعة مئات من الأمتار فقط. إن اكتشافات النفط في عمان لم تتيسر بسهولة نسبية كما حدث في البحرين والمملكة العربية السعودية. فقد تم انفاق ١٢ مليون جنيه استرليني قبل أن يتم العثور على أول بئر تجارية للنفط في يبال في عام ١٩٦٢.

وقد تبع تحقيق الاكتشاف الأول حدوث اكتشافات أخرى. فقد تم اكتشاف حقل بطح في عام ١٩٦٣م وحقل فهود في عام ١٩٦٤م وهو أول حقل يبدأ في الانتاج عام ١٩٦٧م. وجلبت الاكتشافات المبكرة للنفط في عمان في عصر السلطان السيد سعيد بالاضافة إلى الايرادات الناتجة عنه طموحات جديدة للتنمية الاجتماعية في البلاد. ومع ذلك فإن مقدرة السيد سعيد على متابعة التغير السريع وتردده في مواكبة عصر التقدم أدى في النهاية إلى تنازله عن الحكم في عام ١٩٧٠. وقد ظل خلال الفترة من عام ١٩٥٨ إلى عام ١٩٧٠م مقيماً في ظفار حيث يصدر المراسم من هناك ولم يزر شمال عمان على الاطلاق.

وقبل اكتشاف النفط لم يكن لدى عمان ما يكفي من الاعتمادات المالية لتلبية المتطلبات الاجتماعية للبلاد من ناحية اقامة الطرق والمدارس والمستشفيات وشبكات الاتصالات وغير ذلك. ولذلك لم يكن من المدهش أن يتبع سلطان عمان إسلوباً حذراً في الانفاق العام أو أن يجد من العسير عليه تغيير نمط حكومته في أواخر عهده.

وقد أتاح تنازله عن الحكم أن يتولى إبنه قابوس بن سعيد مقاليد السلطة ويقود عمان على طريق مسيرتها الحالية للتنمية الواعية والتقدم المدروس، وعقب تولي قابوس بن سعيد مقاليد الحكم بفترة قصيرة تم قبول عمان رسمياً عضواً في هيئة الأمم المتحدة وفي جامعة الدول العربية ويمثل ذلك علامة بارزة في تاريخ دولة عمان.

وقد توفى السلطان السيد سعيد في لندن في عام ١٩٧٢م بعد عامين من تنازله عن الحكم لابنه الذي تولى قيادة عمان على طريق التقدم الحالي وهي قصة سنتناولها في الفصل التالي.



عمان الحديثة


شركة تنمية نفط عمان

توفر الحكومة العمانية أفضل المرافق الترفيهية العصرية للمواطنين، مع المحافظة في نفس الوقت على العادات والتقاليد والبيئة. ويظهر في هذه الصورة مشهد لحديقة ريام.



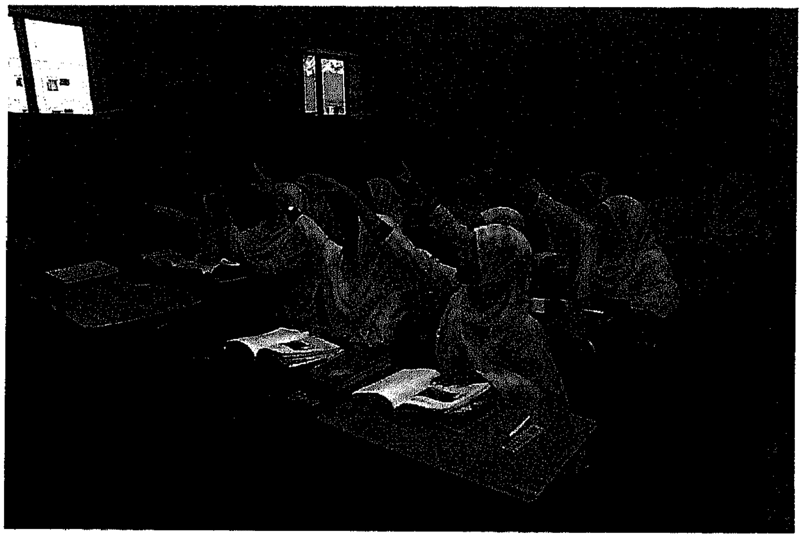
سي فيوجارد

جلالة السلطان قابوس بن سعيد

عمان الحديثة

" ولا شك أن الناحية الاقتصادية في كل أمة هي عصب حياتها ومصدر قوتها وسند سيادتها واستقرارها.

اننا نركز اهتمامنا لايجاد الوسائل والسبل والمشاريع لرفع مستوى اقتصاد بلادنا وتوفير العمل والعيش الكريم لكل مواطن" .
(جلالة السلطان قابوس بن سعيد).



وزارة الاعلام

تعطي الحكومة الحالية الأولوية لقطاع التعليم. وبينما كان في البلاد ثلاث مدارس ابتدائية فقط في عام ١٩٧١ تضم ٩٠٩ طالباً فقد زاد هذا العدد في العام الدراسي ١٩٩٥/٩٤ ليصبح ٤٧٤٨٨٨ طالباً.

إن أهم سمات عمان المحببة هي أنها استطاعت أن تحقق توازناً رائعاً بين تطورات وخصائص العصر التكنولوجي الذي نعيشه وضرورة المحافظة على التراث الثقافي القومي وعلى العادات والتقاليد العريقة وعلى القيم الروحية التي يتميز بها شعبها.

وفي الواقع، فإن التقدم الحقيقي هو أن تستطيع الأمة أن تحقق التقدم والتطور دون أن تدمر كل ما هو جميل ورائع سواء في المجتمع أو في الأمة ذاتها.

ومن الواضح أن حكومة عمان قد ركزت كل جهودها من أجل رفاهية مواطنيها ورفع مستواهم المعيشي دون أن تقضي على التراث الثقافي الفريد في البلاد أو على القيم الانسانية أو تخل باحترام البيئة.

وعندما نتطلع إلى عمان الحديثة وإلى إنجازاتها المرموقة التي تحققت في عهد جلالة السلطان قابوس بن سعيد فعلينا أن ندرك ونعي الأولويات القومية التي أضاءت الطريق أمام اتخاذ مثل هذه القرارات الرشيدة التي كانت السبب وراء تحقيق هذا النمو والتطور الرائعين اللذين شهدتهما البلاد خلال فترة العقدين والنصف الماضيين.



يتم تشجيع مزاولة النشاطات الرياضية في جميع المستويات وأصبحت كرة القدم تحظى بشعبية كبيرة.

التعليـم

دعونا نبدأ باستعراض بعض الاحصائيات البسيطة، ففي عام ١٩٧١ لم يكن هناك أية مدارس اعدادية أو ثانوية في عمان، بل كان هنـاك فقط ثلاث مدارس ابتدائية فـي كافة أنحـاء البـلاد تضـم ٩٠٩ طفلاً يشـرف علـى تعليمهـم ٣٠ معلماً. وكان تعليـم البنات أمراً غير معـروف في ذلك الحيـن. وبعد مضـي عشر سنـوات فقـط، أي في العـام الدراسي ١٩٨١/١٩٨٢م، تغيرت الصـورة تماماً فقد زاد عدد الطلاب بنسبة ١١٩٣٤٪ ليبلغ ١٢٢١٤٣ طالباً يتـم تعليمهـــم في ١٧٧ مـدرسـة ابتدائيـة و ٢١٠ مدرســة اعداديـة و٢١ مـدرسـة ثـانويـة وسبع مـدارس اعداديـة اسلاميـة ومدرسـة ثانـوية اسـلامية ومـدرسة تجـارية ومدرسة زراعية وأربع كليات للمعلمين ومدرسة خاصة.

كمـا زاد عـدد المعلميـن زيـادة كبيـرة خـلال عشـر سنوات فقـط من ٣٠ معلماً الـى ٦٧٤٥ معلماً أي بـزيادة هائلة نسبتها ٢٢٤٨٣٪.

إن من الصعب أن نجد دولة أخرى في العالم شهدت مثل هـذه الطفرة التعليميـة في فتـرة وجيزة. وبعـد مضي عشر سنوات أخرى، أي في عام ١٩٩١، نجـد أنه يتم تدعيم هذا النمو العارم ونشاهد حـدوث زيادة مفاجئة أخرى سواء في اعـداد الطلاب أو المعلمين، فقـد تضاعف عـدد الطلاب ثلاث مـرات من ١٢٢١٤٣ طالبـاً إلى ٣٦٠٠٦٦ طالبـاً مع زيادة مماثلـة في أعداد المراكـز التعليمية. وبالاضافـة الى ذلـك فقد حـدث انخفـاض بسيط فـي نسبـة الطلاب الـى المعلمين في المدارس الابتدائيـة حيث انخفضت النسبة من ١:٣٥ في عـام ١٩٧١ إلى ١:٢٨ في عـام ١٩٩١. ويتضـح من هذه الأرقام ان حكومة جلالـة السلطان قابوس قد أعطت الأولوية للتعليم المجاني ولاتاحـة تكافؤ الفرص أمام جميع المواطنيـن العمانيين. انهـا مهمة ضخمة لا زالـت مستمرة، لكن الانجازات كانت رائعة.

ان مثـل هذا التقـدم الرائع هـو خير مبـرر لتأكيـدات جلالة السلطـان قابوس والتي يقول فيهـا "التعليم يجب ألا يبقـى وسيلة لتثقيـف الفرد فقـط، بـل يجب أن يعنـي أيضاً بتكوين شـخصيته حتـى تلعب عمان دوراً مهماً في الشؤون العـالمية". ويشـرح جلالتـه ذلك قـائلاً: "إننا نهدف إلـى نشر التعليم فـي جميع أنحاء السلطنـة، لكي ينال كـل نصيبه في التعليم وفـق قدراته، كما نعمـل على وضع خطـة للقضاء علـى الأمية ونركـز بصورة خـاصة على التعليـم المهني والتعليم العالي حتـى نلبي حـاجة البلاد من القوى البشـرية العمانية المدربة".



وزارة الاعلام

التدريب المهني عنصر هام في سياسة التعليم العمانية. وتتلقى الطالبات الممرضات تعليمهن في معهد الصحة.

إننا لا نبتعـد عن الحقيقـة عندمـا نقول بـأن قلة مـن البلدان فقط استطاعت أن تشهد مثـل هذه الطفرة الهائلة في مجـال التعليم في فترة وجيـزة، غير أنه من الـواضـح أيضاً أن اهم الخطـوات التي تثير الاعجاب والتـي خطتها عمان قد بدأت مع تقلد جلالـة السلطان قابوس بن سعيد مقاليد الحكم في ٢٣ يوليو ١٩٧٠.

وتلخيصـاً للفلسفة التـي أرشـدت سيـاسة التعليـم العمـانية فـإننا نستيعـن بالـوثيقة التـي أعدتهـا وزارة التربيـة والتعليم العمانيـة والتي تقول: «الايمـان والعلم والعمل هـي الركائز الأساسيـة لتقدم المجتمع العمـاني وتطـوره وبها يتمكـن المجتمع العمـانـي من استغـلال مـوارده وثـرواته وتنميتهـا بمـا يكفـل لأفراده الـرخـاء والعيش الكـريم. ولـذا فان العمل المـرتكز علـى الايمان والعلم يعتبـر حقاً وواجبـاً وشرفـاً لكل قـادر من أفـراد المجتمع يقوم بأدائه باتقـان وأمانة واخلاص وصدق. إن سلطنـة عمان وهـي تعي طبيعـة التحديـات الاجتماعيـة والثقافية والاقتصادية التي تجابه المجتمع العماني وهو ينهـض بعد فتـرة طـويلة مـن الـركـود لتتصدى لهـذه التحديـات بتسخير كل جهوده وتجنيـد كل طاقاتـه وفي سبيـل خلق مجتمـع حـديث البنيـان قـادر على تحمـل مسؤولياته وواجباته الوطنية والقومية الكاملة».

ان ثمـار الجهـود العمانيـة المبـذولـة في مـواجهـة التحديـات الجبارة التي واجهتهـا البلاد فـي عام ١٩٧٠ واضحة اليوم فـي وجوه الشباب المتعلم الذيـن هم نتاج سياسة التعليـم الرشيدة والنيرة التي تأخـذ في الاعتبار الكيان الكلي والدور المحتمل لكل فرد في المجتمع.

وقد انحصرت الفلسفة الأسـاسية فـي تطوير مجموعة كاملـة من القـدرات الانسانيـة بما فـي ذلك فهـم الأمور الاسـلامية والقـدرات العقلية والبدنية والحسـاسية تجاه

الطبيعة والمجتمع والعلوم والفنون وتقديـرها حق قدرها وتجاه المهـارات الوظيفية واخـلاقيات العمـل والمهارات الاقتصـاديـة والقـدرات الاداريـة وتجـاه الشعـور بالمسـؤولية المـدنية والسيـاسية والقـدرة على تقـدير اهمية اوقـات الفراغ واستغلالهـا خير استغـلال. واخيرا ترسيخ فكـرة ان التعليم لا ينتهي بالتخرج مـن المدرسة او الجامعة بل يستمر طوال حياة الانسان.

ومن هذه الانطـلاقة فان سياسة التعليم هـي سياسة رحبة الأفق وتقـدمية. انها أساس ضـروري لتطور عمان الحديث. ان انجـازات عمان في هذا المجال تثيـر الدهشة ايضاً وخـاصة عندمـا يأخذ المرء فـي الاعتبار انه بـرغم قصر الفترة التـي تحقق فيها التقدم والتطـور فإن عمان تعتبـر اليوم «نمـوذجاً لتطـور قطاع التعليـم في الـدول النـاميـة بصورة عـامـة وفـي الـدول العربيـة بصـورة خاصة".

وعلى أية حال، فان معيار نجـاح عمان في هذا المجال لا ينحصر فيما اذا كانت سياستها هي سياسة تقدمية او متخلفة بـل ينحصر فيمـا اذا كانـت ناجحـة في تطـوير مجموعـة كبيرة مـن القدرات الانسانيـة. ومع ذلـك فمن الخطأ الجسيم ان نعطـي الانطباع بأن عمان تعيـش على امجادها فـي مجال التعليم فقط، لأن ذلـك ليس صحيحاً على الاطلاق، اذ انها تنظر نظرة انتقـادية للانجازات التي حققتها وتبحث عما اذا كانت هنـاك اساليب اخرى يمكنها بها أن تحسن نظامها التعليمي.

ان التركيز اليوم منصب علـى الكيف لا على الكم، وقد تـم مـؤخراً اجـراء تحليـل تفصيلـي لأهداف المنـاهـج والمقررات التعليميـة بهدف جعـل التعليم فـي الفصـول التعليميـة فـي مستـوى واحـد مـع الأهـداف الفلسفيـة والموضوعية لسياسة التعليم.

وقد ركزت احدى الدراسات التـي تمت مؤخراً في هذا المجـال على ثـلاث مهـارات هـي الملاحظـة والقيـاس ومعـالجة البيـانات. وتـم اعطاء امتحـانات واستمـارات استبيـان للطلاب فـي ١٥ مـدرسـة ثـانـويـة في عمـان، واستخدام نتائج هذه الدراسـة كأساس للتخطيط السليم لادخال التحسينات على نظام التعليم.

الرعاية الصحية

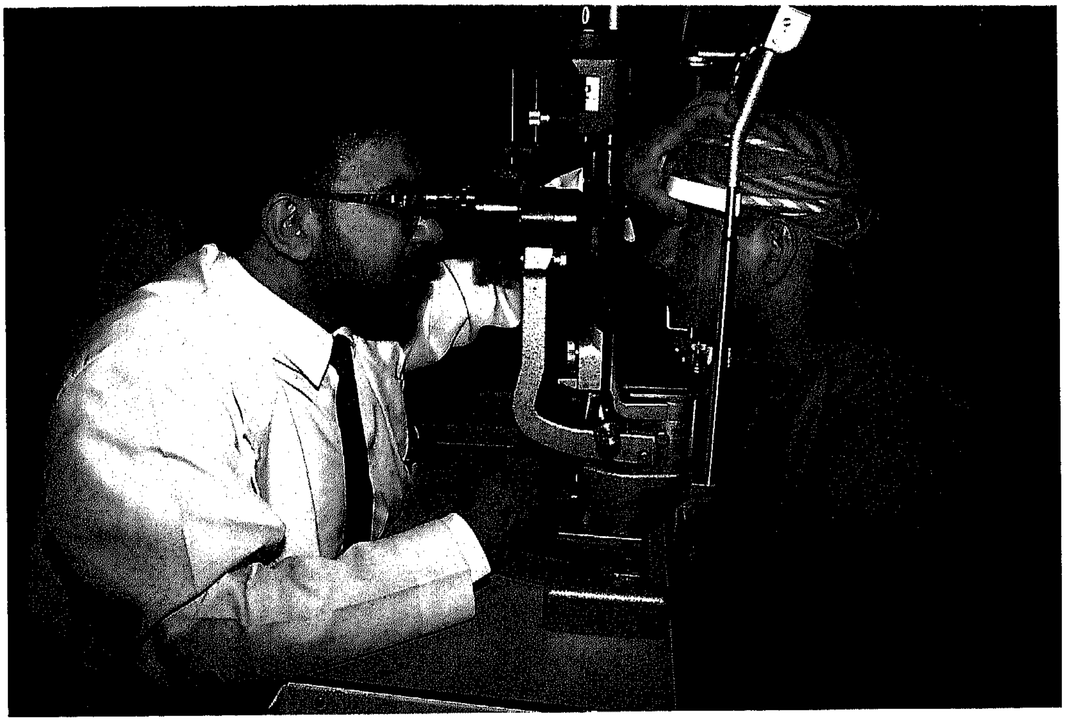
شهد قطاع الـرعاية الصحية نمواً هائلاً بنفـس درجة نمو قطـاع التعليم، وهنـا نستطيع أن نقيـس درجة النجـاح ليـس بعدد المستشفيـات والعيـادات الطبيـة التي تـم اقامتها او بعـدد المرضى الذيـن تـم علاجهـم فحسـب بل بدرجـة التحسن الهائلة في المستوى الصحـي لكافة أبناء الشعب.

ففي عام ١٩٦٠ كانت عمان تحتـل المكانة رقم ١٢٩ من



تعليم العلوم يعتمد على الخبرات العملية الواسعة لتهيئة الطلاب العمانيين لشغل الوظائف الفنية في المستقبل.

وزارة الاعلام



وزارة الإعلام

تم تحسين مستويات الرعاية الصحية تماماً كما هو الحال بالنسبة لمستويات التعليم. لقد حقق برنامج الرعاية الصحية الذي استهله جلالة السلطان قابوس نتائج رائعة ومثيرة.

بين ١٣١ دولة مدرجة في قوائم التصنيف المحلي الدولية لنسبة الوفيات بين الأطفال وهي مكانة تأتي قبل المكانة التي تحتلها سيراليون وافغانستان فقط.

وفي ذلك الحين كان ٣٧٨ طفلاً من بين كل ١٠٠٠ طفل يموتون قبل بلوغ سن الخامسة، لكن نسبة الوفيات بين الأطفال انخفضت إلى ٢٣ حالة فقط لكل ألف ولادة حية مقابل ٢٠٠ وفاة لكل ألف ولادة حية عام ١٩٧٠م. كنتيجة لبرنامج الرعاية الصحية القومي الذي طبقه جلالة السلطان قابوس. كما انخفضت نسبة الإصابة بالأمراض المعدية بصورة كبيرة.

وينقسم برنامج الرعاية الصحية الأولية إلى برامج مختلفة هي قسم نشر برنامج المناعة وقسم مكافحة مرض الاسهال وقسم امراض التنفس الحادة وقسم صحة الفم وقسم منع الإصابة بالعمى وقسم الرعاية الصحية بالأمومة والطفولة وقسم مكافحة مرض السل. ويغطي البرنامج ٩٠٪ من البلاد وأمكنه تخفيض نسبة الإصابة بمرض السل من ٨٦١ حالة إلى ٤٨٢ حالة خلال خمس سنوات. ويركز البرنامج جهوده على تعليم الأمهات وإطلاعهم على أمور النظافة الصحية والرعاية الصحية. ويضمن نظام المراكز الصحية الميدانية توفير سبل الاتصال الممتازة بين شبكة الشؤون الادارية المركزية والمواطنين الذين يسعى البرنامج الى مساعدتهم وخدمتهم.

ومرة أخرى أدت هذه التحسينات الى تحسين نوعية الحياة واطالة العمر المتوقع للمواطنين في عمان. لقد كان متوسط العمر المتوقع في عمان في عام ١٩٦٠ هو ٣٨ سنة فقط وهو رقم سببته نسبة الوفيات العالية بين الأطفال والأطفال حديثي الولادة. ومع حلول عام ١٩٨٨ ارتفع متوسط العمر المتوقع الى ٦٥,٧ وإلى ٦٧ سنة في عام ١٩٩٣ وهو لا يزال في ازدياد مع تزايد تأثير التحسينات المدخلة على قطاع الرعاية الصحية والإسكان والرعاية الاجتماعية والتعليم. ان هذا التأثير المفاجيء على الهيكل الديموغرافي للبلاد ليس له مثيل وهو خير دليل على نجاح برامج التنمية العمانية.

وتهدف الوثيقة التي أعدها برنامج التنمية التابع لهيئة الأمم المتحدة وعنوانها " تقرير عن التنمية الانسانية ١٩٩٠ " الى تقييم مدى التطور الاقتصادي في الدول المختلفة وذلك من ناحية نجاحها في تلبية الاحتياجات الانسانية وليس من ناحية تحقيق الأهداف المالية. وهي تتضمن تقديرات عن كيفية استطاعة ١٠٨ دولة مختلفة خفض نسبة الوفيات بين الأطفال تحت سن ٥ سنوات لتصل الى ٧٪ أو الى النصف بالنسبة للدول التي تقل فيها هذه النسبة عن ١٤٪.

وكانت عمان هي الدولة الوحيدة في القائمة بأكملها التي استطاعت ان تحقق الأهداف التي وضعها برنامج التنمية التابع لهيئة الأمم المتحدة حتى قبل الشروع في كتابة التقرير.

وقد تم في الجدول رقم (١) ايجاز نتائج التحليل.

كما أوجز التقرير نشاط تغطية برامج المناعة في عدة دول مختلفة. ومرة أخرى كانت عمان تحتل مكانة قريبة من القمة حيث نجحت في تحصين ٩٠ في المائة من

الأطفال وتصـل نسبة التحصين ضد الأمـراض الأخرى، مثل شلل الأطفال إلى ٩٩٪ في عام ١٩٩٢.

وبقدر ما تشير الاحصائيات الى تطور عمان الحديث فإن الاحصائيات الخاصة بالصحة تؤكد التزاماتها تجاه رفع مستوى المعيشة لأبناء الشعب.

ففي عام ١٩٧١ كـان هناك ٢١١ سريراً فـي مختلف المستشفيات المنتشرة في انحاء البـلاد بأكملها، وارتفع هـذا الرقـم بـعد مضي عشريـن عامـا فقـط ليصبـح ٣٤٣١ سـريراً ولا يـزال بـرنامـج اقـامة المستشفيـات الجديدة مستمراً.

وقـد تم فـي الجـدول رقـم (٢) ايجاز الاستثمـارات الضخمة التي تمت في قطاع الصحة.

في أسفل الصفحة:
بلازما الدم المحفوظة في بنك الدم في عمان.

جدول رقم (١)

سنة تحقيق الهدف	البلد/عدد البلدان
١٩٨٨	عمان
١٩٩٠_١٩٩٥	الامارات العربية المتحدة، الكويت، كوبا، كوستاريكا، تشيلي، هونغ كونغ
١٩٩٦_١٩٩٩	١٥
٢٠٠٠_٢٠٢٥	٤٠
٢٠٢٦_٢٠٧٥	٢٢
٢٠٧٦_٢١٠٠	٥
بعد عام ٢١٠٠	٩

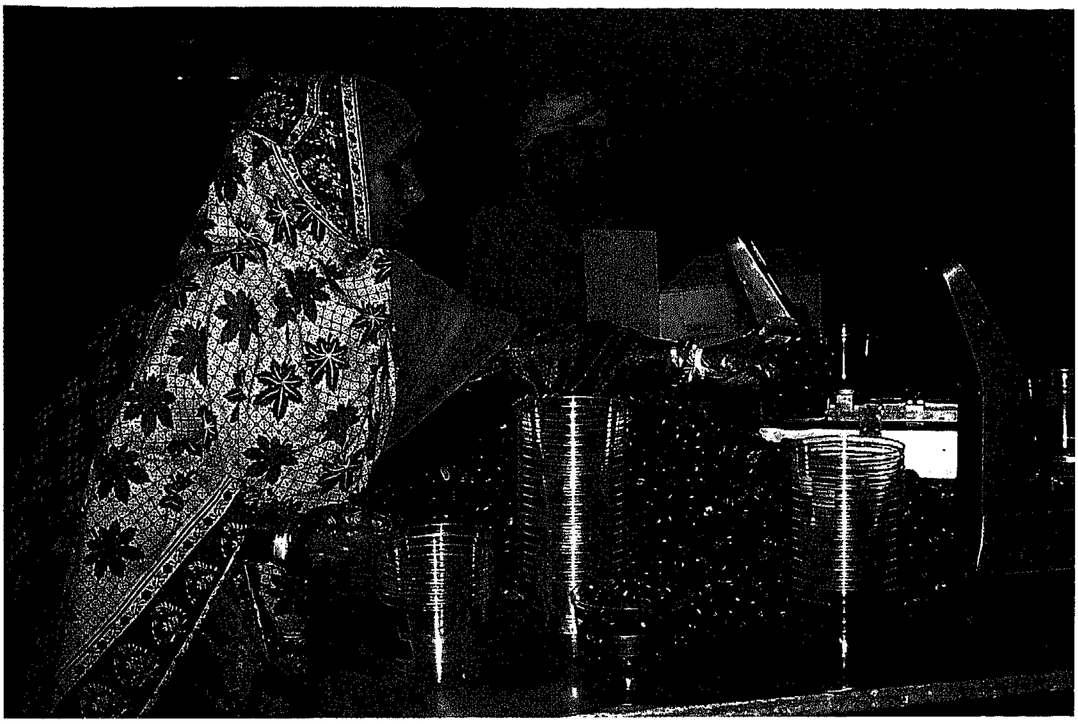
وفقاً لميلر، التنمية الإقتصادية والتخطيط في سلطنة عمان، يونايتد ميديا سيرفيسز، ١٩٩١

جدول رقم (٢)
تطور خدمات الرعاية الصحية

السنة	عدد المستشفيات	عدد الأسرة	عدد العيادات الطبية	عدد الأطباء	عدد هيئة التمريض
١٩٧١	٥	٢١٦	١٠	٤٦	٧٧
١٩٨١	١٤	١٨٨٦	١٧	٣٤٨	١٠٢٥
١٩٩٠	٤٧	٣٤٣١	٩١	٩٩٤	٣٥١٢
١٩٩٣	٤٦	٣٦٢٥	٨١	١٥٦٥	٤٧٢٨



وزارة الاعلام



وزارة الاعلام

تعتمد الصناعات العمانية على الموارد الطبيعية المتوفرة في البلاد، ويشكل التمر جزءاً صغيراً، لكن هاماً من الناحية التقليدية، من القاعدة الزراعية العمانية.

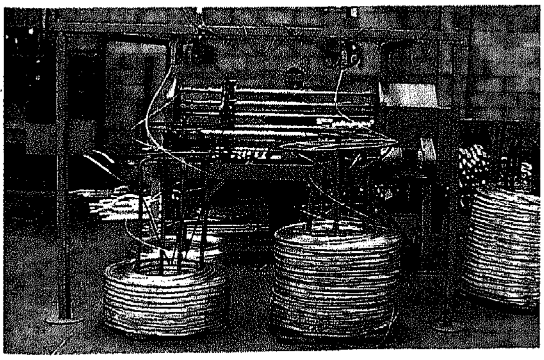
جدول رقم (٣)
النمو الكمي للقطاعات الهامة خلال الفترة بين عامي ١٩٨٠-١٩٩٠م.

الوصف	١٩٨٠	١٩٩٠
اجمالي القطاع المحلي	٢٠٦٣,٥	٥١٥٤,٩
قطاع النفط	١٢٧٩,٥	٢٠٥٤,٢
قطاع المنتجات غير النفطية	٧٨٤,٠	٢١٠٠,٧
المدارس والمعاهد التعليمية	٣٨٨,٠	٨٠٠,٠
عدد الطلاب	١٠٨٣٢٣,٠	٣٦٠٠٦٦,٠
عدد المعلمين	٥٢٥٩,٠	١٥٥٨٧,٠
المستشفيات	١٤,٠	٤٧,٠
الصادرات العمانية (بالمليون ريال)	٤,٦	٦٨,٩
الطرق المرصوفة (بالكيلومترات)	٢١٩٢,٠	٤٩٦٠,٠
خطوط الهاتف	١٥٠٤٤,٠	١٠٧٤٠٩,٠
الميزان التجاري (بالمليون ريال)	+٦١٦,٠	+١٠٣٤,٠
إنتاج النفط	١٠٣,٧	٢٥٠,١
توليد الكهرباء (كيلو واط/ساعة)	٧٨٧,٠	٤٥٠٣,٠

المصدر: الكتاب الاحصائي السنوي لعام ١٩٩٠، يوليو ١٩٩١، مديرية الاحصاءات القومية.



وزارة الاعلام



وزارة الاعلام

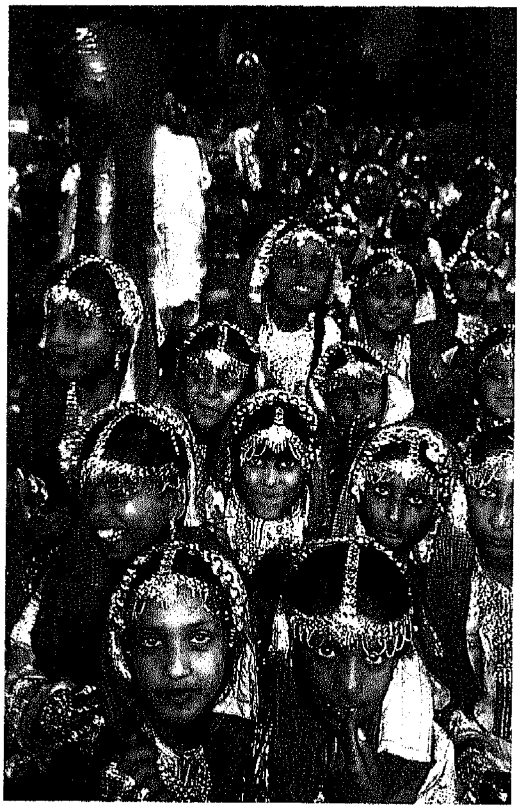
الصورة العليا لجهة اليسار: مصنع للملابس يجمع بين المهارات التقليدية والمزايا التي تتيحها التقنيات الحديثة.

جهة اليسار: مصنع لانتاج الأسيجة ذات الوصلات السلسلية يقدم مواداً حديثة تستخدم في انجاز المهام التي كانت تؤديها يوماً ما الأسيجة المصنوعة من الخشب الطبيعي.

الاحصاءات الخاصة بالتنمية

يشكل قطاعا الصحة والتعليم جزءاً متواضعاً فقط من الصورة الكاملة، لكنهما من القطاعات الحيوية. وإذا نظرنا إلى المؤشرات الخاصة بقطاع الاسكان أو الطرق أو أي من المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية الأساسية الأخرى نجد أن هناك قصة مماثلة تستحق أن نذكرها.

إن من السهولة بمكان، بالطبع، تحقيق معدلات نمو عالية للغاية عندما تبدأ الدولة نشاطاتها التنموية من مستويات منخفضة جداً مثل تلك التي كانت سائدة في عمان في عام ١٩٧٠. لقد عملت الحكومة بجد ونشاط لمدة عشر سنوات لتستطيع بناء الانشاءات الأساسية في البلاد. وقد شهدت الفترة بين عامي ١٩٨٠ و١٩٩٠م مواصلة حركة التطوير والتدعيم كما يتضح في الجدول رقم (٣).



وزارة الاعلام

في أعلى الصفحة جهة اليسار: مجموعة من التلاميذ يرتدون الزي الشعبي التقليدي الجميل أثناء الاحتفال بالعيد الوطني لعمان.

جدول رقم (٤)
توزيع السكان في عام ١٩٩٣م

مسقط	٦٢٢٥٠٦	٪٣١,١
ظفار	١٧٤٨٨٨	٪٨,٧
الداخلية	٢٢٠٤٠٣	٪١,٠
الشرقية	٢٤٧٥٥٢	٪١٢,٤
الباطنة	٥٣٨٧٦٣	٪٢٦,٩
الظاهرة	١٦٩٧١٠	٪٨,٥
مسندم	٢٧٦٦٩	٪١,٤
المجموع	٢٠٠١٤٩٠	٪١٠٠,٠

المصدر: الأمانة العامة لمجلس التنمية، الاحصاء الرسمي الذي أجري في الفترة من ١-١٠ ديسمبر ١٩٩٣م.

زيادة التعداد السكاني

إن إحدى النتائج الحتمية لحركة التنمية السريعة في عمان هي زيادة تعداد السكان، التي تقدر في الوقت الحالي بحوالي ٣,٥ في المائة سنوياً. وفي وقت اعداد هذا الكتاب (سبتمبر ١٩٩٤م) كان التعداد الكلي للسكان يتجاوز ٢ مليون نسمة بقليل. وفي ٣٠ نوفمبر ١٩٩٣م كان تعداد السكان يتألف من ٥٣٧٠٦٠ مهاجراً و٧٥٥٠٧٠ عمانياً من الذكور و٧٢٥٦٤٠ عمانياً من الاناث. وبذلك كانت نسبة المهاجرين هي ٢٦ في المائة من مجموع تعداد السكان، وهي نسبة مقبولة وتطابق احتياجات خطة التنمية الحالية. ومع ذلك تنحصر سياسة الدولة على المدى المتوسط في خفض أعداد المهاجرين عن طريق إحلال العمانيين محلهم وبالتالي المحافظة على توازن التعداد الكلي للسكان مع زيادة المواطنين العمانيين.

وتوحي حقيقة أن أكثر من ٧٠ في المائة من العمانيين هم من الأفراد تحت سن ٤٠ سنة بأن النمو السكاني سيكون من الصفات المميزة للمجتمع العماني في خلال السنوات المقبلة. وقد بات يشكل بالفعل عنصراً هاماً في تشكيل سياسة الحكومة التي تراه عنصراً ايجابياً، لكنه يحتاج إلى تخطيط واعٍ حتى يمكن تلبية الاحتياجات المتزايدة للتعداد السكاني النامي.

في أسفل الصفحة: شباب عمان هم أمل المستقبل العظيم لعمان.لقد استفادوا من خدمات التعليم والرعاية الصحية والخدمات الاجتماعية الحديثة، وهم في نفس الوقت يقدرون ويحترمون تقاليدهم العريقة وثقافتهم.

ويعمل معظم السكان في قطاعات الزراعة والتجارة وصيد الأسماك والصناعات التقليدية والحرف اليدوية. وهم يتركزون في مناطق محدودة نسبياً حيث تشير إحصاءات عام ١٩٩٣ إلى أن ٣١,١ في المائة من السكان يعيشون في منطقة مسقط، يليها منطقة الباطنة التي يقطنها ٢٦,٩ في المائة من السكان.

ويوضح الجدول رقم (٤) التوزيع الكلي للسكان في عمان حسب مجموعات الأعمار.

جدول رقم (٤)
توزيع السكان حسب مجموعات الأعمار.

مجموعات الأعمار	٦٥ فما فوق	٤٥-٦٥	١٥-٤٥	٥-١٤	٠-٤
النسبة المئوية	٢,٣٣	٩,٤٦	٣٤,٧٨	٣٣,٠٢	٢٠,٤٢

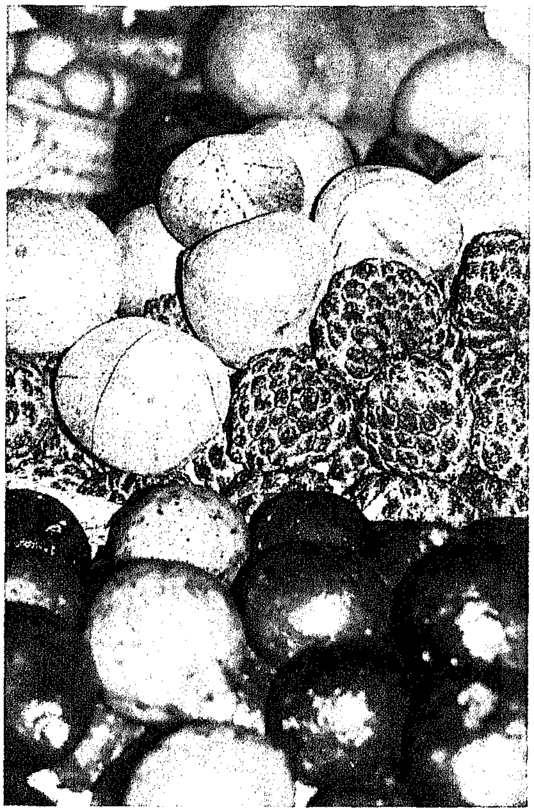
لقد تم اعداد تنبؤات النمو السكاني في عمان اعتماداً على عدة تصورات مختلفة. فإذا افترضنا حدوث زيادة في تعداد السكان الوطنيين في عمان بمعدل ٤ في المائة سنوياً إبتداءاً من رقم التعداد السكاني في نهاية عام ١٩٩٣م، وهو ١,٤٨ مليون نسمة، لوجدنا أن تعداد السكان الكلي سيزداد ليبلغ في عام ٢٠٠٠م حوالي ١,٩ مليون نسمة. وإذا تم الحفاظ على معدل النمو هذا والبالغ ٤ في المائة سنوياً فسوف يبلغ تعداد السكان الكلي في عام ٢٠٢٥م، أي في خلال فترة تقل عن ٣٠ سنة، حوالي ٥,٩ مليون نسمة. وبينما يقول البعض إن زيادة تعداد السكان هو أمر مرغوب، فإن الحكومة تميل إلى تنظيم نمو السكان. وقد أعرب جلالة السلطان قابوس عن الحاجة إلى تطبيق بعض الاجراءات المتعلقة بتحديد النسل والتخطيط الفعال للأسرة.

قطاع الأغذية

يتضح من هذه الاحصاءات أيضاً أن الأيدي العاملة في ازدياد مستمر، ومن المتوقع أن تحدث زيادة سريعة في الطلب على الوظائف. وقد انحصرت استراتيجية الحكومة في هذا الخصوص في اتاحة فرص التعليم والتدريب لمواطنيها لتمكينهم من شغل الوظائف العديدة التي توفرها القطاعات الاقتصادية المزدهرة. ولا يعني ذلك



وزارة الاعلام





بالطبع اهمال النشاطات التقليدية، بل على العكس فقد تم التركيز على هذه النشاطات بدرجة أكبر من التركيز على القطاعات الجديدة حيث أثبتت أنها قادرة على مواكبة التطور منذ فترة طويلة من الزمن. وهكذا يتم في الوقت الحالي اعطاء عناية خاصة لقطاع الأغذية الذي تقع مسؤوليته على عاتق وزارة الزراعة والثروة السمكية.

إن قطاع الزراعة في عمان يتمتع بدعم طبيعي كبير نتيجة لحقيقة أن بعض مناطق البلاد تحظى بمعدل كبير لسقوط الأمطار، وهناك حوالي ٤٠٠٠٠ فدان صالحة للزراعة. وتتضمن قائمة المحاصيل الزراعية الرئيسية المنتجة في عمان، التمر والموز وجوز الهند والقمح والذرة والبرسيم وبعض أنواع الخضروات. وقد تم تأسيس الهيئة العامة لتسويق المنتجات الزراعية، وهي هيئة حكومية، في عام ١٩٨١ بهدف تشجيع المزارعين العمانيين على انتاج الفواكه والخضروات والمحاصيل الزراعية الأخرى، ولتعمل كهمزة وصل فعالة بين المزارعين والتجار. وتقوم الهيئة حالياً بإدارة سلسلة من مراكز الاستلام والتوزيع ساعدت كثيراً في خفض الوقت المستغرق في توصيل المنتجات من المزارع إلى المستهلك، وبالتالي زيادة درجة جودة المنتجات. كما تقوم الهيئة بتشغيل اسطول كبير من سيارات النقل المبردة ولديها مختبرات لمراقبة الجودة ومركز للتدريب ومصانع لتعليب الأغذية ومراكز لاستلام وتغليف الموز. وتتضمن المنتجات الغذائية المعلبة أو المغلفة التي تقوم الهيئة العامة لتسويق المنتجات الزراعية بتشجيع انتاجها مجموعة متزايدة من السلع مثل العسل، واللبان والبخور المغلف في عبوات جذابة كاملة مع المباخر، وأوراق شجر السدر (كان يتم استخدام أوراق أشجار السدر المطحونة كشامبو للشعر وهي تقوي الشعر وتمنع تكّون القشور)، ومسحوق الطماطم، ومسحوق الثوم، ومسحوق البصل، ومسحوق الحنة، والليمون الجاف (يعتبر مسحوق الليمون الجاف أحد المشهيات الممتازة الغنية بالفيتامينات والكالسيوم والبوتاسيوم)، والمخللات، ومربى فاكهة الفيفاي، والتمر المجفف ومسحوق الفلفل الأحمر الحار، ومسحوق التمر المجفف المستعمل كمادة غذائية مكملة والمستخدم في صنع المشروبات أو الهلام والبسكويت والكعك والفطائر، وأخيراً تركيبة «الخيران» وهي تركيبة طبيعية من مسحوق الليمون اللجاف يتم إعدادها وتعبئتها خصيصاً للاستخدام في تحضير المشروبات.

كما أن طرق الري المحسنة قد أدت إلى زيادة الانتاج، لكنها تسببت أيضاً في تعريض المياه الجوفية لضغوط متزايدة أدت إلى انخفاض منسوبها في بعض المناطق. ويتم التركيز حالياً على تحسين الغلة الانتاجية عن طريق استعمال نوعيات أفضل من البذور والمبيدات الحشرية والسماد بدلاً من زيادة ضخ المياه.



وزارة الاعلام



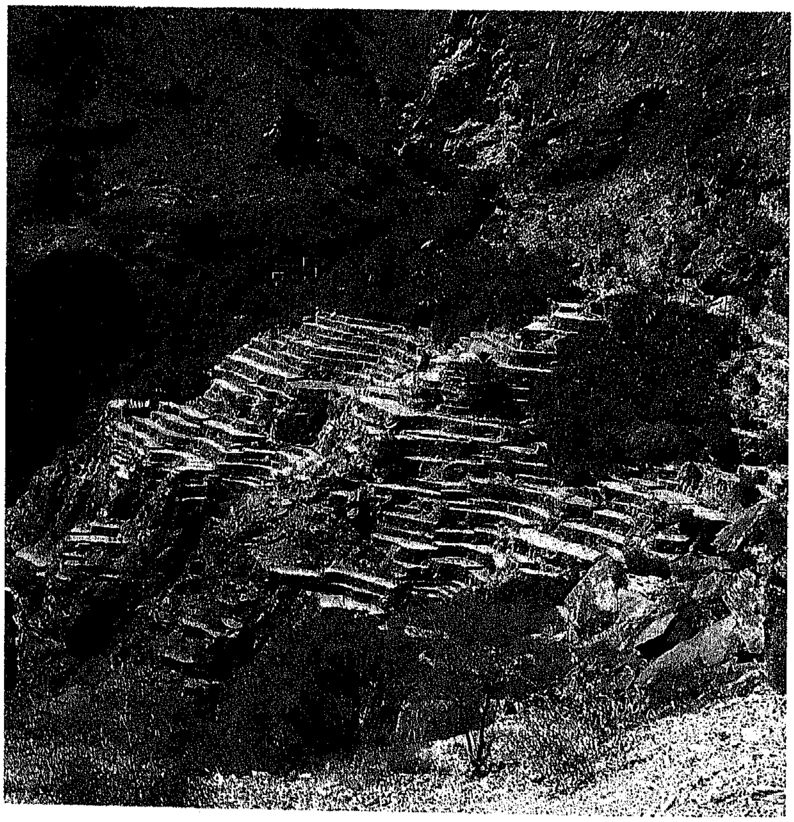
سي فيوجسال، بإذن من وزارة الاعلام

ومن ناحية تربية الحيوانات، يتم توفير الخدمات البيطرية وتقديم النصائح للمزارعين لمنع المشاكل ولحلها قبل أن تتفاقم. وقد أثبت تأسيس مراكز أبحاث الموارد الحيوانية واقامة مصنع للعلف وانشاء بعض العيادات البيطرية أنه حافز هام لتربية الأبقار والماعز والأغنام والجمال والدواجن. وانحصر التركيز في هذا الخصوص في تحسين المنتجات الخام.

وقد حقق قطاع الأسماك تطوراً كبيراً بفضل البيئة البحرية الخصبة للسواحل العمانية التي تمتد مسافة ١٧٠٠ كيلومتراً. وهو يشكل جزءاً هاماً من الموارد الطبيعية الشهيرة في عمان.

وتتضمن الثروة السمكية الغنية المتوفرة في المياه العمانية الأسماك البحرية الصغيرة مثل السردين والأنشوفة، والأسماك البحرية الضخمة مثل التونة والكنعد. وبالاضافة إلى ذلك تغل مناطق سلاسل الصخور البحرية المستوية القريبة من سطح الماء بعض أنواع الأسماك الأخرى مثل سمك الأخفس والنهاش والعديد من أنواع الأسماك الأخرى التي تعيش وتتغذى في قاع البحر وكذلك عدة أنواع من الحيوانات اللافقارية مثل الأربيان والحبار وأذن البحر.

ولا تزال طرق الصيد اليدوية هي عماد قطاع الصيد. وتتضمن الطرق المستخدمة في صيد الأسماك طريقة الصيد باستخدام شباك الغل (وهي شباك ذات عيون تجيز لرأس السمكة أن ينفذ إليها ولكنها تحجزه عندما تحاول الانسحاب) والمصائد المصنوعة من الأسلاك وشباك





سي فيرجسال، بإذن من وزارة الاعلام

الصيد العمودية (شباك السينة) التي يستخدمها الصيادون عند الشاطىء في مواسم الصيد وصنارات الصيد. ويوجد في عمان ما يربو على ١٦٠٠ زورق صيد صغير تقوم بالصيد على امتداد الساحل، بينما تقوم سفن الصيد الكبيرة بالصيد في أعماق البحر. وقد سادت في بعض الأوقات ميول الافراط في استغلال مخزون الأسماك، كما هو الحال في جميع مصائد الأسماك في العالم، لكنه تم السيطرة على هذه الميول في الوقت الحالي.

وتهدف المخططات الحالية إلى ضمان المحافظة على



معدلات ثابتة للصيد. وقد بلغت كمية الأسماك التي تم صيدها في عام ١٩٨٠م حوالي ٧٥٠٠٠ طناً، بينما بلغت كميتها في عام ١٩٨٨م حوالي ١٦٦٠٧٩ طناً. ثم انخفضت بعد ذلك كمية الأسماك التي تم صيدها لتصبح ١١٧٥٣٦ طناً في عام ١٩٨٩. و استقرت عند هذه المستويات طوال السنوات التالية.

إن تحديث أساليب الصيد قد ساعد الصيادين العمانيين كثيراً في تأدية أعمالهم المرهقة والخطيرة في الغالب. ويعتمد حوالي ١٢٠٠٠٠ من السكان في عمان اعتماداً مباشراً في معيشتهم على صيد الأسماك.

ولذلك تم تخصيص بعض الاعانات الحكومية لتوفير زوارق للصيد أكثر أماناً وسهولة في الصيانة، ولتوفير محركات وتجهيزات لهذه الزوارق يجدر الاعتماد عليها. ويتم تنظيم برامج تدريبية لاطلاع العمانيين على كيفية استغلال أحدث التقنيات المطبقة في هذا المجال. ويتم توزيع الاعانات عن طريق صندوق خاص، هو «صندوق الصيادين»، الذي أنشأته الحكومة لمساعدة الصيادين. كما يقدم مركز الدراسات والبحوث البحرية للصيادين خدمات الدعم الفني.

إن سياسة انشاء المزارع البحرية لم تحقق بعد النتائج المرجوة لها، لكن ليس هناك شك في أن هذه المزارع ستصبح من الصناعات الهامة في عمان بمجرد أن يتم التغلب على بعض العقبات البيولوجية.

وتعتبر تسهيلات ومرافق الرسو والتخزين والتسويق من المجالات الأخرى التي تحتاج إلى مساعدة، قدمتها الحكومة بالفعل بسخاء كبير. وقد تم اقامة عدة مراكز للصيد على امتداد الساحل مع تجهيز كل منها بمخازن مبردة.

كما تم تطوير قطاع الصيد التجاري بمشاركة بعض



الشركات الأجنبية وهو يعتمد على سفن الصيد ذات الأحجام المتوسطة والكبيرة وعلى مصنع التعليب الضخم.

وقد تم تصدير بعض أنواع الأسماك الممتازة إلى دول الخليج وآسيا واوروبا وأمريكا الشمالية. ومع ذلك تشير التحليلات النهائية إلى أن ازدهار قطاع الأسماك في عمان يعتمد على مهارة الصيادين العمانيين وعلى المحافظة عليهم. صحيح أن باستطاعة الحكومة أن تقدم العون والتشجيع وأن تسهل بعض النواحي المتعلقة بأعمالهم، لكن يظل الصيادون بخبراتهم بأنواع الأسماك المحلية وبالظروف البحرية هم العمود الفقري لبرنامج تنمية صيد الأسماك.

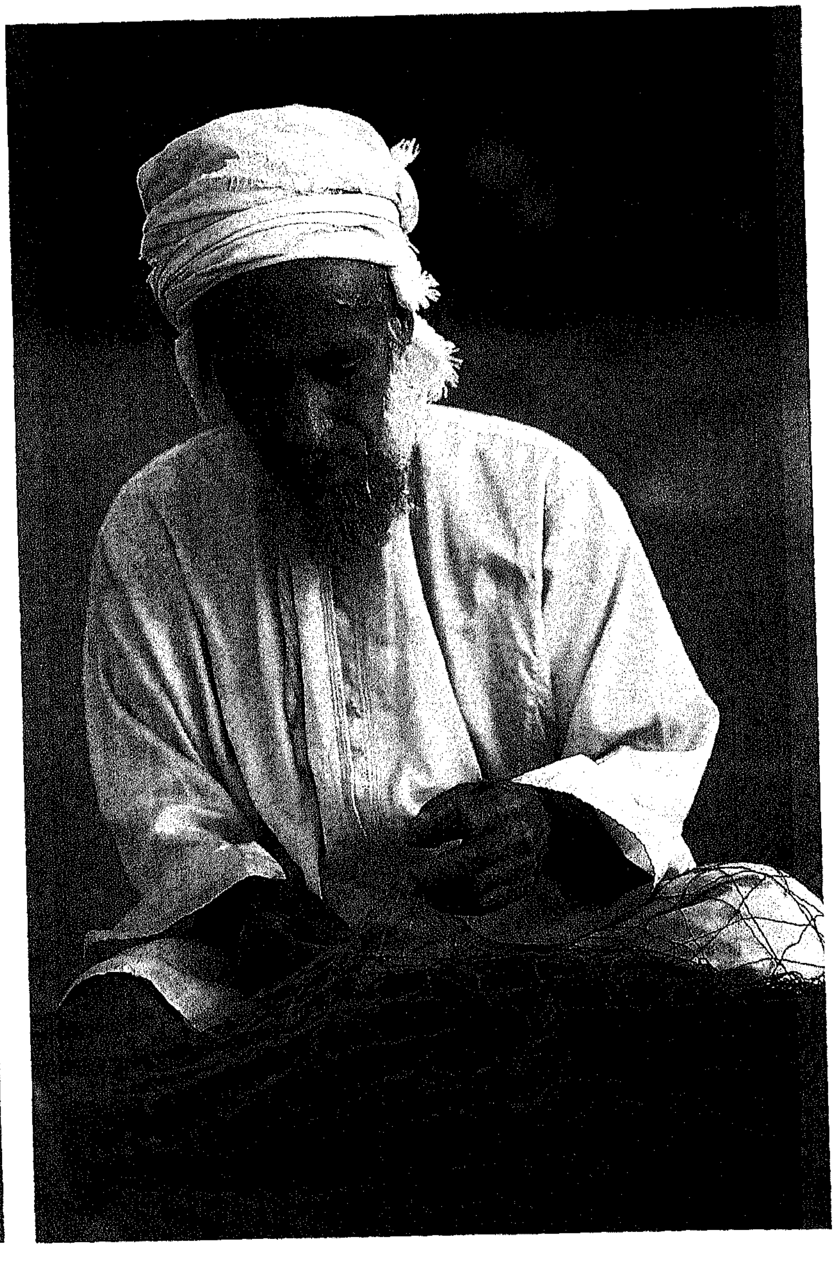
وأحد المعايير التي تدل على مدى الأهمية المعطاة لهذا القطاع الاقتصادي الحيوي هي أن صادرات الأسماك تشكل في قت تأليف هذا الكتاب ٣٠ في المائة من مجموع الصادرات العمانية غير النفطية، وهو مستوى يضمن لهذا القطاع الحيوي أن يحظى بأولوية هامة من قبل الحكومة.

النفط والغاز

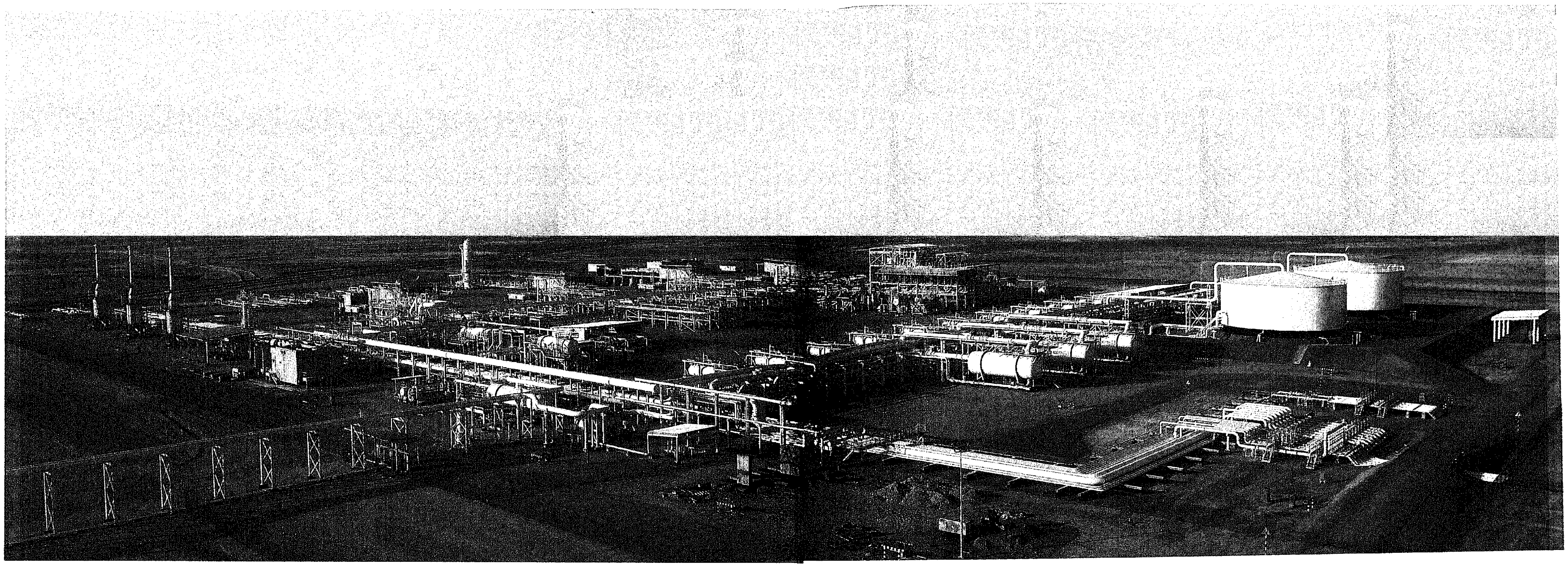
بينما وفرت النشاطات التقليدية للزراعة وصيد الأسماك احتياجات عمان على مر تاريخها، فقد أتاح التنقيب عن النفط واستخراجه في عمان اقامة صناعات جديدة في البلاد لعبت دوراً رئيسياً وهاماً في تمويل حركة التنمية الاجتماعية والاقتصادية التي جاء ذكرها آنفا.

لقد بدأ التنقيب عن النفط في عمان في عام ١٩٢٤م، لكنه لم يتم اكتشاف النفط هناك إلا في عام ١٩٦٢م عندما تم اكتشاف حقل يبال وهو الاكتشاف الذي أعقبه بفترة قصيرة اكتشاف أول حقل تجاري للنفط في الفهود في عام ١٩٦٤م وهو يعتبر أضخم حقل يتم اكتشافه في السلطنة حتى الآن.

وقد بدأ تصدير النفط في شهر أغسطس ١٩٦٧م عندما تم تصدير ٢٠,٩ مليون برميل. وفي عام ١٩٧٠م







شركة تنمية نفط عمان

ازداد هذا الرقم ليصبح ١٢١,٣ مليون برميل. وبعد انسحاب شركة البترول العراقية، وهي اتحاد يمثل مجموعة من شركات النفط، من عمان بعد أن قامت بعدة محاولات فاشلة للتنقيب عن النفط تم منح امتياز التنقيب عن النفط إلى شركة تنمية نفط عمان التي كانت شركة شل هي المساهم الأكبر في رأسمالها وشركة البترول الفرنسية وشركة بارتكس المساهم الأصغر. وبحلول عام ١٩٨٠ بلغ معدل الانتاج ٢٢٩ مليون برميل، وأصبحت الحكومة العمانية هي المساهم الأكبرفي رأسمال شركة تنمية نفط عمان حيث أصبحت تمتلك ٦٠ في المائة من أسهمها مع احتفاظ شركة شل بحصة قدرها ٣٤ في المائة وشركة البترول الفرنسية بحصة قدرها ٤ في المائة وشركة بارتكس بحصة قدرها ٢ في المائة.

ويشرف على ادارة الشركة مجلس إدارة مكَون من تسعة أعضاء، خمسة يمثلون الحكومة العمانية وأربعة يمثلون الشركات التجارية الثلاث الأخرى. ويرأس مجلس الإدارة سعادة وكيل وزارة النفط والمعادن. وتنص اتفاقية تقاسم الانتاج التي وقعتها الحكومة العمانية مع شركات النفط الأخرى التي حصلت على امتيازات التنقيب عن النفط في مختلف مناطق السلطنة على أن تحصل عمان ما بين ٨٠ و٨٥ في المائة من أرباح النفط.

وإذا فشلت احدى هذه الشركات في العثور على كميات تجارية من النفط والغاز، تظل هذه الشركة مسؤولة عن جميع تكاليف التنقيب وغيرها من المصروفات المتعلقة بأعمال التنقيب عن النفط. أما إذا عثرت الشركة صاحبة امتياز التنقيب على كميات تجارية من النفط فيتم السماح لها باسترداد تكاليف التنقيب والتطوير والانتاج من عائدات النفط على شرط ألّا تتجاوز هذه التكاليف ٤٠ في المائة، ومن ثم يتم توزيع العائدات بين الحكومة وشركة الامتياز طبقاً لأحكام اتفاقية امتياز التنقيب عن النفط.

وفي وقت اعداد هذا الكتاب كان لي شرف مقابلة معالي الاستاذ سعيد بن أحمد الشنفري، وزير البترول والمعادن في عمان وطلبت من معاليه أن يعلق «بصورة عامة» على البرنامج الحالي للتنقيب عن النفط.

فأجاب معاليه: «نحن سعداء بنتائج التنقيب عن النفط التي تم تحقيقها خلال العشرين عاماً الماضية لأن أحتياطياتنا المؤكدة من النفط في ازدياد دائم وبلغت الآن ٤,٥ مليار برميل. وسوف نسعى إلى أن نضيف إليها كل عام نسبة تعادل نسبة معدل انتاج النفط الخام في ذلك العام. لقد بلغ انتاجنا من النفط مستويات قياسية تبلغ ٧٥٠٠٠٠ برميل في اليوم. وإذا قارنا احتياطياتنا المؤكدة بالاحتياطيات التي كانت موجودة في عام ١٩٧١م (والتي كانت تبلغ ١,٢ مليار برميل) وبالمستويات الانتاجية في ذلك الوقت والتي كانت تبلغ ٣٠٠٠٠٠ برميل في اليوم نجد أنه قد حدثت طفرة كبيرة. وتشير هذه الأرقام إلى مدى ما حققناه اليوم من نجاح.

عليك أن تتذكر أيضاً أنه في عام ١٩٧٠ كانت هناك شركة واحدة لانتاج النفط في عمان، وهي شركة تنمية نفط عمان. أما الآن فلدينا أربع شركات، هي شركة تنمية نفط عمان وشركة أوكسيدنتال عمان (الأمريكية) وشركة جابيكس (اليابانية) وشركة إلف (الفرنسية). ومن المحتمل أن تعثر الشركات الأخرى التي حصلت على امتيازات التنقيب على بعض النفط.

إن محطة الخوير للانتاج هي انجاز ضخم في مجال تنمية الصناعات البتروكيماوية في عمان. وقد بدأت هذه المحطة، الواقعة على مشارف صحراء الربع الخالي والتي بلغت تكاليفها ٤٣ مليون دولار أمريكي، الانتاج في شهر مارس عام ١٩٩٢م. لقد أعطى هذا المشروع دفعة قوية لانتاج حقل الخوير. ويساعد انتاج هذا الحقل من النفط الخفيف ذي الجودة الفائقة في المحافظة على الجودة الممتازة لمزيج النفط العماني الخفيف المصدر.

كما أن اكتشاف كميات ضخمة من الغاز قد شجع الحكومة على أن تقيم معملاً لاسالة الغاز لتلبية احتياجات التصدير. وتمتلك الحكومة ٥١ في المائة من رأسمال هذا المشروع بينما تمتلك شركات شل وتوتال وبارتكس ميتسوبيشي ووسيتوح وميتسيوي بقية حصة رأس المال. ومن المتوقع أن تبلغ تكاليف المشروع حوالي تسعة مليارات دولار أمريكي وأن يبدأ في تصدير باكورة إنتاجه من الغاز السائل في منتصف عام ١٩٩٩م.

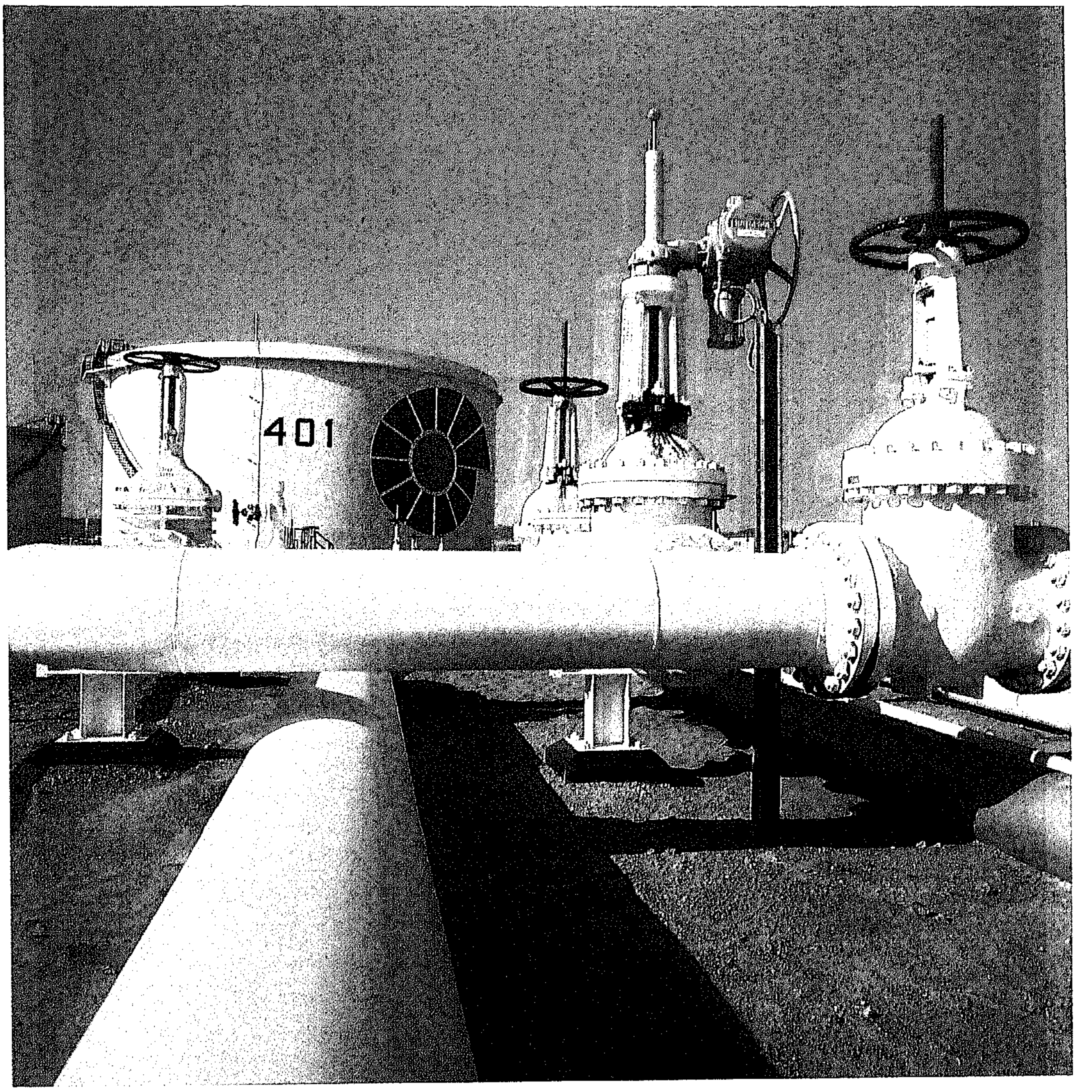
وتقوم عمان الآن بحملة مكثفة للتنقيب عن النفط والغاز وتقييم النتائج. وقد تم بالفعل اكتشاف عدة آبار للنفط والغاز في عام ١٩٩٢م، ويجري حالياً دراستها وتقييمها. ويمكن القول حالياً بأن بعض هذه الاكتشافات الجديدة تبشر بوجود آبار ضخمة للنفط والغاز، مثل آبار حقول مبارك والبحير والنور، بينما يبشر بعضها الآخر بوجود آبار متوسطة الحجم مثل آبار الواحة وحذر وطيوش ووفيق ونوال. أما بالنسبة للتنقيب عن الغاز فإن احتياطياتنا المؤكدة قد تضاعفت وبلغت ١٧ ترليون قدم مكعب. إننا متفائلون بما حققناه في مجال التنقيب عن النفط، ونأمل أن نضاعف هذه الاحتياطيات في المستقبل القريب».

إن هذه الاحصاءات مذهلة، لكن معالي الوزير لا يغفل حقيقة أن النفط والغاز هي موارد طبيعية غير متجددة. ولذلك فبالرغم من التمكن من زيادة الاحتياطيات عاماً بعد عام نتيجة للنجاح في التنقيب عن مزيد من النفط والغاز، فإن استخراج هذه الاحتياطيات في المستقبل سيؤدي في النهاية إلى استنزافها.

ولهذا السبب تطبق حكومة عمان استراتيجية تتطلع نحو المستقبل ليس فقط من ناحية كيف ستنظر أجيال الشباب الحالية إلي الأساليب التي تتبعها الحكومة لتحمي بها هذه الموارد الطبيعية القيمة بل كيف ستنظر الأجيال القادمة، بعد مئات أو ربما آلاف السنين إلى لانجازات التي حققتها الحكومة.

إنها مسؤولية خطيرة تنظر إليها الحكومة بجدية. لأنه إذا قدر أن يتم استغلال النفط والغاز في هذه المرحلة من التنمية العمانية فمن الضروري إذن أن يتم استغلال العائدات المالية لهذه الاكتشافات أفضل استغلال. وقد شاهدنا بالفعل كيف أن عائدات النفط قد ساعدت في تمويل برامج التعليم والرعاية الصحية وبناء شبكات الطرق وغير ذلك من مشاريع التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

وقد سألت معالي الوزير عن السياسات التي تطبقها الحكومة فيما يختص بمسألة التوظيف والعمالة لأنه من الواضح أنه يجب أن يستفيد المواطنون العمانيون على



شركة تنمية نفط عمان

تظهر في الصورة محطة فهود الرئيسية للضخ التي تقوم بتشغيلها شركة تنمية نفط عمان. تتيح هذه المحطة تعزيز كميات النفط القادمة من حقولها عبر خط التصدير الرئيسي في ميناء الفحل.

قدر الامكان من النشاطات الاقتصادية النامية حول صناعة النفط والغاز.

فأجاب معالي الوزير: «في أعقاب توجيهات جلالة السلطان أصبح تدريب العمانيين وإحلالهم محل الوافدين هدفاً قومياً في القطاعين العام والخاص. ويتم تدريبهم في داخل عمان وخارجها.

ويشغل العمانيون في شركة تنمية نفط عمان ٦٣,١٣ في المائة من مجموع الوظائف في جميع المستويات. وقد بلغت نسبة العمانيين الذين يشغلون المناصب القيادية في شركة تنمية نفط عمان ٤٣,٨٩ في المائة، بينما بلغت نسبتهم في المستويات الأدنى ٧٢,٨٢ في المائة. وطبقاً لخطة التدريب واحلال العمانيين محل الوافدين فسوف تصل نسبة العمانيين الذين يشغلون المناصب القيادية إلى ٤٨,٧٢ في المائة ونسبتهم في المستوى الأدنى إلى٧٨,٣٥ في المائة. ويبلغ المستوى الكلي للعمانيين العاملين بشركة تنمية نفط عمان في نهاية عام ١٩٩٤م ٣٠٥٤ موظفاً وهذا يمثل نسبة ٦٨ في المائة من مجموع العاملين لديها ومن المتوقع أن يصل إلى ٧١ في المائة في عام ١٩٩٥م و٩٤ في المائة في عام ٢٠٠٠م».

ويواصل معالي الوزير حديثه شارحاً كيف أنه يتم تطبيق برامج مماثلة لاحلال العمانيين محل الوافدين في الشركات الأخرى مثل شركة عمان للتكرير وشركة جابكس وشركة أوكسيدنتال عمان وشركة إلف عمان.

وقبل أن أغادر مكتب معالي الوزير سألته عن توقعاته بالنسبة للتحديات التي يواجهها قطاع النفط والغاز وعن انجازات هذا القطاع.

فأجاب معالي الوزير: «من ناحية التحديات. فإن هدفنا هو اكتشاف كميات من النفط أكبر من الكميات التي نستخرجها كل عام حتى يمكننا زيادة احتياطياتنا المؤكدة من النفط. وينطبق نفس الشيء على الغاز الذي يتم استعماله محلياً في الوقت الحالي ولم يتم تصديره بعد.

وفي مجال تنمية الغاز هناك عدة مشاريع مثل مشروع الخوير وبيال وبربع والتي يجري تنفيذها بهدف زيادة طاقة تسهيلاتنا لتتطابق مع الزيادة في انتاج النفط. إن مشروع الخوير يعتبر أكبر هذه المشاريع وأعلاها تكلفة حيت بلغت تكاليفه ٥٠٠ مليون دولار أمريكي».

إن مشروع الخوير الواقع على حافة الربع الخالي هو مشروع جبار حقاً، فقد تم اكتشاف حقل الخوير في عام ١٩٦٨م، وبدأ في الانتاج في عام ١٩٧٦. وقد تم خلال الفترة بين عامي ١٩٧٦ و١٩٨٢ زيادة عدد الآبار المنتجة

فــي الحقــل إلــى ٤٢ بئراً. وتبلــغ معــدلات الانتــاج اليــوم ٢٥٠٠٠ برميل في اليوم.

وكانت تجارب الحقن بالماء التي تم اجراؤها فى الحقل بهدف المحــافظة علــى الضغط فــي مكمن النفــط وزيادة معدلات الاستخــلاص إلى أقصى حــد تبشر بالخيــر، و تم وضــع بعــض الخطط لتــركيب نظام للحقــن بالمــاء. غير أن انهيار أسعار النفط في عــام ١٩٨٦م أدى إلى تأخير تنفيذ خطط التنميــة. وأخيراً اعتمــد المساهمــون خطة مشــروع الخوير للغمــر بالماء ووصفوه بــأنه «أكثر مشاريــع تنمية النفط والغاز تعقيداً في تاريخ شركة تنمية نفط عمان».

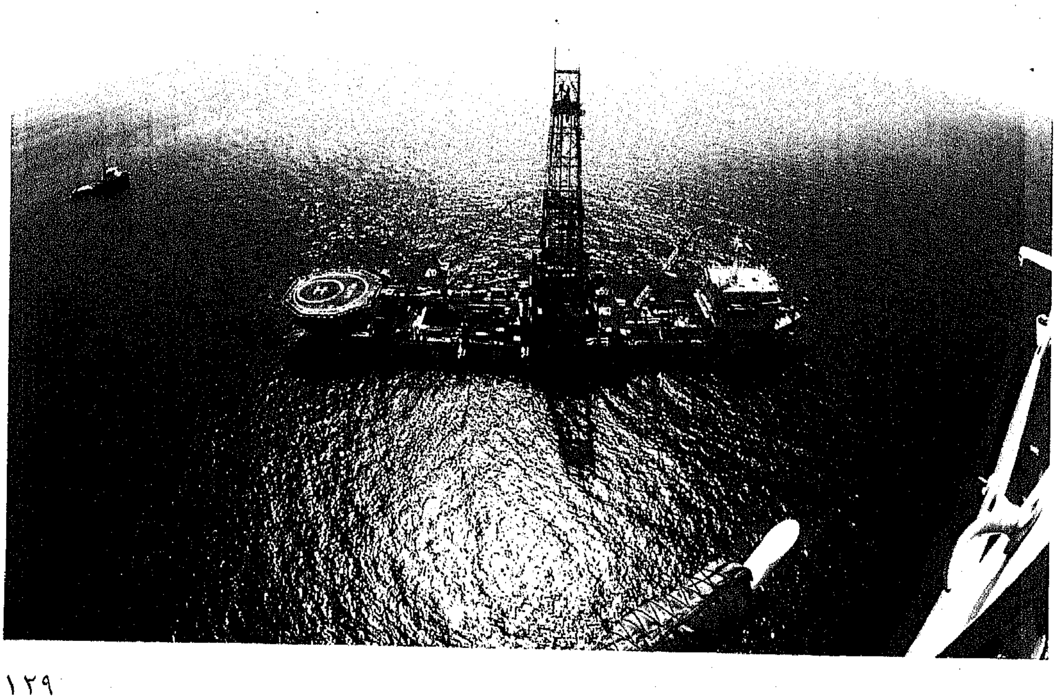
ويتضمن هذا المشروع، المنفذ في ظروف بيئية معادية للغاية، إقامة مدينة صغيرة معزولة في الصحراء بين كثبان الرمل. ويوفــر المشروع للعاملين به والبالــغ عددهم ١٧٠ موظفاً مرافق مكيفة الهواء ومجمــوعة كاملة من التسهيلات. ويجري تــوفير الطاقــة الكهربائيــة اللازمة للمشــروع عن طريق محطة كهرباء خاصة به تبلغ طاقتها ٥٠ ميجا واط.

لقد أتاح هذا المشروع مضاعفــة انتاج الحقل أربع مرات ليبلــغ ١٠٠٠٠٠ برميل في اليوم وبــذلك فهو يسهم بحوالي ١٣ في المائة من اجمالــي صادرات السلطنة من النفط. إن النفط المستخرج مــن هذاالحقل هو نفط خفيــف نقي جداً، مما يساعد في المحافظة على النوعية الممتازة لخليط النفط العماني الخفيف المصدر.

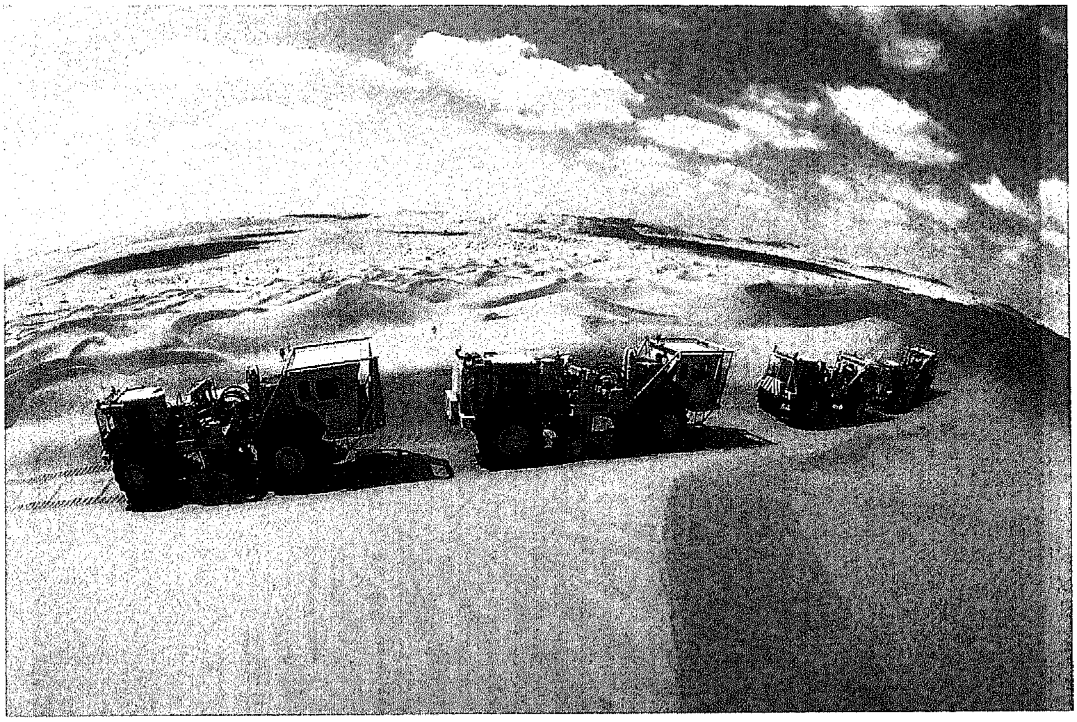
وبالاضافة إلى ذلك يتضمن المشــروع اقامة خط جديد لنقل الغاز بتكاليف قدرها ١٥ مليو ن دولار أمريكي لنقل ما يصل إلى ١,٥ مليو ن متر مكعب فــي اليوم من غاز الخوير إلى معمل الغاز الحكومي ومنه إلى شبكة الغاز الوطنية.

ويمثل هذا المشــروع سبقاً هندسياً رائداً فــي أكثر من مجال، فهــو يمثل أول استخدام لشــركة تنمية نفــط عمان لأحــدث تقنيات أنظمــة التحكــم في التــوزيــع التي تعمــل بالكمبيوتر مما يعزز مــن كفاءة التشغيل، ويمثل كذلك أول استخدام فــي عمان لأنــابيب الايبــوكسي عــديمة الصــدأ والمقواة بــالزجــاج في نقل النفــط الخام ممــا يتيح إطــالة العمر التشغيلي للشبكــة وخفض تكاليف الصيانــة، وكذلك أول استخدام فــي عمان لأحدى التقنيــات الحديثــة التي لا تضر بالبيئة وهي تقنية «السيولفيروكس» الخاصة بتحلية الغاز (معالجــة النفط الخام لازالة المركبــات الكبريتية أو كبت راثحتها) والتي طورتها شــركة شل مما أدى إلى عدم توليــد أي تلوث بيئــي على الاطــلاق مع خفــض التكاليــف الرأسمــالية وتكــاليف التشغيل. كمــا أنها تمثــل أيضاً أول استخدام فــي عمان لــوصلات الادارة بــالسوائل متعــددة

كان التنقيب البحري عن النفط والغاز أحد المعالم الحديثة لصناعة البتروكيماويات في عمان.



شركة تنمية نفط عمان



شركة تنمية نفط عمان

تشكل سيارات التنقيب بالطريقة الزلزالية و التي تعمل في منطقة البهجة جزءاً من برامج التنقيب المستمرة في عمان.

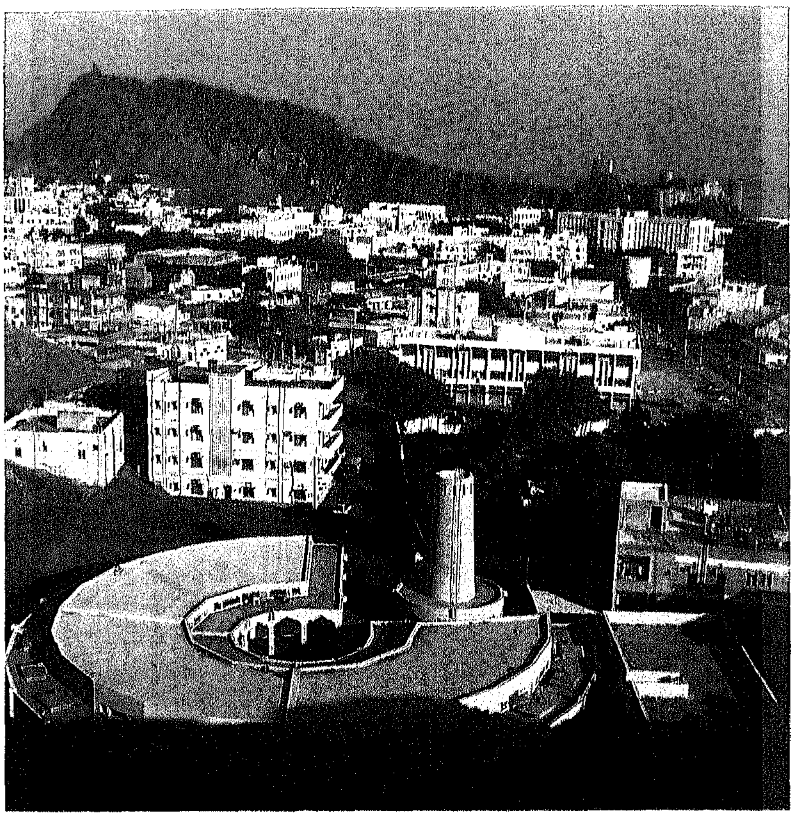
السرعات والمركبة على ضاغطات الـرفع بالغاز مما ساعد في زيـادة درجة الاعتمادية وخفـض التكاليف الرأسمـالية وتكاليف التشغيل في آن واحـد، وأول استخدام في العالم لأضخم وصلـة (جلبة) اسطـوانية مصنـوعة مـن البولـي ايثيلين ومـركبة على دائرة أنابيـب مقفلة لحقن المـاء يبلغ قطرها ١٦ بوصة تؤدي إلـى منع تسلل المنتجات المسببة للتآكل إلى الخزان، وأضخم غمر مـائي في العالم بالضغط العالـي لاحدى تكـوينات الحجـر الجيري المغلقـة، وأول مشروع للحفر فـي عمان يتم انجازه بموجـب عقد «تسليم المفتاح» وأضخـم عقد في العالـم يفوز به مقاول عمـاني، وأخيراً تركيب أول مشعب (سيفون) يستخدم في مشروع ضخم للنفط والغاز ويتم تصنيعه محليـاً في عمان من قبل مقاولين عمانييـن ١٠٠ في المـائة. وعندمـا نقارن هـذه الانجازات الرائعة بالأوضاع التي كانت سائدة منذ عشرين عاماً فقط عندما كانت عمان في مستهل الطريق وتفتقر إلى أي مهارات وخبرات ودرايـات فنية لحفر أحدث آبـار النفط ناهيك عـن إقامة واحدة من أحـدث المرافق من نـوعها في العالم تظهر لنا الانجازات الكاملـة الرائعة التي تم تحقيقها في الخوير واضحة كالشمس.

برامج التنمية

أسهمت صنـاعة النفط والغاز العمـانية اسهاماً رائعـاً في حركـة التنمية الاقتصادية الـوطنية، لكن يـدرك الجميع أن النفط لن يدوم إلى الأبد.

ويتم كل خمس سنوات طرح خطـة جديدة للتنمية تحدد برنـامج الاستثمارات والمشاريـع التي سيتم تنفيذهـا في السنوات الخمس المقبلة. وتعتمد هـذه الخطة على مجموعة من أهـداف التنمية المحددة بـوضوح وهي تنميـة مصادر جديدة للدخل القومي تقلـل من الاعتماد على عائدات النفط وتحل محلها في النهاية وزيـادة نسبة الاستثمارات الوطنية المخصصة لتنفيـذ المشاريـع المدرة للدخـل وخاصـة في قطـاعات التصنيـع والتعـدين والـزراعـة وصيد الأسمـاك وتوزيـع الاستثمارات القـومية علـى المناطـق الجغرافيـة المختلفة مع الأخذ في الاعتبـار تعميم الازدهار والتطور في جميع منـاطق السلطنـة ودعم صيـانة المـراكز السكـانية والمجتمعية الحاليـة بهدف حماية هـذه المجتمعات ومنعها من الهجرة المحتملـة إلى المدن الكثيفة بالسكـان ولحماية البيئـة ومنح الأولـوية القصـوى لتنمية المصـادر المائيـة القـومية ولتنميـة الموارد البشـرية أيضـاً ورفع طـاقاتهـا للاسهام فـي الاقتصاد القومي وتلبيـة متطلبات الانشاءات الأساسية ودعم النشاطات التجارية عن طريق التخلص من النقص الذي تعاني منه الأسـواق وخاصة في مجالات النقل والاتصالات والتخـزين وغيـر ذلك مـن القيود التـي تعوق حركة المنافسـةالتجارية مـع الأخذ في الاعتبار دعم ازدهار الأسـواق المتنـافسـة واتخاذ الاجـراءات الـلازمـة لخلـق اقتصاد قـومي يعتمد على نشـاطات القطاع الخـاص ومنع الاحتكار وتعزيز كفاءة الأجهزة الادارية الحكومية.

وقد تم حتـى الآن تطبيق خمس خطط مـرحلية للتنمية



شركة تنمية نفط عمان

مسقط.

لتحقيق هـذه الأهداف بـدأت عندما تسلـم جلالـة السلطان قابـوس مقاليد الحكـم حيث قامـت الدولـة بتنفيذ برنـامج سـريـع للتعليم والخـدمـات الصحيـة والطـرق لتلبيـة الاحتياجات الضـرورية للمواطـن والتي افتقدها تمامـاً. وقد أعقب هذا البـرنامج، أربع خطـط أخـرى للتنميـة آخرهـا هي خطـة التنمية الرابعـة للسنوات من عـام ١٩٩١م إلـى عـام ١٩٩٥م. ويلـزم أن نتناول خطـط التنميـة الخمسيـة السـابقـة بايجـاز حتـى يمكننـا أن نقارن خطـة التنميـة الخمسية الحالية.

إن خطة التنمية الخمسيـة الأولى (١٩٧٦-١٩٨٠م) قد وضعـت استراتيجيـة تطـوير البـلاد فـي المستقبل. وقـد شـهدت هذه الفترة ازدهار عائدات النفـط، وتم منح الأولوية القصوى لأعمال التنقيب عن الموارد الطبيعية وجرى وضـع برامـج للتنمية تهدف إلـى توفيـر انشاءات أساسيـة جيدة وإلـى تشجيع القطـاع الخاص، وبـالتـالي تـرويج فكـرة الاقتصاد القومـي الحر. أما خطة التنمية الخمسيـة الثانية (١٩٨١-١٩٨٥م) فقد شـهدت زيادة ملحوظة في العائدات النفطية مرتبطة بارتفاع أسعار النفط العالمية.

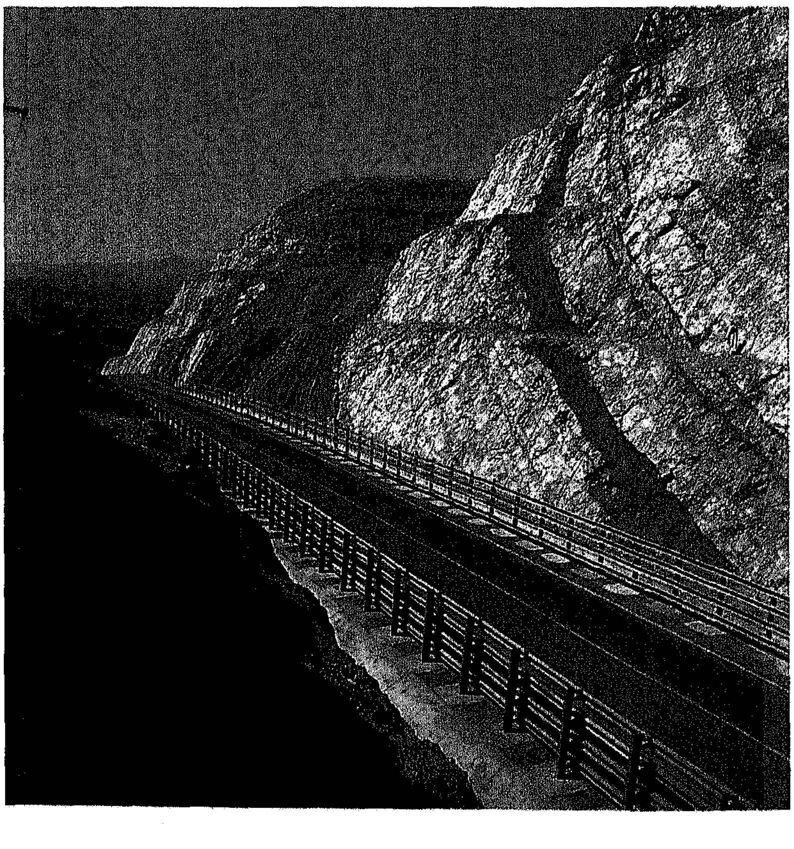
وقد تم مرة أخرى تأكيد التـركيز على تطوير الانشاءات الأساسية وخاصة فيما يتعلق بموارد المياه وتوزيع المياه. أمـا خطة التنميـة الخمسية الثـالثة (١٩٨٦-١٩٩٠) فقـد شـهدت فتـرة انهارت فيهـا أسعار النفـط واختبرت بـرامج التنمية السـابقة مدى قدرة البـلاد على مواصلة مسيـرتها التنمويـة اعتماداً على عائدات نفطيـة أقل مما كان متـوقعاً. وقـامت الحكـومة بتخفيـض برامـج التنمية وأوضحـت أن الهيكل الاقتصـادي العماني مستقر بدرجة كبيرة.

أما خطة التنميـة الخمسية الرابعـة فهي تعتمد كسابقتها على الـدروس والعبـر المستفـادة، وتتطلـع إلـى تعزيـز المكاسب التي تحققت حتى اليوم. ونتناول فيما يلي بايجاز الملامح الأساسية لخطة التنمية الخمسية هذه.

أولاً، تتطلع خطة التنميـة الخمسية الحالية إلـى توسيع القـاعـدة الاقتصـاديـة العمـانيـة وتنـويـع النشـاطـات الاقتصادية. وعلـى الرغم من الزيادة الكبيـرة في العائدات النفطيـة التي شهـدتها الفتـرة من عـام ١٩٧٥م إلى عـام ١٩٨٩م، فقد زاد اسهام المنتجات غيـر النفطية في معدلات الانتاج القومي في خلال نفـس الفترة من ٣٣ في المائة في عام ١٩٧٥م إلـى ٥٥ في المائة فـي عام ١٩٨٩م. وقـد تم تحقيـق ذلـك فـي فتـرة انخفضـت فيهـا نسبـة الاسهـام الحكـومي فـي النشـاطـات الاقتصـاديـة وزاد فيها اسهـام القطاع الخاص.

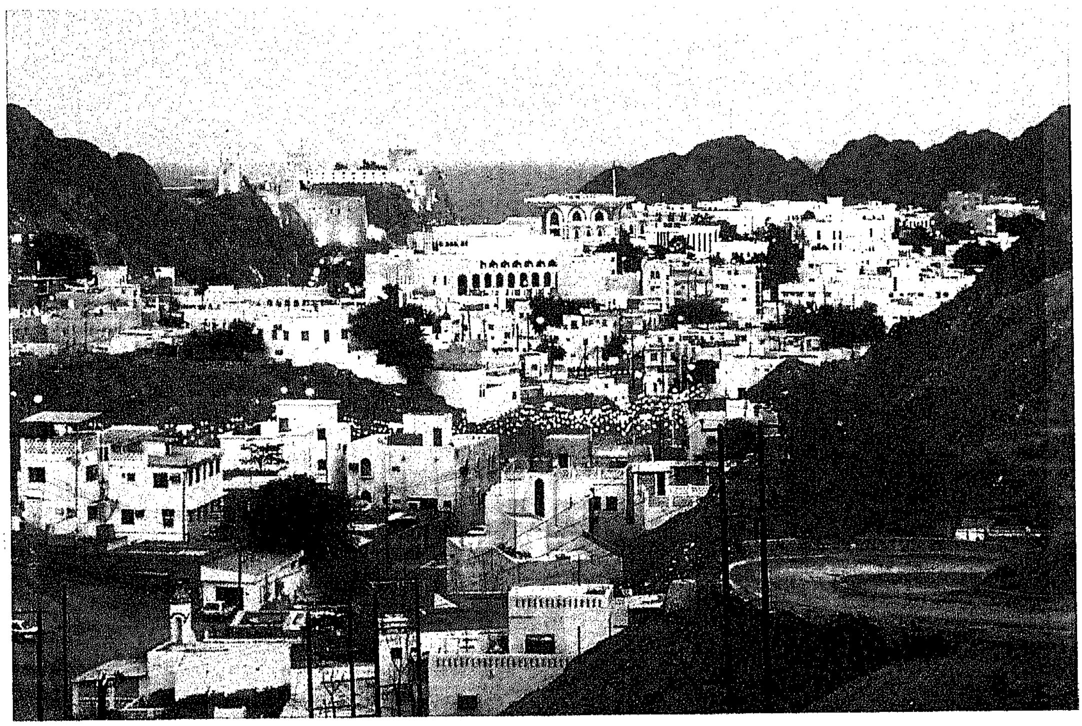
ثانيـا، تذليل العقبات والصعـوبات المرتبطة بتـأثيرات التنمية وخاصة في مجالات الحد من الاعتماد على العائدات النفطية والأيدي العاملة المهاجرة.

ثالثـا، وضعـت الخطـة حركة التنميـة العمانيـة وخطط التنميـة في المستقبـل فـي اطار عـالمـي، وأدركت مـدى التغيرات التي تحدث على النطاق الدولي وخاصة مـع قيام



شركة تنمية نفط عمان

مقطع *طريق الخويه* يكشف عن جزء من *التاريخ الجيولوجي* لعمان.



شركة تنمية نفط عمان

مجموعات اقتصادية جديدة مثل مجموعة دول الاتحاد الأوروبي كمراكز قوة اقتصادية جديدة. كما أدركت الخطة أن المنافسة الاقتصادية بين القوى العالمية في ازدياد وأن التطور السريع في تقنيات الاتصالات والاعلام يتطلب وضع استراتيجيات مرنة للتنمية.

لقد زاد الانتاج القومي الاجمالي العماني زيادة كبيرة خلال الفترة بين عام ١٩٧٠م و١٩٨٥م حيث بلغ ١٠٦,٨ مليون ريال عماني، ثم انخفض قليلاً بعد ذلك قبل أن يزداد مرة أخرى ليبلغ ٣٥٢١,٩ مليون ريال عماني في عام ١٩٩٠م.

وقد بلغ اسهام قطاع النفط والغاز ٤٥,١ في المائة من اجمالي الانتاج القومي في عام ١٩٩٠م. وكان متوسط انتاج النفط خلال الفترة بين عامي ١٩٧١ و١٩٧٦م هو ٣٠٠٠٠٠ برميل في اليوم، بينما بلغ خلال فترة خطة التنمية الخمسية الثالثة من عام ١٩٨٦م إلى عام ١٩٩٠م حوالي ٦١٤٠٠٠ برميلاً في اليوم. وتشير احصاءات الخطة الحالية إلى تحقيق زيادة أخرى.

كما حققت اسهامات القطاعات غير النفطية زيادة كبيرة أيضاً خلال هذه الفترة حيث أسهم قطاع الزراعة وصيد الأسماك بمقدار ١٨,٣ مليون ريال في عام ١٩٧٦م و١٢٥ مليون ريال في عام ١٩٩٠م، بينما زاد دخل القطاع الصناعي في نفس الفترة من ٤,٣ مليون ريال إلى ١٥١ مليون ريال.

الموارد الأخرى

بالاضافة إلى النفط والغاز، تتوفر في عمان موارد أخرى مدفونة تحت الأرض تتضمن النحاس والكروم والحديد والمنجنيز والنيكل والمغنسيوم.

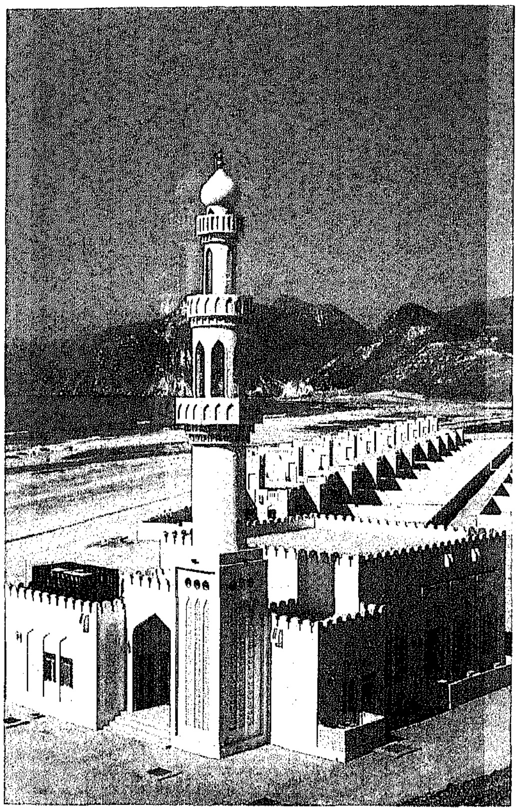
إن نشاط التعدين في عمان، كما شاهدنا في صدر هذا الكتاب، هو نشاط يرجع إلى أوائل فترة ما قبل التاريخ. وقد تم في عام ١٩٨٣م العودة بنجاح إلى استخراج النحاس على نطاق تجاري. وقد أتاحت التقنيات الحديثة للمساحة الجيوفيزيائية واعداد الخرائط توفير صورة أوضح للتراكمات المعدنية الموجودة في البلاد.

ويتولى المشروع التجاري الذي تشرف على ادارته شركة التعدين العمانية، وهي احدى شركات القطاع العام العماني في وادي الجزي بالقرب من صحار استخراج المادة الخام التي يتم تحويلها إلى كاثود النحاس بالاستعانة باحدى الكسارات وبمعمل للتكرير. وقد تم في عام ١٩٩٠م انتاج ١٢٠٠٠ طن من كاثود النحاس. كما تم اكتشاف عروق غنية بالنحاس في ركعا وحيل السافل على بعد ٢٠٠ كيلومتر تقريبا من معمل التكرير بالقرب من صحار. ويتم الآن تعدين هذه المواقع بطريقة التعدين السطحي ونقل المواد الخام المستخرجة منها إلى موقع الكسارة الحالي بالقرب من حائل السفيل قبل أن يتم نقلها إلى معمل التكرير. ويتم مواصلة بذل الجهود للكشف عن مصادر أخرى للنحاس.

وتتوفر مادة الكروميت، التي تم اكتشافها بالصدفة في عام ١٩٧١م، بكميات تجارية وتقدر احتياطياتها بحوالي ٢ مليون طن. ولذلك فقد تم تأسيس شركة الكروميت العمانية في عام ١٩٩١ لتتخصص في التنقيب عن الكروميت واستخراجه وتصديره.

كما يتوفر الفحم أيضاً بكميات ضخمة بالقرب من صور حيث تقدر الاحتياطيات بحوالي ٣٦ مليون طناً. ويجري حالياً دراسة خطط لاقامة محطة للكهرباء تعمل بالطاقة الفحمية لاستغلال مصادر الوقود هذه.

ويعتبر الذهب من المنتجات الفرعية القيمة لصناعة تعدين النحاس، حيث من المتوقع أن يتم إنتاج ٢٤٠٠ كيلو



جراماً من الـذهب فـي خلال سنـوات التشغيـل الثمـان لموقع استخـراج وتصنيع الذهب في حيل السـافل. ويتم حالياً تطبيق بـرنامج لتقييم احتياطيات الـذهب في عمان. ومن المتوقـع أن يستمر هذا البرنامج لعـدة سنـوات قبل أن يمكـن وضـع خطـة شاملـة لاستـخراج الذهـب علـى نطاق تجاري.

التنمية الصناعية

انحصـرت الصناعـات العمـانية قبـل عصـر النفط فـي الصنـاعات التـي تخدم الاحتيـاجات التقليـدية للشعـب العماني.



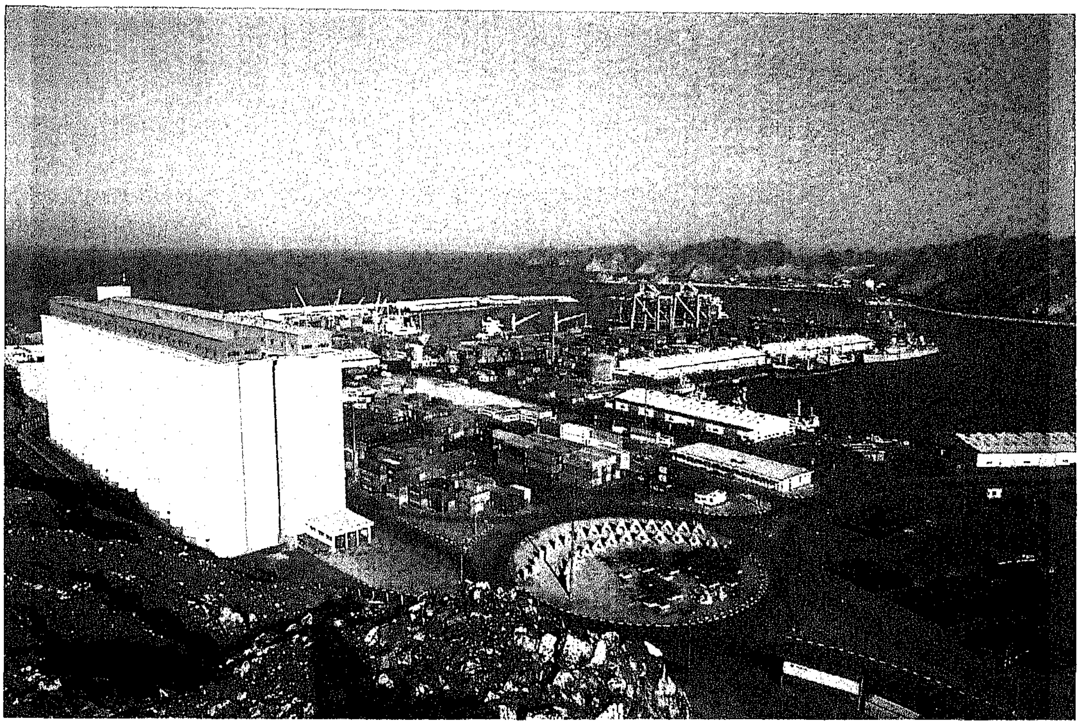
وكان يتـم منذ قـرون عديـدة مزاولـة صناعـات بناء الـزوارق وممارسـة الحـرف الفنيـة المختلفة ومـزاولـة صناعة النسيـج والمشغولات الفضية. وكان هنـاك اقبال شديد على هذه المنتجات العمـانية الصنع سواء محلياً أو من قبل الـدول الأخرى في أنحاء المنطقـة. غير أن مجيء العصـر الحـديـث بتـأثير مـن اكتشـاف النفـط والغـاز واستخراجهمـا قد فتح الباب علـى مصراعيه أمام قـاعدة صناعيـة جديدة لا تزال تنمـو بمعدلات مرضيـة. ويعود الفضل فـي معظم النمـو الذي حـدث للاستثمـارات التي قدمها القطاع الخاص والتي تشجعها وتدعمها الحكومة.

إن الثراء المحلي المتـزايد قد أدى إلى تشجيـع الطلب علـى المنتجات المستـوردة، وكلمـا أمكـن تصنيع هـذه المنتجـات محلياً تـم تشجيـع المستثمـرين مـن القطـاع الخاص علـى القيام بـانتاجهـا. وليس مـن المدهـش أن ترتبط صناعة البناء بهذا القطاع الهام للتنمية الصناعية.

وتشكل القطـاعات غيـر النفطية لـلاقتصاد العمـاني حالياً ٥٠ في المائة من اجمالـي الانتاج القومي وتواصل صادرات جميـع أقسام هذه القطاعـات في الزيـادة. وكما ذكرنا آنفاً، فقد نجم هذا الازدهـار الصناعي جزئياً نتيجة لاكتشاف النفـط والغاز في عمـان لكنه نتج أيضـاً نتيجة لعدة عـوامل هامـة تتضمن المـوقع الاستراتيجـي الهام لعمـان كمدخـل إلـى الخليج العـربـي ووفـرة مواردهـا الطبيعية والسياسـات المتنورة التي تتبعها الحكـومة في تقديـم الحوافز الصناعيـة والبحث دائماً عن الكيـف قبل الكم والـذي أعطى الصنـاعة العمـانية شهـرة طيبة علـى المستويين الاقليمي والدولي.

ويكمن في قلـب النجاح العماني اقامة عـدد من المدن الصناعية، أهمهـا وأكبرها هي مـدينة الرسيل الصنـاعية التي تبعـد مسافة ٤٥ كيلـومتراً تقريبـاً عن وسط مـدينة مسقط. لقد تـم تأسيس هذه المـدينة الصناعية فـي عام ١٩٨٤م بهدف تشجيـع تنمية القاعـدة الاقتصاديـة غير النفطيـة ويوجـد بها حـاليـاً أكثر مـن ٦٠ مصنعاً تقـوم بتصنيع مجموعة كبيرة مـن المنتجات تتراوح بين الشاي والاطارات والبسكويت والمفروشات.

ويقـدم المجمع الصنـاعي بـالمـدينة مجمـوعة مـن المزايـا للشركـات الموجـودة فيه تتضمـن شبكة طـرق ممتازة وامدادات وافرة من المياه والكهرباء والغاز وشبكة اتصالات حديثة غاية فـي الكفاءة وتسهيلات للتخلص من النفايات وذلـك إلى جانب مجمـوعة كاملـة من الخـدمات التي يتوقع المرء أن يجدها في المدن العصرية.



وزارة الإعلام

ويتم مساعدة الشركات الراغبة في اقامة تسهيلات لها بالمنطقة الصناعية من خلال تزويدها بالمستندات التجارية شاملة المستندات المتعلقة بالاجراءات الجمركية والمستندات التي تطلبها وزارات العمل والشؤون الخارجية والتجارة والصناعة. كما تتضمن مجموعة الحوافز العملية المقدمة تسهيلات مغرية في أسعار ايجارات المباني وأسعار خاصة للطاقة.

إن برنامج الحوافز هو برنامج شامل يسعى إلى تشجيع حركة التنمية الصناعية في عمان. ويتم اعفاء المؤسسات التي تقوم بتأسيس فروع أو شركات جديدة لها في عمان من دفع جميع الضرائب لفترة السنوات الخمس الأولى من بدء نشاطها.

ويمكن في بعض الحالات مد فترة الاعفاء الضريبي هذه. كما يتم اعفاء المعدات والأجهزة الصناعية بصفة دائمة من رسوم الاستيراد، بينما يتم اعفاء المواد الخام والمواد نصف المصنعة من هذه الرسوم لفترة السنوات الخمس الأولى مع امكانية تجديد فترة الاعفاء هذه. وإذا كانت المنتجات المصنوعة في عمان تتعرض لمنافسة من المنتجات المستوردة، فقد يتم في بعض الأحيان فرض الحماية الجمركية عليها بهدف تمكين الشركات الوطنية الشابة من أن ترسخ أقدامها في الأسواق المفتوحة.

كما تقدم وزارة التجارة والصناعة قروضاً معفاة من الفوائد، بينما يقدم بنك التنمية العماني قروضاً بفوائد مخفضة. ويتم تقديم مجموعة من الحوافز إلى العمانيين من خريجي المرحلة الثانوية بهدف تشجيعهم على تأسيس المشاريع التجارية في عمان. وتتضمن هذه الحوافز منحاً تصل قيمتها إلى ٤٠ في المائة من كلفة المشروع بالاضافة إلى بعض القروض المعفاة من الضرائب بما يعادل ٤٠ في المائة من تكاليف المشروع. ويلزم على الخريج في هذه الحالة توفير ٢٠ في المائة من تكاليف المشروع من موارده الخاصة.

كما تقوم وزارة التجارة والصناعة بتقديم مجموعة من المزايا المتعلقة باستهلال المشاريع وذلك بالنسبة للمستثمرين الآخرين من غير الخريجين الذين يتلقون ٣٠ في المائة من تكاليف المشاريع المقامة في مسقط وما يصل إلى ٥٠ في المائة من تكاليف المشاريع التي تقام في خارج مسقط.

السياحة

تعتبر السياحة أحد مجالات الاستثمار والتنمية التي ستزدهر في عمان. ويتوفر في البلاد بالفعل مجموعة لا بأس بها من فنادق الدرجة الأولى وبعض المشاهد البرية الرائعة.

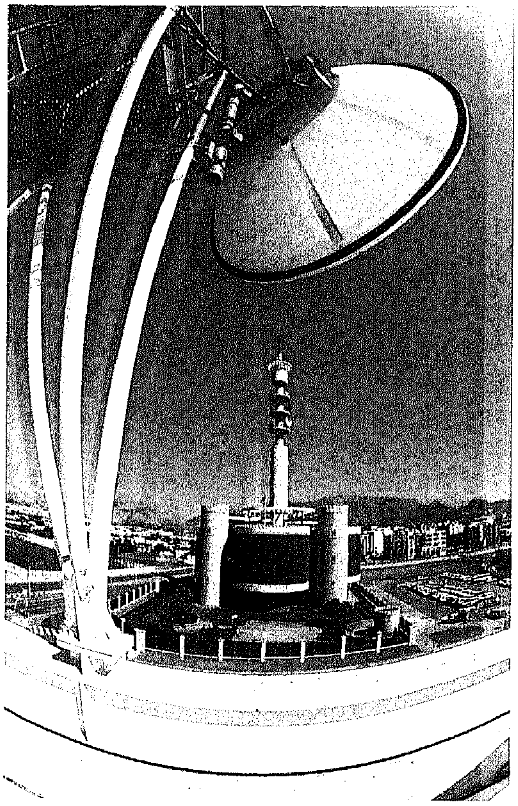
وعندما يضيف المرء إلى ذلك المحافظة الجذابة على الثقافة والتراث القومي والمحافظة الواعية على الحياة البرية وكذلك اعتدال المناخ الذي يعد بشمس مشرقة طوال العام، فإننا نجد من الواضح أن جميع العناصر الرئيسية لازدهار السياحة متوفرة بكثرة.

وقد ركزت حركة التعمير خلال الخطتين الخمسيتين الأولى والثانية على اقامة الانشاءات الأساسية التي تستطيع استيعاب حركة السياحة بما في ذلك انشاء مجموعة من الفنادق والاستراحات ومرافق النقل الأخرى.

كما تم تطبيق بعض البرامج لترميم وتجديد القلاع التاريخية والمعالم التراثية الأخرى. ولا يزال تطبيق مثل هذه البرامج مستمراً. وبالرغم من أنه لم يتم تنفيذ هذه البرامج أساساً بهدف جذب السياح بل كجزء من البرنامج القومي للمحافظة على التراث الثقافي، إلاّ أنها ساعدت في اقامة مراكز جذابة للسياح والزائرين على حد سواء.

وقد تم اعداد دراسة شاملة عن السواحل العمانية بأكملها وتم تحديد المواقع المناسبة لاقامة الفنادق في المستقبل. كما تم توسيع مطار السيب الدولي ليستوعب الأعداد المتزايدة من الطائرات والركاب. وتم كذلك تحسين مرافق المطارات الموجودة بالمدن الأخرى.

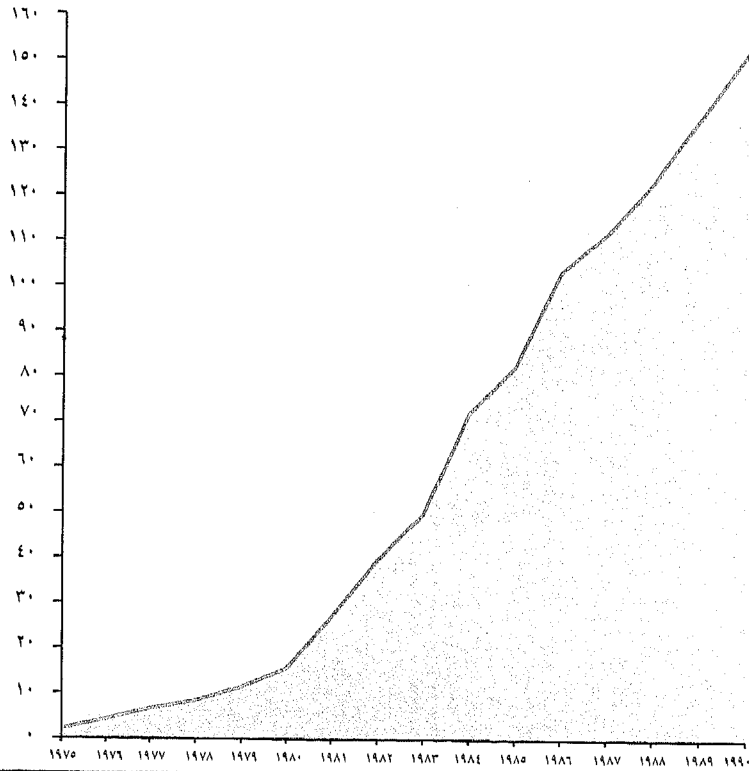
ويعتبر توفر إمدادات مناسبة من الماء العذب



وزارة الاعلام

تطور اسهام قطاع التصنيع
في إجمالي الانتاج القومي العماني طبقاً للأسعار الحالية
با لمليون ريال عماني

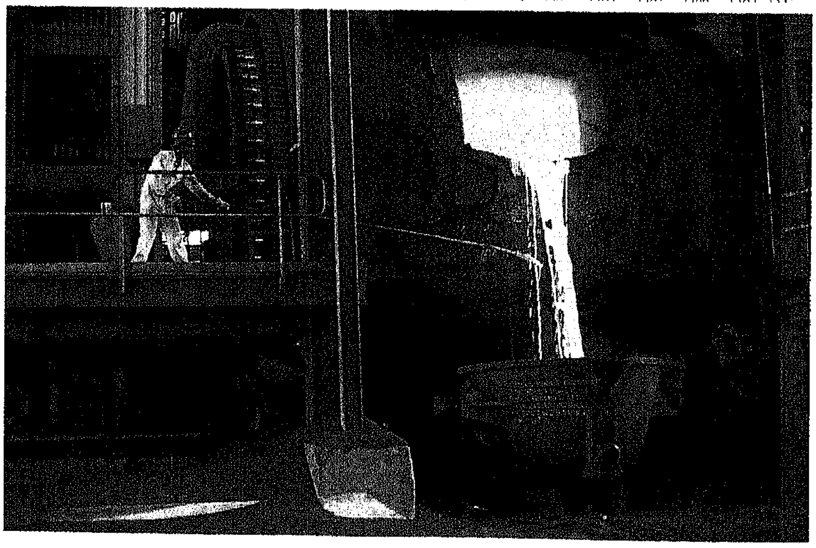
السنة	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥	١٩٨٦	١٩٨٧	١٩٨٨	١٩٨٩	١٩٩٠
قطاع التصنيع	٢,١	٤,٣	٦,٧	٨,٥	١١,٥	١٥,٦	٢٧,٠	٣٩,٦	٤٩,٧	٧٢,١	٨٢,٣	١٠٣,١	١١١,٥	١٢٢,٧	١٣٧,١	١٥١,١
قطاع تكرير النفط	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	٤,١	١٣,٠	٩,٩	٨,٦	١٠,١	١٠,٣	١٣,٤	١٤,٤
القطاعات الأخرى	٢,١	٤,٣	٦,٧	٨,٥	١١,٥	١٥,٦	٢٧,٠	٣٩,٦	٤٥,٦	٥٩,١	٧٢,٤	٩٤,٥	١١٠,٤	١١٢,٤	١٢٣,٧	١٣٦,٧



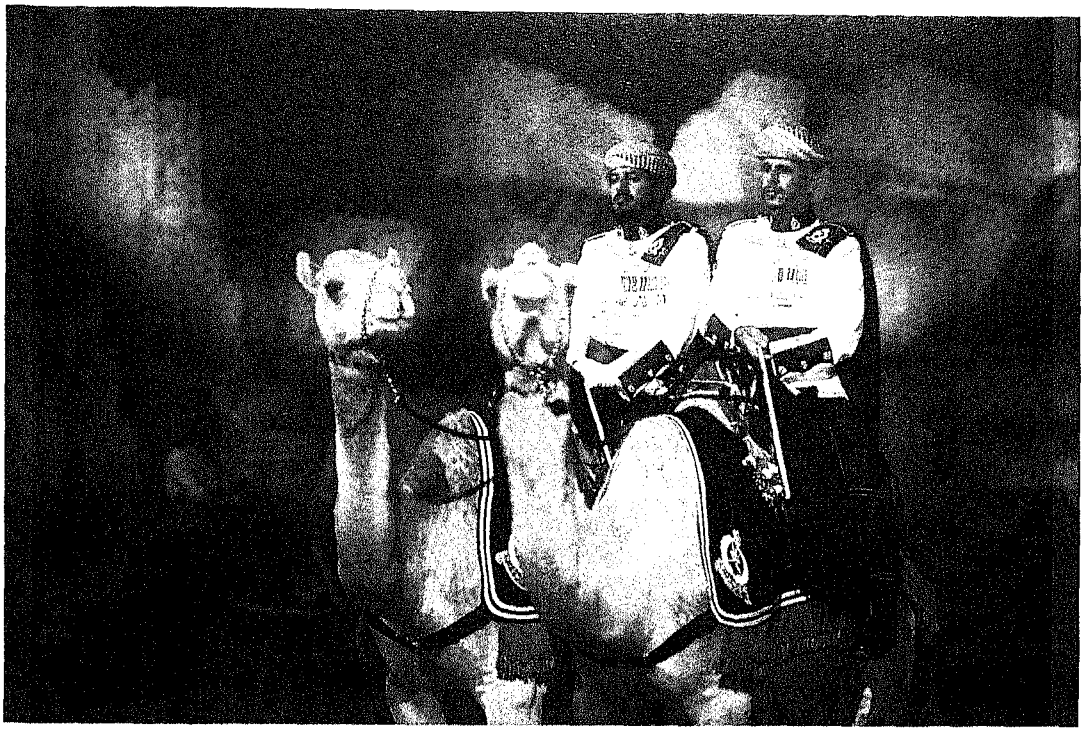
أمـراً ضرورياً لجميـع نشاطـات التنميـة المذكـورة آنفـا، ولـذلك فـإن الانجـازات التي حققتهـا عمـان فـي هـذا المجـال تثير الاعجـاب. ففي عـام ١٩٧٠م كـان يتـم في مسقط انتـاج ١٥٦ مليون جالـون مـن المـاء العـذب فقـط، يتـم ضخها جميعـاً من الأبـار العميقــة. وفي عام ١٩٧٧ وصل إنتـاج الماء العذب إلى ١٠٠٢ مليـون جالـون معظمهـا كـان نتيجة لانشـاء أول محطـة ضخمة لتحلية الميـاه في عمان. وبحلـول عـام ١٩٩٤م تجاوز انتـاج الماء العـذب فـي مسقـط ١٣٠٠ مليـون جالون. كمـا حدث نمو مشابه في انتاج الماء في صلالة.

إن تزايـد الطلب على التنميـة الحديثة يجب ألا يطغـي على الحاجـة إلى حماية البيئـة التـي هـي أحد السمـات الثـابتـة في التخطيـط العماني تحـت رعايـة جلالـة السلطـان قـابـوس بن سعيـد. وفي منـاسبـة الذكـرى الخامسة للعيـد الوطنـي للسلطنة ذكّـر جلالـة السلطان شعبـه بهـذه الحقيقة حين قال:

إن اهتمامـــنا الكبيـر بـالمحـافظـة علـى البيئـة الطبيعيـة وانجازاتنـا في هذه المجـال جعلت عمـان تتمتـع باحترام شـديـد بين الأمـم المهتمـة بحمايـة البيئـة، ومـع ذلـك لا يـزال يتعين علينا بـذل المزيد مـن الجهود ودراسـة الاعتبـارات الخاصة المرتبطـة بهذه المسألـة عندما نقـوم بتخطيط وتنفيذ مشـاريع التنميـة. وعلينـا أن نبـدأ في الاتصـــال بالهيئـات



وزارة الاعلام



وزارة الاعلام

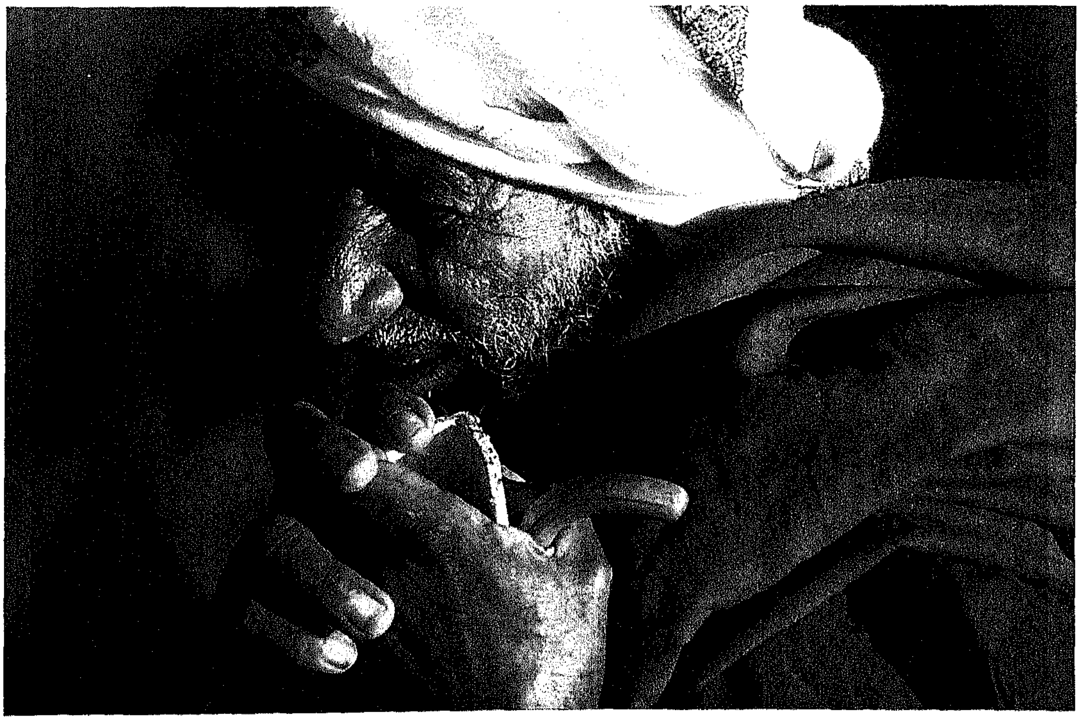
الاقليمية والدوليـــة المعنيـة. ان القيام بذلـك واجـب على كـل موطـن لضمان حمـاية مـواردنا الطبيعيـة والمحافظـة على الصحـة العامـة من الآثـار الضارة وحماية الطبيعة الجميلة والجذابـة التي خص الله بها عمان الحبيبة.

ويمكـن استشفاف الالتـزامات العمـانيـة تجاه هـذه المسائل البيئية من خلال سياسة الحكومة التي تستلزم، على سبيل المثال اصدار «شهـادة عدم التعارض البيئي» بالنسبة لجميـع المشـاريع الخاصة والحكوميـة خاضـعة للوائح التخطيط. والغـرض من اصدار هذه الشهـادة هو منع الآثار السلبية للتنمية.

وتلخيصاً لسياسة الحكومـة في هذا الخصوص نص تقريـر عام ١٩٩٢م المقدم إلـى مؤتمر الأمـم المتحـدة للبيئة والتنمية على ما يلي: «هنـاك تكاليف بيئية مرتبطة بالصناعـة، يمكن دفعها إما فـي شكل قيمة مضافـة إلى السلع يمكـن التحكم فيها أو كتكلفة يتعـذر تقديرهـا في شكل الاعتـلال الصحي وعدم الـراحة وفقـدان المـوارد الناتـج عن التلوث والأضـرار بالبيئـة المرتبط بـالتنمية الصناعية غيـر الخاضعة للسيطرة. وقد اختـارت حكومة عمان القيمة المضـافة وهو قرار أعتقد أنـه نافـع للدولـة على المدى الطويل». إنه مثـال يجب أن تحتذي به العديد من الدول الأخرى.

الشؤون الخارجية

تنفرد عمان عـن سائر دول المنطقة بتاريخ طويـل وحافل حيث لم يكـن النفوذ العماني قاصراً علـى المنطقة فحسب

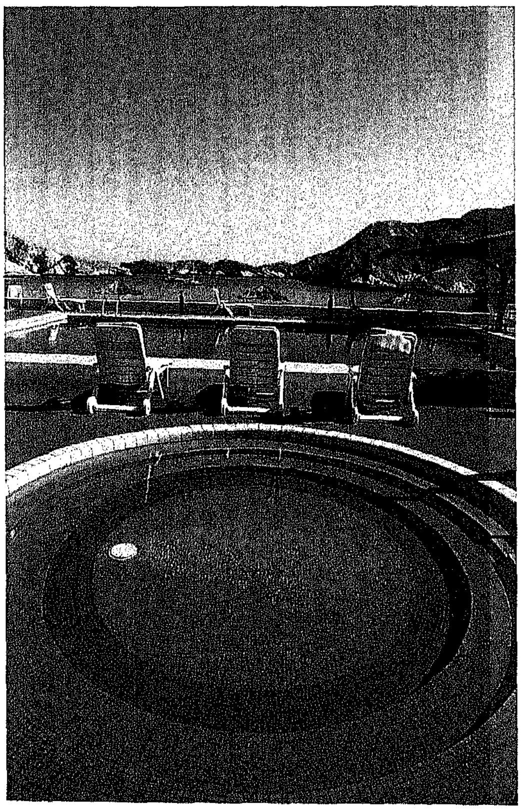


وزارة الاعلام

بل إمتـد إلى افـريقيا والشرق الأدنـى وذلك رغـم الغارات التـي كـانت تشنهـا بيـن الحيـن والآخـر قوى فـارسيـة وبـرتغاليـة. ولم تعـرف عمان فـي كـل مراحـل تاريخهـا الطـويل الخضـوع الاستعمـاري لقـوى أجنبية حـاكمـة، والاحتلال البرتغـالي للمدن الساحلية العمانيـة في القرن السادس عشر ما لبث أن تخلص منه العمانيون.

وانطـلاقاً مـن هذا الـواقع اكتسـب شعب عمـان روح الاعتزاز القومي وظل يدافع بجسارة عن سيادة الوطن ضد أي قـوى أجنبية تحـاول اخضاعـه. وشهـدت عمان فتـرة ركود خلال الفتـرة الأخيرة من القرن التاسـع عشر بسبب الصراعات الـداخلية ولكساد التجارة الدوليـة نظراً لظهور سفن البـواخر بديـلاً عن المـراكب الخشبية الشـراعية ... واستمـرت حالـة الركـود حتـى بعد اكتشـاف النفط بعـد النصف الثاني من عقد الستينات لهذا القرن.

وكان مجـيء جلالـة السلطان قابـوس بن سعيـد على رأس السلطة عام ١٩٧٠م، إيذانا بنهوض عمان من كبوتها وفاتحة لعهـد انفتاح خارجي ونهضـة شاملة. ومنذ تـولي جلالته مقـاليد الحكم، أرسى مبـادىء ثابتة في السيـاسة الخارجية ظلت المـوجهة لنهج البلاد الخارجي حتـى يومنا



هذا ... وتتلخـص تلك المبادىء فـي اقامـة علاقة صـداقة وتعاون مـع جميع دول العـالم بغـض النظر عـن الأنظمة الاجتماعيـة والسياسيـة السائدة فيهـا تقوم علـى أساس الاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية.

ولم تكن لعمان قبل عام ١٩٧٠م علاقـة تذكر مع العالم الخـارجي سـوى علاقـة ضعيفة مـع كـل من بـريطانيـا والولايـات المتحدة الأمريكية، ولهـذا قرر جلالـة السلطان قابـوس بن سعيد قيادة سيـاسة السلطنة الخارجيـة على هـدى تلك المبـادىء التـي أرساهـا حتـى تستعيد عمـان مكانتها بين الأسرة الدولية.

وحالـف النجاح سياسة جـلالته إذ صارت عمـان على علاقـة ودية مع جميع دول العـالم على اختـلاف أنظمتها السياسية ... وصـارت عضواً في هيئة الأمـم المتحدة وفي المنظمات الاقليميـة مثل جـامعة الـدول العربيـة ومنظمة المؤتمر الاسـلامي، وتعمل حكومـة جلالته بهمة مـن أجل ارساء أركان السلام في ربوع العالم.

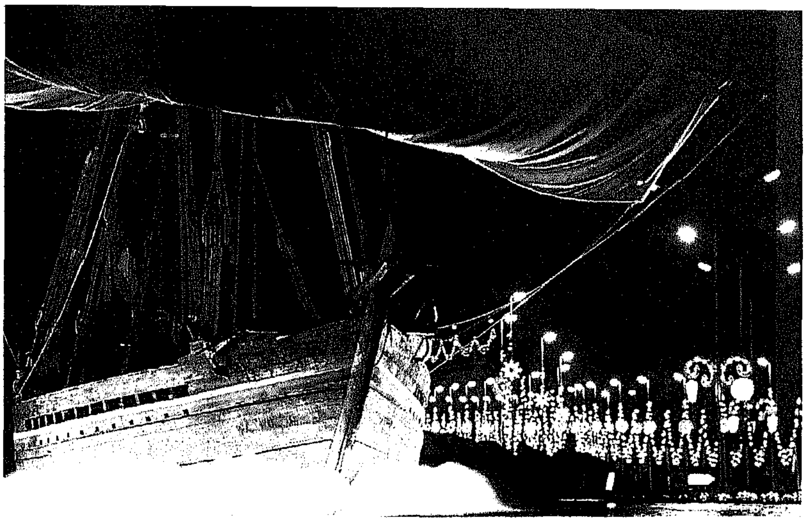
وقـد انضمت عمـان إلى جـامعـة الدول العـربية عـام ١٩٧١م ... وفي وقـت لاحق من نفـس العام انضمـت إلى عضوية هيئة الأمم المتحدة ... ثم انضمت في عام ١٩٧٢م إلى عضـوية منظمـة المؤتمـر الاسلامـي وإلى عضـوية مجموعـة دول عدم الانحياز عام ١٩٧٣م ... وتـم انتخاب السلطنة عضواً في مجلس الأمـن الدولي عام ١٩٩٤م لمدة عامين اعترافـاً من المجتمع الدولي بمركـز عمان المرموق بين أمم العالم.

وكانت السلطنـة في ظل قيادة جلالة السلطـان قابوس بن سعيـد من الدول الرائدة فـي تأسيس مجلـس التعاون الخليجـي عـام ١٩٨١م وهـو المجلس الـذي يضـم فـي عضويتـه أيضاً دول البحريـن والامارات العربيـة المتحدة والكويت وقطر والمملكة العربية السعودية.

يهدف المجلس إلى تنسيق التعاون بين الدول الأعضاء لخدمة مـواطنيهم ولتحسين مستوى معيشتهـم كما يعمل على المحافظـة على سيادة الدول الأعضـاء وتثبيت أسس السلام في المنطقة.

وقد أشاد العالم بجهود جلالة السلطان قابوس بن سعيد كوسيط أمين وعادل في العمـل من أجل ازالة التوتر بين دول المنطقـة واحلال روح التعاون واشاعـة السلام، وكداعية لازالـة التوتر بين جميع أمم العـالم عن طريق حل النزاعات بالحوار وبالوسائل السلمية.

وقد أثمـرت جهود جلالته فـي استعادة العلاقـات بين المملكة العـربية السعوديـة وايران ... وبين قـادة شطري





اليمن سـابقاً ... كمـا اتخذ جـلالته مـوقف الحيـاد خلال الحرب العـراقية/الايرانيـة مما سـاعـد على احتواء اثـارها وحـال دون انتشار ذيـولهـا بيـن دول المنطقة ... وبـذل جـلالته الجهـود المكثفة لاقنـاع العراق بـالانسحاب مـن الكويت ... ولما لم يتحقق ذلـك اشتركت السلطنة مع قوات التحـالف الدولي من أجل تنفيذ قرارات الأمم المتحدة.

وقبل ذلـك سجلت القيادة العمانيـة بعد نظر عميـق في قراءة الأحداث حين كـانت الدولة العربية الـوحيدة التي لم تقطع علاقتها الدبلوماسية مـع مصر عندما ابرمت اتفاقية كامـب ديفيد للسـلام مع اسرائيـل عام ١٩٧٩م وبـاركت السلطنة الاتفاقية كخطوة من أجل اقرار السـلام العادل في المنطقة ... ولقـد أثبتت الأحداث الـلاحقة عمق تلـك النظرة ومـوضوعيتهـا وها نحـن نشهـد اليوم مسيـرة التسويـة السلمية في المنطقة بين الفلسطينيين واسرائيل.

وانتهج جلالته نفس السياسة من أجل تطوير العلاقات مع الدول الأوروبيـة ونتيجة لمبادرته، اجتمـع ممثلون عن الـدول العربيـة المصـدرة للنفط مـع نظـرائهم مـن دول المجمـوعة الأوروبيـة وكـان ذلـك أول اجتماع يعقـد بيـن الجانبين فـي العاصمة ـ مسقط ـ عام ١٩٩٠م ... وحقق المؤتمر تفاهماً بين الطرفين من أجل التوصل إلى اتفاقيات بشأن التعرفة الجمركية والاتجـاه نحو حل الخلاف المعلق بين السعودية والمانيا بخصوص الصناعة البتروكيماوية.

وأبرز جـلالة السلطان قـابوس بـن سعيد في خطـابه لشعبه بمناسبة ذكرى العيد الوطنـي الرابع والعشرين عام ١٩٩٤م، الأخطار المدمـرة للنشاط الذي يتخذ مـن العنف وسيلة والـذي يستغل المشـاعر الـدينية لتحقيـق أغراض سياسية ... ودعـا في نفس الخطاب إلى ضـرورة التوصل إلى مصـالحة وتفـاهم مـع المجموعـات المتناحـرة داخل الوطن الواحد.

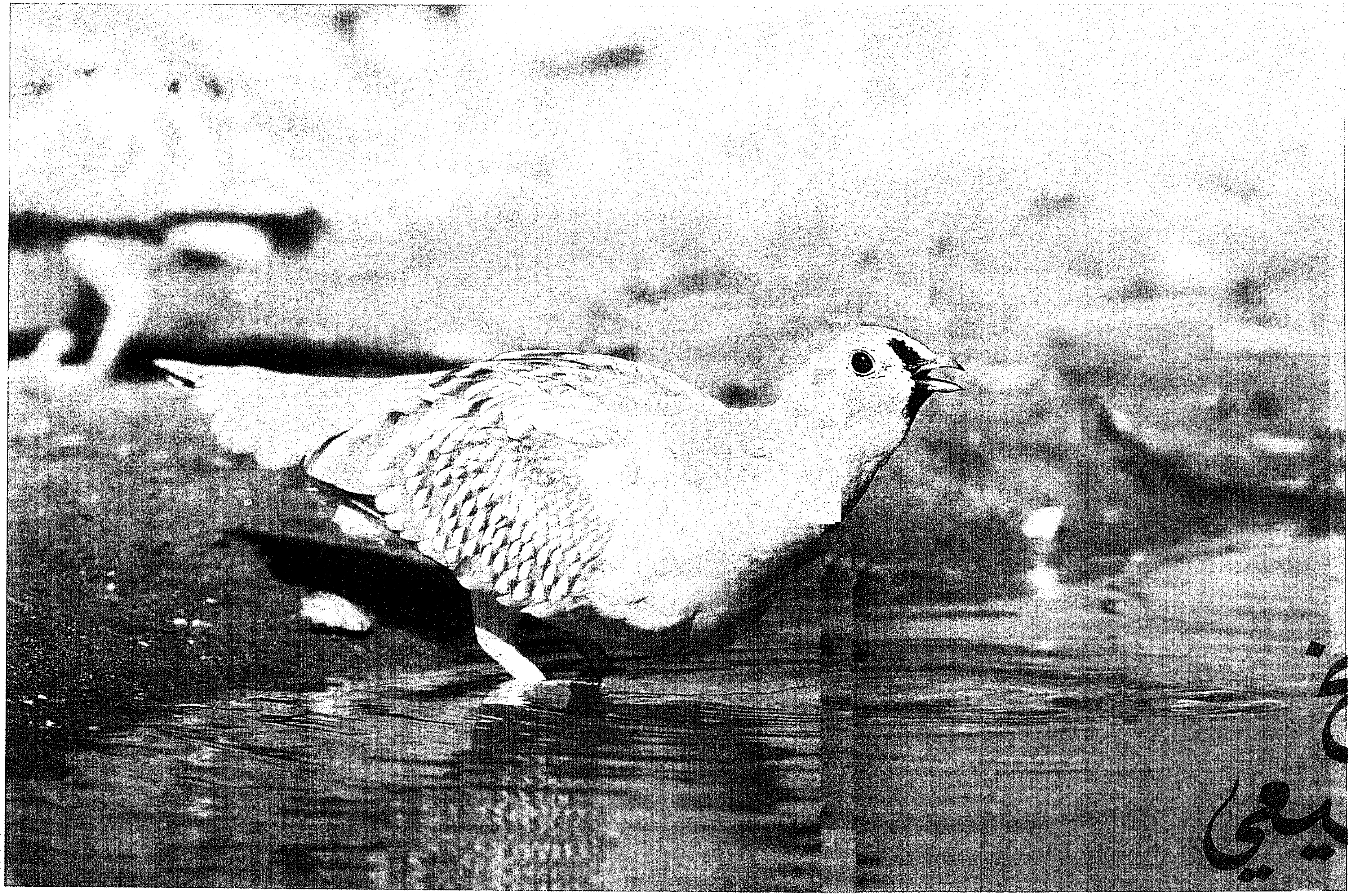
عمان اليـوم غيرهـا بالأمـس فقد تبـدل وجههـا الشـاحـب ونفضـت عنهـا غبـار العزلـة والجمود، وانطلقت تفتح أبـوابها ونوافذهـا للنور الجديد تعلن للعـالم عن اتصـال مباشـر تتفاعل مع تطـوره وتتأثر بمجرياته.

[جلالة السلطان قابوس بن سعيد].



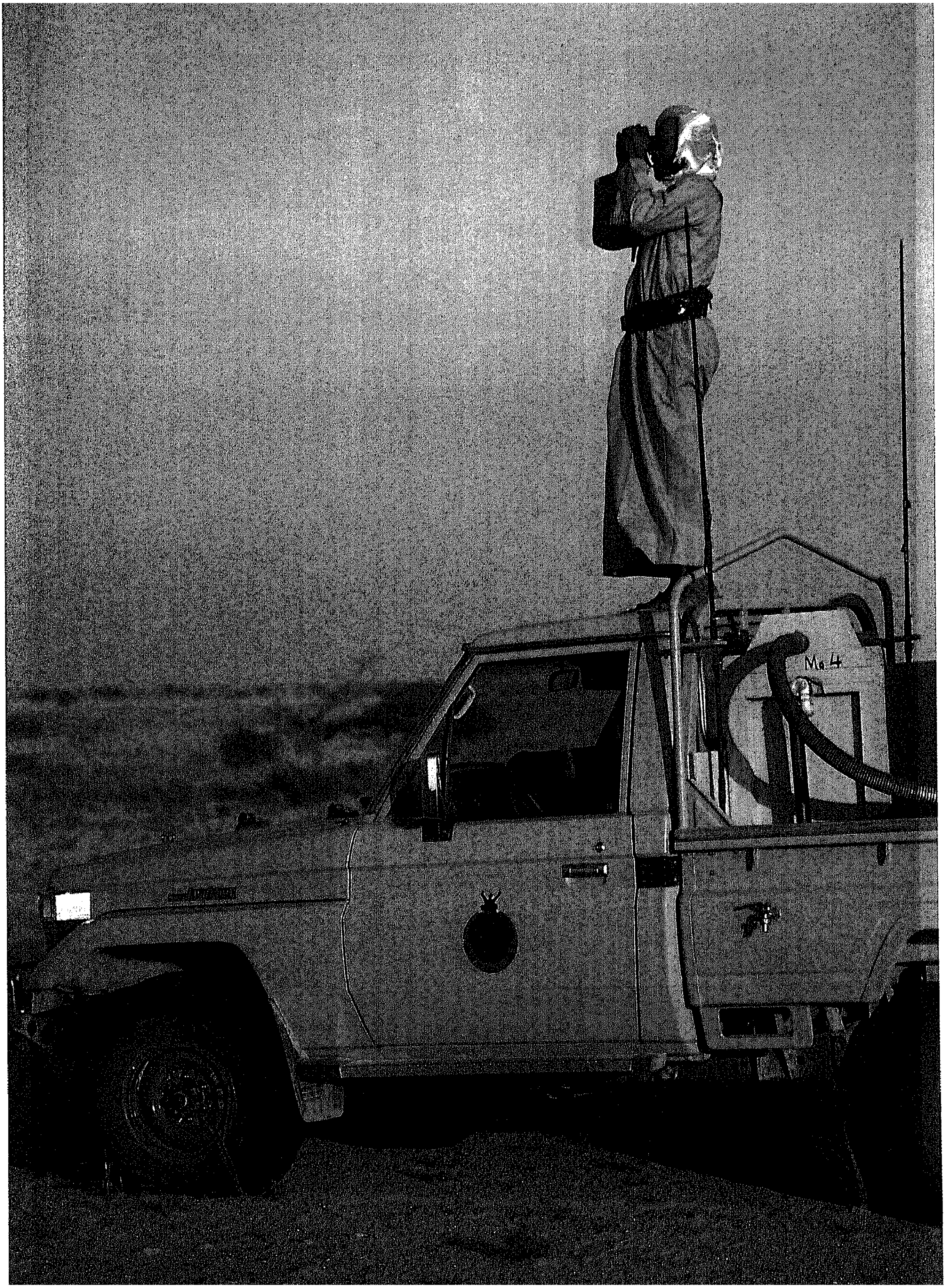
جلالة السلطان قابوس بن سعيد

التاريخ الطبيعي



طائر القطاة التاجي.

هان وجينز إريكسين



انطباعات شخصية

جدة الحراسيس

لمحت الغزلان سيارتنا من على مسافة كيلو متر واحد تقريباً قبل أن يستشف بصر قصيري النظر ملامحها الجميلة، ولكن ليس قبل أن يلحظ المشرف الحاد النظر محمود وجودهم في سكون. ولكنه لم يحد عن مساره المختار عبر الصحراء الصخرية ومررنا بمحض الصدفة على مسافة ٥٠ متراً بالقطيع الذي إستمر لدهشتي يمضغ بصوت طاحن ويرعى فوق طبقة الأعشاب الرقيقة التي تفرش هذه الأرض الجرداء. ولم يظهر على محمود ما يدل على اندهاشه أو اهتمامه بوجودها ولم يلفظ أي كلمة إثارة أو تعجب أو سرور لمشاهدة هذا القطيع الكبير من الغزلان المهددة بخطر الانقراض تعيش في مرح وسعادة في هذه المنطقة البرية النائية من الجزيرة العربية. ولم أستطع أن أرفع عيني عنها أو أقاوم إغراء الايماء أو الصياح بأعلى صوتي دون داع ... ها هي الغزلان!.

وواصل محمود قيادة السيارة وهو لا يستطيع أن يخفي ابتسامته الساخرة.

وبعد فترة قصيرة من الوقت ونحن ما زلنا منطلقين بالسيارة في جدة الحراسيس التي تبدو وكأنها تمتد بلا نهاية تحت قبة السماء الزرقاء التي تزخرفها قطع متفرقة من السحب الشبيهة بندف القطن أشار البدوي ذو القامة المستقيمة إلى الأرض المنبسطة أمامنا وقال هل ترى؟ نظرت أمامي وركزت بصري محاولا رؤية ما يشير إليه غير أن كل ما استطعت أن أراه هو أكوام من الحجارة والرمل وبعض الجنبات والشجيرات المنتشرة هنا وهناك. هززت كتفي وقلت له لا أرى شيئاً. لكنه أشار مرة أخرى وقال هناك في هذا المكان !!. ثم فسر لي ما يقصد وهنا فقط أدركت ما كان يجب علي أن أراه في المرة الأولى وأمعنت النظر في الاتجاه الذي أشار إليه لكن دون جدوى. وأخيراً وبعد أن تقدمنا بالسيارة شاهدت دجاجة حباري جميلة تنهض على ساقيها الطويلتين وتجري مبتعدة عنا. وهنا صرخت دون داع «.. آه ... إنها دجاجة حباري!!».

وبعد أن تركنا الدجاجة الحباري ببضع دقائق سمعنا صوت جهاز اللاسلكي «يعلوني إثنين ... يعلوني إثنين» .. مد محمود يده إلى ميكروفون الجهاز وأجاب النداء «يعلوني إثنين ... يعلوني إثنين» وشرعا في تجاذب أطراف الحديث بسرعة حول موقعنا وعن طرائدنا. وكان حديثه مجرد دردشة عادية روتينية لا تخدم أي غرض بعينه. ولم يتطرق الشك إليّ مطلقاً في أن مرشدي يعرف تماماً أين نحن متجهون بالرغم من عدم وجود أي طرقات أو لافتات أو أي علامات مساعدة أخرى. صحيح ان السيارة كان بها بوصلة، لكنني لم أر محمود ينظر إليها ولو مرة واحدة. لقد قطعنا حتى الآن مسافة ٢٥ كيلومترا من قاعدة المعسكر في يعلوني.

وشاهدت بالاضافة إلى قطيع الغزلان الأول، قطعاناًأخرى غيرها لم أستطع تذكر أعدادها على إنفراد حين حاولت إحصاءها وهي تسرح وتمرح أمام أعيننا. وكانت أحياناً تنطلق عبر الصحراء فتبدو وكأنها تجري وتطير في آن واحد. لكنها كانت تتوقف في أحيان أخرى لمراقبتنا. وفي الظروف العادية فإني ربما كنت سأطلب التوقف لتأمل هذه الغزلان الجميلة وربما كنت سأحاول أن ألتقط بعض الصور لها، ولكن ذلك لم يكن ضمن مخطط محمود لهذه الرحلة.

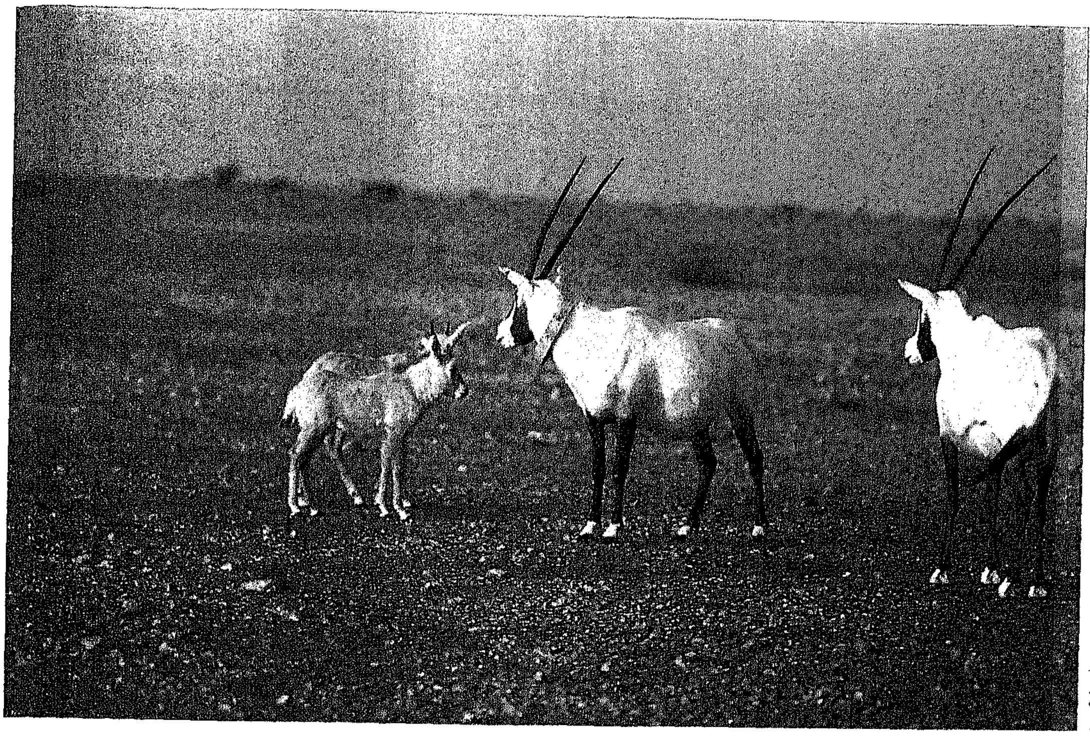
وفجأة تغير مسارنا بزاوية قدرها ١٥ درجة واتجهنا كالنحلة نحو الأفق المتوهج وسألني محمود مرة أخرى هل ترى ذلك؟. ولم يكن بامكاني رؤية أي شيء غير عادي بالرغم من أن مجال الرؤية أمامنا كان لا يعوقه عائق لمسافة ستة كيلومترات أو أكثر.

إن الوصول إلى «خط الأفق» يستغرق حوالي سبع دقائق عندما نسير بالسيارة بسرعة ٤٠ كيلومترا ومع ذلك وبعد مضي دقيقتين وجدتني غير قادر على رؤية الطريدة. وأخيراً أدركت أن البقع البيضاء المعلقة في الأفق في غيوم السراب لم تكن سوى أبقار المارية (المها) العربية. وفي هذه المرة كتمت صوتي وقاومت

مشروع جدة الحراسيس للمحافظة على الحياة البرية يتولاه موظفون محليون يتم استغلال مهاراتهم التقليدية بصورة مفيدة للمحافظة على أبقار المارية (المها) العربية والغزلان ووعل الجبل وغيرها من الحيوانات البرية.



قطيع من أبقار المارية (المها) العربية البرية يرعى في رقعة خضراء في جدة الحراسيس.



تحتفظ أبقار المارية (المها) بعجولها قريبة منها بهدف حمايتها من المقتنصين.

إغـراءات إبـلاغ السـائق بمـا كان يعرفه منـذ دقيقتين على الأقل. ولـم تخيب أملـي أبقار المارية (المها) العـربية التي أحضـرني محمـود هنـا لمشـاهـدتهـا، فبعـد أن شاهدتها وهـي في الأسر في الأردن وفي المملكة العربيـة السعودية والبحريـن وقطر والامـارات العربيـة المتحـدة كان وقع رؤيتي لهـا في حالة جيدة في المحميـات البرية مرضياً للغـاية. ولا يمكن لأي قدر من التقارير العلميـة أو الأفلام التسجيلية أن تعوض عن متعـة رؤية هـذه الحيوانـات على الطبيعيـة. وأوقفنا السيارة على مسـافة ٥٠ متراً من قطيع المـارية المكون من ١٦ بقـرة وشاهـدناهـم بهدوء عبـر عدسـات النظارة المكبـرة. وكـان القطيـع يضم عجليـن حـديثـي الـولادة وإثنتي عشرة بقـرة وثورين أحدهما صغيـر والأخر كبير يهيمن على القطيع.

وفـي أثناء مشـاهـدتنا للقطيـع شـردت بقـرة مـع عجلها الصغير بعيداً عن القطيع وهنا أحـاط بهـا الثـور وأعادها بهدوء إلى بقية القطيـع. إن مثل هذا السلوك غير مـوجود بيـن الغـزلان أو الثدييـات الأخـرى وهو الـذي يسـاعد أبقـار الماريـة علـى البقاء فـي البيئات التـي لا تستيطع الحيوانات الأخرى أن تعيش فيها.

بدأ محمود يشير إلى حيوانـات القطيع كل على إنفراد، وكـان الثور الضخـم يقـف مع ثـلاث أبقـار عند إحـدى أشجار الأكاسيـا (السمر) وهو يقول: هـؤلاء هم «خليفة وكتيبـه وحبيبة» ثـم أضـاف لقد ولـد الثـور خليفة فـي الأردن في شـهر يناير عـام ١٩٨٣م وتم نقله، مثل حبيبه التـي ولدت فـي شهـر أبريـل عـام ١٩٨٢م بـالولايـات المتحدة الأمـريكية، إلى عمـان كجزء مـن برنامـج إعادة توطين سـلالات أبقار المارية. أمـا كتيبة فهي بقرة عمانية الأصل ولدت في عام ١٩٨٣م فـي المستوطنة المسورة الخاصة بأبقار المارية. وعلـى مسافة قصيرة منها وقفت إثنتان من أحـدث الولادات التي إضيفت إلـى هذا القطيع وهما صبحة وسميرة اللتان لم تبلغـا من العمر بعد شهراً واحداً، وقد وُلدتـا في المستوطنة البرية. وكـان تعداد هذا النوع من الأبقار وقت زيـارتي لعمان في ديسمبر ١٩٩٢ يبلـغ ١٣١ بقـرة تعيش فـي المحميـة البـرية فـي جـدة الحـراسيس، وتتـألـف من ٦٣ بقـرة و٦٥ ثـوراً وثلاثـة عجول صغيـرة السن بـدرجة لا يمكن معهـا بعد تحـديد جنسها بصـورة مؤكـدة من خـلال مراقبتهـا بعدسـات النظارة المكبـرة. إن الاحصاءات الخاصة بهـذا المشـروع تثيـر الاعجـاب حقاً فقـد ولـدت ١٦٥ مـارية فـي جـدة الحراسيس منـذ عام ١٩٨٠ لا تزال ١١٣ بقرة منهـاعلى قيد الحياة.

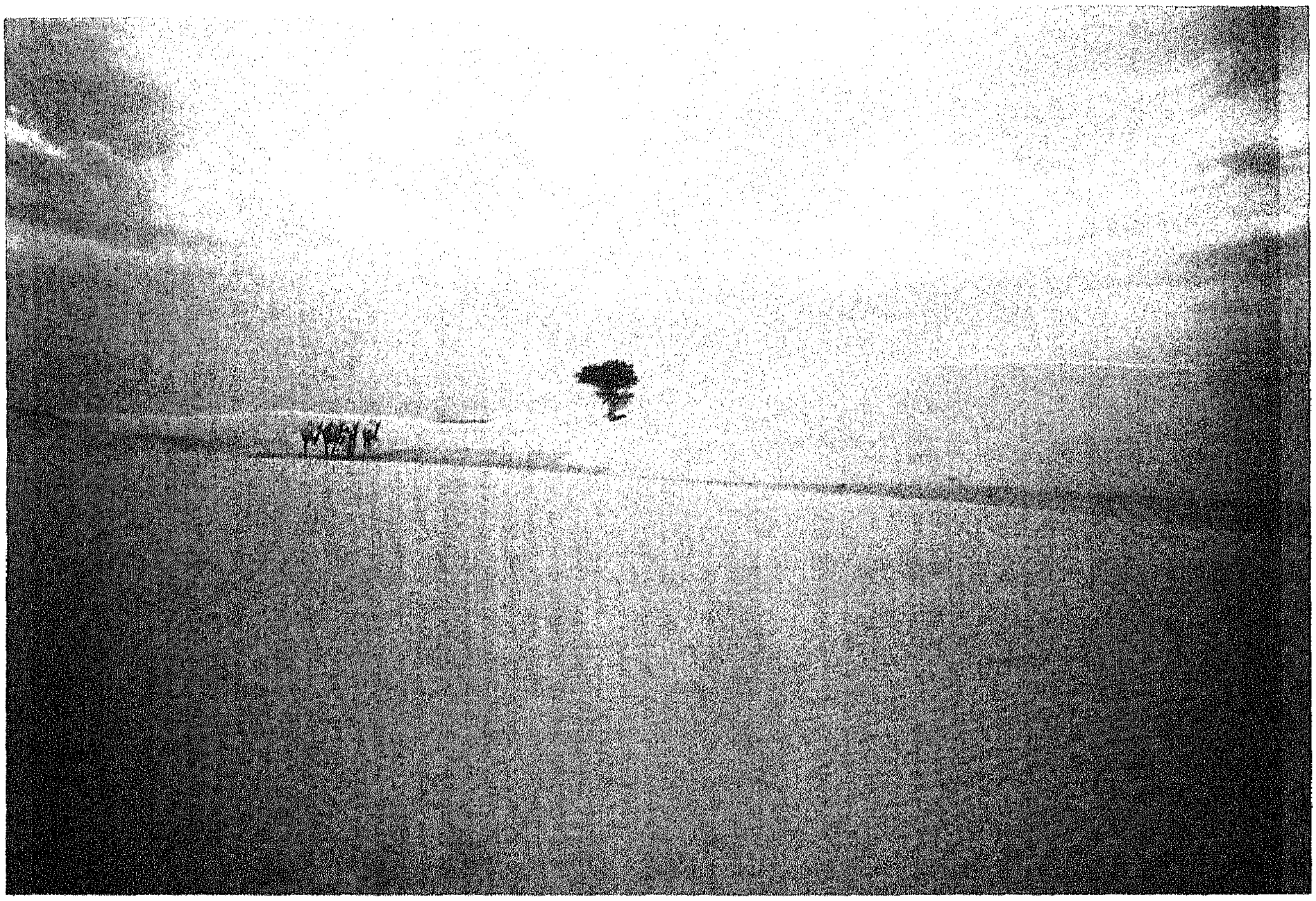
وفي خـلال نفس الفتـرة تم جلـب ٤١ بقرة إلـى جدة الحراسيس منها ٢٩ بقرة من الـولايات المتحدة الأمريكية وخمسة من الأردن وسبعة من مركز الاستيلاد في الأسر في عمـان. غير أن الاحصاءات وحـدها لا تعبر عـن مدى النجاح الحقيقي الـذي حققه مشروع إعادة تـوطين أبقار المارية البيضاء لأنه أكثر من مجـرد برنامج لاعادة أبقار المارية إلى موطنها في المناطق البرية.

وبالرغم من أن هذا التحدي كان في الأصل السبب وراء استهـلال هـذا البـرنـامـج ولا زال يشكـل البـؤرة الرئيسية له فإن المشرفين على إدارة المشروع لا يزالون مهتمين برعـاية أهل جدة الحـراسيس تماماً كمـا يعتنون بأبقار المارية (وفي الواقـع فإن الاسم الرسمي للمشروع هو «مشروع تنمية جدة الحراسيس ـ المرحلة ب»).



أندرو سبالتون

يشتهر لوتي، أحد أفراد أهالي جدة الحراسيس، الذي يعمل مشرفاً بالمشروع بمهارته في اقتفاء آثار الحيوانات.

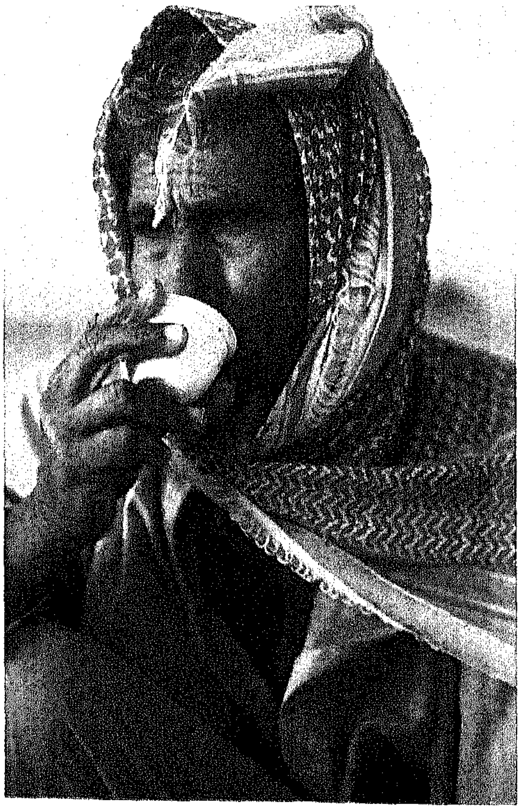


أندرو سبالتون

إلتقط أندرو سبالتون أخصائي بيولوجيا الحياة البرية هذه الصورة أثناء قيامه برحلة على ظهر الجمل مع بعض أهالي جدة الحراسيس.

إن الهدفين الرئيسيين للمشروع يتداخلان مع بعضهما بصورة أكبر مما يتخيل المرء لأن المهارات الفريدة لأهل جدة الحراسيس ومعرفتهم بالتقاليد الصحراوية وشعورهم العميق تجاه المحافظة على الحياة البرية هو الذي يضمن نجاح المشروع.

ويواجه أهل جدة الحراسيس، مثلهم مثل المارية (المها) العربية عواقب التحديث الذي لا مفر منه والذي يهدد بتدمير الطبيعة التي تؤازر تواجدهم الطويل في جدة الحراسيس. إنهم يفخرون كما تفخر قبائل البدو الأخرى في عمان، بأجدادهم ويحافظون على القيم التقليدية لقبيلتهم وعلى عاداتهم العريقة. ويرتبط عشقهم للمنطقة الحجرية الواسعة لجدة الحراسيس بالجمال الطبيعي الرائع للمنطقة وبحقيقة أن الله قد أنعم عليهم بالضباب الرطب الذي يأتي من البحر ويوفر لهم الرطوبة حتى إذا لم تسقط الأمطار.



أندرو سبالتون

للحياة في الصحراء ايقاع لطيف يحكمه شروق الشمس وغروبها وحلول مواعيد الصلاة وأوقات تناول القهوة العربية والتمر.

وتعتمد النباتات والحيوانات الموجودة في جدة الحراسيس على الضباب البحري الموجود في هذه الهضبة المرتفعة، وقد تمكّن أهالي جدة الحراسيس من تربية الجمال والماعز خلال فترات القحط الطويلة التي قد لاتسقط فيها الأمطار فوق معظم إن لم يكن كل جدة الحراسيس التي تبلغ مساحتها ٢٥٠٠٠٠ كيلومتراً مربعاً تقريباً.

وقد إعتمد أهالي جدة الحراسيس منذ قرون طويلة على الجمال في التنقل، غير أن لدى العديد منهم الآن سيارات مدفوعة بالعجلات الأربع. ومع استخدام هذه الآلات نشأت الحاجة إلى البترول وظهرت حول جراج شل الموجود في هيماء على الطريق الرئيسي بين مسقط وصلالة مدينة جديدة تماماً.

وتضم هذه المدينة بالاضافة إلى المركز الاداري لمدينة هيماء، مدرسة جديدة ومسجداً جديداً ومتجراً (سوبر ماركت) حديثاً ومصرفاً ومجموعة من مراكز الخدمة الصغيرة ومجموعة من المساكن الاجتماعية. وبينما يرحب أهالي جدة الحراسيس بالجهود المبذولة

«لـرفع» مستـواهم المعيشـي فـإنهم قلقـون من جـراء العواقـب الاجتماعيـة والاقتصادية لمثـل هذا التحـديث السريع.

لقد كان محمود في هذه المرحلـة يواجه بالفعل بعض الصعوبات العملية المرتبطة بهـذا التغيرات. فقد كان إبنه مقيداً بالمـدرسة الداخلية في هيماء بينمـا إلتحقت إبنتاه مؤخـراً بمدرسة البنات المحليـة التي لا يوجد فيهـا قسم داخلي. وقد خلـق ذلك مشكلة له فهو لا يستطيـع بالطبع أن ينقـل قطيع المـاعـز الخاص بـه مـن منطقـة الرعـي التقليدية في قلب جدة الحراسيس حيث يعيش عادة. لكنه إضطر إلـى توفير مسكـن لأبنتيه بـالقرب من المـدرسة. ورغبة منه في حل المشكلة اضطـر إلى تجزئة إسرته إلى قسمين الأول يـرعى الماعز بـالقرب من يعلونـي والآخر يقيم فـي خيمة نصبهـا في الصحـراء على مسـافة ميـل واحد تقريباً من هيماء.

وهـو يعانـي بالفعـل من بعـض المشاكـل، لأنه مـن الصعب عليه أن يلبـي متطلبات تأسيس منـزلين له أو أن يضمن سلامـة وأمن إسرته المجزأة. ومـع ترعرع أولاده وهم يتمتعون بمـزايا التعليم الحديث فإن فـرصة رغبتهم في العودة إلى بيئتهم الصحراوية التقليدية تكاد أن تكون معدومة. ومن المتوقع أن يواجه محمود خياراً صعباً بين أن يتنازل عن حبه للصحراء أو يخـاطر بتجـزئة أسرتـه بدرجة أكبر. لكـن لعل بعض الضوء قد بدأ يلوح في نهاية النفـق المعتم. فمثلمـا كـان الانسـان مسؤولاً عـن دفـع أبقار المارية (المها)العربية إلى الانقـراض وعن انقـاذها في النهاية، فـربما تقدم هذه الأبقـار الحل لانقـاذ أهالـي جدة الحـراسيس وتهيئتهـم لـلاقامـة هناك. فمـع تزايـد أعـداد المـاريـة وجـذبهـا للاهتمام المتزايد سواء على النطـاق المحلي أو الـدولـي سيصبح من الأهميـة بمكان أن يـواصـل أهـالـي جـدة الحـراسيس رعـايتهـم الخـاصة بـالبيئة الطبيعـة.

وهم بحمـاية أبقار المـارية يضمنـون أن حياتهم البـرية مأمـونة من أن يفتـرسها الانسـان. لقد أصبحت منـاطق المحميات الطبيعية البـرية التي تخضـع لاشـرافهم والتي تغطي مساحة قدرها ١٥٠٠٠٠ كيلـومتراً مربعاً من جدة الحراسيس تعـج بالغزلان وتوفر المأوى لأكبـر مجموعة في العـالم مـن حيوانات الـوعل (تيـوس الجبل) النـوبية بالاضـافة إلى مجمـوعة من الحيـوانات والطيور البـرية الأخـرى مثل الـوشق (مـن فصيلة السنـانير) والصقـر الذهبي وثعلب الصحراء.

إن مشاريع تـوفير البيئة الطبيعية هذه تحظـى بأهمية



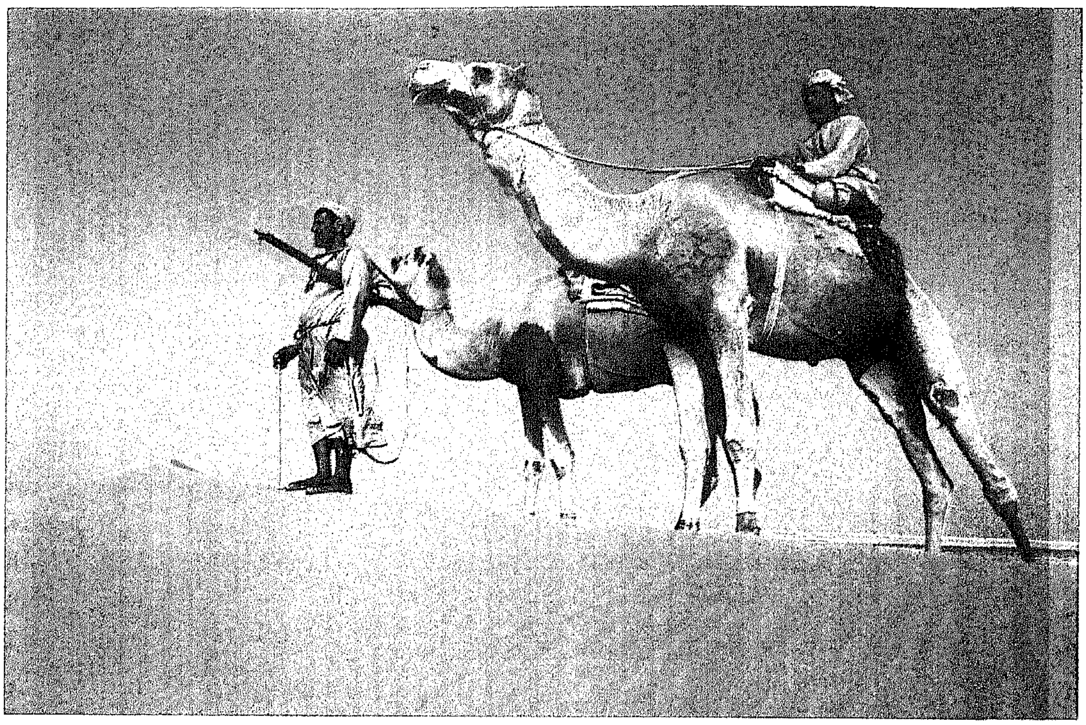
أندرو سبالتون

يتعرض أطفال أهالي جدة الحراسيس للتأثيرات المتناقضة لدورة حياتهم التقليدية من جهة ومزايا التطور العصري التي تجذبهم نحو مجتمعات مدنية من جهة أخرى.



أندرو سبالتون

أمرأتان من أهالي جدة الحراسيس مع طفل.



أندرو سبالتون

المشرفون الحراسيس يتنقلون بالجمال وبالسيارات الحديثة المدفوعة بالعجلات الأربع أيضا.

خاصة وتستحق العناء المبذول مـن أجلها حتى إذا لم تتح لقطاعات واسعة مـن الناس فرصة مشاهدة الحيـاة البرية في المنطقـة. وبرغـم ذلك وبالأخـذ في الاعتبـار الضغوط العالمية للمحـافظة على المناطق البريـة وانتشار الاهتمام بأبقار المارية (المها) العربية فإنه من غير الممكن على ما يبدو مـواصلة مقاومة الضغـوط التي تطلب فتـح المنطقة أمام الـزوار. وتخطط إحـدى شركـات السياحـة العمانيـة بالفعل لجلـب السياح المهتمين بالطبيعة لمشـاهدة أبقار المـارية وغيـرها مـن الحيوانـات والطيور البـرية. ومـن المحتمل أن ينمـو هذا الاتجـاه ويوفر قـوة دافعة جـديدة لتعزيـز الجهود المبـذولة فـي المستقبل للمحـافظة علـى الطبيعة. وربما قد يتم تأمين مستقبل محمود وإسرته من خلال مشروع المحافظة على أبقار المارية البيضـاء (المها العربيـة) والذي قد يدر علـى أهل جدة الحراسيـس ثمار جهودهم.

لقد قمت بزيارة إلى جدة الحـراسيـس فـي شهـر ديسمبر عام ١٩٩٢م عندما كانت المنطقة تتمتع بالمزايا التـي جنتهـا من مـوسمـي هطـول الأمطـار فـي أوائل العام. فقد كانت النباتات في الصحـراء في ذلـك الوقـت خضراء علـى غير المعتـاد، وأوصل عشـب الـرعـي المتوفر بغـزارة،جميع أنواع الاحياء البريـة إلى أفضل حالاتها . وتحسسـاً منها لهذه الـوفرة الطبيعيـة تـزاوجت أبقـار المـاريـة بعد سقـوط الأمطـار ووضعـت العديـدمنهـا بـالفعل صغـارهـا أو أصبحت على وشك الولادة.

وكانت القصة مختلفة تمامـاً منذ عام واحد فقط حين استطاعت أبقـار المارية (المها العربية) بـالكاد أن تنجو بحياتها من عواقب فترة القحـط الطويلة، فقد كان العشب نادراً لـدرجة لم تستطـع معها الأمهات سـوى الحصول على الغذاء الذي يكفيها للبقاء هـي نفسهاعلى قيد الحياة، ومـاتت عجـولها نتيجـة لعدم تـوفر اللبـن. وهي قصـة تكررت في أنحاء المنطقة، وأثرت ليس على أبقار المارية فحسب بـل على أنـواع الثدييـات الضخمة الأخـرى مثل الغزلان والوعول.

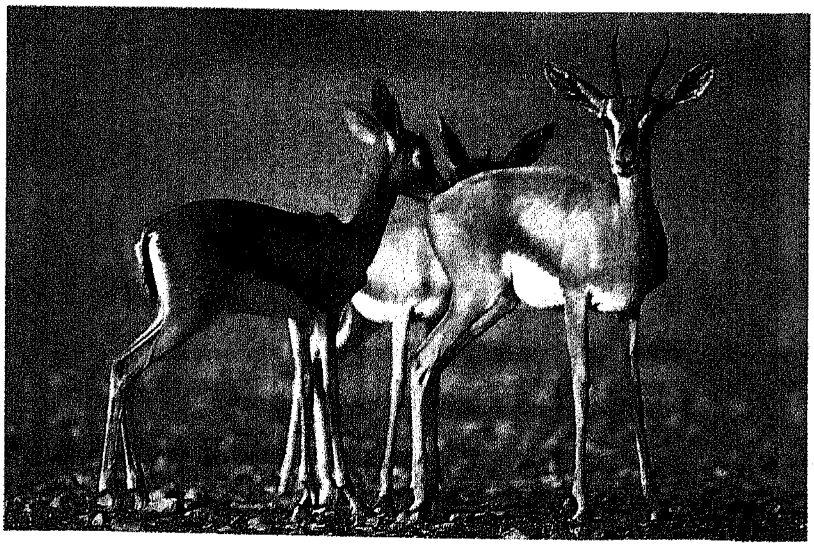
وبعد انقضاء عام واحد تمتـع من استطاع النجاة منها بالمـزايا التي جلبها هطـول الأمطار الأخيرة وأصبـح من بيـن أصح سـلالات أبقار المـارية العـربية والغـزلان و الوعول الموجودة في أي مكان آخر في العالم.

أن أهالـي جدة الحراسيـس يتمتعون بشهـرة كبيرة كمشـرفيـن ممتـازيـن على الحيـاة البـريـة، وتتعـرض مهاراتهم للاختبار كل يـوم لأن عليهم أن يقتفوا تحركات المارية البرية في منطقة شـاسعة في حجم منطقة إيست أنجليا بالمملكة المتحدة على الأقل.

وتتمتع أبقار المارية (المها) العربية هذه، على عكس تلك الموجـودة في المحميات الطبيعية المسـورة، بحرية الحركة الكاملـة وتستطيع الذهاب أينما ترغب فلا توجد أية أسوار أو قيود على تحركاتها.

وفـي النهايـة فإن الأمـل معقود علـى أن تغزو أبقـار المارية (المها العربية) من جديد منطقة رملة الوهيبة في الشمال. لكنهـا كما يبدو راضيـة في الـوقت الحالـي عن

تتوفر الغزلان بكثرة في عمان وذلك بفضل إتباع سياسة المحافظة على الحياة البرية في أنحاء البلاد.



أندرو سبالتون



أندرو سبالتون

الحراسيس يعبرون سبخة منخفض الحقف خلال شهر مايو.

وجـودهـا فـي محميتهـا المفتـوحـة فـي منطقـة جـدة الحراسيس وهي المنطقة التي تم اختيارها على نحو جيد لاعادة توطيـن هذه الأبقار في المنـاطق البرية. وفـي كل يوم يخـرج المشرفون مـن أهالـي جدة الحراسيـس من قاعدة المشروع فـي يعلوني لتتبع أبقار الماريـة ومراقبة أحوالها.

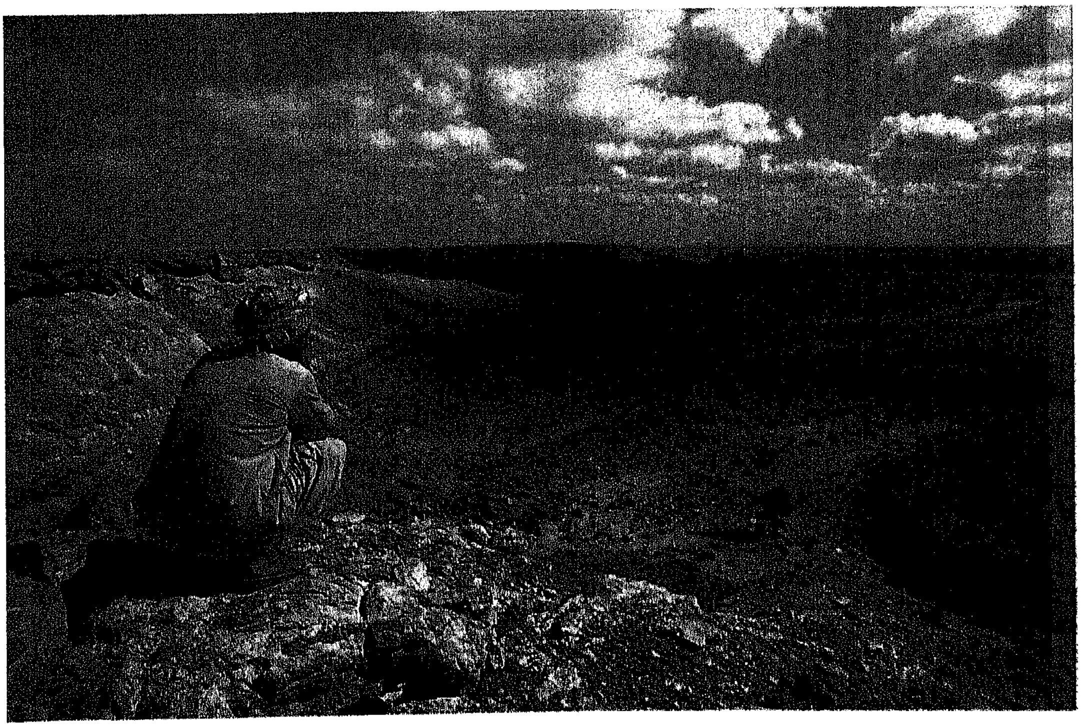
وهم يخـرجون فـي مجموعـات تتكون كـل منها مـن رجلين يمضيان ثلاثة أيام في الصحراء قبل أن يعودا إلى قـواعدهمـا فـي مـركز المشـروع لـرفـع التقاريـر عـن اكتشافاتهـم. وبهذه الطريقة يقوم المشرفـون على أبقار المـاريـة بحـراسة ودائعهـم الثمينـة دون أن يستعينـوا بأجهزة النداء اللاسلكية أو أنظمـة الاقتفاء التي تعمل عن طريق القمر الصناعي أو أية أجهزة مراقبة أخرى.

ويقوم أحـد أهالـي جدة الحـراسيس بمهمـة مختلفة تمامـاً، فهو يعمـل بمفرده فـي بقعة مـن أجمل المنـاطق الصـحراوية المثيرة في كل أنحـاء الجزيرة العربية ويقوم بمتابعـة حيوانـات الوعـل النوبيـة التي تتميـز بالجبـن والمراوغة. وقد حقق لوتـي لنفسه شهرة فريدة كمشرف علـى الحيوانـات البريـة ويستطيـع معرفـة مغزى أتفـه الاشارات التـي يخلفها حيوان الـوعل النادر الـذي يعيش على حافة جرف الحقف.

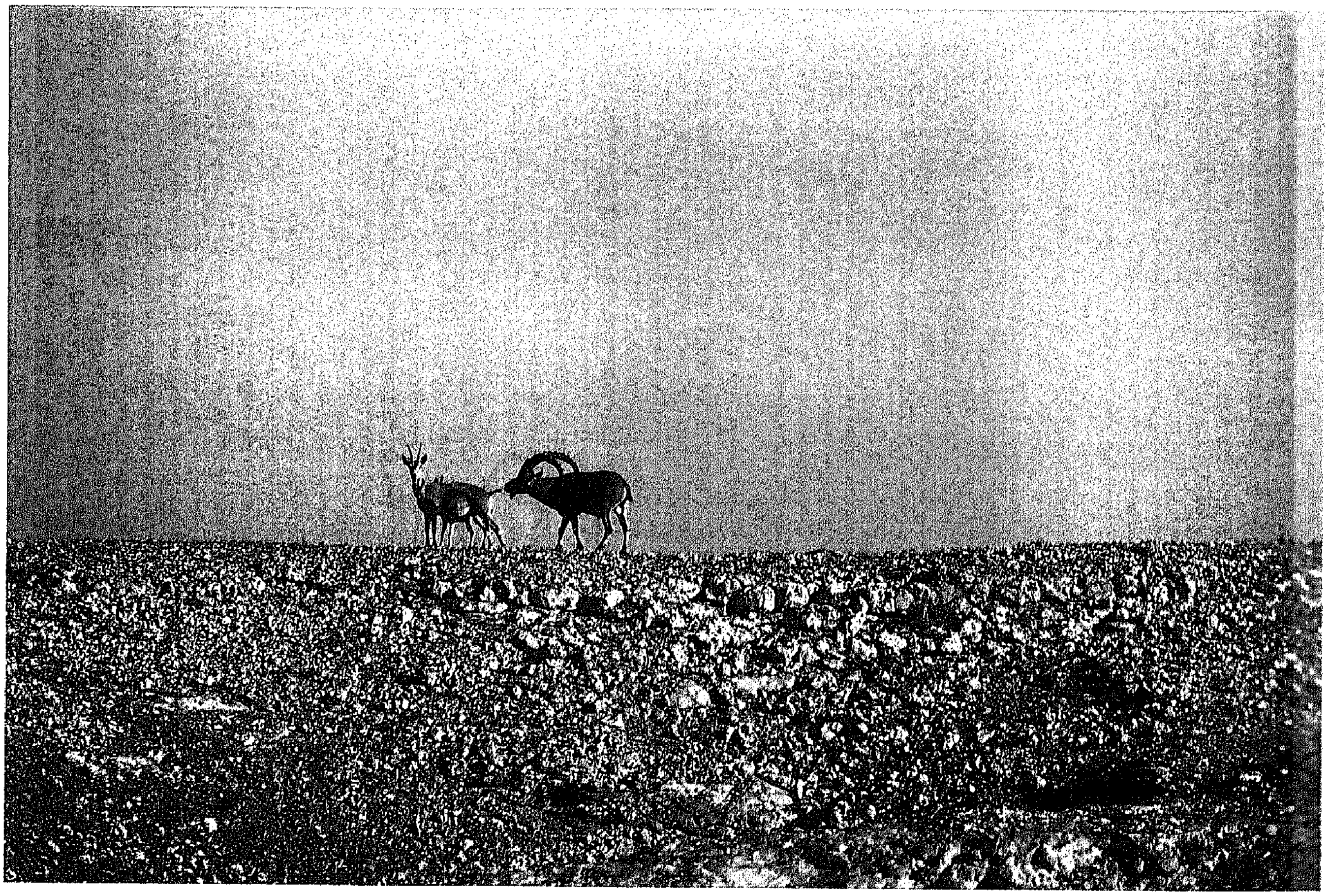
وبعد أن سمعـت عن مهـاراته كخبيـر في اقتفـاء هذه الحيوانات تحمست لمقابلته ومشـاهدته وهو يؤدي مهام عملـه. وصحبني روري جـونس مـدير مـوقع مشـروع توطين أبقار المارية البيضاء في يعلوني لمقابلة لوتي في معسكره بالصـحراء.

ووجدنـاه يعد القهوة فـوق نار مكشـوفة بالقـرب من غيضـة شجيـرات صغيرة علـى مسافـة ١٥ كيلومتـراً من يعلونـي. وبعد مقاسمتـه التمر والقهـوة توجهنا معـه في اتجاه الحقف بسيارة كان يقودها بنفسه.

إنه رجل يبلـغ من العمر ٤٠ عاماً، دمـث الخلق وواثق مـن نفسـه، متواضـع ورقيـق الصـوت، ولديـه ذخيـرة خفيـةمن الصبـر والجلد. وطلـب منـه روري أن يرينـي الوعل (تيس الجبل).



لوتي المشرف على الحيوانات البرية يبحث عن حيوان الوعل عند حافة جرف الحقف.



... *في منطقة الحقف.*

كان روري متـأكداً مـن أنه سينجـز هذه المهمـة على أكمل وجه بالرغم من صعوبة توفير هذه الحيوانات حسب الطلب وأقـر بأن بعض الشك قـد ساورني في امكـانية أن يحقق لي هذا المطلب.

عنـد اقترابنـا لأول مـرة من حـافـة الحقف انحبسـت أنفـاسي مـن روعة المنظـر غير المتـوقع. لقـد كنا نعبـر بالسيارة أحـد السهول الحجرية المرتفعة تـدريجيا والتي تتقاطع مع قاع الوديان التي خددتها مياه الفيضانات التي جفت. أوقف لـوتي السيارة في منطقة تبدو وكـأنها تشكل جزءاً غـريباً من هذا السطـح الشبيه بسطح القمـر وتبعته حيث كان يسيـر من السيارة إلى حافـة المنحدر العمودي الشاهـق. كانـت هناك بلاطات ضخمة مكسورة وجلاميد مـن الحجر الجيـري سقطت علـى امتـداد سطح الجـرف وحطمتها ميـاه فيضـانـات الأمطار التي تسقط بين الحين والآخر وتتسبـب في تعرية الـوادي الذي يبدو كـالاخدود والذي يمتـد أمام أبصارنا بعـرض ميل واحد تقريبـاً. وقد حجب سطـح الجرف ذو الحزوز العميقـة وضوح الـرؤية على طـول المنحدر. كما حجبـت رعون الجبل المـوجودة على جانبينـا مجال رؤية المنطقة الـواقعة أمامنا مبـاشرة ولمسافة ٥٠ متراً على كلا الجانبين.

وفي هذا الصحـن الحجري بدأ لوتـي يمسح الصخور بعينيه بحثاً عن أي علامات تكشف عن وجود الوعل. وفي نفس الـوقت استعان روري بنظـارته المكبرة فـي فحص السهـل الـواسـع المـوجود أسفلنـا والنـاتـج عـن مياه الفيضـانـات. وبعد خمسة عشر دقيقـة تقريباً دار لـوتي على عقبيـه وعاد إلـى السيارة. لم يكـن هناك بـالطبع أي وعل على مدى الرؤية.

وبالقـرب من السيارة تـوقف والتقط وريقـة صغيرة جداً كـانت مـوجودة علـى الأرض بجوار إحـدى نباتـات الحسـك (نبات مـن الفصيلـة القـديسية) ذات الـزهـور الصفراء اللـون. وكانـت هذه الوريقـة هي دليـل على أن الوعل كان يرعى هنا في الصبـاح الباكر. وبالقرب من هذا المكان أرانـي لوتي منخفضاً فـي رقعة رملية تحيـط بها الحجارة وقال تلك هي آثار قدم الوعل.

وخشيت أن يكون ذلـك هو كل ما سوف أشـاهده من معالم هـذا الحيوان النادر وحاولت أن ألتقـط لها صورة، لكنه لم يكن سوى منخفض بسيط. ولم يكن هناك أي أثر واضح لحـافر الحيوان أو أي معـالم واضحة تشيـر إلى أنها من صنع أحد الحيوانات.

واستسلمـت للـواقـع وتبعت لـوتـي إلـى السيـارة وانطلقنا بها مبتعدين عن حـافة الجرف لبضعة مئات من الأمتـار بحثـاً عن مخبـأ محتمـل آخر للوعـل. وأوقفنـا السيارة وتسللنـا زحفاً فـي هذه المـرة في اتجـاه حافـة الجرف يتصـدرنا لوتـي الذي جثم علـى الأرض واختلس النظر من فوق الجرف، وتبعنـاه أنا وروري لكننا لم نعثر على أثر للوعل.

ومع ذلـك فقد كنـا على الطريـق الصحيح فقـد أشار لوتي إلى تجويف بعرض متـر واحد موجود في رقعة من



حيوان الطهر العربي يستريح في الظل.

أندرو سبالتون

الرمل بين جلمودتين ضخمتين وقال لقد نام الوعل هنا ليلة الأمس لكنه مضى في طريقه. وأثناء عودتنا إلى السيارة كانت عيناه تحدقان في الأرض وفي هذه المرة كانت آثار أقدام الوعل أكثر وضوحاً. وقال لقد كانت هنا ثلاثة وعول ذهبت في اتجاه الجنوب. وركبنا السيارة التي قادها لوتي دون أن يتحدث.

وبعد أن قطعنا مسافة كيلومترين تقريباً، اقتربنا بالسيارة من سطح الجرف ثم توقفنا وحرصنا على عدم اغلاق باب السيارة واتجهنا إلى الحافة. وقبل أن نصل إليها إنحنى لوتي والتقط حوالي إثنتي عشرة كرة سوداء صغيرة جداً كانت مختفية بين الحصى. وقال لي هامساً إنها خاصة بأحد عجول الوعل. وبمجرد أن وصلنا إلى الحافة وثبت أم مع عجليها وطفروا على إمتداد قمة حافة الجرف مبتعدين عنا وقمت سريعاً بتجهيز آلة التصوير، لكنني أدركت في الحال إن الصور التي سألتقطها لن تكون سوى صوراً لوعول هاربة.

لقد كنا نبحث عما هو أكثر من ذلك،لكنها كانت بداية مشجعة على أية حال. وعند هذه النقطة كنت متأكداً من أن لوتي سوف يريني بعض الوعول تماماً كالساحر الذي يخرج الأرنب من القبعة. وفي خلال نصف الساعة التالية أثبت لوتي أنني كنت على حق وأظهر كيف يستطيع اقتفاء الحيوانات وهو يقود السيارة وكيف أنه يعرف الفرق بين أنثى الوعل والتيس من خلال النظر إلى آثار أقدامهما وكيف يستطيع أن يخمن مكان الوعل في أي وقت من أوقات النهار.

وقمنا بزيارة لاحدى برك مياه الأمطار التي يعيش فيها سمك الروبيان الصحراوي سريع الزوال، وشاهدنا ستة وعول أخرى في طريق عودتها إلى قواعدها.

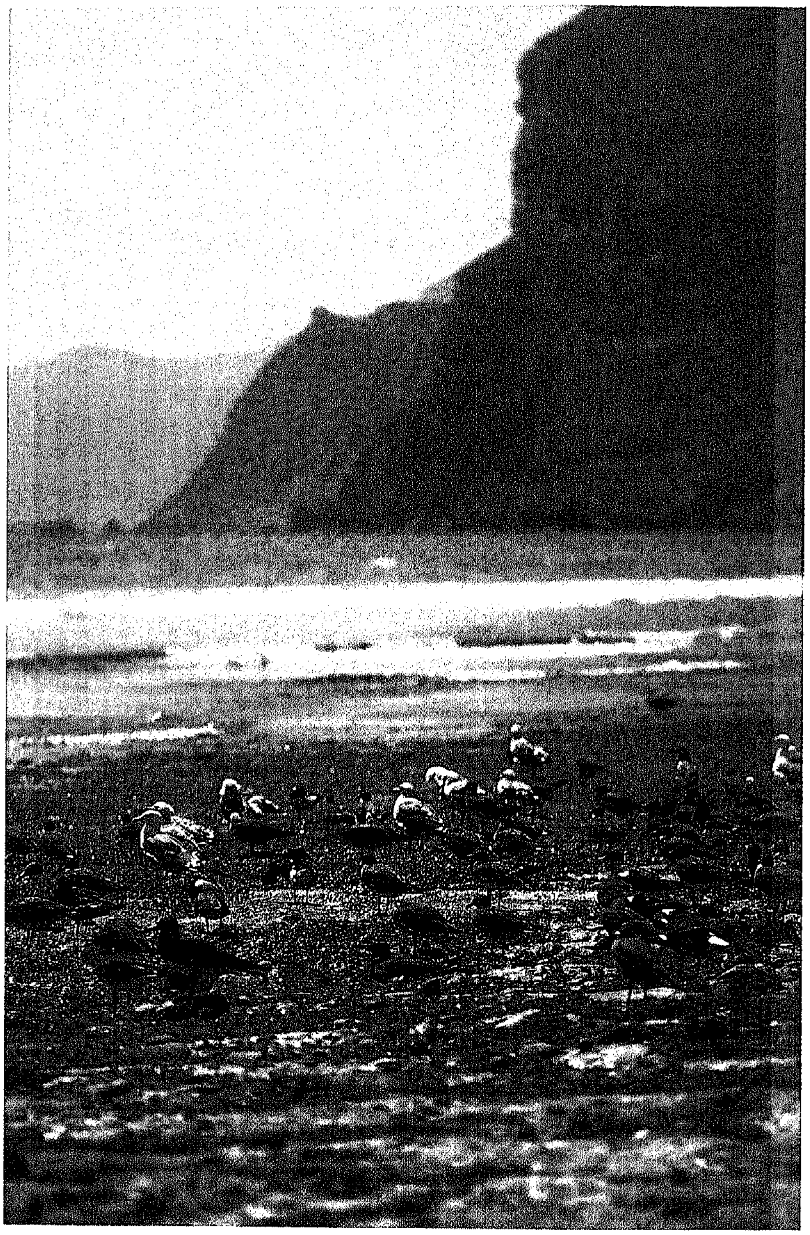
وبعد فترة من الوقت وبعد أن عدنا إلى يعلوني فكرت في التجربة التي مررت بها وتوصلت إلى أنني في هذين اليومين فقط شاهدت عدداً من الحيوانات والطيور البرية الصحراوية أكثر بكثير مما شاهدته خلال عشرين سنة من حياة السفر والتنقل في أنحاء الجزيرة العربية. كيف كان ذلك ممكناً ومشروع يعلوني هو مشروع من صنع الانسان؟.

هنا تم إقامة قرية صغيرة في قلب الصحراء تضم مرافق الدعم التي تحتاج إليها مثل هذه المستوطنات البشرية العصرية بما في ذلك المولدات والمنازل وخزانات الوقود والورش وخزانات المياه ومكتب للشؤون الادارية ومختبر كامل بأجهزة الكمبيوتر. وكانت كل هذه الجهود موجهة من أجل أن تعيد إلى الطبيعة ما سبق أن انتزعه منها الانسان.

وبالرغم من التناقض الواضح في وجود التكنولوجيا العصرية الفظة في قلب المنطقة البرية فإن المشروع قد حقق نجاحا رائعاً، فهو لا يوفر سبيل إعادة عقارب الساعة إلى الوراء فيما يختص بانقراض الوعول العربية في الصحراء فحسب بل أصبح يوفر الحماية لمجموعة كبيرة من الحيوانات والطيور البرية ويوفر مصدراً للدخل لأهالي جدة الحراسيس.

مشاهد بحرية

تعتبر الجروف شديدة الانحدار وهضبة الحجر الجيري الشاهقة الموجودة في جزيرة الفحل من أهم المعالم البارزة التي تميز مشهد البحر في مسقط. وهي تشكل فناراً ملاحياً هاماً اهتدى به البحارة على مر عصور طويلة، من عصر أهل مجان (العمانيين القدماء)



مشهد للساحل بالقرب من مغسيل في ظفار بين ثراء المد والجزر.

وأسلافهم الذين قاموا بالصيد في هذه المياه منذ أربعة إلى ثمانية ألف سنة والبحارة اليونانيين والرومانيين الذين اكتشفوا هذا السواحل والبحارة العرب ومضطهديهم البرتغاليين الذين خاضوا معارك تاريخية في ظل أجرافها التي تسكنها الصقور وبحارة ناقلات النفط الحديثة وسفن الشحن التي تشاهدها على شاشات راداراتها من على مسافة ٥٠ ميلاً. كما أنها توفر للصيادين العمانيين ملجأ يحميهم من الرياح الموسمية ومنطقة ممتازة للصيد. كما أنها توفر لهواة الغوص الذين يستخدمون أجهزة الغوص بعض أجمل وأفضل مناظر الحياة البحرية الموجودة في منطقة مسقط.

وتتميز جروف الجزيرة بأنها شاهقة لدرجة أن ظلها عندما يسقط فإنه يغطي سطح البحر المحيط بها، وهي من المواقع المفضلة للغوص والذي يتحدد حسب أوقات النهار وحسب حالة الرياح والمد والجزر. وبالرغم من عدم وجود مراسي صالحة لرسو الزوارق في جميع الظروف الجوية، إلا أن هناك خلجان صغيرة توفر أماكن مناسبة لرسو الزوارق الصغيرة.

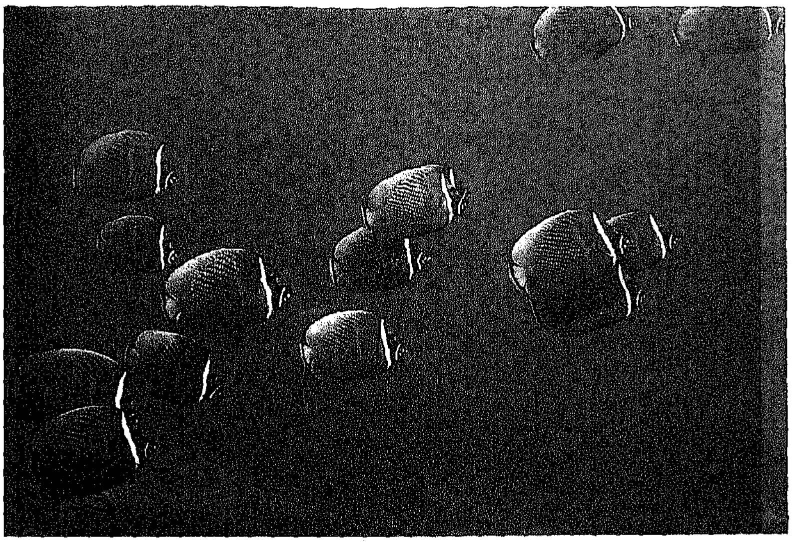
وتبعاً للمنطقة التي يختارها المرء للغوص فإن الصخور تواصل تدرجها تحت سطح الماء أو تكّون منحدراً أقل ميلاناً تشكل عليه القطع المتساقطة من الجروف المتآكلة صدوعاً عديدة وكهوفاً صغيرة تسكنها أسماك الأنقليس الموراي والعديد من الأسماك الصغيرة والأربيان (جراد البحر) والأخطبوط الذي يخرج في الليل من مخبئه. ويتغذى الأربيان على الطحالب وأحيانا على قنافذ البحر الشائكة، بينما يتغذى الأخطبوط على الأربيان. وفي أثناء النهار يتم اعلان الهدنة بينهما لأن كليهما يختبأ من سمك القرش الليموني وسمك الشفنين البحري وسمك الأخفس الضخم.

ويزين المرجان الطري ذو اللون القرنفلي البراق الصخور الموجودة على امتداد الجانب الشرقي للجزيرة ويخلق بذلك حديقة بحرية استوائية رائعة تم فيها استبدال الطيور والحشرات الزاهية الألوان بمجموعة جذابة ومدهشة من الأسماك التي تذكرنا أسماؤها الشائعة مثل أسماك عروسة البحر وسمك الضفادع وأسماك العذارى وسماك الصقر وسمك الشيهم بما نعرفه بصورة أفضل عن الحياة فوق سطح الماء ومدى ميلنا إلى تفسير ما نجده تحت سطح أمواج البحر على هذا الأساس.

وبالطبع فإن هذا التناظر ليس كله دون أساس، فكما يحدث في المستوطنات البرية فإن كل جنس هناك يتأقلم حسب الظروف البيئية المناسبة. وهنا أيضاً

حيوان الحبار يسبح فوق طبقات الأعشاب البحرية.



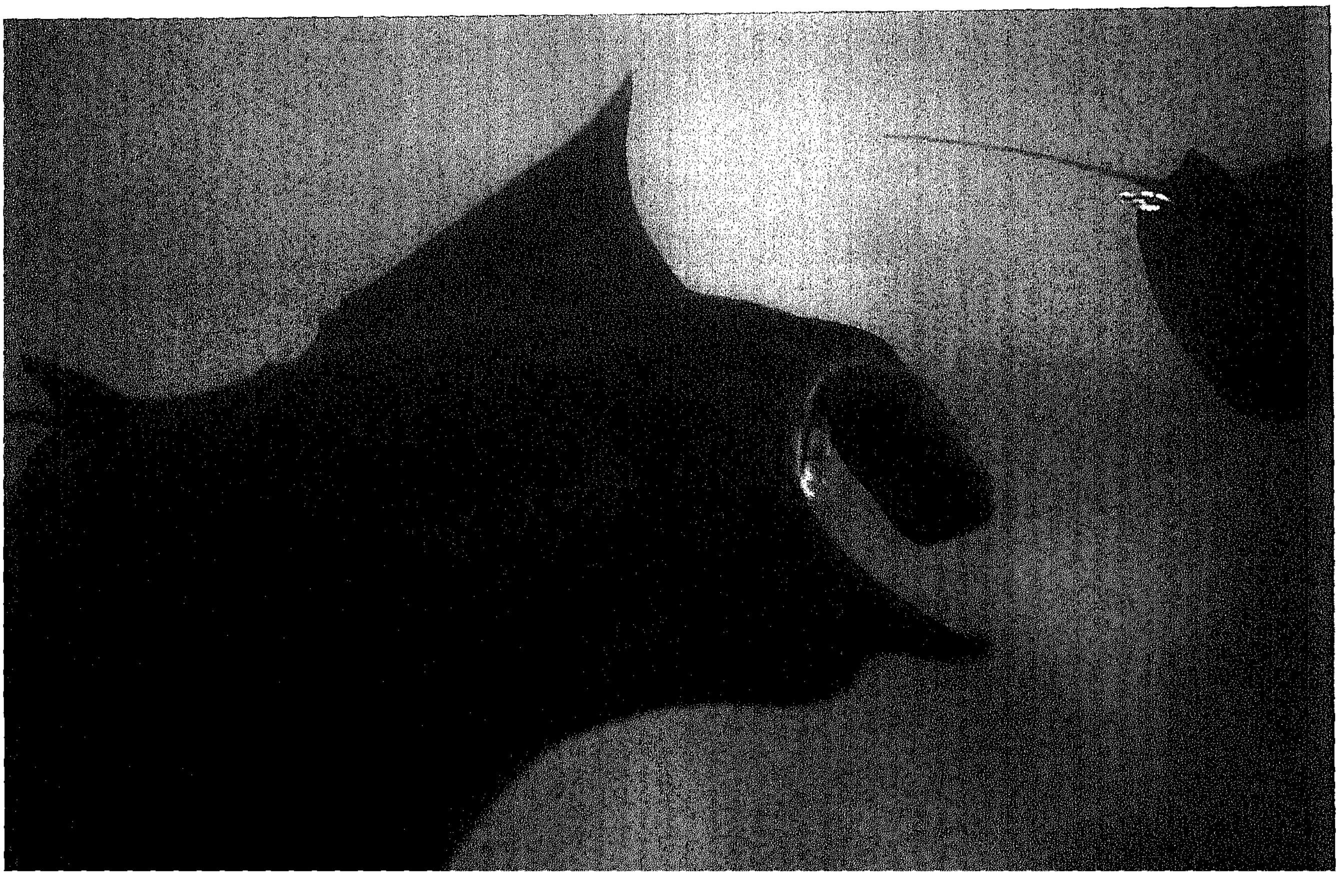


سمكة عروسة البحر.

يعتمد التسلسل الغذائي على الطاقة الشمسية المحولة إلى كربوهيدرات بمساعدة مجموعة متنوعة من الأحياء النباتية التي تتراوح بين الزوكسانثيلا الدقيقة أحادية الخلية والتي تنبتها الطحالب بكفاءة وسطوح الصخور المغطاة بالطحالب الرقيقة ذات اللون الأزرق والأخضر وأخيراً أعشاب البحر الضخمة الموجودة في الجنوب حيث تطفو مياه البحر السطحية الباردة التي تطفو من الأعماق إلى السطح في فصل الصيف والتي تشكل ما يعادل غابة من الأشجارالتي تطرح أوراقها، كاملة بمظلة من أوراق النباتات.

وكانت هناك مجموعة من أسماك عروسة البحر تحوم حول محطة لأعمال التنظيف تنتظر دورها لتقوم أسماك الراس ذات الزعانف الشاكة بتنظيفها بالتقاط الحشرات من بين قشورها بتنظيفها. وكانت أسماك العذارى العنيدة تعترض على اقتحامنا هذا لبيئتها المغطاة بالطحالب.

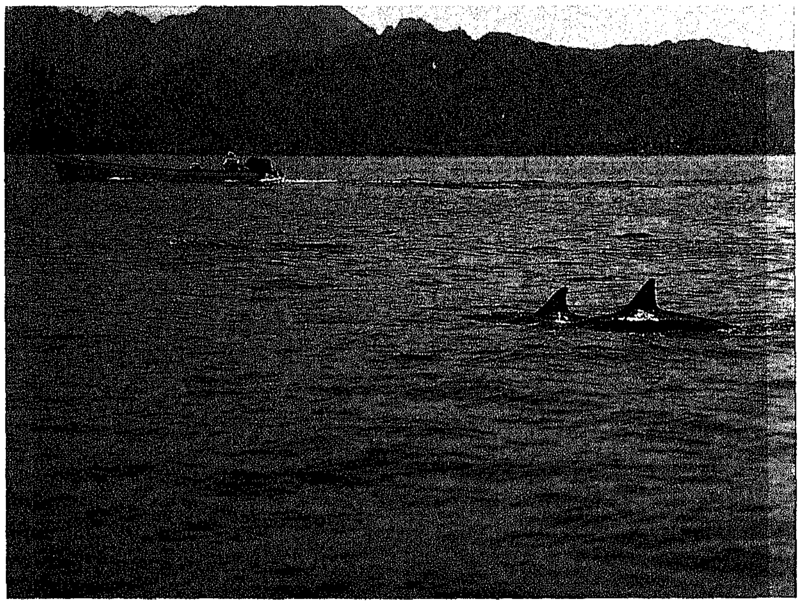
كما كانت هناك سمكة شفنين بحرية كهربية تنام مدفونة إلى نصفها في الرمل. وفوق رؤوسنا كانت تحوم مجموعة من أسماك كاسيوس وهي تتغذى على الكائنات العالقة دون أي يضايقها أحد في الوقت الحالي على الأقل. واحتفظنا بعيوننا مفتوحة عن آخرها نترقب قدوم سمك القرش الضخم الذي يأتي إلى هذه المنطقة من الجزيرة بحثاً عن الطعام، لكنه لم يأت في هذا اليوم. وفي طريق عودتنا من رحلة الغوص وبالقرب من الجرف استقصيت الجرف المعلق الذي قطعته الأمواج والذي يغطي الظل سطحه دائماً فوجدت سمكة صقرية تتشبث بسطح المنحدروعيناها مفتوحتان تترقب مرور صغار الأسماك الغافلة. وشاهدت أيضاً في المياه الضحلة



أسماك الراي تتغذى على العوالق في المياه العمانية.

أخطبوطاً كبيراً متنكراً في شكل أحد الرؤوس المرجانية. وقد سبح رفيقي فوقه مباشرة وربما كانت حركته الطفيفة هي التي جذبت عيني إليه. وبالقرب منه إختبأت سمكتان كبيرتان من الأربيان بين جلمودتين.

وتستضيف جزيرة الفحل مجموعة مختلفة من الأحياء البحرية المحيطية التي تزورها بإنتظام والتي تتراوح بين سمك القرش أبو مطرقة الضخم وسمك القرش الحوتي الضخم والحيتان الضخمة ومجموعات الدلافين اللولبية الواثبة والدلافين العادية والدلافين ذات الأنوف الزجاجية.



الدلافين والصيادون يبحثون عن الأسماك بالقرب من السواحل الصخرية لمسقط.

وقد تم وصف الثدييات البحرية العمانية بأنها من الأسرار الغامضة المحجوبة عن الأنظار في عالم الغوص غير أن سرها قد أفشي الآن دون قصد.

وفي اجتماع لخبراء الحيوانات البحرية الثديية الحيتانية عقد مؤخراً في نيروبي عرض خبيرا البيولوجيا البحرية روبرت بولدوين والدكتور رودني سلم على مجموعة من أبرز علماء الثدييات البحرية في العالم بعض صور الحيتان والدلافين هذه. وكان رد الفعل هو تأييد حماسي للحقيقة التي يعرفها منذ سنوات بالفعل العديد من أولئك الذين قاموا بالغوص في هذه المياه، وهي أن المياه العمانية تعتبر من أفضل المراكز لمشاهدة الحيتان والدلافين في العالم.

إنها مسألة وقت فقط قبل أن يعرف العالم أجمع سر هذه الحقيقة. ولم يتأثر خبراء الدلافين بكثرة هذا المخلوق الوفي المثير في عمان فحسب بل أثارتهم امكانية أن الدلافين اللولبية ذات البطن الوردية اللون والتي يعرفها الصيادون المحليون والغواصون جيداً قد تمثل أول تسجيل في المحيط الهندي لوجود دلافين لولبية قزمة أو ربما دلافين من جنس أدنى أو من جنس جديد تماماً.

لكن ما أدهش الخبراء هو التنوع الكبير في الثدييات البحرية الموجودة في عمان. ويقوم متحف التاريخ الطبيعي العماني منذ سنوات عديدة بتجميع البيانات عن الدلافين والحيتان التي تأتي بها الأمواج إلى الشاطىء، وأعد — من خلال الشواهد - قائمة بالثدييات البحرية الموجودة في المياه العمانية. كما أقام المتحف صالة للحيتان يعرض فيها على الجمهور نتائج أبحاثه.

وتوجد هناك أربعة أنواع من الحيتان البلينية هي الحيتان المحدبة وحيتان برايد وسي والمنك. وتتوفر الحيوانات الثديية الحيتانية ذات الأسنان بكثرة في عمان، وتم تأكيد وجود عشرة أنواع منها من بينها خمسة أنواع (وربما ستة) من الدلافين وهي الدلافين المحدبة الهندية الباسيفيكية والدلافين ذات الأنوف الشبيهة بالزجاجة والدلافين العادية والدلافين اللولبية (ربما نوعان منها) ودلافين ريسو وخمسة أنواع من الدلافين خماسية الأسنان وتشمل الحوت السفاح الزائف والحوت السفاح وحوت العنبر وحوت العنبر القزم وحوت كوفير ذو المنقار. ومن المعتقد أن العديد من هذه الأنواع تتكاثر في المياه العمانية.

وفي أعقاب انتهائنا من أعمال الغوص في جزيرة الفحل ذهبنا نبحث عن مجموعات الدلافين، واتجهنا جنوباً في مواجهة مسقط مباشرة حيث استطعنا مشاهدة زوارق الصيد وهي عائدة في طريقها إلى اليابسة بعد انتهاء جولتها الليلية.

ولفترة من الوقت شعرت بأن خيبة الأمل لا مفر منها لأنه بالرغم من هدوء البحر ووضوح الرؤية الرائع كان يبدو أنه لا توجد مجموعات كبيرة من الدلافين تبرز من الماء. وبعد نصف ساعة من البحث شاهدنا عن بعد بعض الدلافين. وعندما اقتربنا منها عرفنا من قفزاتها المرحة إنها من نوع الدلافين اللولبية. وفجأة عج البحر بحركاتها المعروفة وأحاط بنا ما لا يقل عن مائة دلفين.

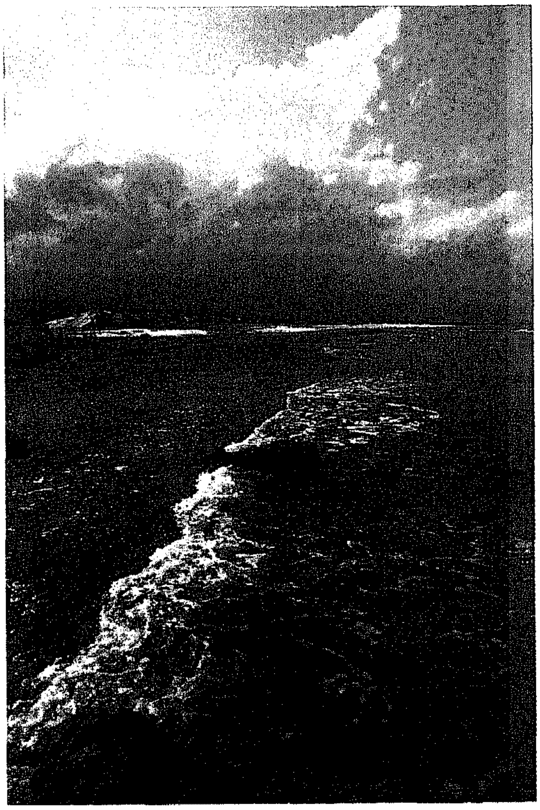
وبالاضافة إلى الدلافين اللولبية، كان هناك بعض الدلافين العادية تسبح بجوار الدلافين اللولبية وعلى مسافة قصيرة منها كانت هناك مجموعة من الدلافين

ذات الأنوف الزجاجية تمرح وتزاول ألعابها المفضلة.

ولأن هذه الأنـواع المختلفة من الدلافيـن كانت قـريبة منـا فقـد كان مـن السـهـل علينـا أن نميـز بين أنـواعهـا المختلفة. وكـان العديـد من الـدلافين تسبـح وصغـارهـا بجـوارها، وكـان مـن الواضــح أنها تتكـاثـر في الميـاه العمانية.

حاولـت اتباع طريقتي المعتـادة في الاقتراب مـن هذا الكائن الجميل تحت سطح المـاء فأمسكت بحبل السَّحْب المتدلي من مقدمة الزورق الذي قطرني وجسمي مجاور له. ونجحت هذه المحاولة واستطعـت أن أشاهد الدلافين عن قرب وغُصـت عميقاً أسفل الزورق قبـل أن أقفز فوق سطح الماء وكلي حماسة ومرح.

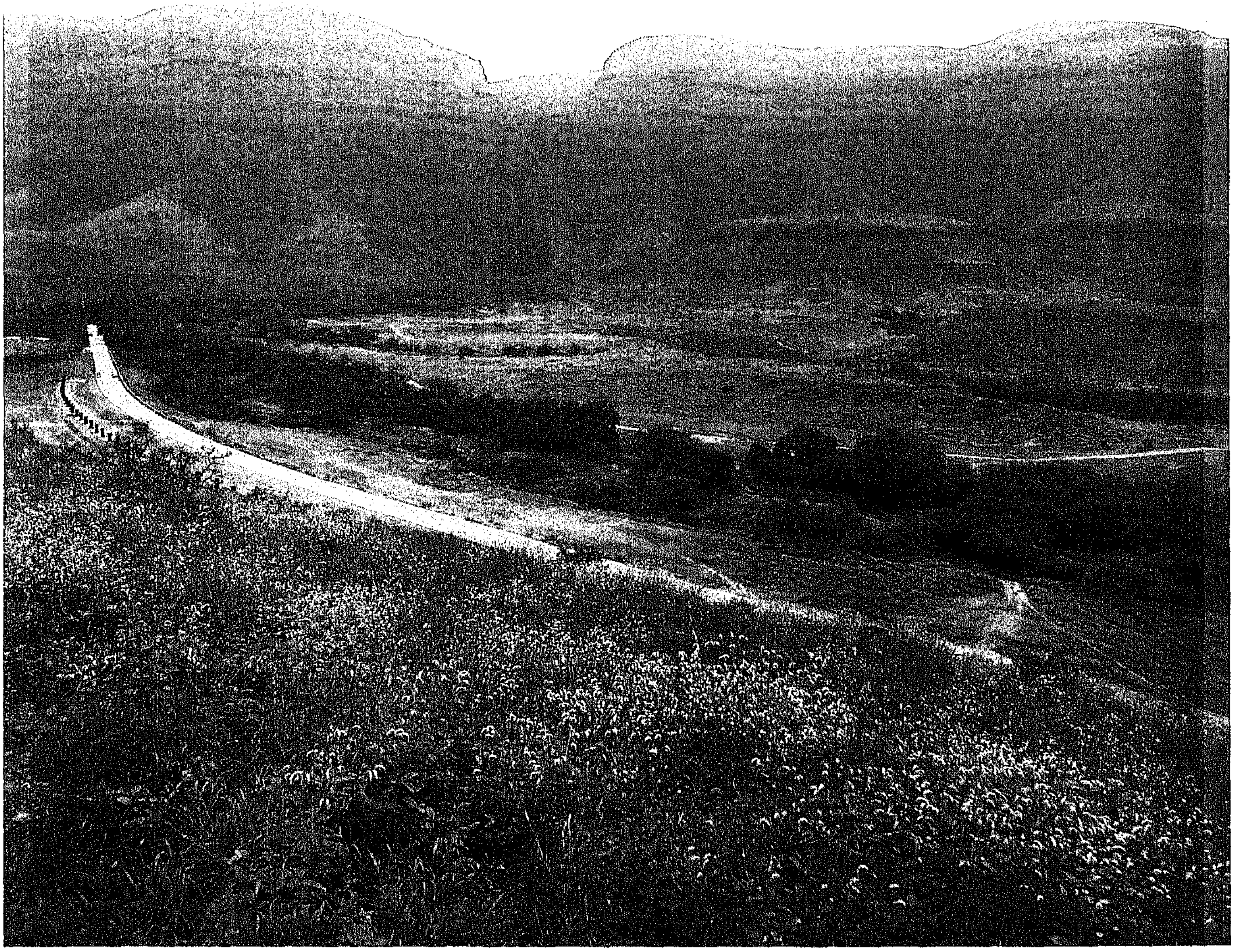
لقد كانت تلك أسعد نهاية للنهار الذي قضيته في مياه خليج مسقط.



منظر للساحل عند فنس بين مسقط وصور.

إن مشهد الدلافين من المناظر المألوفة بالقرب من مسقط حيث تشكل مجموعة من الدلافين اللولبية مشهداً مثيراً.





شركة تنمية نفط عمان

تبدو أرض ظفار الخضراء الجميلة متناقضة مع الرأي الشائع والخاطىء والذي يقول بأن الجزيرة العربية تخلو من الخضرة الزاهية.

الوصول إلى ظفار

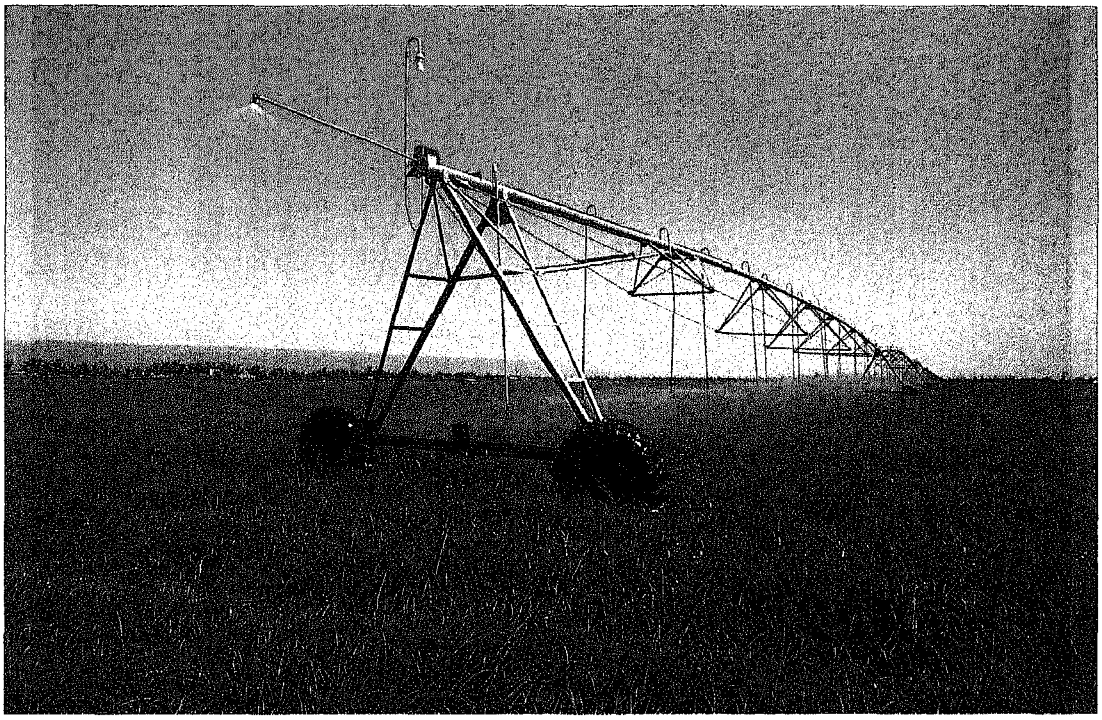
عند اقتراب طائرة شركة الطيران العماني من صلالة، تستقبل المرء في البداية خشخشة هضبة التلال المتآكلة التي تخددها آلاف القنوات المتصلة عند قاعدتها بقاع وادٍ عريض ملتوٍ يحمل ندبات مجموعة من الأشجار التي لا يمكن التعرف على أنواعها من هذا الارتفاع الشاهق. لكننا قمنا بعد ذلك بجولة بالسيارة على طريق كثير المهاوي والمطبات وأمكننا تأكيد أن هذه الأشجار هي بعض أشجار اللبان التي تشتهر بها منطقة ظفار.

ومع هبوط الطائرة التدريجي في اتجاه البحر كان هناك شريط طويل من السحاب يحدد قمة الجبل الممتد في خط موازٍ للساحل في هذه المحافظة الجنوبية. وأسفل الطائرة مباشرة كانت الأرض لا تزال تبدو جرداء تماماً لكننا سرعان ما اقتربنا من السحب واستجابت الطائرة للتيارات الحرارية القوية باهتزازات غير مريحة. ومع استمرار الطائرة في الهبوط ملتفة يميناً في اتجاه الساحل مرت بسرعة فوق المناطق المختلفة التي تميز الشريط الساحلي وبات في استطاعتنا الآن أن ننظر إلى السحب التي تحتنا ونلقي نظرة إعجاب على جوانب التل الذي يبدو أن طبقته السطحية الخضراء الرقيقة قد حمت سطحه من عواقب التعرية الواضحة.

وكانت انحدارات التل هنا أقل نتوءا وأسهل في تدرجها من تلك الموجودة في المناطق الداخلية كما كانت أشكالها الدائرية نسبياً تقطعها آثار عجلات مجموعة متنوعة من السيارات التي لم يكن هدفها يتعدى كما كان الأمر يبدو من الجو، وضع توقيعات غير مقروءة فوق هذا المنظر الجميل.

وفي الحال شاهدنا أول إشارة تدل على استيطان هذه المنطقة، فقد شاهدنا قرية جبلية معزولة. ومالت الطائرة على جانبها بحدة فوق شريط من السحب الكثيفة التي حجبت عنا للحظات رؤية الأرض.

وعندما بزغت الطائرة بعد ذلك من السحب لمحنا



أدخل نظام الري المحوري ثورة على الانتاج الزراعي في العديد من مناطق الجزيرة العربية. وفي هذه الصورة نشاهد هذا النظام المستخدم في مزارع شركة أعلاف ظفار في صلالة.

البحر بوضوح لأول مرة، ثم صارت السحب كثيفة مرة أخرى لتترك في أذهاننا انطباعة شغوفة عن الشواطىء البيضاء الطويلة التي تتلاطم عليها الأمواج. وعندما بزغت الطائرة من السحب للمرة الثانية أصابتني الدهشة لأنني رأيت أسفل الطائرة طرف اليابسة المتقدم من البحر والمواجه لجانب الجبل شديد الانحدار تغطيه خضرة وافرة ذكرتني من هذا الارتفاع الشاهق بمنحدرات غابات الأمطار الاستوائية في جزر السيشل الغرانيتية الواقعة في المحيط الهندي على مسافة ألف ميل في اتجاه الجنوب وهي آخر شيء يتوقع المرء أن يراه في الجزيرة العربية.

إن قراءاتي العديدة عن التأثيرات المشتركة للرياح الموسمية وحركة تغير المياه السطحية الباردة والمسؤولة عن تمتع ظفار بهذا المناخ الفريد لم تستطع أن تخمد احساسي الأول بالاثارة الأولية عند مشاهدة مثل هذه الجزيرة الغنية بالمتناقضات والتي تحيط بها الصحراء العربية التي تثير رغم قسوتها، الذكريات والأحاسيس أيضاً.

وكان الوقت هو وقت الغروب تقريباً وكانت السحب الممتدة تحتنا قد خفت كثافتها إلى حد ما، لكن لم يكن هناك ما يحجب هذه المظلة الكثيفة من الأشجار التي تشكل هذه الغابة الجذابة التي يكتنفها الغموض.

وعند الالتفات إلى الخلف إلى قمة الجبل كان لا يزال بوسع المرء أن يرى مشهد التل المجدب الممتد حتى خط الأفق. وأصبحت الطائرة الآن في مرحلة الهبوط الأخيرة واستطعنا تمييز العديد من التفاصيل الموجودة فوق الأرض، مثل الأماكن المسورة التي يحفظ فيها الانسان الماء، وجزر خضراء يتكرر ظهورها بين الحين والآخر. ثم شاهدنا بساطاً أخضر اللون دائرياً ضخماً هو نتائج نظام الري المحوري والذي استطعنا فيما بعد أن ننسبه إلى شركة ظفار لعلف الماشية. ومع اقترابنا من مدرج الهبوط مررنا بصف من المنازل التي كانت حدائقها مليئة بالأشجار وكأنها واحات خضراء في منطقة مجدبة بنية اللون.

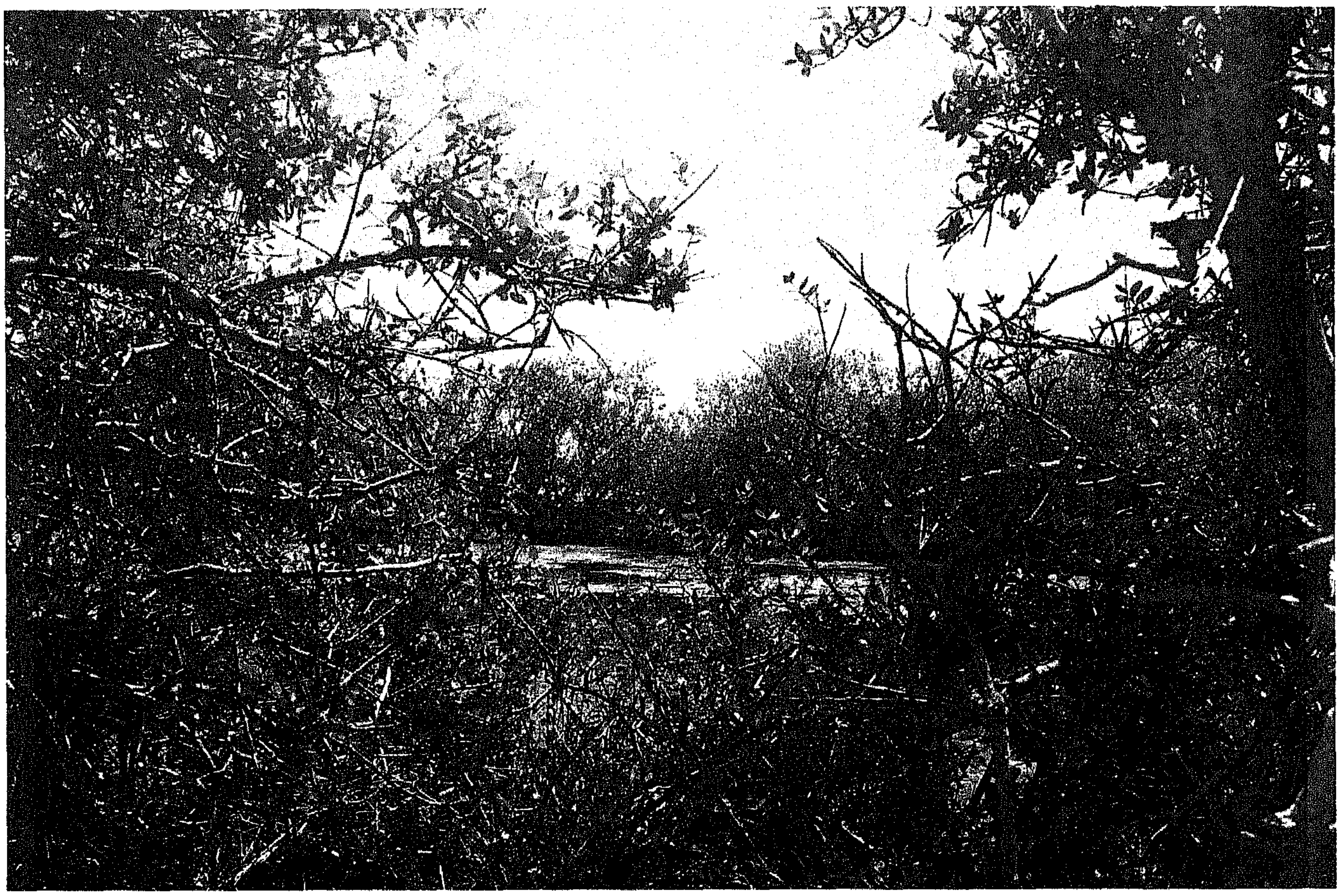
وقبل أن تلمس عجلات الطائرة الأرض شاهدت بعض الأراضي المروية الأخرى التي ذكرتني بخضرة أيرلندة الشهيرة وشاهدت على البعد مدينة صلالة.

وأخيراً هبطت الطائرة ووصلنا إلى محافظة ظفار موطن الملكة سبأ واللبان والعديد من العجائب الطبيعية الأخرى. وأثناء اقتراب الطائرة من مبنى صالة الوصول نظرت أمامي وشاهدت قمم الجبال المرتفعة تكسوها السحب التي كانت تحجب عني منذ لحظات هذه الجبال الغامضة.

وفوق السحاب كانت السماء لا تزال بلونها الأزرق الصافي رغم أن الساعة قد تجاوزت السادسة مساءاً وفي خلال دقائق سوف تهبط ستارة الظلام لتحجب عني رؤية هذه المنطقة المثيرة من عمان التي اشاهدها لأول مرة.

القديم والحديث

عندما تخرج من الباب البحري لفندق إنتركونتننتال توجه نحو اليمين وإمشِ لبضعة مئات من الأمتار على امتداد الشاطىء في اتجاه مجموعة المنازل الحديثة الموجودة في منطقة رأس الحمراء المقامة فوق قمة المنحدر التي



أس كاي

توفر غابات أشجار القرم مستوطنات خضراء فريدة للطيور وبيئة رعاية هامة ومنطقة لتغذية الحياة البحرية.



هان وجينز إريكسين

طائر القرلي (الرفراف) في العذيبة.

سبق لانسان العصر الحجري أن اكتشفها كموقع سكني ممتاز. وقبل أن تقطع مسافة طويلة ستلاحظ أن العمران قد انحسر أو توقف نظراً لوجود قناة تقطع الشاطىء وتتجه إلى «سبخة» تملؤها أشجار القرم (أو تأتي منها حسب حالة المد والجزر).

إن مصطلح «سبخة» هو مصطلح مضلل في معظم الحالات، وهو كذلك في هذه الحالة على وجه الخصوص لأن الأرض الموجودة بين أشجار القرم التي تصطف على جانبي القناة هي أرض صلدة وعندما تطؤها الأقدام فإنها لا تمثل أي خطورة تذكر.

وعليك بعد ذلك أن تمر حول حافة القناة عبر الشاطىء ثم حول القوس الحاد لتصل النقطة التي يبدأ عندها الشاطىء الرملي ولتعثر على أشجار القرم ـ هذه الأشجار البحرية الغريبة والضارة ــ متناثرة في البداية ثم كثيفة بعد عدة أمتار.

وعليك بالسير لمسافة قصيرة متبعاً الممر غير المعبد الذي نشأ من كثرة ماداسته أقدام السائرين وحيث نزعت منه أقدام الصيادين جذور أشجار القرم العالقة في الجو. وعندئذ وحسب حالة المد والجزر تجد نفسك إما سائراً فوق أرض جافة أو ينتهي بك المطاف خائضاً في الماء حتى كاحليك.

وفي كل الأحوال فإن موقع المنطقة التي تتغلب فيها القناة التي يخددها المد والجزر على الأرضية السوداء اللون واضح تماماً، وهي تشكل الحافة الخارجية لمنطقة غابة أشجار القرم والتي تتميز بتشابك جذورها وسقوط فروعها في القناة.

إن أي شخص يشك في مدى صدق النداءات المتكررة للمهتمين بالمحافظة على أشجار القرم عليه أن يقف هنا ويتأمل بهدوء هذا المشهد المشرق الذي يظهر عند المد والجزر.

وتجد طائر القرلي (الرفراف) الأخضر يتلألأ بين الأغصان المتدلية والسطح الوامض في انتظار اقتناص غنيمة من صغار الأسماك. إنه لا يعاني من الجوع مطلقاً. وبين غابة الجذور الدقيقة المنتشرة على ضفة القناة تجد الملايين من الأسماك الصغيرة التي تحتمي بجوار الجوانب وتحاذر من المخاطر والتغلغل في القناة الرئيسية حيث قد تتعرض لأن تفترسها الأسماك الكبيرة. إنها السلالة التي ستنمو منها

العديد من الأسماك البحرية الكبيرة التي يتم صيدها على نطاق تجاري في عرض البحر.

إن انخفاض مخزون السمك في البحار لا يرجع إلى فرط أعمال الصيد فقط بل إلى تقلص مناطق مواطنه المختلفة أيضاً مثل تلك المنطقة. لقد كنت أتمنى أن أستطيع عرض هذا المشهد على المسؤولين عن اتخاذ القرارات في أنحاء المناطق الاستوائية والذين يجادلون في عدم الحاجة إلى المحافظة على أشجار القرم.

لقد كان الصيادون يزورون منطقة أشجار القرم في منطقة القرم منذ ٦٠٠٠ سنة على الأقل. ونظرة واحدة تحت أقدامنا تفسر بوضوح لماذا كانت هذه الشجيرات البحرية أداة جذب مغناطيسية.

وإذا تغاضينا للحظة عن حركات القفز والغوص المستمرة في القناة والتي تقوم بها أسماك اللبن والسمك النهاش، صغيرها وكبيرها (بالرغم من أن أسماك هذين النوعين كانت توفر غلة جذابة لأنها تخاف بسرعة وتقفز خارج الماء لتهبط فوق فروع أشجار القرم)، نجد أن الصيادين لا يحتاجون إلى تبليل أقدامهم ليجمعوا طعاماً مغذياً من منطقة أشجار القرم لأن الأرض المحيطة بالجذور المشعة المعلقة في الجو كانت مليئة بالرخويات المختلفة الصالحة للأكل مثل الأويستر والولك. إن رخويات الأويستر تتكاثر بسرعة هنا والماء غني بالطعام. ويبدو من الواضح أن تعدادها يحكمه عامل توفر السطوح المناسبة لتكاثرها أكثر من أي شيء آخر.

وقد تم تحويل مثل هذه المواقع في الدول الاستوائية إلى مزارع ضخمة لتربية رخويات الأويستر وذلك عن طريق اقامة منصات رأسية في المناطق الضحلة تنمو عليها الرخويات بكميات ضخمة. وبفضل جهود واهتمامات الحكومة العمانية المعتنية بالمحافظة على البيئة تمت المحافظة على منطقة أشجار القرم هذه في حالتها الطبيعية لتشكل منطقة طبيعة رائعة تحيط بها من ثلاثة جوانب بعض المدن العصرية ومن الجانب الرابع البحر.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فباستثناء رخويات الأويستر والولك التي لها مغزى هام سواء من الناحية التجارية أو الاجتماعية والمتعة الجمالية التي توفرهاالطيور فإن غابة أشجار القرم مليئة بالسراطين (السلعطون) اللعوبة التي تلوح بمخالبها.

إنني أعلم أن بعض المصورين المتخصصين في تصوير الحياة البرية والبحرية وخبراء البيولوجيا قد سافروا لآلاف الأميال لتصوير ودراسة هذه السراطين الغريبة، غير أنها متوفرة هنا بكثرة ولا يعلم بوجودها الكثير من الناس.

لقد شاهدت هنا أيضاً ولأول مرة طائر الماء أو خولي الأرز وهو الطائر الخواض الجذاب الذي يزور شواطىء عمان باستمرار.

صحيح أن الأفلام التسجيلية والمجلات والكتب المتخصصة التي تتناول الحياة البرية والبحرية تؤدي مهمة جليلة في تعليم الجمهور وفي ارباكه أيضاً، فهي من ناحية تجعلنا نقدر ونعشق المناظر الرائعة للطبيعة التي يجلبها إلينا المصورون الجريئون والمخلصون، ومن ناحية أخرى تجعلنا نتوقع أن ما نراه على شاشة التلفزيون أو السينما أو على صفحات الكتب والمجلات المصقولة يمثل الطبيعة البحتة. إنها بالطبع صور محضة في الغالب لكن ليس لدينا جميعاً عدسات كبيرة اتساع بؤرتها ٦٠٠ مم أو مخابىء مموهة نستطيع منها مشاهدة الحياة البرية أو البحرية التي نصادفها في حياتنا اليومية.

وهذا هو أحد الأسباب الأخرى وراء أهمية مثل هذه المواقع مثل موقع غابة أشجار القرم في القرم لأن هذه المواقع لا توفر لنا أماكن هادئة بالقرب من المستوطنات السكنية الكبيرة فحسب بل تتيح للجمهور فرصة مشاهدة مناظر طبيعية شبيهة بتلك التي يشاهدها على شاشة التلفزيون. وهكذا فهي تخدم كوسيلة لتعزيز تقديرنا للطبيعة وللدور الحيوي الذي تلعبه المستوطنات الرئيسية الخاصة بالحياة البرية والبحرية.

وبينما يكون من السهل نسبياً تصور مدى تأثير حركة التعمير العصرية على الحياة البرية والبحرية في عمان، واتخاذ الاجراءات الفعالة ـــ في العديد من الحالات ـ للحد من تأثير حركة التعمير إلى أقصى درجة، فاننا كما يبدو ندرك إدراكاً مبهماً كيف أن الحياة البرية والبحرية قد تغيرت عبر السنين.

إن تدمير الحياة البرية والبحرية قد بدأ منذ زمن انسان العصر الحجري واستمر بدرجات متفاوتة حتى عصرنا الحالي. وقد ساعدنا خبراء الآثار في جمع الأدلة المتعلقة بالعصور الماضية عندما كانت التباينات المناخية في عمان تؤازر حياة بعض الكائنات التي لم تعد تعيش هناك والتي إنقرض بعضها الآخر. وباستثناء العظام القديمة والاحفوريات التي تزودنا بمثل هذه الأدلة، فإن هناك مجموعة من الأوصاف

المدونة عن التاريخ الطبيعي القديم والصوصيولوجيا الخاصة بالجزيرة العربية.

وترجع العديد من هذه الكتابات إلى حوالي ٢٠٠٠ سنة وتتضمن تلك التي كتبها بليني والمؤلف المجهول لكتاب «بربيلس الدليل الملاحي للبحر الارتيري» والنص الذي تمت ترجمته مؤخراً والذي كتبه أجاثارشيدس السنيدوسي وهو كاتب بطليموسي يثير الاعجاب بصورة خاصة لما كتبه وكشف فيه النقاب عن الحياة البرية وبيئتها في جنوب الجزيرة العربية بأكلمها بما في ذلك عمان.

إن أهمية مثل هذه النصوص في تعزيز مدى فهمنا للحياة البرية التاريخية في عمان لم يتم التأكيد عليها في نظري، ومع ذلك لم يسترشد الكثير من البيولوجيين بهذه المصادر. وبالاضافة إلى ذلك يبدو أن العلماء الذين ترجموا وفسروا النصوص القديمة لم يأخذوا الشواهد البيولوجية في الحسبان.

لقد أدركت ذلك للوهلة الأولى أثناء قراءة ملحمة جلجامش التي تعتبر أقدم ملحمة في العالم. وهي محفوظة على ألواح مسمارية تم اكتشافها في بلاد ما بين النهرين وتم نقشها منذ أكثر من ٤٠٠٠ سنة. وتحكي القصة كيف أن جلجامش بعد أن تخطى فترة شبابه المثيرة ووصل إلى منتصف العمر أبحر إلى بلاد دلمون بحثاً عن سر الشباب الأبدي (اكسير الحياة).

وأخيراً أشفق عليه أحد الكهنة في دلمون (البحرين) وأطلعه على «سر الشباب الأبدي». وقال له إنه إذا غطس في البحر فسوف يجد زهرة شائكة سوداء اللون .. حادة لدرجة أنها تنخز مثل شوك الورد. وتحتوي هذه الوردة على سر الشباب الأبدي. وتواصل القصة كيف أن جلجامش قد قفز في الماء فعلاً واقتلع الزهرة.

لكن للأسف نهشتها منه أفعى قصيرة وأصبحت هي التي تتمتع «بسر الشباب الأبدي» القوي.

وكان هناك بقية لهذا الجزء من القصة جذب اهتمامي بصورة خاصة أكثر من غيره لأنني شعرت بأن فيه ما يكفي لمحاولة تخمين مصدر الاسطورة. إن أي شخص سبق له الغوص في المياه الضحلة في البحرين أو بالتأكيد حول عمان لابد أن يكون قد شاهد «زهرة الشباب الأبدي» لأن الوصف السابق يطابق بدقة ذلك الخاص بالقنفذ البحري الشائك الأسود اللون والشائع بكثرة في عمان وهو ربما ما انتزعه جلجامش.

وكمسألة فرعية مثيرة فإن الغدد التناسلية للقنفذ البحري لا تزال تعتبر في أنحاء عديدة من العالم عقاراً أو طعاماً مثيراً للشهوة الجنسية. إن وصف هذا القنفذ بالوردة ينبغي ألا تحجب عنا حقيقة هذه المسألة. لأن الكثير من الناس حتى في وقتنا هذا يخطيء ويعتبر القنافذ البحرية الشائكة نباتاً وليس حيواناً.

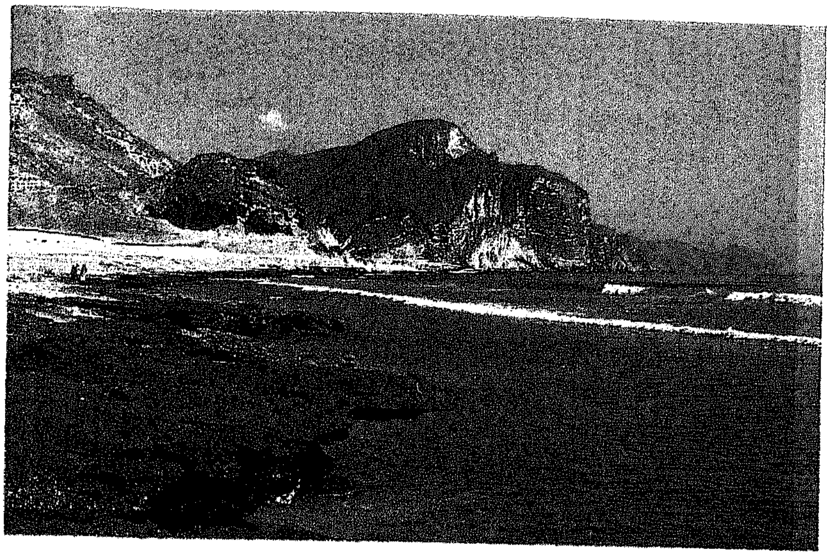
لكن ماذا عن بقية القصة؟. لقد عملت أثناء حرب الخليج في انتاج فيلم وكتاب عن الآثار البيئية للحرب (تقلبات الحرب) مما استدعى سفري إلى البحرين لتصوير بعض اللقطات تحت سطح الماء. وكانت هذه هي أول مرة أشاهد فيها ثعابين البحر وأمضيت إسبوعاً كاملاً تقريباً في تصوير هذه الزواحف وأصبحت على دراية واسعة بسلوكها. وكان من الواضح أن هذه الزواحف هي الأفاعي التي جاء ذكرها في ملحمة جلجامش. لم يكن من المدهش أن تنتهي القصة بأن تسرق «الأفعى» «سر الشباب الأبدي» لأننا شاهدنا الثعابين الموجودة في المياه الضحلة التي لا يتجاوز ارتفاعها كاحل القدم تغير جلدها وتخرج كثعابين بحرية زاهية الألوان وكأنها «ولدت من جديد».

وقد انصب اهتمامنا على وجه الخصوص على هذه المسألة لأن الثعابين التي طرحت جلدها كانت تتمتع برؤية أوضح من رؤية الثعابين التي كان جلدها قديما والتي تقشرت قشورها الموجودة فوق العينين. لقد كانت ثعابين البحر شائعة بكثرة في المناطق الضحلة ولذلك فليس من المتصور أن القدماء لم يعرفونها ويدركوا سلوكها الغريب.

وبأخذ هذه التجربة في الاعتبار يصبح من المفيد أن نلقى نظرة أخرى على الفقرات المدرجة في كتاب أجاثارشيدس والمتعلقة بعمان. فقد كتب أولاً ما يلي عن «أكلة السمك» الذين عاشوا عند سواحل الجزيرة العربية:

إن جميع مناطق المياه العميقة القريبة من الشاطيء معادية لأسلوب حياتهم مثلها في ذلك تماماً مثل المناطق الموجودة على امتداد الشاطيء لأن مثل هذه الأراضي لا توفر صيداً وفيراً من الأسماك أو أي كائنات شبيهة. وتنتشر مساكن أكلة السمك على طول الشواطيء الصخرية التي تتميز بمنخفضات عميقة ووديان (وهدان) غير منتظمة وقنوات ضيقة وخلجان مقوسة.

وعندما تتوفر هذه الأماكن فإنهم يضعون بعض



المعالم الساحلية للشواطىء العمانية بالقرب من فنس.

الجلاميد الخشنة عند المنخفضات ويشكلون بها عدة ممرات ضيقة، ومـن ثم فعندما يأتي المـد تغطي مياه البحر الشاطـئ الصخري بأكمله بالميـاه التي تجلب معها مـن المضيق الأسماك التـي تمكث بالقـرب من الشاطـئ باحثـة عن الطعـام في الفجـوات المحمية. وعندمـا يحدث الجزر مـرة أخرى ينجرف المـاء عبر الحجارة والممـرات ويعود إلى الأعمـاق التي تجـذبه ويظل السمـك موجوداً في التجـاويف فريسـة سهلة وطعاماً مغذياً لأكلة السمك. وكما قلنا يمكن السيطرة على أنواع الأسماك الأخرى بسهولـة، لكن عندما تقع أسمـاك القـرش وعجـول البحـر الضخمـة نسبيـا والعقارب البحـرية والأنقليس وغيـرها من الكـائنات الشبيهة في المصيدة تصبح هذه العملية خطيرة.

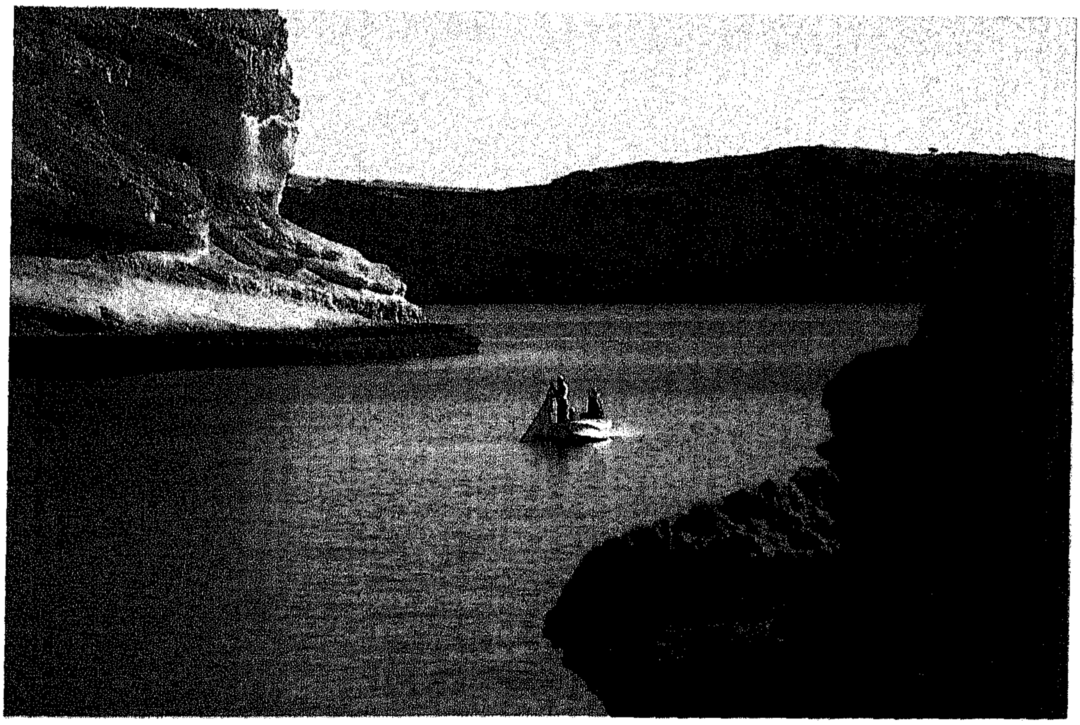
لقد تمت كتـابة هذا النص في حـوالي عام ١١٠ ق.م. وهو يمثـل وصفـاً دقيقـاً للاسلوب الـذي كان يتبعـه أكلة السمك في العثور على طعامهـم. ومن الواضح أن سكان السـاحل كانوا علـى دراية بكيفيـة استغلال ظاهـرة المد والجزر في صيد الأسماك.

وإحدى النقاط الهـامة التي يثيرها هذا النـص هنا أنه ذكر «عجـول البحر الضخمـة» لأنه لـم يتم فـي الوقـت الحـاضر اكتشـاف وجـود عجـول البحر فـي البحـر الأحمر أو فـي جنوب المحيط الهنـدي. وعلى ذلـك فـإن هذه الكائنـات التي تمت الاشارة إليها قد إنقـرضت علـى ما يبدو.

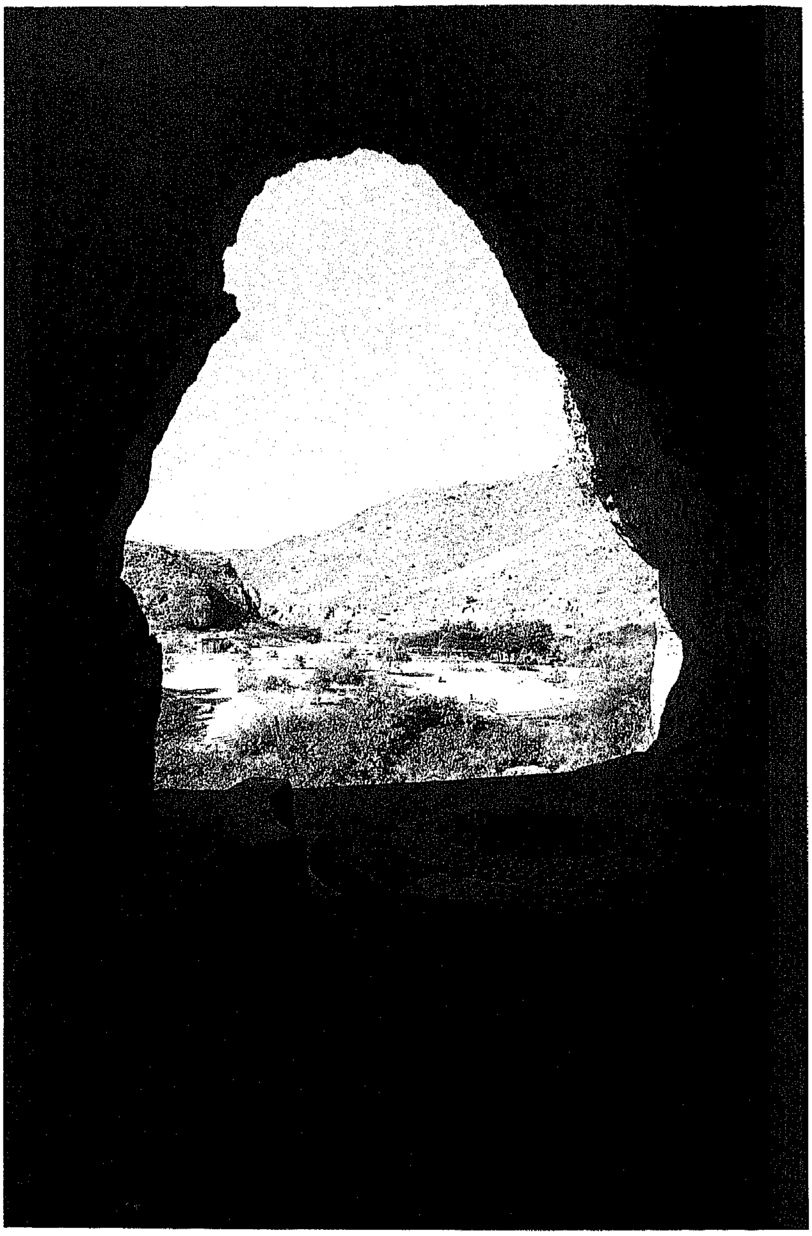
وهذا يدعـو إلى الأسف لأنها كانـت كائنات ودودة لا تخـاف من الأنسـان كما سنـرى فـي الوصـف الموجـز التالي:

مـن المدهـش ان عجول البحـر التـي تعيش وسـط هؤلاء الناس تصطاد السمك بطريقة مماثلة لتلك التي يستعملهـا الانسان. وهـي بـالمثـل تعامـل بعضهـا البعض باخـلاص تام فيما يتعلق بملاجئهـا وسلامة صغارها.

أو:



«تقع بيوت أكلة السمك على امتداد الشواطيء الصخرية التي تتميز بوجود منخفضات ووديان غير منتظمة وقنوات ضيقة ووديان وخلجان مقوسة» (أجاثارشيدس، في حوالي عام ١٠٠ ق. بم).



«يعيش البعض في الكهوف وخاصة تلك التي تواجه الشمال». (أجاثارشيدس).

إن الناس الـذين يعيشـون بالقـرب من أكلـة السمك الذيـن لا يتعرضـون للظمأ أبدا وكـأن هناك معـاهدة بينهم وبيـن عجول البحر لا يمكـن خرق نصـوصها فهم لا يضـايقون عجول البحر وبـالمقابل لا ينـالهم الأذى منهـا. وكانـت كـل مجموعـة تحتـرم فريسـة الأخرى دون أن تتآمر أي منهمـا على الأخرى. وهكذا فإنهم يعيشـون في تعاون وثيـق مع بعضـهما بطريقة يصعب أن نجـد لها مثيـلاً بين مجـاميع النـاس التي تعيش مع مجاميع أخرى.

وكان البطـالسة يعـرفون عجـول البحر جيـداً لأنها كانت تعيـش في البحر المتوسط ولا يـزال بعضـها هناك، وكانوا يعـرفون طبيعة ما وصفوه. ويمكننا أن نتـأكد من خلال التفـاصيل أن عجـول البحر كـانت مـن الكائنـات المعـروفة فـي ذلك الـوقت فـي سواحـل البحر الأحمـر وجنوب الجـزيرة العـربية. ويصبـح هذا الـوصف أكثـر جدارة بالثقة في مدلوله عنـدما نطلع على بعض الشواهد الحديثـة لعجول البحـر في المنطقـة. فقد ذكـر البحارة الفـرنسيون الـذين وصلـوا أولاً إلى جـزر السيشل فـي القرن الثامن عشر أنهم شاهدوا عجول البحر تتنقل على الضفاف الـرملية. كمـا شاهد ويلستـد جلد أحـد عجول البحر الصغيرة في أوائل القرن التاسـع عشر بالقرب من رأس بنيـاس علـى البحـر الأحمر وقـال لـه الصيـادون المحليون ان هذا النوع شائع فـي المنطقة. بل إن البعض يـوحي بـأن عجول البحـر لا تـزال موجـودة في الميـاه العمانيـة. وهذا أمـر لا يمكن أن يتجاهلـه المرء بسهـولة خـاصة وأن هنـاك مسـاحات شـاسعـة مـن السواحـل العمانية لم يكتشفها الخبراء بعد.

وهناك بعض الأجزاء الأخرى فـي كتاب أجاثارشيدس تـوحي بـارتبـاط كتابـاته بعمـان. ففـي أعقاب الفصـل الخـاص بعجول البحـر وفـي اشـارة صريحـة لأكلـة السمـك الـذيـن يعيشـون بعيـداً عـن البحـر الأحمـر بالمعنى المحدود للكلمة يصف أجـاثارشيدس مساكنهم كما يلي:

لا تقطن هـذه القبائل فـي مساكـن متشابهـة، لكنهم يعيشـون في مســاكن تختلف طبقاً لخصــائص البيئة، فبعضهم يعيش في الكهوف وخاصة تلك التي تواجه الشمــال بحيـث يـرطبـون أنفسهـم بظلهـا العميـق وبالنسيـم المندفـع حول هـذه المنطقة لأن الكهـوف التـي تـواجـه الجنوب تكـون حـارة كـالأفـران ولا يستطيـع الانسـان أن يقتـرب منهــا نتيجـة لشـدة حرارتها.

أما هؤلاء الذين لا تتوفر لديهم كهوف في مواجهة الشمال فيجمعون بعض ضلـوع الحيتان التي تحملها أمـواج البحـر إلـى الشـاطـىء. ولأن هـذه الضلـوع متوفرة بكثـرة فإنهم يضفرون العظام المقـوسة من كلا الجانبين ويسندونها فـي مواجهة بعضها البعض ثم يوثقـونها باستخدام الأعشاب البحرية الطازجة. وعنـدمـا ينتهـون من تغطيـة هـذه الغـرف المقـواة يلجأون إليها في فترات الحرارة الشديدة.

ويمكن هنا استخدام المعلومات البيـولوجية المتوفرة في الـربط المحتمل لهذه الـواقعة بساحل ظفـار حيث لا تـزال أمـواج البحـر تحمل الأعشـاب البحـريـة وعظـام الحيتـان إلى الشـاطىء فـي آن واحـد غير أن إنقـراض الحيتان يعنـي قلة أعـداد الهياكـل العظمية التـي تحملها



الأمواج إلى الشاطئ.

ويواصـل أجاثـارشيدس وصفـه للنوعيـن الآخريـن للمساكن والذي ينطبق أيضاً على ظفار:

تنمو العـديد مـن أشجار الـزيتون فـي هذه المنـاطق وتقـذفها أمـواج البحـر إلى الشـاطـئ. وهي تتميـز بأوراق سميكة وبثمار تشبه الكستناء الحلوة.

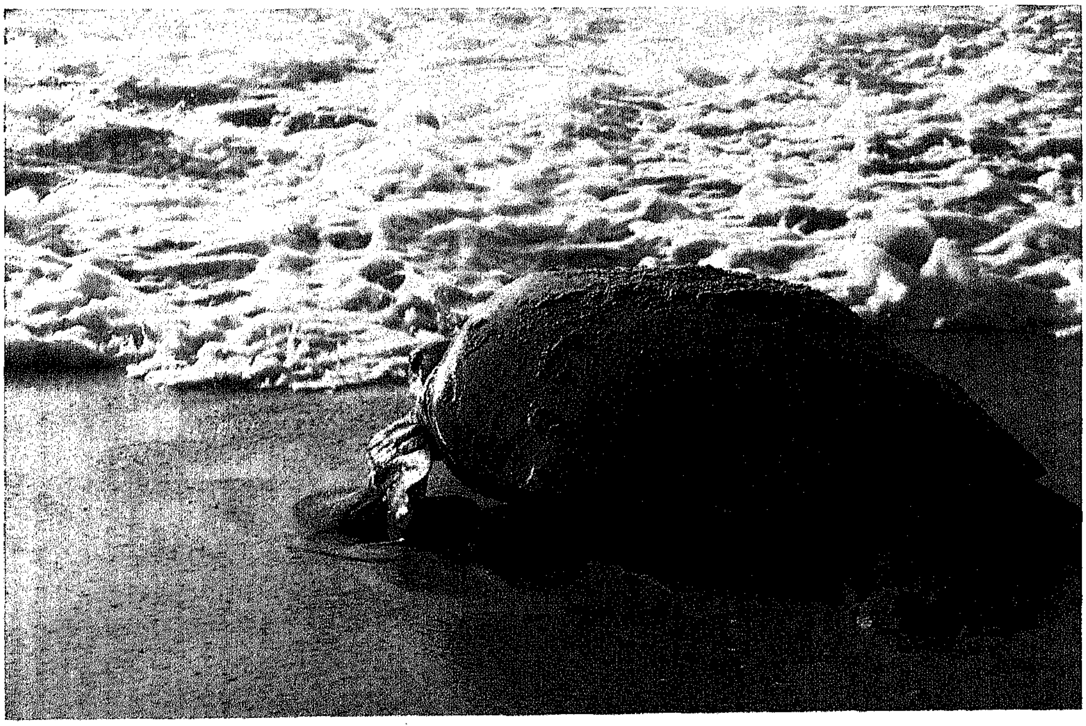
ومن الـواضح أنه يقصـد بذلـك أشجار القرم. ويـواصل وصفه كما يلي:

إنهم يضفـرون هذه الأشجـــار ويشكـــلون منهـــا منطقـة مظللـة ويقيمـون في تلـك الخيـام الغـريبـة، ويقضون حياتهم في نفس الـوقت في البر وفي البحر وهـم يعيشـون عيشـة مرضيـة ويتفـادون حـرارة الشمس عن طـريق الظل الذي توفـره فروع الأشجار ويخففون من حدة الحرارة الطبيعيـة في هذه الأماكن بـاحتضان الأمـواج والاسترخـاء فـي ظل النسمـات الرقيقة التي تندفع حولها.

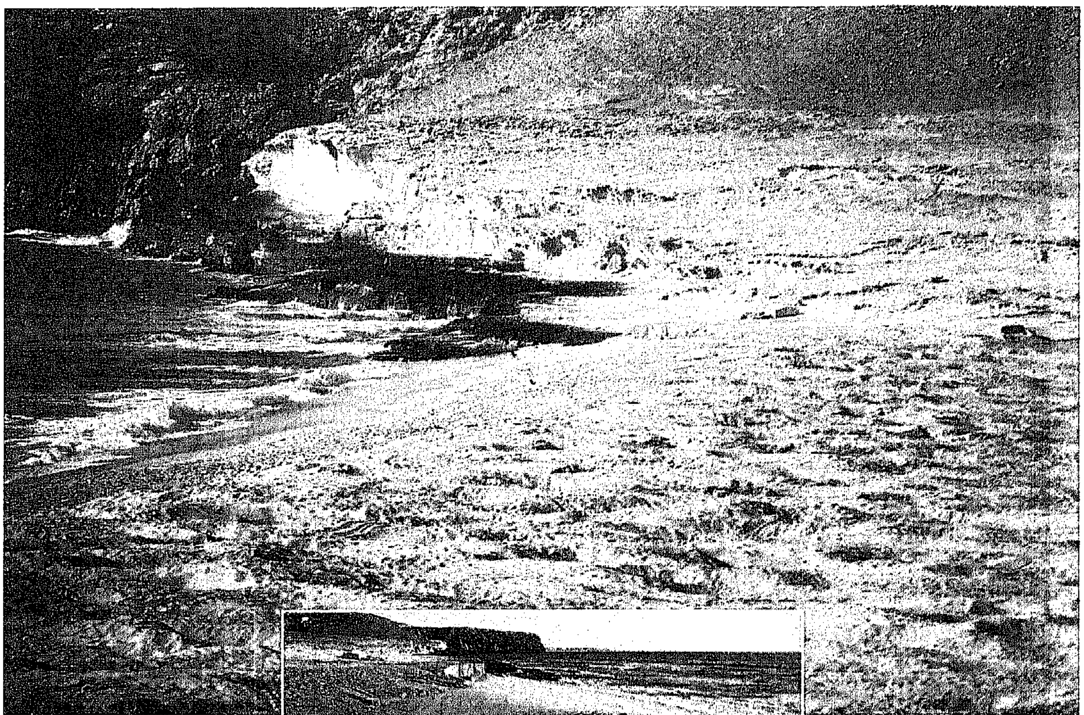
وينطبق هذا الوصف أيضاً علـى الساحل العماني وإن كـان لا يقتصر عليـه. لكـن العبارة التـالية تبدو وكـأنها تنطبق تماماً على عمان:

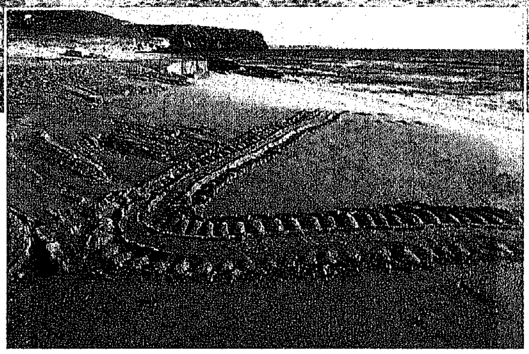
... تراكمت كميـة ضخمة من أعشـاب البحر التـي أتت علـى امتداد عصـــور سحيقة في القـدم، وهي تشبــه الجبـل فـــي مظهـرهـا. وباتـت هـذه الكومة المضغـوطة بفعل ارتطام الأمواج المستمر ذات بنية ثابتـة واختلطت بـالــرمـل. وفـــي هـذه الأكـوام يحفـر النـاس حفراً لهـم بحجم الـرجل ويتـــركــون الجـــزء الموجود عند القمة صلداً بينما يقيمون ممـرات في الجزء السفلي يوصلونها ببعضهـا البعض عن طريق أنفاق محفـورة في الكومة. وبهـذه الطريقة يـرطبون أنفسهم عـن طريق الأنفـاق ولا يزعجهم شـيء. لكن عندمـا يأتـي المدّ فـإنهم ينـدفعون خـارجين منهـا ويجمعون السمـك. وعندما ينسحب الجـزر يعودون إلى الغرف ويقيمـون الولائم اعتماداً على مـا بداخلها من صيد. وهؤلاء الذين يمـوتون يقيمون لهم مراسم الدفـن في وقت الجزر ويتـركونهم في المكـان الذي توفوا فيه إلـى أن يأتي المد فيقذفون بهـم إلى البحر. وهكذا فبإعادة أجسادهـم لتكون مصدر طعام للسمك فإنهـم يتبعون إسلوباً فـي الحياة يتبع نفس الدورة الأبدية المتواصلة بصورة مدهشة.

«تنمو العديد من أشجار الزيتون في تلك المناطق وتقذف أمـواج البحـر جذورها ...). (أجاثارشيدس).



كانت السلاحف صيداً سهلاً بالنسبة للمستوطنين الأوائل على امتداد الساحل العماني.





شاطيء السلاحف. وفي الصورة الصغيرة تبدو آثار أقدامها.

كما كـان أكلة السلاحـف محل اهتمـام شديد وهـم ربما كانوا يعيشـون في جزر الديمـانيات. ويواصل النص كما يلي:

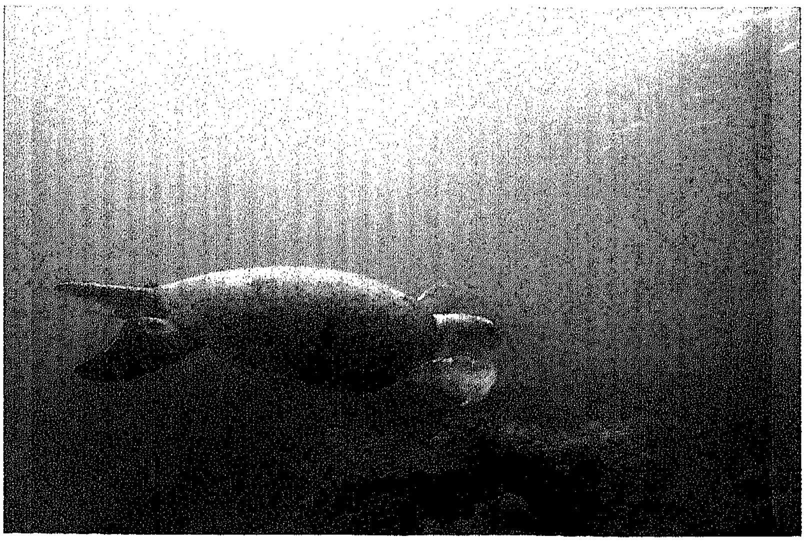
هناك جزر في المحيط قريبة من اليابسة، عددها كبير وحجمها صغيـر وهي منخفضـة ولا يوجـد فيهـا ثمـار مدجنة أو بريـة. ولأنهـا قريبة مـن بعضها البعـض فـلا تتـلاطـم الأمـواج في وسـط هـذه الجزر لأنها تتكسـر عند الجـزر الخارجية وتفقد قوتهـا. وتعيش فـي هذه الأماكـن أعداد كبيـرة من سلاحف البحر تـأتي من جميع الاتجـاهات لتلجـأ إلـى الميـاه السـاكنـة وتمضي الليل فـي المياه العميقة بحثـاً عن الطعـام وتـأتي أثنـاء النهار إلـى مياه البحر الموجودة بين الجـزر وتنام علـى السطـح وترسهـا فـي مواجهـة الشمـس وهي بـذلك تشبـه القوارب المقلـوبة. إنهـا سلاحـف ضخمة ولا يقـل حجمها عـن حجم أصغـر القوارب.

وفـي أثناء نـومهـا يسبح أهـل هـذه الجزر إليهـا ويقتـربون منهـا من الجـانبين حيـث يقوم أحدهـم بدفعهـا ويقوم الآخـر برفعهـا حتى يتـم قلبها. ثـم يتـولى هـؤلاء الموجـودون علـى الجانبيـن توجيـه جسمهـا بأكملـه حتـى لا تنقلب السلحفاة وتهـرب منهم. ومن ثـم يقوم أحد الأفراد الذيـن يحملون حبلاً طويلاً بـربط الحبل في ذيلها ويسبـح إلى الشاطـيء ثم يسحبها إلى البر.

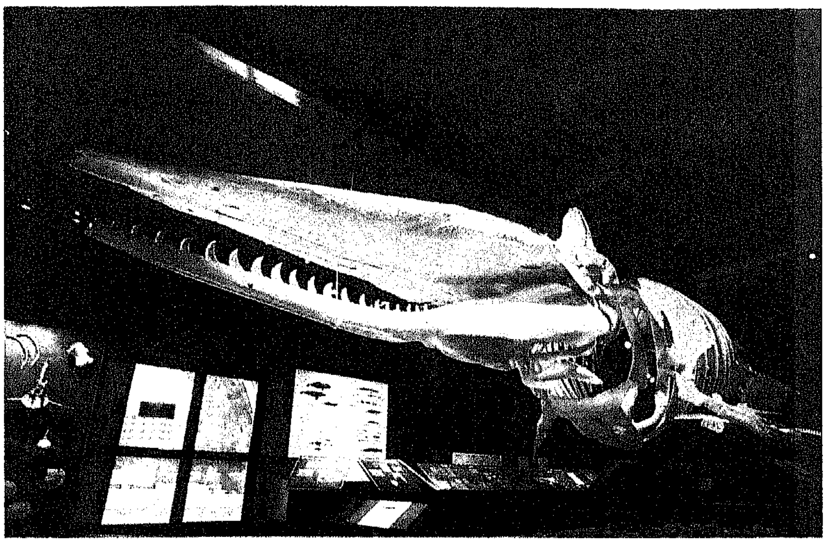
وعندمـا يحملونهـا إلى الجـزيرة يخبـزون جميع أجزائها الـداخلية تحت أشعة الشمس لبعـض الوقت ثـم يقيمون وليمتهـم. ويستعملـون ترس السلحفـاه الذي يشبه الانـاء في الابحـار إلى اليابسـة لجلـب المـاء أو للاحتماء فيه.

ويبدو أن الطبيعـة قد وفـرت لهم، فـي هدية واحدة، العديد مـن احتياجاتهم. ففـي هذه الهدية يتـوفر الطعام والاناء والمسكـن والقارب. ويبـدو من المحتمـل أن هذه السلاحف هي نفس السلاحف الخضـراء الضخمة التي لا تزال الآلاف منهـا تقيم أعشـاشها فـي عمان. ويـوحي النص التالي أن مـا جاء آنفا يشير إلى جزء مـن الساحل العماني:

وفي مكـان لا يبعد كثيراً عـن هؤلاء الناس يستـوطن



سلحفاة خضراء تسبح بالقرب من شاطيء التعشيش.



صالة الحيتان بمتحف التاريخ الطبيعي في عمان.

الساحل مجموعة من الناس الذين لا يتبعون اسلوباً منتظماً في حياتهم ويستخلصون طعامهم من الحيتان التي تحملها الأمواج إلى الشاطىء. وأحياناً يتوفر لهم الطعام بكثرة بسبب ضخامة حجم هذه الحيوانات التي يعثرون عليها لكنهم أحياناً أخرى يعانون من النقص الشديد في الطعام بسبب انقطاع حركة الأمواج التي تحمل هذه الحيوانات إلى الشاطىء.

وفي تلك الأحيان كان القحط يجبرهم على قضم غضاريف العظام القديمة والغضاريف التي تنمو عند أطراف الضلوع.

لقد تناولت في النصوص الأربعة المذكورة آنفاً بعض الملاحظات الشخصية على التاريخ الطبيعي لعمان. وهناك العديد من التجارب التي كنت أستطيع أن أكتبها عن عمان والتي تتراوح بين الغوص في الممرات الضيقة ذات التيارات السريعة واكتشاف الحواف الناتئة للمنحدرات التي يبلغ ارتفاعها ألف قدم أو استقصاء الواحات الخضراء غير المتوقعة والموجودة في رملة الوهيبة. ومع ذلك فإن التاريخ الطبيعي المثير لعمان هو موضع العديد من الدراسات العلمية الأكاديمية التي يقوم بها بعض العلماء الأكاديميين والهواة من علماء التاريخ الطبيعي والمستشارين الذين يعملون نيابة عن الهيئات الحكومية المختلفة.

وبتوجيه خاص من جلالة السلطان قابوس تقوم الحكومة العمانية بجهود واضحة في المحافظة على البيئة واحيائها المختلفة.

وقد لعب متحف التاريخ الطبيعي في عمان دوراً هاماً في تجميع وتصنيف المعلومات من عدة مصادر مختلفة. كما لعب رالف ديلي المستشار الخاص لشؤون المحافظة على البيئة بالديوان السلطاني والذي يشغل هذا المنصب منذ سنوات طويلة دوراً هاماً في وضع وإدارة برامج المحافظة على البيئة بما في ذلك البرامج المرتبطة باعادة توطين أبقار المارية (المها) العربية.

وقد تم في عام ١٩٩٢ عقد اجتماع في عمان تحت رعاية وزير البلديات الاقليمية والبيئة لمناقشة استراتيجية حماية البيئة الوطنية.

وتتضمن التقارير المصاحبة لهذه المناقشات موجزاً قيماً عن العديد من نواحي التاريخ الطبيعي لعمان، وكانت عوناً كبيراً لنا في إعداد الوصف التالي والذي يعتمد على مجموعة غنية من الأبحاث المنشورة.

عند حافة رملة الوهيبة.



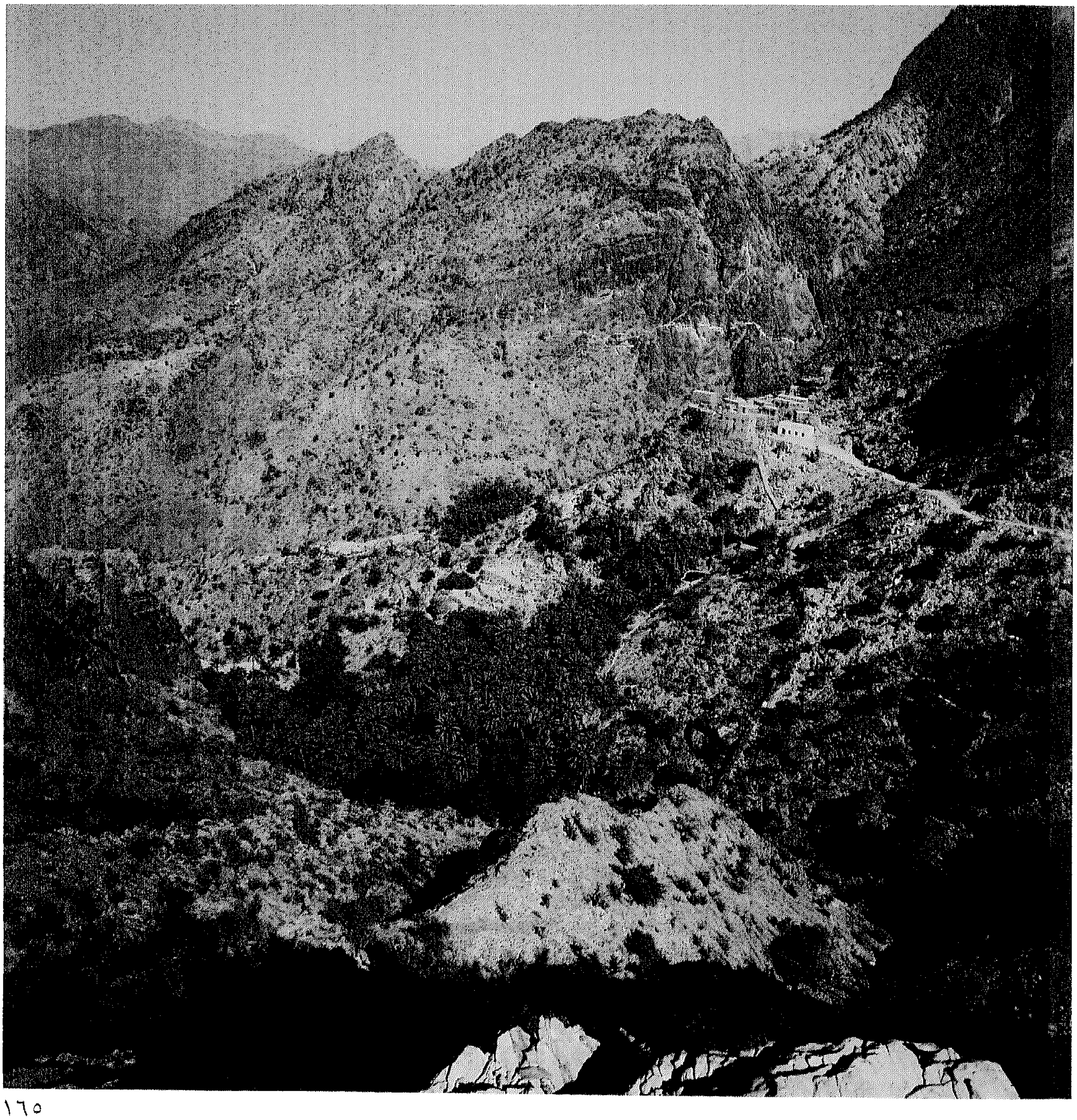
خلفية جيولوجية

قرية الوجمة في وادي سحتان.

الكتلة الأرضية لعمان تتحرك من مكانها

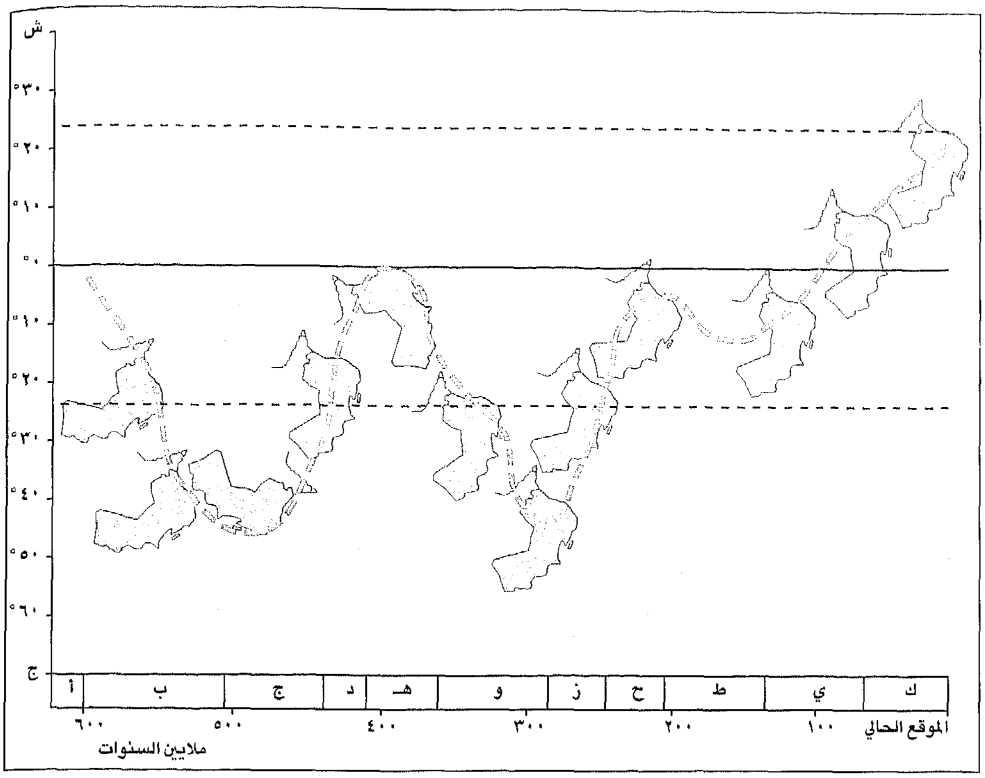
لم تشغل المنطقة العمانية موقعها الحالي دائما بل كانت تتحرك باستمرار، وحتى في الوقت الحالي فإنها تتحرك تدريجيا وتبتعد عن افريقيا بمعدل سنتيمترين إلى ثلاثة سنتيمترات كل عام وهو معدل يصعب ملاحظته إلا عن طريق إجراء أدق أعمال المساحة. ومع ذلك فإن المقياس الذي يحكم الزمن الجيولوجي يعتمد على مقياس مختلف وأكبر كثيرا من المقياس الذي يحكم حياتنا.

إن ألف عام من الناحية الجيولوجية هي فترة قصيرة جدا بل وأن مليون عام لا تستحق أن نخصها بذكر خاص. وبدلا من ذلك يتدرج المقياس الزمني المعتد به في الجيولوجيا بمئات الملايين من السنين.



شركة تنمية نفط عمان

أ ما قبل العصر الكمبري
ب العصر الكمبري
ج العصر الأردوفيسي
د العصر السيلوري
هـ العصر الديفوني
و العصر الكربوني
ز العصر البرمي
ح العصر الترياسي أو الثلاثي
ط العصر الجوراسي
ي العصر الطباشيري
ك العصر الثالث



حركة كتلة الأرض العمانية عبر العصور الجيولوجية. (طبقاً لـ إم. هيوز كلارك، ١٩٩٠).

وفي بداية المخطط الزمني الجيولوجي، منذ أكثر من ستمائة مليون سنة، كانت الصخرة القاعدية التي ترتكز عليها عمان الآن موجودة في نصف الكرة الأرضية الجنوبي وتقع على جانبي مدار الجدي. ثم انحرفت على مدار الأربعمائة مليون سنة التالية إلى الأمام وإلى الخلف بين خطوط العرض الجنوبية نصف القطبية وخط الاستواء، لكنها ظلت في جميع العصور في نصف الكرة الأرضية الجنوبي. وقد تم توضيح حركة الكتلة الأرضية العمانية في الرسم المطبوع بجوار هذا النص. وأخيراً ومنذ مائة مليون سنة إنحرفت هذه الكتلة الأرضية نحو نصف الكرة الأرضية الشمالي واستمرت في تحركها في اتجاه الشمالي الشرقي حتى وصلت إلى موقعها الحالي.

ولا يقتصر هذا الانحراف المثير لصخور القشرة الأرضية الموجودة أسفل الكتلة الأرضية العمانية الحالية على عمان وحدها بل أنه نتج عن تحرك ألواح الكرة الأرضية على مستوى العالم وما تبعه من إنفصال القارة الأم «باناجيا» إلى قارتين ضخمتين هما لوراسيا وجندوانا. ومنذ حوالي خمسة وستين مليون سنة مضت ظهرت بعض التصدعات الخطيرة في القشرة التحتية لقارة جوندوانا وبدأت بعض أجزاء هذه القارة تنحرف عن بعضها. فشكلت عمان وبقية الجزيرة العربية جزءاً من قارة جوندوانا ـ التي كانت تتضمن قارتي أفريقيا والهند الشاسعتين.

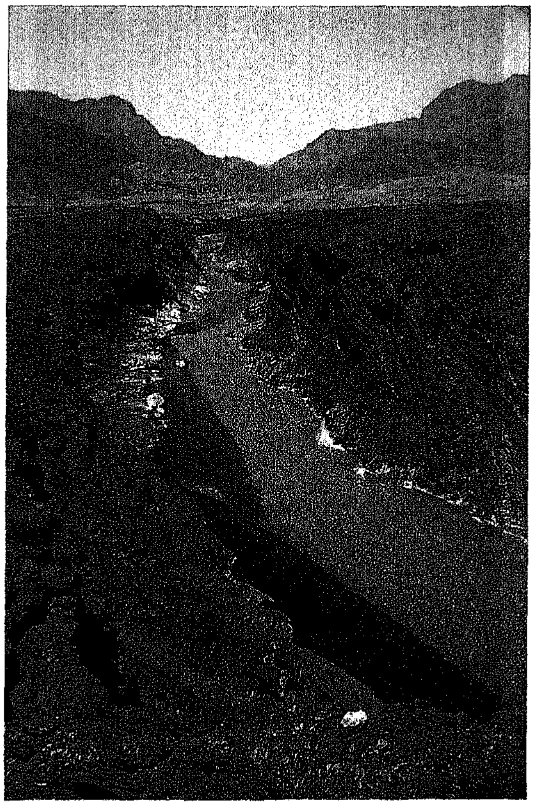
أما الانفصال عن قارة افريقيا فربما يكون قد حدث منذ حوالي خمسة وثلاثين مليون سنة ونجم عنه انشقاق خندق ضيق نشأ عنه البحر الأحمر. وأخيراً اصطدم لوح الجزيرة العربية بلوح منطقة الاوراسي مما نجم عنه نشأة مناطق هائلة الضغط ومرتفعات ضخمة ظهرت في شكل جبال الحجر في عمان وجبال زاجروس ومكران المقابلة لها في ايران. وبالرغم من التحركات الجيولوجية لعمان فهي تعتبر من مناطق غلاف الكرة الأرضية المستقرة نسبياً والتي تخلو معظمها من الزلازل الأرضية العنيفة.

وتعتبر مسندم هي أقرب منطقةللحدود الواقعة بين الجزيرة العربية وهضاب الأوراسي، وقد شهدت هذه المنطقةفي بعض الأحيان زلازل أرضية مرتبطة بالتوترات الموجودة على امتداد منطقة التصادم.

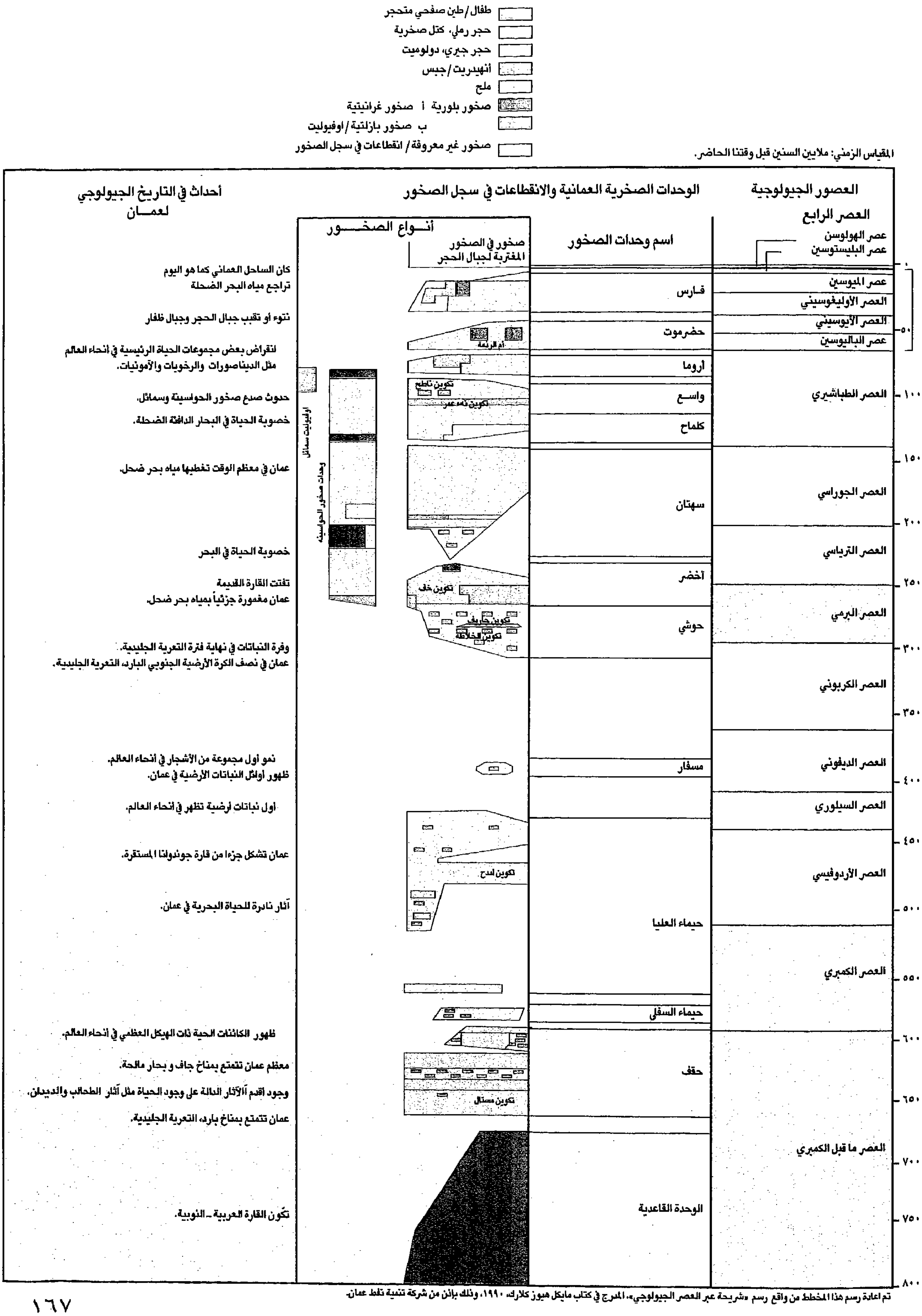
ويرتكز لوح الجزيرة العربية على لوح القارة الهندية تحت أعماق المحيط الهندي شرقي عمان على امتداد الخط المعروف بإسم منطقة «أوين للتصدع». وبينما ينتج عن انزلاق كلا اللوحين في اتجاه أحدهما الأخر بعض الزلازل، إلاّ أن هذه تكون غير ملحوظة عادة في داخل عمان.

المناطق الجيولوجية

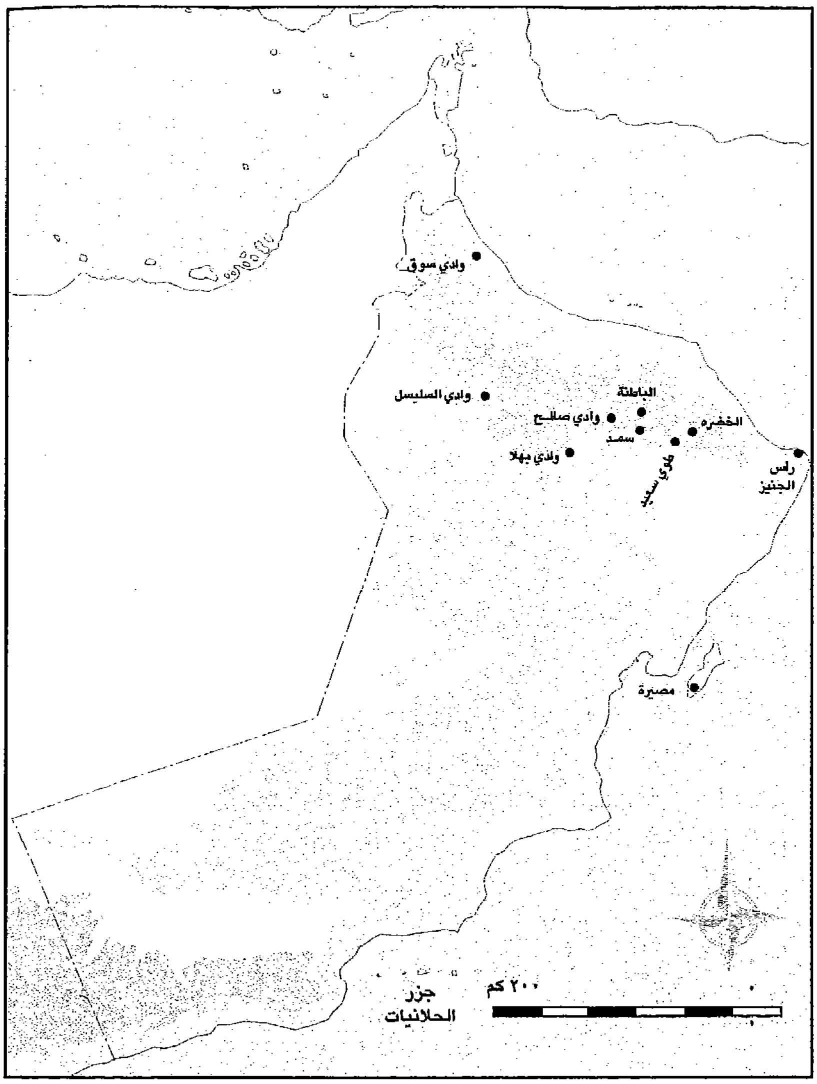
نتجت الدراسات الجيولوجية لعمان عن جهود التنقيب عن المعادن الثمينة ومصادر الهيدروكربونات واكتشافها. وقد ساعدت طرق الأبحاث الجديدة بما في ذلك أساليب التصوير بالقمر الصناعي وأنظمة التحسس عن بعد في تكوين



أدت التعرية الناتجة عن مياه الفيضانات إلى حفر وديان عميقة في داخل الجبال العمانية كما يظهر هنا في وادي ديقاح.



تم اعادة رسم هذا المخطط من واقع رسم «شريحة عبر العصر الجيولوجي»، المدرج في كتاب مايكل هيوز كلارك، ١٩٩٠، وذلك بإذن من شركة تنمية نفط عمان.



صورة شاملة للبنية الخاصة بهذا البلد الشاسع.

وبصورة عامة يمكن تقسيم عمان إلى ثلاث مناطق جيولوجية مميزة هي منطقة الجروف المرفوعة وجبال مسندم وسلسلة جبال الحجر وسلسلة جبال الحقف وظفار ومنطقة الطبقات السفلية الرسوبية الحديثة الموجودة في وسط عمان مثل تلك الموجودة في جدة الحراسيس ومنطقة البحار الرملية والكثبان الموجودة في رملة الوهيبة والربع الخالي.

لقد نشأت المناطق الجبلية، كما أشرنا آنفاً، نتيجة للنتوءات التي حدثت في قشرة الكرة الأرضية بسبب تصادم اللوحين. وهكذا فقد ارتفعت الجبال الرئيسية في عمان منذ حوالي خمسة وثلاثين مليون سنة مضت في خلال العصر الثلثي الحديث اللاحق.

أما شكلها الحالي فهو نتيجة لقوى التعرية والتغيرات المناخية والتراوحات التي حدثت في منسوب البحر منذ ذلك الحين. وتعتبر جبال ظفار، التي تتكون أساساً من بلاطة مائلة ضخمة من الحجر الجيري الثلثي، هي خير مثال على ذلك. فالبلاطة مرتفعة خلف صلالة وتميل في اتجاه الشمال، وجانبها المواجه للساحل على امتداد الجانب الجنوبي مكشوف في شكل سلسلة من الكتل القشرية التي تشكل في بعض الأماكن جروفاً حادة قد يصل ارتفاعها إلى ١٠٠٠ مترا

وعند السفر إلى صلالة بالطائرة يستمتع المرء بالمشاهد الرائعة للمنحدرات الشمالية لبلاطة ظفار. حيث تشق العديد من الوديان طريقها ملتوية بين التلال الوعرة وتختفي في الرمال الجدباء لصحراء الربع الخالي. وتظهر التعرية الناتجة عن الرياح ومياه الأمطار بوضوح في النمط الوعر للأراضي.

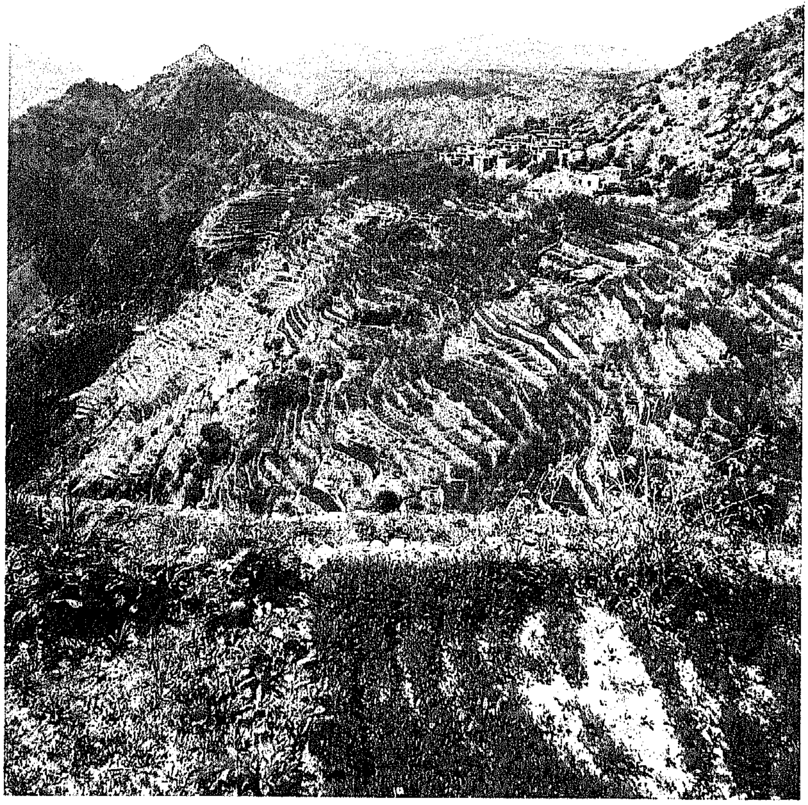
أما جبال الحجر فتعطينا قصة مختلفة تماماً تنعكس في الطبيعة المتباينة لصخورها. فبعضها صلب ومقاوم للتعرية وبعضها الآخر طري جداً. وكانت قوة نتوء القشرة الأرضية في هذه المنطقة أقوى من قوة نتوئها في ظفار مما أدى إلى رفع بعض الطبقات في شكل سهل رأسي تقريباً مؤدية بذلك إلى كشف الحواف المتعددة الطبقات المعرضة للتآكل مما نجم عنه انشاء سلسلة من القمم الناتئة غير المستوية.

إن بعض الصخور الرسوبية الموجودة هنا مدفونة ومضغوطة بعمق وتشكل صخوراً صلبة جداً مثل تلك التي تشكل قمم الجبل الأخضر. وقد تشكلت هذه السلسلة من طبقة محدبة واحدة تعرضت فيما بعد للتآكل لتشكل سلسلة من الوديان أو التجويفات العريضة.

وقد أدت دراسة خصائص التعرية في المناطق العمانية إلى استنتاج أن المناخ في بعض العصور ربما كان أغزر مطراً مما هو عليه اليوم وأن تأثير التعرية الناتج عن مياه الأمطار في ذلك الحين كان أكبر من ذلك الذي يحدث في الوقت الحالي.

وتنعكس هذه الشواهد التي تدل على تباين المناخ في العصور الحديثة نسبياً على سجلات الحفريات. وتعتبر أنظمة كهوف الحجارة الجيرية العمانية والتي تتضمن بعضاً من أضخم الكهوف الموجودة في العالم احدى الظواهر الجيولوجية الهامة التي توحي أيضاً بأن عمان قد شهدت في الماضي فترة أو فترات من الأمطار الغزيرة..

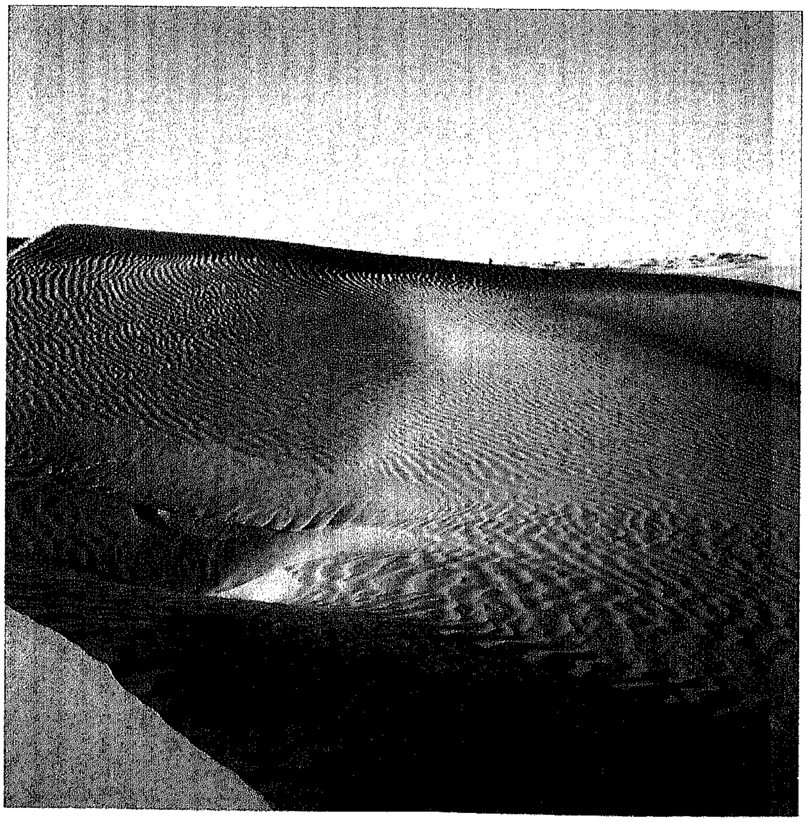
وتتراكم الأنقاض الناتجة عن التعرية بالقرب من أسفل الجبل في شكل تلال سطحية منخفضة وفي شكل مراوح غرينية مثيرة تمتد من مجاري الماء أو الوديان. أما السهول المنخفضة والمستوية بصورة أكبر مثل تلك الموجودة في جدة الحراسيس فقد شكلتها قيعان البحر القديمة حيث تحولت رواسب الرمال البحرية والطين إلى احجار جيرية.


شركة تنمية نفط عمان

الجبل الأخضر.

إن إستواء جدة الحراسيس، وهي منطقة المحمية المفتوحة الخاصة بأبقار المارية (المها) العربية البرية ـ من بين الكائنات الأخرى ـ هو إنعكاس للاستقرار النسبي للأراضي منذ نشأة هذه الصخور. وهنا أيضاً تستطيع العين البصيرة أن تلحظ الارتفاع البسيط حول حافة حفرة حجر النيزك الضخمة، والتي تم ردمها الآن، وهي «حفرة حبحب» وهي من المعالم التي يتم لفت نظر الزائرين ليعلوني إليها.

رملة الوهيبة


شركة تنمية البترول العمانية

وتعتبر المناطق الصحراوية التي تتخذ شكل رملة الوهيبة وجزءاً من صحراء الربع الخالي من أهم المعالم الجيولوجية الملحوظة في عمان. وبالنسبة لرملة الوهيبة فإن المعالم التي تفتن الزائر لعمان لأول مرة هي فظاظة الخط الذي يفصل بين الكثبان الرملية الحمراء وتناقض المناطق الريفية المحيطة بها.

وقد عززت الدراسات الجغرافية التي قامت بها الجمعية الجغرافية الملكية كجزء من مشروع رملة الوهيبة تماماً مدى فهمنا لهذه المنطقة المعقدة والمثيرة والتي شهدت دورات مناخية أكثر برودة ومطراً ودورات مناخية أكثر جفافاً ودفئاً.

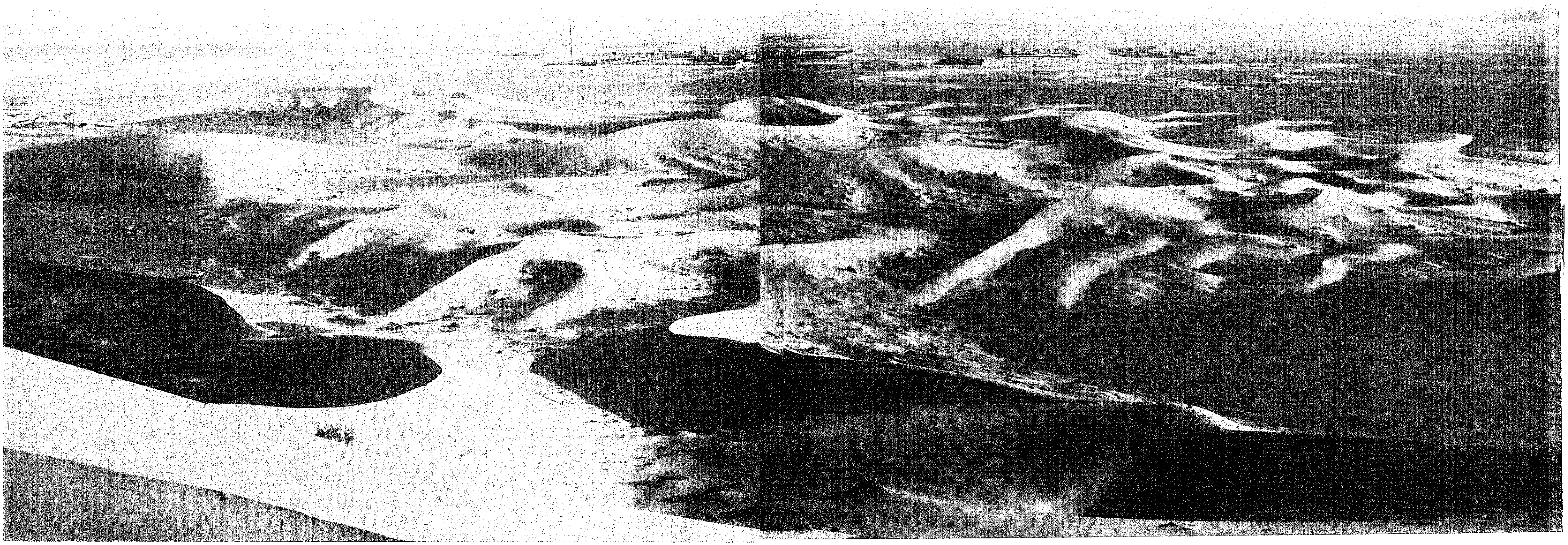
كما شهدت منطقة الربع الخالي مثل هذه التباينات المناخية، وهناك شواهد على أن أشجاراً كبيرة نمت يوماً في قلب الصحراء. وحيثما انصرفت مياه الأمطار المنحدرة من جبال الحجر في اتجاه الغرب بعيداً عن البحر في تجويف ضخم جاف من الربع الخالي تكونت بحيرة مالحة تعرف محلياً باسم «ام السموم»، وهي منطقة مقفرة تتسم قيادة السيارة فيها بالخطورة حيث يشكل الغلاف الموضعي ذو الثخانات المختلفة والحيود الملحية عوائق كبيرة.

كما لعبت الأملاح في بعض الأماكن الأخرى دوراً مختلفاً حيث شقت طريقها إلى السطح من المستودعات الضخمة الموجودة في أعماق باطن الأرض وجلبت معها تجمعات صخرية مختلفة إندفعت إلى السطح واستقرت هناك بعد أن جرفت مياه الأمطار الأملاح.

الأحافير البحرية

تتضح المستويات السابقة لارتفاع منسوب مياه البحر في العديد من المواقع على امتداد الساحل وحتى في المياه الباطنية. ويمكن تمييز مستويات المد والجزر العالية القديمة من خلال الشقق الأرضية المسطحة التي حزتها الأمواج، بينما يمكن ملاحظة المستويات المنخفضة التي تختلف عن المستويات الحالية عند قيادة السيارة في بعض المناطق المختلفة مثل جزيرة الفحل حيث تتكرر الحزوز التي تصنعها الأمواج على الصخور عند مستوى المد والجزر في مكان أعمق يبعد مسافة عدة أمتار تحت منسوب سطح الماء.

كما أن فحص الصخور الموجودة تحت سطح البحر بعناية قد يكشف عن وجود ما يدل على تعرضها



شركة تنمية نفط عمان

للتعرية والتآكل بفعل الرياح ومياه الأمطار عندما أصابتها عوامل التعرية في خلال عصور الجليد حين كان مستوى منسوب البحر أدنى من مستواه الحالي بمقدار ١٣٠ متراً. وهناك مثال واضح يبين المستوى الذي كان عليه ارتفاع البحر يوما ما بالقرب من مسقط حيث تمتد إحدى الهضاب المميزة التي حزتها الأمواج على امتداد جانب التل الواقع بين بندر Jissa و Baushar.

ولا تتوقف المعالم الجيولوجية عند مستوى سطح البحر فحسب، فالمعالم الجيولوجية الموجودة تحت سطح البحر في عمان مثيرة بنفس درجتها فوق سطح الماء. فبالاضافة إلى الحزوز التي صنعتها الأمواج في العصور المبكرة والموجودة على سطوح الصخور المنحدرة مثل الصخور الموجودة في جزيرة الفحل، هناك شقوق تحت سطح البحر شكلتها الأراضي التي كانت موجودة يوماً فوق مستوى سطح البحر وتآكلت سطوحها بفعل مياه الأنهار القديمة.

وفي مناطق المياه الضحلة يواصل المرجان تكوين الحجارة الجيرية التي تتكون منها الحيود البحرية بنفس طريقة تكون الحيود الاحفورية الموجودة في بروز طبقات الحجارة الجيرية الموجودة فوق الأرض.

وتعتبر الأحافير التي تقدم الشواهد على الحيوانات التي كانت تعيش في عمان منذ آلاف أو ربما ملايين أو ربما مئات الملايين من السنين أهم السجلات الجيولوجية في عمان وأكثرها إثارة من وجهة نظر علماء التاريخ الطبيعي.

لقد تكونت الصخور الرسوبية المحفوظ عليها هذه الأحافير على مر فترة طويلة من الزمن تبلغ ستمائة مليون سنة وهو مقياس زمني زحفت فيه صخور القشرة الأرضية العمانية من مدار الجدي الجنوبي إلى الخط ٥٥ درجة جنوباً ثم شمالاً عبر خط الاستواء حيث موقعها الحالي. ولذلك فليس من المدهش أن تتباين بشدة طبيعة الرواسب والاحافير المحفوظة بينها نتيجة لهذه التحركات ونتيجة للتغيرات المناخية الهائلة أيضاً التي حدثت على نطاق عالمي وكذلك عملية النشوء والتطور.

وترجع أقدم الصخور الرسوبية التي يمكن فحصها في عمان إلى مجموعتي الحقف وهيماء وتحتوي على طبقات جيولوجية كونتها الطحالب المائية والبكتريا التي كانت تعيش منذ أكثر من ستمائة مليون عام مضت في فترة ما قبل العصر الكمبري عندما كانت «عمان» تقع في

كانت الحياة البحرية القديمة التي تحتجزها الصخور الجيرية توفر مصدراً لانتاج النفط والغاز الطبيعي. ويقوم الانسان اليوم باستخراج هذا الوقود الاحفوري في العديد من مناطق الجزيرة العربية. وقد تم التقاط هذه الصورة في معسكر الخوير الذي تحيط به الكثبان الرملية الضخمة لصحراء الربع الخالي.

المناطق المعتدلة للمحيط الجنوبي.

ويعتبر العصر السيلوري والعصر الديفوني والعصر الكربوني أو الفحمي من العصور غير المعروفة في عمان لعدم وجود أحجار كثيرة ترجع إلى تلك العصور.

وقد كشفت أعمال التنقيب عن النفط وجود قطاعات نادرة من مجموعة حجارة سنار التي ترجع إلى العصر الديفوني والتي تحتوي على أحافير لنباتات وحيوانات ميكروسكوبية كانت تعيش في بحيرات المياه العذبة. كما تم الحفاظ على اللقاحات والجراثيم الناتجة عن النباتات التي كانت تعيش في قارة جوندوانا العظمى التي ازدهرت خلال العصر الكربوني أو العصر الفحمي في تكوينات الخلطة التي ارتبطت باحدى الفترات الجليدية.

وتعتبر أقدم طبقة تحتوي على أحافير بحرية كثيرة هي الطبقة السفلى لتكوين غريف والتي تكونت في العصر البرمي وهو العصر الأخير من الدهر القديم (منذ مائتين وخمسين إلى ثلاثمائة مليون سنة مضت). وهنا يستطيع المرء أن يرى وفرة زهور الزنبق البحرية والأصداف القنديلية، بينما يشاهد جذوع الأشجار المتحجرة في الطبقات العليا لهذا التكوين حيث حافظت الرواسب الطينية الطرية لمصب النهر على الجذوع من أن يجرفها النهر معه.

وقد بدأت قارة جوندوانا تتجزأ إلى ألواح قشرية منفصلة في خلال العصر البرمي وانحرف لوح الجزيرة العربية الذي تقع عليه عمان شمالاً من المنطقة الجنوبية المعتدلة في اتجاه المنطقة الاستوائية. وفي أثناء هذه المرحلة ترسب الجزء الأعظم من بقايا الحيوانات الكلسية التي تم العثور عليها فيما بعد في الحجارة الجيرية وحجارة الدولوميت ضمن مجموعة الأخضر في المياه الساحلية الضحلة الدافئة.

ويمكن مشاهدة أحافير المرجان التي ترجع إلى هذا العصر في جبال الحجر. وقد شهدت العصور التالية، وهي العصر الترياسي أو الثلاثي ـ أقدم عصور الدهر الوسيط ـ (منذ مائتين وخمسين إلى مائتين وعشرة مليون سنة) والعصر الجوراسي أو الجوري (منذ مائتين وعشرة إلى تسعين مليون سنة) والعصر الطباشيري وهو العصر الثالث والأخير من الدهر الوسيط (منذ تسعين إلى خمسة وستين مليون سنة مضت) استمرار انحراف لوح الجزيرة العربية حيث عبرت عمان خط الاستواء ثم انحرفت شمالاً مرة أخرى



منظر للسهل الساحلي لصلالة من فوق قمة منحدر جبل سمحان.

حتى صار الموقع الذي تحتلـه عمان الآن في نهاية العصر الطباشيري يقع عند الخط ١٠ درجة شمالاً. وخلال معظم هـذه الفترة كـانـت عمان تغطيهـا ميـاه البحـر أو كانـت مكشوفة كأرض منخفضة. وقد تـراكمت الرواسب الكلسية التي تكـونت مـن بقايا الهيـاكل العظميـة للحيوانـات ومن النباتات بوفرة كبيرة أثناء الغزوات البحرية.

ومن الطبيعي أيضاً أن يتم حفـظ العديد من الأصداف البحريـة وبقايا الكـائنات الحيـوانية والنباتيـة الصغيرة الطافية في المـاء وغيرها من البقايا الموجـودة في الرمل لتتحول فيما بعد إلى أحافير.

ويمكن رؤية أكوام كثيرة من الجلاميد (وهي نوع من الأصداف البحـرية الأحفورية) فـي بعض المواقـع وفي وقت مـن الأوقات كانت الأراضـي العمانية الناشئـة هذه تغطيهـا أعماق أوقيـانوسيـة ولـذلك فـإن الاحفوريـات المحفوظـة في طبقة الطين العميقـة هذه تختلف عـن تلك الموجودة في المناطق البحرية الضحلة.

وهنا قـد يجد المرء بقـايا لبعض أنـواع الاحفـوريات مثـل الأصـداف الملتفـة للرخويـات الآمونيـة التـي تسبـح بحـريـة والأصـداف الـداخلية التـي تشبـه الرصـاصة فـي شكلها والخـاصة برخويـات البلمنيت التي تشبه الحبار.

جيولوجيا الاحفوريات في سمائل

تمثل جبـال الحجارة التي تحـف بمسقط بصـورة رائعة نوعـاً من الشـذوذ من الناحيـة الجيولوجيـة لأنها تـوفر نافذة فريدة تطل على عمليات تبلور تكونات الطبقات في الغلاف الأوقيانـوسي. فمنذ حوالي سبعيـن مليون سنة انزلقت بلاطة ضخمة للغـلاف الأوقيانوسي لأعلى وفوق جرف الحافة الشمالية الشرقيـة لمنطقة الجزيرة العربية ويمكن رؤية آثـارها اليوم في هـذه الجبال ذات النتوءات الحادة والغنية بالمعادن.

وربمـا كانـت الاحفـوريـات البحريـة في سمـائل أفضل مثـال من نوعـه في العالـم لسهولة دراستهـا من خـلال حالتهـا المكشـوفة ومـن خلال حـالتهـا العامـة المحفوظة بهـا. ولقد حضر خبراء الجيولوجيـا من أنحاء العالم لدراستها بهدف الالمـام بصورة أفضل بما يحدث علـى امتداد خطـوط صدع القشـرة الأرضيـة في أعمـاق المحيط.

وفي كتـابه الرائـع «التـراث الجيولوجـي لعمان» كتب مايكـل هيوز كلارك: «وعلى ذلـك ينحصر الوضـع فـي الواقـع في أن بـاستطـاعة العلمـاء القيـام بنزهـة قصيـرة يتناولـون خـلالها وجبـة طعـام خفيفـة فـي الهواء الطلـق فـوق الصخـور التـي تكونـت أسفـل قـاع المحيط بمسافـة عشرة كيلـومترات أو أكثـر، أو فـوق الحمم البـركانيـة التي تـدفقت فـوق قاع البحـر العميق أو فـوق الرواسب التي تكـونت في الأصـل تحت سطـح ميـاه المحيـط لمسـافـة أربعـة إلـى خمسـة كيلومترات».

المنـــــــــاخ

درجات الحرارة المعتدلة

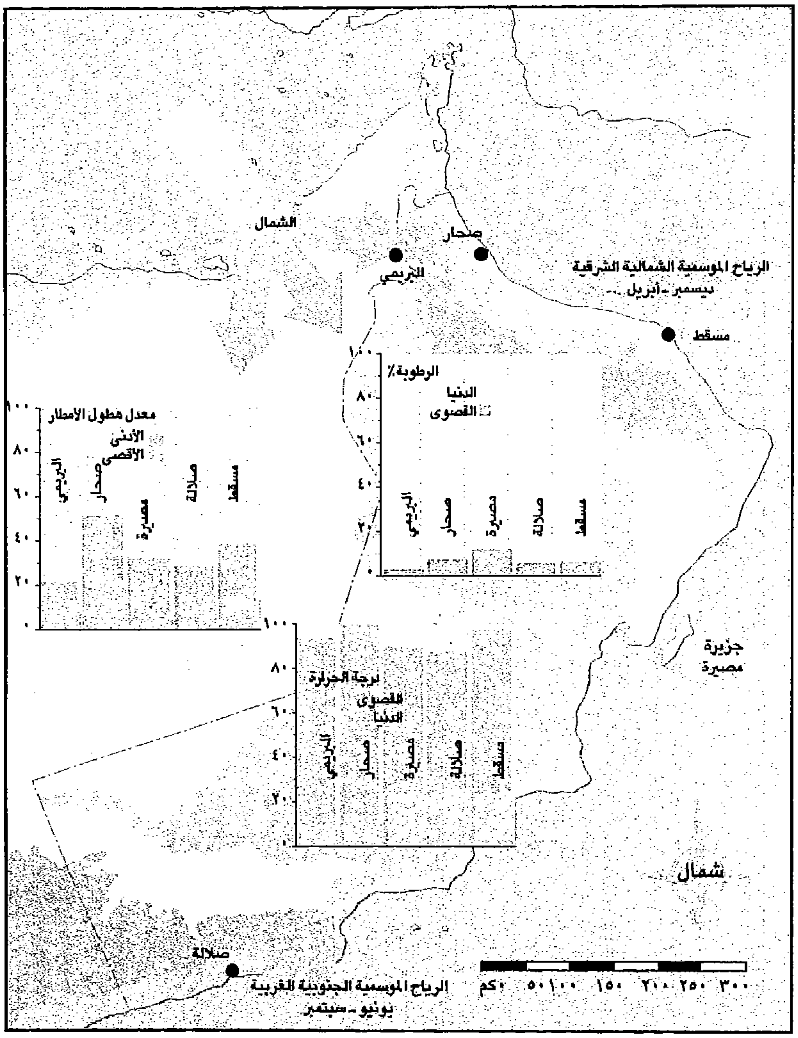
يتيح منـاخ عمان وتضاريسـه الطبيعية المتبـاينة تـوفير فرص عديدة لازدهار الحياة البرية. وليس من المدهش أن تضم البلاد بعـض أغنى المستوطنات في الجزيـرة العربية الخاصة بالعديد من الكائنات المنقرضة.

وتتراوح درجات الحرارة المسجلة في البـلاد ما بين ٥٠ درجة مئوية كحد أقصى ـ تـم تسجيلها في صحار في عام ١٩٨٧ ـ وأدنـى من الصفـر ـ تـم تسجيلهـا بصـــورة معتادة في سيق.

إن منـاخ عمان بشكـل عام معتـدل الحــرارة فـي معظـم العام لأن التـأثيرات الـرطبـة للريـاح الموسميـة تسـاعـد على اعتـدال الأحوال الجويـة. وعندمـــا تنعـم مسقط بالحرارة في شهر يوليو، والتي قد تصـل إلـى ٤٩ درجة مئـوية كحد أقصـــى، تتمتـع صلالـة بجـو أكثر برودة نتيجة للريـاح الموسمية الجنـوبية الغـربية التـي تحافظ على درجات الحرارة القصوى في حـدود ٣٠ درجة مئوية.

وبحلـول شهـر اكتوبـر تنخفـض الحرارة في مسقـط لتبلـغ ٤١ درجـة مئويـــة كحـد أقصـى، بينمـــا ترتفـع درجة الحرارة في صـــلالة بضـع درجات لتبلـغ ٣٢ درجة مئوية كحـد أقصى. وفي خلال شهر نـوفمبر يختفي تأثير الـرياح الموسميـة وتتقارب درجـات الحرارة في المنطقتين وتصبح صـلالة أكثر دفئـاً حيث تبلـغ الحرارة القصوى فيها ٣٧ درجـة مئوية تليها مسقـط بدرجة حرارة قـدرها ٣٥ درجة مئـوية. إن هـذا التقسيم الغـريب النـاتج عـن الـرياح الموسميـة الجنوبيـة الغـربية وعـن تفجر ميـــاه المحيط البـاردة بالقرب من ســاحل صلالة يخلـق وضعاً غـريباً يـؤدي إلى أن تتمتع مسقـط بأكثـر شهـور السنـة بـرودة في ديسمبر وينايـر (عنـدمـا تبلغ درجـة الحرارة القصوى ٣٠ درجـة مئويـة ودرجاتها الـدنيا ١٤ درجـة مئوية) بينما تتمتـع صـلالة بأبـرد شهـور السنة في الفترة مـن يـوليـو إلى سبتمبر عنـدمـا تكـون درجـة الحـرارة القصوى أثناء النهار مشابهة لدرجة الحرارة في مسقط في فصل الشتاء والتي تبلغ ٣٠ درجـة مئوية. مع ذلك تحدث أبرد درجات الحـرارة أثناء الليل في صلالة في فصل الشتـاء في شهري ديسمبر ويناير.

وربما كـانت صحــار هي أكثــر المنـاطـق حـــرارة في عمان فقد تم تسجيـل درجة حرارة فيها بلغـت ٥٠ درجة مئويـة، بينــما تعتبـر المناطـق القريبـــة من سيـق هي أكثـر المنـاطـق بـرودة حيـث تصـــل درجـة الحـــرارة القصوى في فصل الصـيف ٣٤ درجة مئـوية وتصل درجة الحرارة الدنيـا في فصل الشتــاء إلى درجة التجمـد أو ربما إلى تحت الصفر.



أما درجـات الرطوبـة فتتـراوح فـي معظـم الأماكـن بين ١٠٠ في المائة إلى أقل مـن عشرة في المائـة حتـى أنهـا قـد تصـل إلى واحـد في المائة أيضــاً. وكما نتـوقـع مـن التعليقات المذكورة آنفا، فإنـه عندمـا تكون الرطـوبة في مسقط عند مستوياتها الدنيـا والتـي تبلـغ ٥ فـي المائـة في شهـر يـوليـو، تكـون الرطوبـة في صلالـــة عنـد مستويـاتها القصوى التــي تبلغ ٩٩ في المائة ولا تقـل عن ١٧ في المائة تقريباً.

كما تتباين معدلات هطول الأمطار أيضاً طبقا للمناطق المختلفـة في عمان. وتعتبر سيق أغـزر المناطـق حيث بلـغ

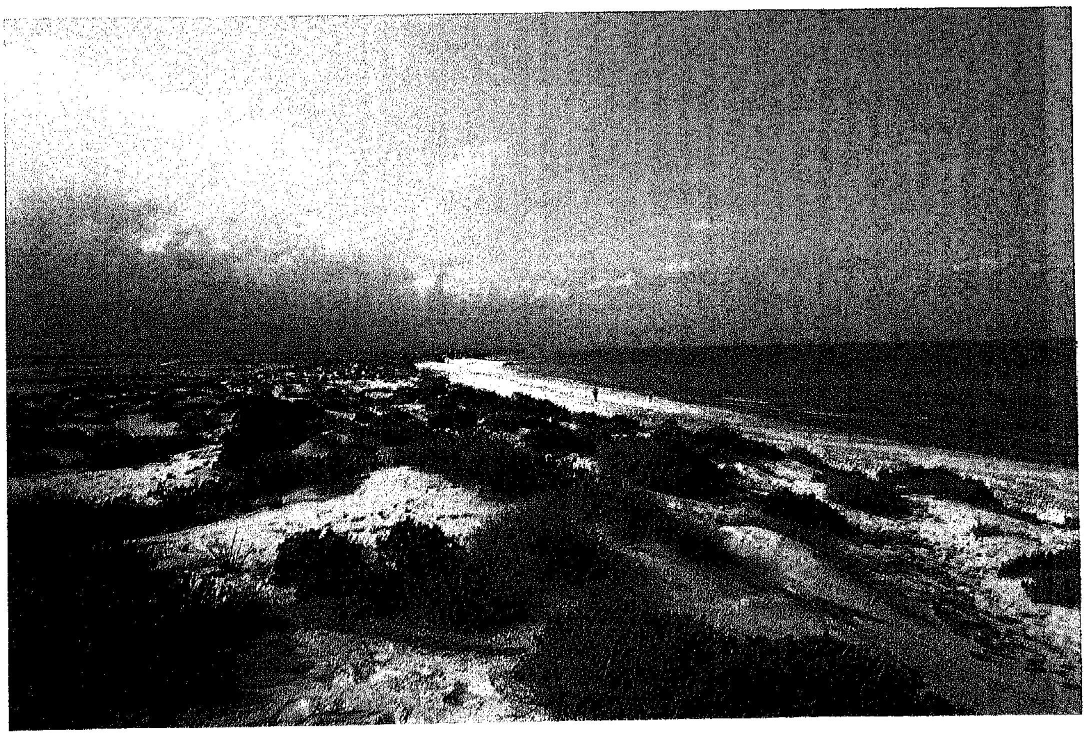
معدل هطول الأمطـار المسجل فيها خلال فتـرة تمتد إلى ثمـان سنـوات ٢٩٩ ميليمتـرا في السنـة، بينمـا تعتبـر مصيـرة من أكثـر المناطـق جفافـاً في عمـان حيث بلـغ متوسـط هطول الأمطار المسجـل فيها خلال فتـرة تمتد إلى ثمان سنوات ٢٧ ميليمترا في السنة.

أما معدلات هطول الأمطار فـي المناطق الأخرى فتبلغ ٦٠ ميليمترا في ثمريت و٦٨ ميليمتـرا في البريمي و٧٢ ميليمتـرا فـي صور و٧٢,٥ ميليمتـرا فـي مسقـط و٨٣ ميليمترا فـي صلالـة و١٢٨ ميليمترا فـي صحار و١٤١ ميليمترا في خصب.

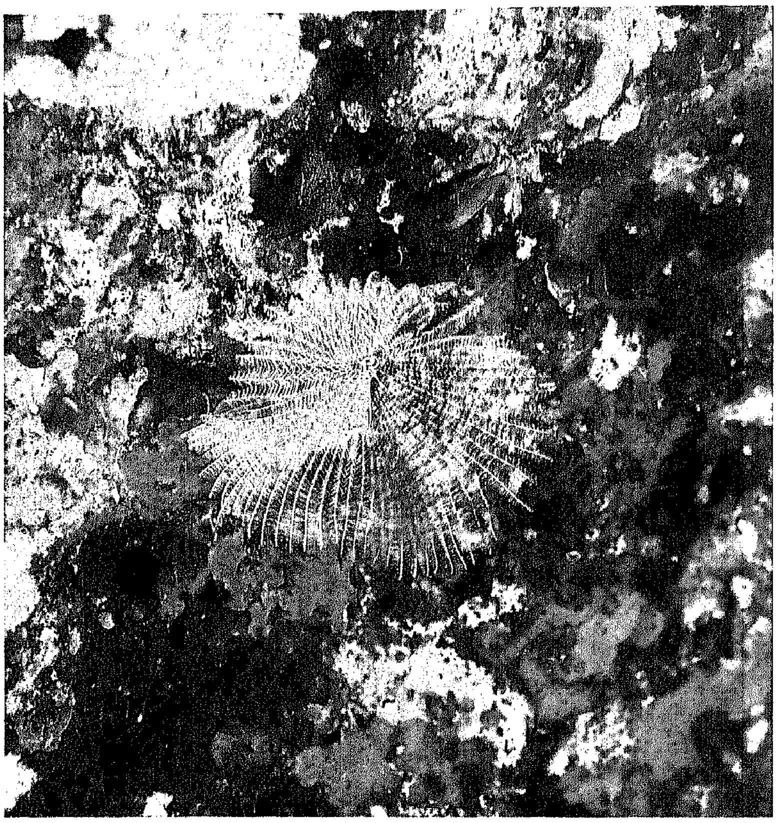
أنماط الرياح

لعبت أنمـاط الرياح دوراً هـاماً خلال العصـور المختلفة في تطوير الحياة البحرية والحياة البرية على حد سـواء. فقد كان البحـارة العمانيون منذ آلاف السنيـن ينتظرون هبوب الـرياح المـوسمية الشمـالية الشـرقية فـي شهر ديسمبـر من كـل عـام قبل أن يبحـروا فـي اتجاه الهنـد وافريقيـا. وكانوا يعتمدون علـى هذه الرياح حتـى شهر ابريل عندما تخف سرعتها.

أما رحلات عـودة هؤلاء البحارة فكانت تبـدأ مع هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربيـة التي تؤثر على الساحل الجنوبي لعمان وتهب خلال الفتـرة من يونيو إلى سبتمبر. وكانت هـذه الرياح الموسميـة الجنوبية الغربيـة هي التي تعكس نمط التيـارات المائية فـي المحيـط الهندي وتسبب حدوث ما يعرف بالتيارات الصومـالية. فعندما تهب الرياح القوية في محـاذاة ساحل صـلالة ـ رأس الحد تتسبب في حدوث تيـارات ثانويـة تجبر المياه السطحيـة الساحليـة علـى الانسحاب للداخل لتحـل محلها المياه الباردة الغنية بـالغـذاء. وتشتهـر تغيـرات التيـارات المـائيـة هـذه بالخصوبـة العـالية وهي مسـؤولة عـن توفير ربـع إنتاج العالم من السمك على الرغـم من أن مساحتها الكلية تغطي ٠,٠٢ في المائة من سطح بحار المعمورة.



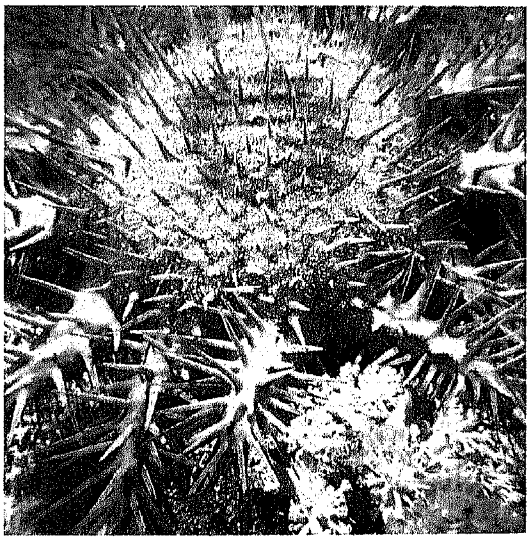
الحيــــاة البحريــــة



الحيود البحرية المرجانية

تتـراوح المستوطنـات البحـرية المـوجـودة في المياه الضحلـة في عمـان بيـن الحيود البحـريـة المـرجانيـة الاستوائية وغابات الأعشاب البحـرية الموجودة عادة في مناطق المياه المعتدلة بالقـرب من نيوزيلاندة. ولا توجد سوى بضعة أماكـن فقط في العالم كله تتميـز بمثل هذا التنوع الكبير فـي الأحوال وبمثل هذه الوفـرة في الحياة البحريـة. وعلى العكس مـن الحيود البحـرية المرجـانية الموجـودة في البحـر الأحمر وفـي بعض جـزر المحيط الهندي، فإن المستـوطنات البحرية العمانيـة لم يكتشفها الغواصون من العلماء بعد.

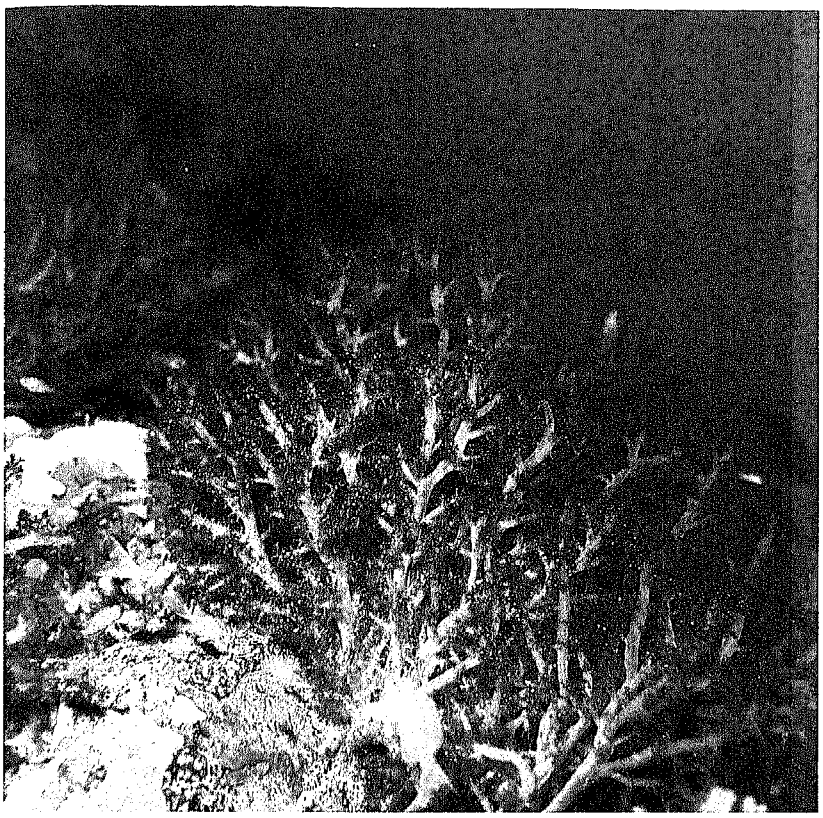
وينمـو المـرجـان الـذي يبنـي الحيـود أو الشعـب المرجانيـة بصورة أفضل في البحار القريبـة من مسندم وحول جزر الديمانيات وفـي منطقة مسقط وبالقرب من جزيرة مصيـرة. وهو لا يزدهر في المستوطنـات الرملية الأقل استقـراراً والموجـودة بالقرب مـن بعض المنـاطق



الأخرى مثل صور وصلالة حيث تحل محلها في الأخيرة الطحالـب الطويلة مثـل الأعشاب البحـرية والمرجـانات الطرية. وقـد أوجزت الأبحاث التي تم اجراؤهـا كجزء من دراسـة التأثيـر المحتمـل لتاج قنـديـل البحر الشـائك، المقومات الأساسيـة لمجموعة الحيوانات المرجـانية في المناطـق المذكـورة آنفا. وقـد سادت الأنمـاط المتشعبة والمسطحة لمرجـانات «الأكروبورا» بالقـرب من مسندم بينما تضمنت الأنواع الشائعة الأخـرى «بافونا وبوريتس ومونتيبورا وجونيوبورا وبوكيلوبورا».

وعلى العكـس من البحـر الأحمر حيـث تكون درجـة صفاء الميـاه أفضل فـإن هذه المرجـانات تميـل إلى أن تنحصر فـي الأعماق الضحلة جـداً بأعمـاق تصـل إلـى ١٢ متراً. وتعتبـر تكوينات الحيود البحـرية بالقـرب من مسندم تكـوينات غيـر ناميـة بصورة جيـدة وذلك علـى الـرغـم من تكـوّن بعـض الحيـود الصغيرة المتنـاثـرة المحيطة بـالحواف. وعلى العكـس من ذلك تحظـى جزر الديمانيات بتكوينات مرجـانية جيدة النمو تسيطر عليها مرة أخـرى مرجانات «الأكـروبورا». أما الأنواع الشـائعة الأخرى والموجودة في هذه المنطقـة فتتضمن مرجانات «مونتيبورا وبوكيلوبورا وبوريتس».

كما تتكون بالقرب من مسقط أنـواع مرجانية مشابهة تلعب فيهـا مرجـانات بوكيلـوبورا دوراً هـاماً فـي تنمية الحيود المرجانيـة بالقرب من جزيرة الفحـل وفي المياه الضحلة لخليج مسقـط. وتتاخم المنطقة الغربيـة لجانب جزيرة مصيرة الواقع نحو اليـابسة مستعمرات مرجانية غنيـة مختلفةتـرتكـز بصورة خـاصة علـى مـرجانـات مونتيبورا وبوكيلـوبورا. وبالاضافة إلى ذلـك تتكون في هذه المنطقة مـرجانات بوريتـس وليبتوريا وأكانثـاسترا



وبلاتيجورا وستايلوفورا وفيفا. ويشاهد المرء هنا أيضاً طبقات كثيفة من الأعشاب البحرية البنية اللون «سارجاسوم».

أما أفضل الحيود المرجانية نمواً في الجانب الغربي لجزيرة مصيرة فتقع في اتجاه الشمال حيث تشكل مجموعات فردية محددة من مرجانات مونتيبورا حيوداً ضحلة. وتحدث تغيرات كبيرة في حرارة المياه البحرية في هذه المنطقة نتيجة لتباين التيارات ونتيجة لتأثير حركة تغير المياه السطحية البحرية، وهكذا يمكن أن تتراوح درجات الحرارة السطحية بين ٢٢ درجة مئوية و٢٨ درجة مئوية في مسافة لا تتجاوز بضعة كيلومترات فقط. وهذه حقيقة لها تأثير كبير على توزيع الحياة البحرية.

وتقع بؤرة حركة تغير المياه السطحية البحرية في منطقة صلالة بالقرب من مرباط. وهناك يمكن العثور على مجموعات مرجانية معزولة تتشابك مع سيقان الأعشاب البحرية الضخمة التي تظل أوراقها في قاع البحر. وبالاضافة إلى هذه المرجانات (وهي أساساً مرجانات أكروبورا وفيفا وفافيتس وتوربيناريا وستايلوفورا) توجد أيضاً الكائنات البحرية الشائعة الأخرى التي ترتبط بصورة خاصة بهذه الأعشاب البحرية بما في ذلك حيوانات أذن البحر (من الرخويات) وعدة أنواع من القنافذ البحرية وقناديل البحر.

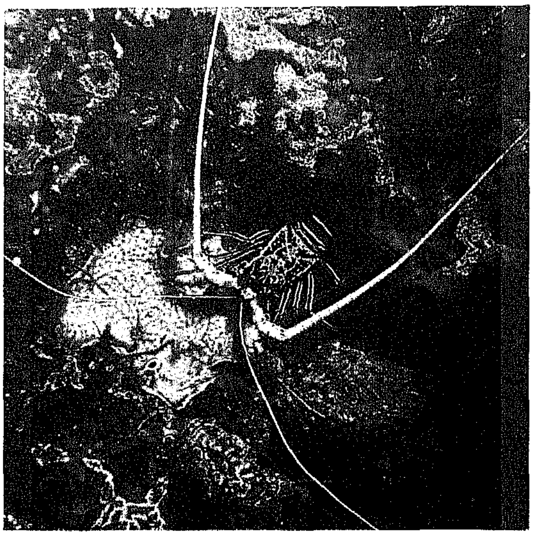
وتتسم الأعشاب البحرية بأهمية خاصة كمنتجات أولية. ففي كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية حيث تحدث بعض التغيرات المماثلة في المياه السطحية يبلغ حجم المحصول السنوي التجاري من الأعشاب البحرية ما يوازي ٢٠٠٠٠ طن متري جاف يتم استخدامها في انتاج الجينات والأغرة واليود واستعمالها كمصدر لانتاج السماد. كما أنها توفر أيضا للحياة البحرية غذاءاً عشبياً وفيراً تتغذى عليه العديد من الحيوانات اللافقارية.

غابات الأعشاب البحرية

لا تتسم غابات الأعشاب البحرية بالوفرة فحسب بل تتميز أيضاًبأنها فريدة من نوعها لأنها المكان الوحيد في نصف الكرة الشمالي الذي تتكاثر فيه أعشاب نصف الكرة الجنوبي «إيكلونيا رادياتا»، وهي أيضاً موطن لأعشاب «سارجاسوبسيس زانارديني» التي تم تحديد ووصف نوعها مؤخراً، وهي غريبة على المياه العمانية. وهي مثل غابات الأعشاب الموجودة في جنوبي غرب أفريقيا تظهر في مشاهد البحر بصفة مؤقتة وتعتمد في نموها وبقائها على التغير الموسمي في المياه السطحية الباردة الغنية بالغذاء.

وقد تم اجراء دراسة تفصيلية لمجموعات الأعشاب البحرية إيكلونيا وسارجاسوبسيس التي تتكاثر على امتداد الساحل العماني الممتد من مرباط إلى سدح. وهي تتأثر بدرجة كبيرة بمدى شدة تغير التيارات المحلية التي تميل إلى أن تصبح واضحة في هذه المنطقة حيث تقترب المياه العميقة من خط الساحل. ولهذا السبب يوجد في رأس مرباط وسدح مجموعات جيدة النمو من الأعشاب البحرية بالمقارنة بالمياه الموجودة في مواجهة صلالة حيث تمتد سلسلة من الصخور المسطحة الساحلية إلى أعماق أبعد في داخل البحر. كما تتأثر الأحوال الجوية المحلية بتغيرات المياه السطحية الساحلية القوية في منطقة مرباط ـ سدح حيث يسود جو أكثر برودة في منطقة غرب مرباط.

وتتسبب الأمواج التي ترتطم بخط السال أثناء فترة الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في خلق منطقة رشاش عالٍ وقوي من الماء حيث تقوم الطحالب الخضراء «أولفا» بتغطية الصخور. وعندما تضعف سرعة الرياح الموسمية تنشأ أحوال جوية أكثر استقراراً وتستوطن مجموعة متنوعة من الطحالب في منطقة المد والجزر، تتغذى عليها رخويات البطلينوس (سيلانا إينكوسميا وسي. كراتشينسيس وسكوتيلاسترا اكسوستا وباتيلويدا بروفوندا



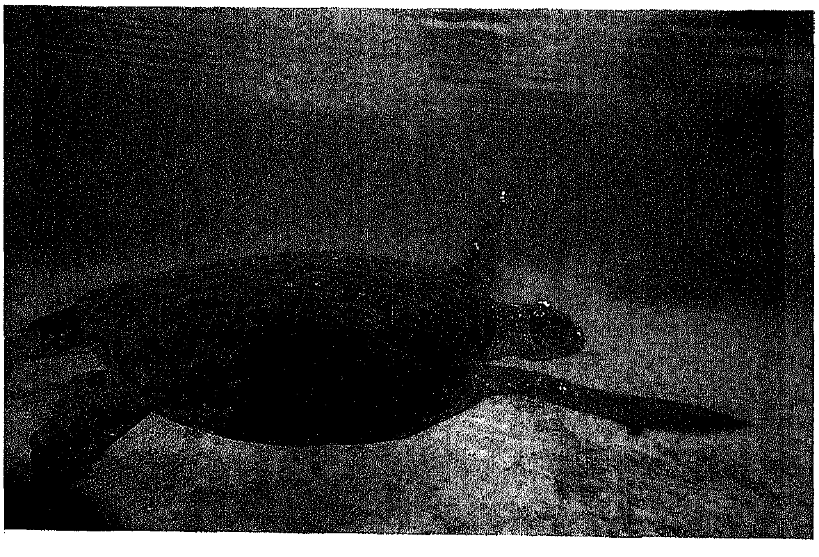
وسيفورناريا) والخيتون (أكانثوبليرا هادوني) وعدة أنواع من الرخويات الشاطئية والقنافذ البحرية (إتشيسنوميترا ماثاي). وفي خلال شهور الصيف يجد المرء تحت مستوى المد والجزر مباشرة طحالب بنية اللون (سارجاسوبسيس زاناروديتي) أو أنواع من طحالب سارجاسوم. وفي نهاية فترة الرياح الموسمية ومع انخفاض حركة الأمواج تكثر طحالب أولفا والطحالب الخيطية (كلادوفوروسيس) التي تحجب طحالب ساراجاسوبسيس وتبقيها في الظل. وتتفكك الأعشاب البحرية الضعيفة وتسقط من على الحجارة بصورة مشابهة لتساقط أوراق الغابة فتفسح المجال بذلك لوصول الضوء إلى النباتات التي كانت تعيش في ظلها. وبذلك تحصل الطحالب المختلفة مثل طحالب سارجاسوم وسايستوسيرا على دفعة تساعدها على أن تنمو وتنافس ما تبقى من طحالب سارجاسوبسيس التي يتواصل موتها مع ارتفاع درجة حراة مياه البحر وإختفاء تأثيرات تغير المياه السطحية الموسمية. وتتميز أعشاب إيكلونيا رادياتا بدورة حياة مثيرة في عمان تختلف عن تلك التي تحدث في نيوزيلاندة حيث تنمو هذه الأعشاب طوال العام. وهي تسلك في عمان سلوكاً شبيهاً بسلوك النباتات السنوية وتجزىء كما يبدو دورة تكاثرها إلى مراحل تتوافق مع فصل الرياح الموسمية. وبالرغم من أن هذه الأعشاب تختفي عن البصر تماماً تحت سطح الماء في أعقاب الرياح الموسمية فإن خلاياها تهجع في قاع البحر مستعدة للتخصيب وما يعقبه من نمو عندما تعود المياه الباردة في العام التالي. وبهذه الطريقة تعود أعشاب إيكلونيا إلى الظهور والازدهار ثم تختفي عن البصر في خلال شهور الصيف والخريف.

وكما يتوقع المرء، توجد مجموعة كبيرة مزدهرة من الحيوانات اللافقارية والأعشاب المرتبطة بغابات الأعشاب البحرية المنتجة هذه. فبالاضافة إلى القنافذ البحرية الآكلة للعشب توجد رخويات أذن البحر بأعداد كافية لجذب الأسماك الصغيرة. وفي الليل تخرج الأربيان لتتغذى على القنافذ. والأسماك الرئيسية الآكلة للعشب هي أسماك الأرنب (سيجانوس اورامين) وسمك البغروس العربي (ديبلودوس) وسمك الابراميس ذو الزعانف الصفراء. ويقوم النوعان الأخيران بتنسيق دورة التكاثر بحيث تستطيع صغارها أن تجد لها ملجأ بين سنابل أعشاب سارجاسوبسيس. وهناك نوع آخر من الكائنات الآكلة لأعشاب الطحالب هو السلحفاة الخضراء. ويبدو من المحتمل أن الأعشاب البحرية هي مصدر هام لغذاء هذه السلاحف في المنطقة خلال شهور الصيف.

القواقع البحرية

يجب على القراء المهتمين بمجموعات الرخويات العمانية معرفة أنه قد تم جمع مجموعة كبيرة من هذه القواقع المحلية في متحف التاريخ الطبيعي العماني. وتحتوي هذه المجموعة على أكثر من ٦٠٠٠ نوعاً تمثل ما لا يقل عن ٥٠٠ ضرباً من القواقع البحرية والبرية التي تعيش في المياه العذبة. وقد تم جمع هذه المجموعة بالاستعانة بالتبرعات التي قدمتها بعض الهيئات وخاصة التبرعات التي قدمها الدكتور بوسك والسيدة حرمه والتبرعات التي قدمتها السيدة كاترين سميث، خبيرة القواقع البحرية في منطقة الخليج وشرق أفريقيا، التي كرست أكثر من عشر سنوات من عمرها لتحديد أنواع القواقع العمانية وجمع المجموعة الحالية من القواقع.

ويقوم «أصدقاء المتحف» أيضاً في الوقت الحالي بمساعدة الموظفين العمانيين في المحافظة على مجموعة القواقع الحالية وتجديدها. وقد تم ارسال



مجموعـات القواقـع التي تم جمعهـا في عمـان لأغراض علمية إلى العلمـاء العاملين بالمتحـف البريطاني الـذين قامـوا بتحديد أنـواعها قبل أن يعيـدوها إلى عمـان. وقد أتاح هذا المشروع اكتشاف عدة أنواع جديدة من القواقع في عمـان تتضمن قواقـع تروشيتـا الظفارية التـي تمت تسميتها باسم المنطقة التي تم العثور عليها فيها.

الأسمـاك

يعتبر البحـر دون شك أحـد المصادر الـرئيسية للثـروة الطبيعية في عمـان، فقد كان مصدرا لغذاء النـاس الذين يعيشـون على امتـداد السـواحل العمـانيـة منذ أن بـدأ الانسـان في استيطـان البلاد. ويبلغ الطول الكلـي للخط السـاحلـي العمـاني ١٨٠٠ كيلـومتـرا، وتغطـي الميـاه الاقليميـة ما لا يقـل عـن ٣٠٠٠٠٠ كيلـو متراً مـربعـاً. ويمكن تقسيم المـوارد التجارية الرئيسية لـلأسماك إلى أربع فئـات هي الأسماك الأوقيانـوسية (التي تعيـش في المحيطات) التي يغلب على أصنـافها في المياه الضحلة سـرديـن الـزيـت الهندي (سـاردينيـلا لـونجيسبـس) والسـردين المخطـط الـذهبي (سـاردينيـلا جيبوسـا) وسردين (ديسـابتريوس روسيلي)، وفـي المياه العميقة نـوعان مـن أسمـاك الصـورال، همـا الصـورال الهنـدي والصورال العـربي، والأسمـاك الأوقيانـوسية الضخمـة شاملـة أسماك التـونة والسفليـش والمرليـن، والأسماك الأوقيانوسية متوسطة الحجم التي تتوفر في شكل سمك القناديـل، ومجموعـة الأسماك التـي تعيش فـي الأعماق والتي تتضمن ما لا يقل عن ١٥٦ نـوعاً من الأسماك التي يمكن صيدهـا على النطاق التجاري بما فـي ذلك أسماك الشفنين البحريـة وسمك القرش وسمك سليمـان وسمك تريفاليس وسمك الصورل وسمـك البنيان وسمك الناخر وسمك الأسبـور وسمك النهاش وسمك الأخفـس وسمك النعاب وذلـك إلى جـانب مجموعـة من الـرخويـات مثل الحبـار والصبيـدح وأذن البحـر. وأخيراً مجمـوعـة مـن القشريات مثل الروبيان والكـركند (جراد البحر). ويبدو أن تـوسيـع نشاط الصيـد فـي الثمـانينات مـن القـرن العشريـن قد أدى إلى حدوث إنخفـاض شديد فـي كمية الأسمـاك التي تـم صيدهـا في عـام ١٩٨٩م والتي فـي أعقابهـا تم بذل جهود جبـارة لوضـع خطة فعـالة لادارة الموارد السمكية.

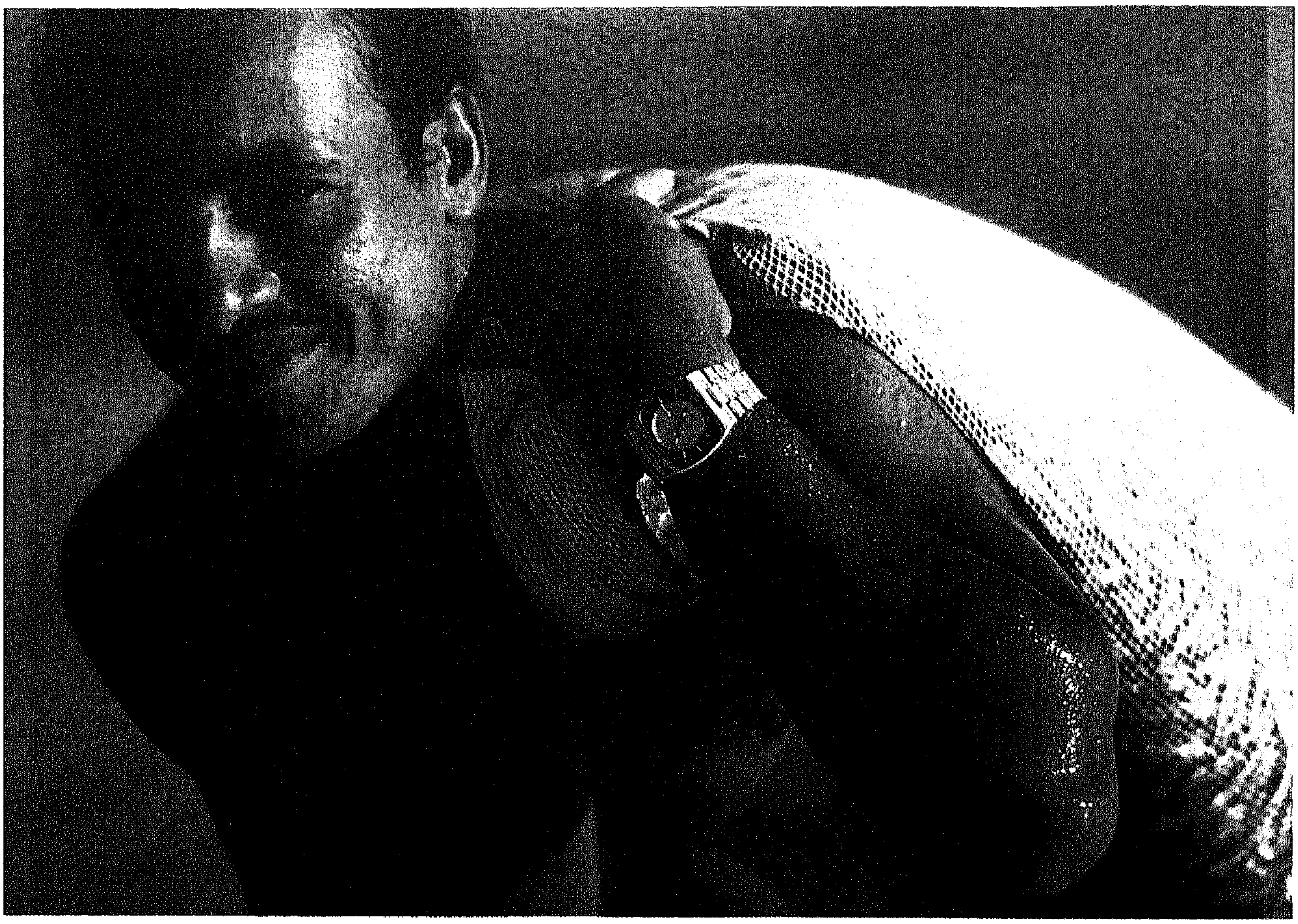
ويمكـن تقسيم مـواقـع البيئة البحـريـة في الميـاه الضحلة المنتشرة علـى امتداد الساحل العمـاني بصورة تقريبية إلى فئتين رئيسيتين، همـا المواقع الموجودة في شمال رأس الحد والمـواقع الموجودة فـي جنوب اللسـان الشهير الذي يحدد أقصى نقطة شرقية في شبه الجزيرة العربية بـأكملها. وفي الشمال، توجد الأسمـاك المرتبطة بـالحيود المـرجـانية فـي الغالـب عنـد أعماق الغـوص بـاستخدام أداة التنفـس تحت المـاء أو جهاز الغـوص، بينما يميل ميـزان الحيوانات البحرية في صـالح الأنواع المرتبطة بـالأعشاب الآكلة للطحالب. وعنـد حدود منطقة رأس الحد ذاتهـا يوجد خليط مثير من المجموعتيـن مع بعض الحيوانات المرجانية والأعشاب البحرية ومجموعة متنوعـة من الأسمـاك الموجـودة بينها. إنهـا مستوطنـة بحرية تم فيهـا بالفعل اكتشاف وجود أنواع جـديدة ومن





جهة اليمين: مجموعة من أسماك الاسقمري.

في أقصى اليمين: أسماك الشيمية تصطاد الأسماك الصغيرة مثل السردين على امتداد الساحل العماني



إيف جيلي، وزارة الاعلام

يتم صيد السردين بكميات كبيرة باستخدام شباك السينة الشاطئية.

يتم عادة نقل السردين بعد صيده في المياه الضحلة بواسطة بعض الشاحنات الصغيرة.

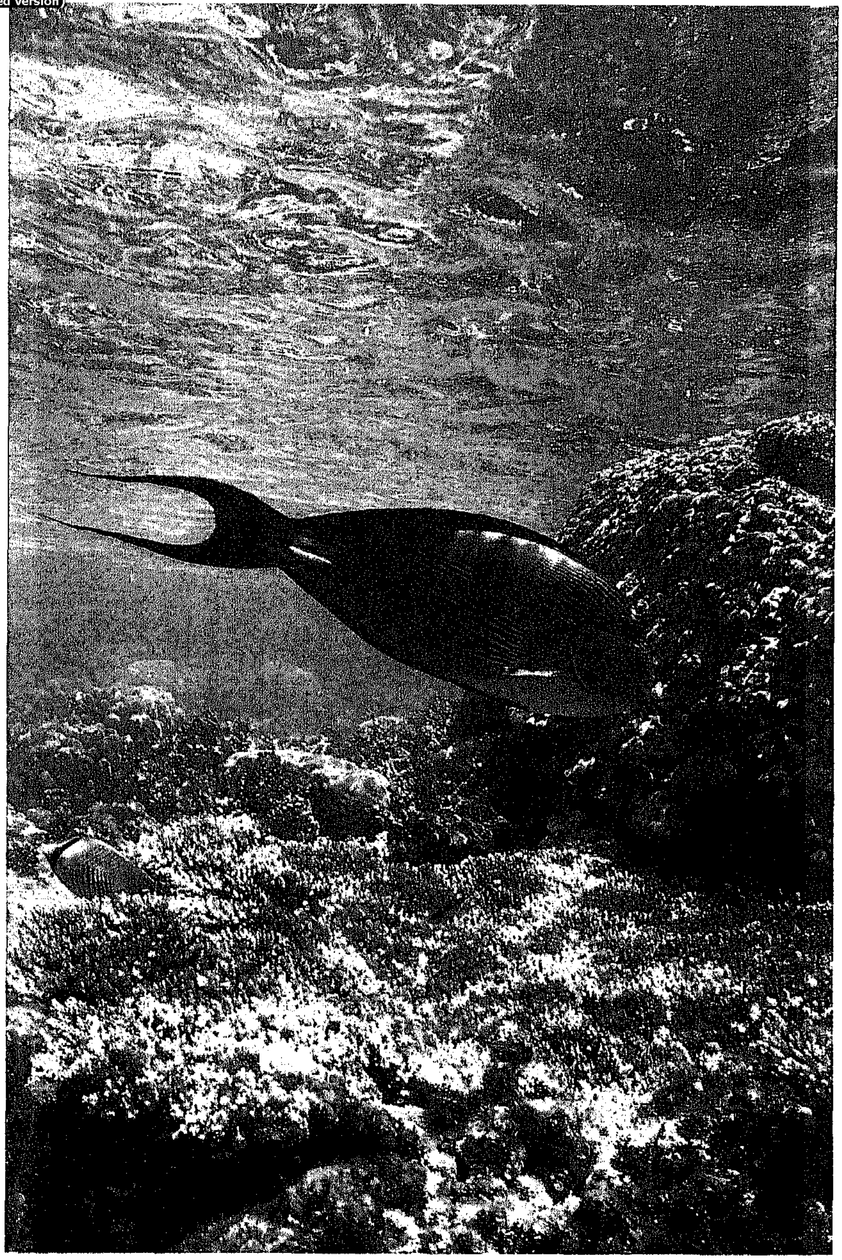
المحتمل أن يتم اكتشاف أنواع جديدة أخرى في هذه المنطقة عند الانتهاء من اجراء المزيد من الدراسات الدقيقة. ومع ذلك فإن التقسيم الموجود عند رأس الحد ليس تقسيماً كلياً لأن الحيوانات المرجانية تنمو أيضاً على نطاق واسع في الجانب الغربي من جزيرة مصيرة كما جاء آنفا. وقد كان الخليج المحمي المتجه نحو الجنوب والموجود عند الطرف الغربي لرعن بر الحكمان (شبه الجزيرة القاحلة والنائية التي تشكل جانب اليابسة لخور مصيرة) والمعروف باسم خليج حشيش هو الموقع الذي تم فيه اكتشاف نوع جديد من أسماك عروسة البحر التي تتميز بجوانب سمراء اللون وبشريط رأسي أبيض عريض خلف العينين وبأنف أبيض اللون. وقد سمي هذا النوع باسم تشاتودون ديالوسوس ويبدو أنه مستوطن في عمان. والاسم الشائع لهذا النوع من الأسماك هو عروسة البحر العمانية الذي يبدو إسماً مناسباً حقاً وقد قام بوصفه من الناحية العلمية رودني سلم ـ الذي ألف بحثاً هاماً عن التخطيط الساحلي في عمان ـ وجونثان مي ـ الذي ساعد في تأسيس مركز العلوم البحرية في عمان.



إن تأثيرات تيارات تغيير المياه السطحية الساحلية على امتداد سواحل عمان والناتجة عن الرياح الموسمية الجنوبية الغربية لا تفيد بالطبع جميع الأنواع. فقد شاهدنا بالفعل كيف أن المياه الباردة المرتبطة بتيارات تغيير المياه السطحية الباردة تشجع نمو الأنواع التي تعيش في المياه الباردة لكنها تجعل حياة الأنواع الاستوائية صعبة. صحيح أن المياه العميقة التي تتدفق إلى السطح غنية بالغذاء لكن محتواها من الاكسجين منخفض مما يسبب مشكلة لبعض الأنواع الأخرى بالرغم من أنه يتم تعويض مستويات الاوكسجين السطحي بالفعل عن طريق الاختلاط الدوامي الناتج عن حركة الأمواج العنيفة في شهر الصيف.

وعندما تهدأ الرياح في أعقاب الرياح الموسمية يكون

البحر محملاً بكتل بيولوجية من الأعشاب البحرية الميتة والكائنات الدقيقة الأخرى التي تتوفر بكثرة أثناء فترة الرياح الموسمية. ويزداد في بعض الأحيان الطلب على الأوكسجين البيولوجي إلى الحد الذي يتم فيه سحب كمية كبيرة من الاكسجين من المياه الضحلة بحيث لا يستطيع السمك تنفس الاكسجين بصورة كافية عبر خياشيمه فتتعرض كمية كبيرة من السمك للموت في هذه الأثناء نتيجة لهذه الأحداث الطبيعية.



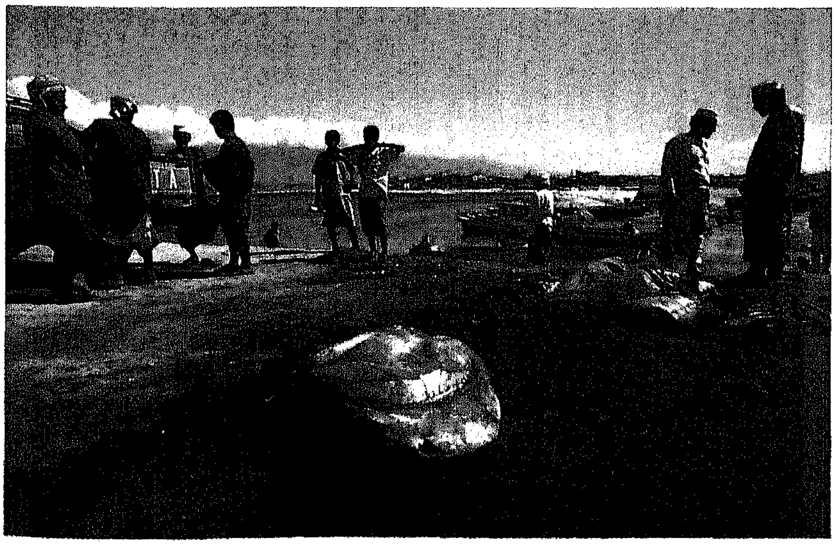
كان من المعتقد يوماً أن أسماك السرجون تستوطن البحر الأحمر، غير أن انتشارها يمتد على طول سواحل جنوب الجزيرة العربية وحتى الخليج.

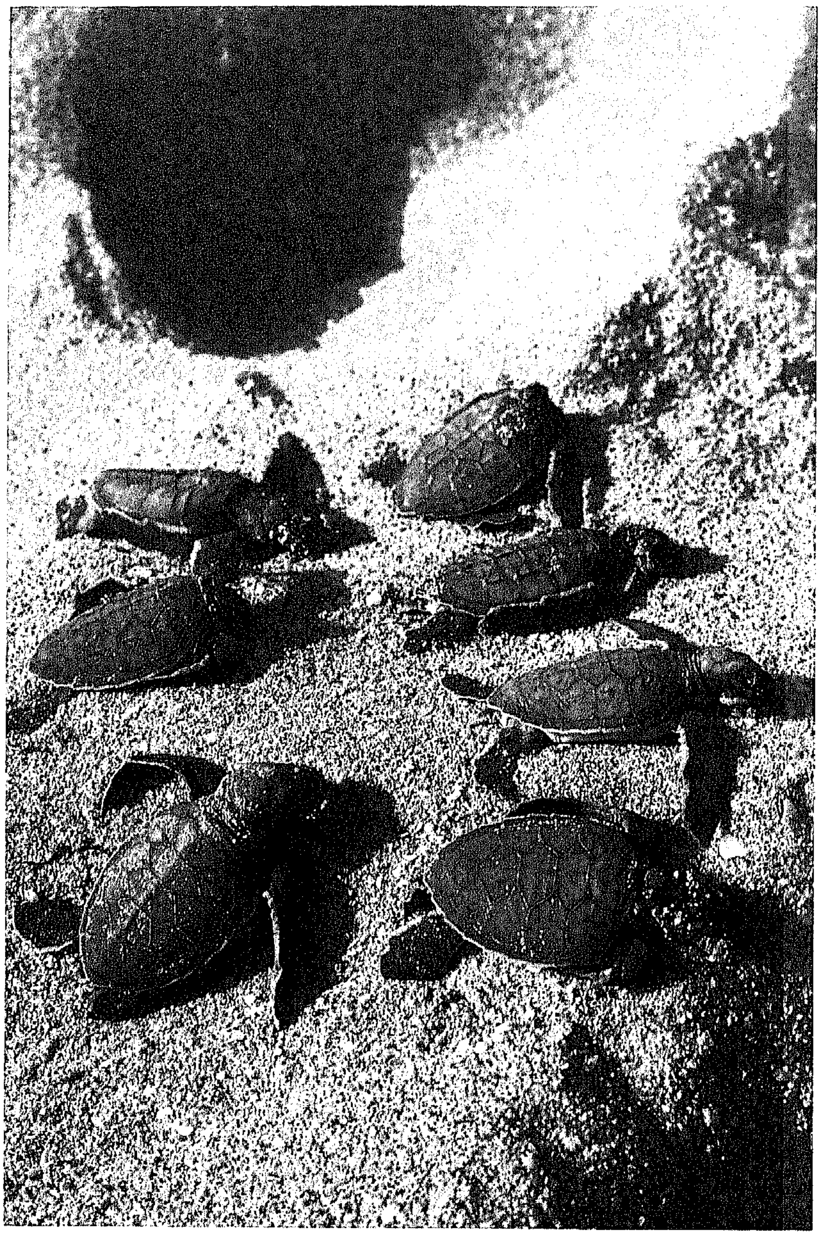
وليس من المدهش أن الأحوال الطبيعية الفريدة التي تؤثر على المحافظات الساحلية العمانية تتبنى أنواعاً تتكيف للاستيطان هنا على وجه الخصوص وليس في مكان آخر. وتعتبر أسماك عروسة البحر العمانية المذكورة آنفاً أحد هذه الأنواع، لكن هناك بالطبع أنواعاً كثيرة أخرى مثل سمك أبو ذقن وسمك الكرومس ذو الزعانف الصفراء. وفي أثناء تأليف هذا الكتاب كان يتم اجراء استقصاء هام لتسجيل جميع أنواع الأسماك التي تعيش عند السواحل العمانية وقد تمخضت هذه الدراسة عن اكتشاف أنواع جديدة وربما أنواع مستوطنة هناك. وتتباين ظروف مشاهدة الأسماك في عمان سواء باستعمال أداة التنفس (الشنركيل) أو جهاز الغوص تبعاً للموسم حيث أن مجال الرؤية تحت سطح الماء منخفض في الغالب عن مجال الرؤية في مناطق الغوص الأخرى في الحيود المرجانية. ومع ذلك توجد بعض الفترات التي تؤدي فيها الأحوال الجوية المحلية مقرونة بالمجموعات البحرية الغنية المثيرة إلى جعل عمليات الاستكشاف والغطس تحت سطح الماء عملية مجزية. ويعتبر شهرا مايو ويونيو أفضل شهور مشاهدة الأسماك في منطقة مسقط حيث تكون المياه الصافية الدافئة هي السائدة كقاعدة لا كاستثناء.

أما في الجنوب، حول صلالة، فإن أفضل فترة لمشاهدة غابات الأعشاب البحرية هي الفترة التي تعقب انتهاء الرياح الموسمية مباشرة أي في شهر سبتمبر.

وهناك خيار آخرمتاح أمام أولئك الذين لا تتوفر لديهم فرص الغوص باستعمال أداة التنفس (الشنركيل) أو جهاز الغوص، وهوالقيام بزيارة مركز العلوم البحرية في عمان. ويوفرهذا المركز الرائع الذي تشرف على إدارته وزارة الزراعة والثروة السمكية نافذة رائعة

تتوفر أسماك القرش بكثرة في عمان حيث يتم صيدها على نطاق تجاري. ويظهر في الصورة منظر نموذجي لميناء مرباط.





كانت صغار السلاحف وهي تخرج من بيضها صيداً سهلاً للطيور البحرية والثعالب والكلاب المتوحشة والسلعطونات التي كانت تفترسها حتى قبل أن تصل إلى البحر حيث تنتظرها العديد من الجوارح المفترسة الأخرى.

لمشاهدة الحياة البحرية الغنية في عمان. كما أنه يتيح كذلك للعلماء وللجمهور فرصة دراسة سلوكيات الأسماك والرخويات في الظروف البيئية المحكومة. وخلف الكواليس يستطيع موظفو دائرة الأسماك القيام بأبحاث تطبيقية عن الحياة البحرية العمانية مستغلين في ذلك مرافق ترشيح المياه وحفظ الخزانات التابعة لمركز الدارسات البحرية.

السلاحف

تتضمن الحياة البحرية في عمان العديد من الكنوز الأخرى، فباستثناء طبقات الأعشاب البحرية والحيود المرجانية والأسماك فهي تعتبر موطناً لخمسة أنواع من السلاحف. إن كل من صادفه الحظ وأمضى ليلة في رأس الجنيز الواقعة جنوب رأس الحد مباشرة يعلم مدى الاثارة التي يشعر بها المرء عندما يشاهد هذه الأعداد الضخمة من السلاحف الخضراء (تشيلونيا مايدس) وهي تسبح فوق الأمواج المتكسرة التي يتراقص على صفحتها شعاع القمر لتحاول الوصول إلى الشاطىء ودفن بيضها. ومن المدهش أن هذا المشهد يتكرر كل ليلة من ليالي السنة تقريباً حيث تقوم حوالي ١٣٠٠٠ أنثى من إناث السلاحف بوضع بيضها على الشواطىء الواقعة جنوب رأس الحد. وفي كل عام يقيم ما لا يقل عن ٢٠٠٠٠ سلحفاة خضراء عشها على السواحل العمانية مما يجعلها من أهم المواقع في العالم للمحافظة على هذا النوع من السلاحف. كما تأتي السلاحف البحرية ذات الرأس الضخمة (كارتا كارتا) بأعداد كبيرة أيضاً حيث تقيم ٣٠٠٠٠ سلحفاة أعشاشها عند شواطىء جزيرة مصيرة في أثناء شهور الصيف من كل عام (من يونيو إلى أغسطس)، كما تقيم العديد منها أعشاشها على شواطىء جزر الحلانيات وعلى امتداد بعض الشواطىء النائية لساحل ظفار. كما توجد أيضاً السلاحف البحرية (إنترموتشيليز إمبريكاتا) المرتبطة عادة بالحيود المرجانية ولكنها ليست بهذه الوفرة. وعلى الرغم من أن عدد هذه السلاحف التي تقيم عشها في منطقة محدودة من شاطىء جزر الديمانيات يبلغ ٣٠٠ سلحفاة فقط فإن لهذا العدد مغزى هاماً بالنسبة للتعداد الكلي في العالم لهذه السلاحف المهددة بالانقراض.

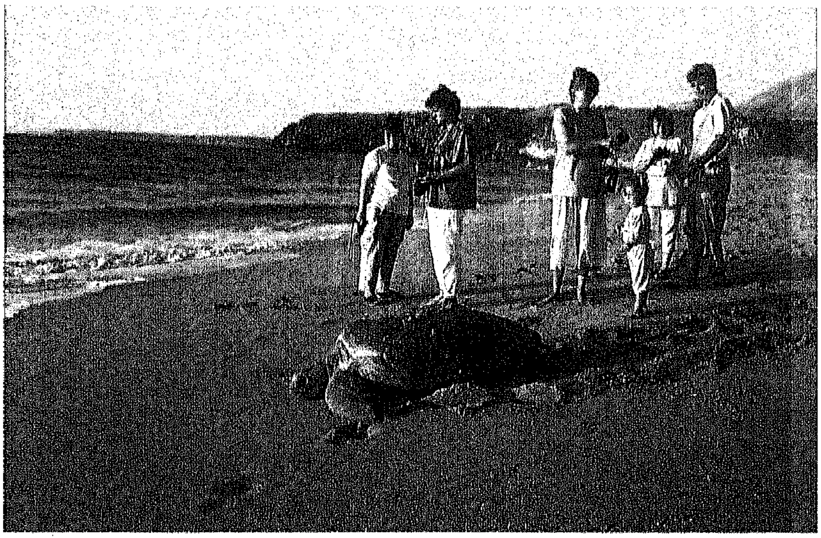
وتلك هي الذريعة التي تبرر غلق جزر الديمانيات أمام الزوار أثناء موسم التكاثر في فصل الصيف. كما توجد أيضاً السلاحف الزيتونية (ليبيدوتشيلز أولفاسي) التي تعتبر أندرمن النوع السابق من السلاحف حيث تقيم مائة أنثى منها فقط أعشاشها كل عام بالقرب من مصيرة في حين تقوم بضعة أخرى منها باقامة أعشاشها على امتداد شواطىء ساحل ظفار.

وأخيراً هناك السلاحف البحرية الجلدية الظهر (ديرموتشيليز كورياسي) التي لا تقيم عشها في عمان لكن يمكن مشاهدتها وهي تتغذى على أسماك قنديل البحر في المياه البحرية العمانية.

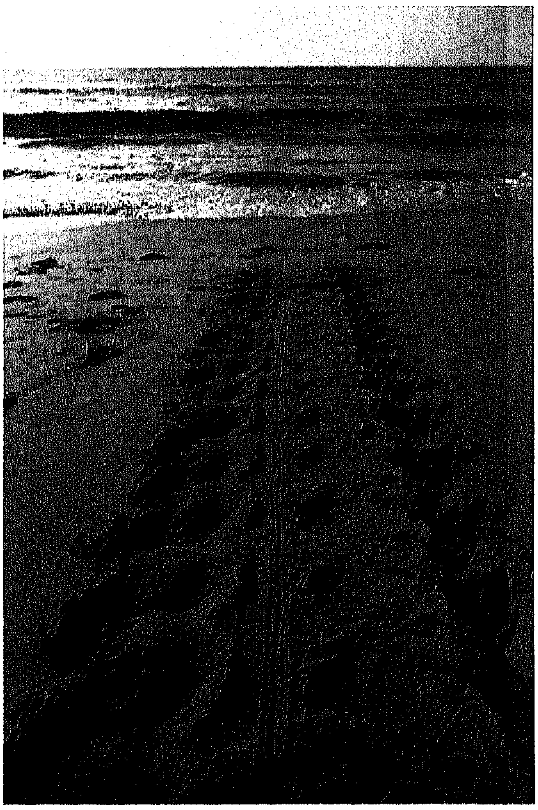
لقد ظلت دورة حياة السلاحف غامضة حتى وقتنا الحاضر. وبينما نعلم مثلاً، أن إناث السلاحف الخضراء الكاملة النمو والتي يبلغ عمرها ٣٠ سنة أو أكثر تعود إلى الشواطىء التي خرجت فيها من بيضها، فإن درايتنا بما يحدث لها من وقت خروجها من البيضة وحتى تصل إلى مرحلة النمو الكامل محدودة للغاية.

ولا توجد سجلات أو شواهد كثيرة عن رؤية صغار السلاحف الخضراء على الرغم من القول بأن صيادي

الروبيـان في الخليـج عندمـا يسحبون شبـاكهم فـوق طبقات الأعشـاب البحريـة يصطادون أيضـا (ويقتلون) السلاحف الخضراء الصغيرة. كما أنـه من الواضح أيضاً أن السلاحـف الخضراء من كـلا الجنسين تهاجـر إلى شـواطىء التعشيـش حيث تضـع الانـاث البيض ويتـم تزاوج الجنسين أيضاً. وبينما لا تعـاني ذكور السلاحف



مشقة جرّ حملها الثقيل والانسحـاب إلى الأراضي الجافة وبالتالي فمـن النادر رؤيتها فإنها تظل تحـوم في المياه الضحلة المحيطـة بالشواطـىء التي تضـع عليهـا الاناث بيضها فـي انتظار وصـولها مـن عرض البحـر ليقومـوا بمهاجمتها مـن مكامنهم في المياه الضحلة فـور عودتها مجهـدة من وضـع البيـض. ومـن السـهل التمييـز بيـن الجنسين فـالذكر يتميـز بذيل طـويل بصورة ملحـوظة وبمخالب مقوسـة عند أكواع الزعانف الأمـامية. وبمجرد الانتهاء من وضـع البيض في غرفتـه الرملية مدفـوناً في الرمـل الجاف والدافـىء بعمق متر كـامل أو أكثر، فـإنه يستغرق حوالـي شهرين قبل أن يفقـس وتخرج الصغار

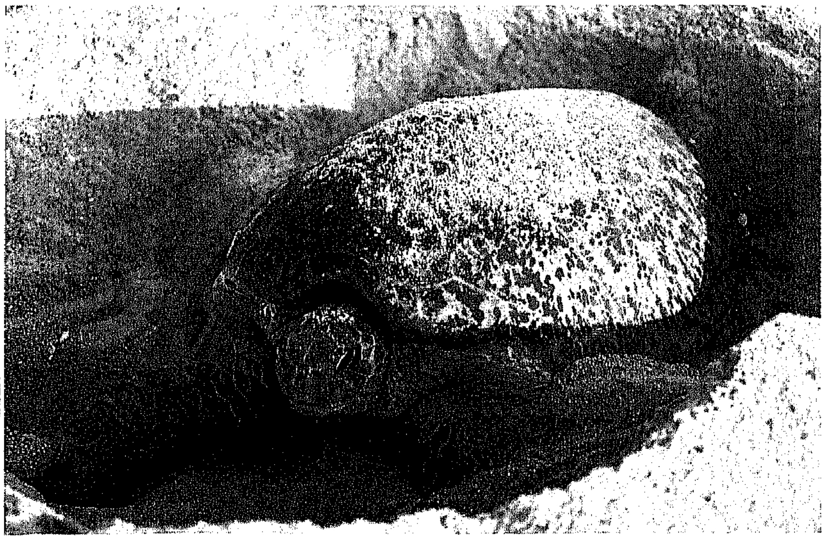


منه. وتميـل صغار السلاحـف إلى الخروج مـن البيض جماعات أثنـاء الليل وليس أثناء النهار وتتحـرك مرتجفة حتى تصل إلى البحر بأسرع ما يمكن. وفي هذه المرحلة تكـون فـي أضعف حـالاتهـا وتكـون عرضـة لتنهشهـا الثعالب والكلاب المتوحشة والسلطعونات (السرطانات) الشبحية وطيـور النورس. وبمجـرد أن تصبح فـي الماء تسبح إلـى داخل البحـر وتكتسب مفاتيـح معرفـة ألغاز الاتجاهات من خلال تحركـات الأمواج وتعيش في مهدها على مخلفـات كيس المـح (الجزء الأصفـر من البيـض). وسرعان ما تختفي عن البصر، بـالرغم من وجود شواهد كثيرة توحـي بأن المرحلة الأولـى من حياتها هـي مرحلة التعلق أو الطفـو في المياه منسـاقة مع تيـارات المحيط وتتغذى على الكائنات الدقيقـة التي تصادفها في البحر. وبعد إنقضاء عام كامل تعود صغار السلاحف إلى المياه الضحلة حيـث تتغذى على الحياة البـرية الموجـودة في قاع البحـر وتنمو بصورة بطيئة حتـى تصل إلى مـرحلة النمو الكامل.

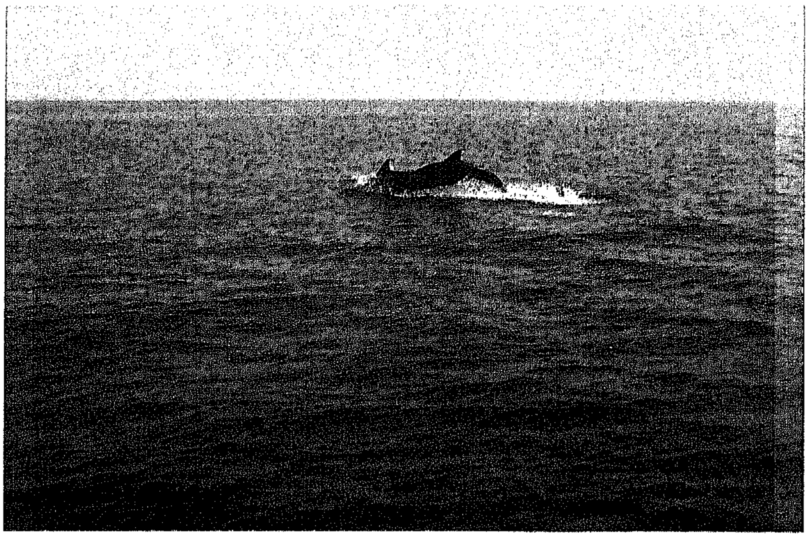
يعتبر شاطىء رأس الجنيز من الأماكن المفضلة والشائعة لمشاهدة السلاحف الخضراء وهي تقيم أعشاشها هناك أو تعود إلى البحر.

جهة اليمين: آثار أقدام السلاحف في رأس الجنيز.

سلحفاة خضراء تتسلق خارجة من عشها في رأس الجنيز.



هان وجينز اريكسين



الثعابين البحرية

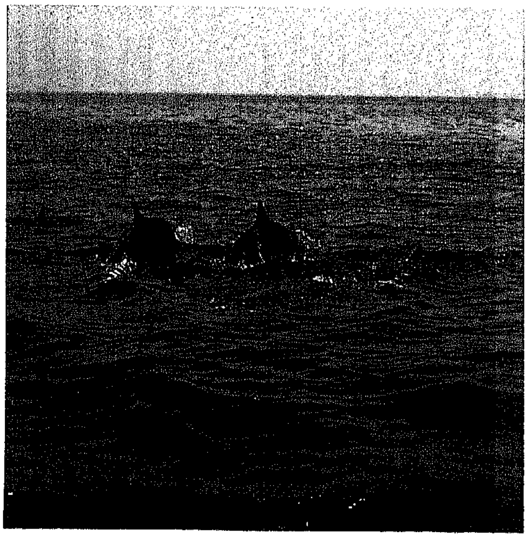
باستثناء السلاحف، يوجد في عمان نوع آخر من الزواحف البحرية، هو الثعابين البحرية. وتعتبر الثعابين البحرية ذات الجلد الأخضر (بيلاميس بلاتوروس) من الكائنات التي تتغذى فوق سطح الماء، ويمكن تمييزها من لون ظهرها القاتم المتنوع الأشكال (أصفر قاتم أو أخضر أو رمادي مقلم أو منقط) وبطنها ذي اللون الأصفر الفاتح. وهو سام مثل غيره من الثعابين البحرية الأخرى ويمكن أن يتسبب في الوفاة على الرغم من أنه غير شرير وتوجد أنيابه السامة في مؤخرة الفك. وهذا النوع من الثعابين البحرية هو النوع الموجود غالباً في البحر بالقرب من مسقط.

الثدييات البحرية

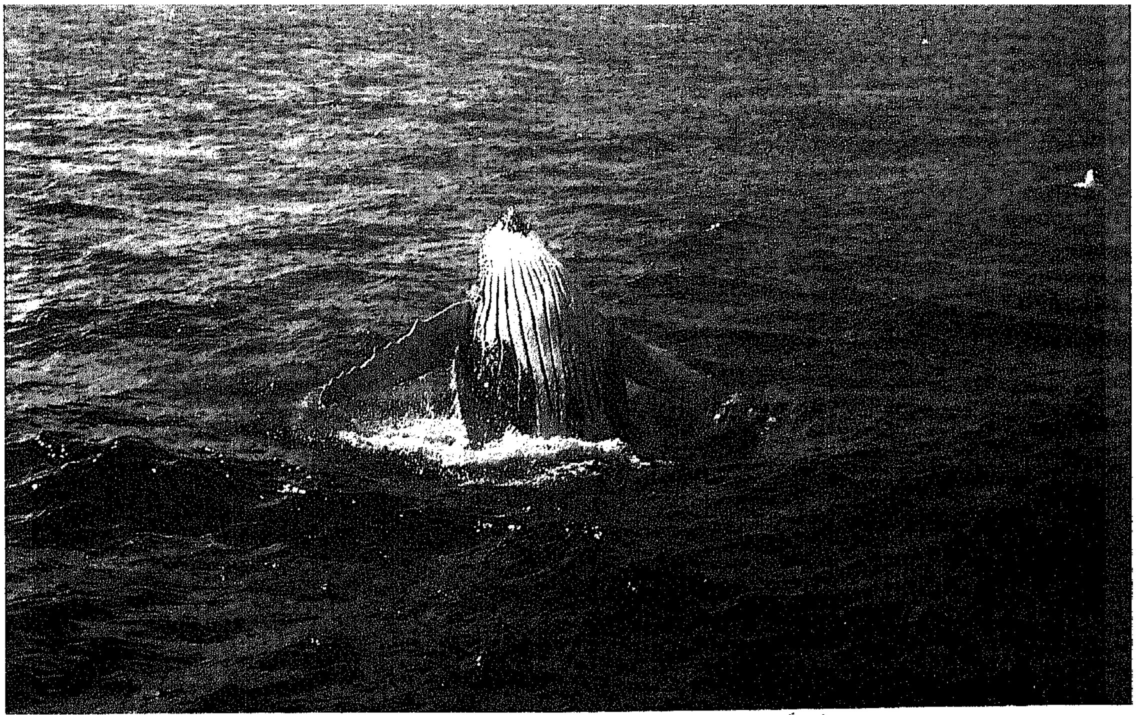
تثير الثدييات البحرية العمانية اهتماماً كبيراً بين الجمهور، وهي تتضمن أعداداً كبيرة من الدلافين التي تعيش في المياه الساحلية وهي الدلافين ذات الأنوف الشبيهة بالزجاجة والدلافين العادية والدلافين اللولبية ودلافين ريسو والدلافين المحدبة الظهر الهندوباسيفيكية إلى جانب تسعة أنواع من الحيتان وهي الحوت القاتل الزائف والحوت القاتل وحوت العنبر وحوت العنبر القزم وحوت كوفير ذو المنقار والحوت المحدب الظهر وحوت «برايد» والحوت «سي» وحوت المنك وربما أيضاً الحيتان الزرقاء وذات الزعانف. وقد شوهد الحوت الأزرق، الذي يعتبر أضخم الحيوانات التي عاشت على ظهر المعمورة حيث يزن حجمه ضعف حجم أصغر الحيوانات الحيتانية ثلاثة آلاف مرة ويبلغ وزنه ما يعادل وزن ألفي شخص، في عمان لآخر مرة في سنة ١٩٨٦م. وهو حوت يعيش في المحيط الجنوبي ومهدد بالانقراض بشدة. إن إضافة صالة جديدة للحيتان في متحف التاريخ الطبيعي في عمان هو دليل على وجود أنواع عديدة من هذه الثدييات الجميلة وشاهدٌ على اهتمام الدولة والمجتمع بها.

وإذا قام المرء برحلة قصيرة بالزورق إلى خليج مسقط في المنطقة الواقعة بين جزيرة الفحل واليابسة فمن المحتمل أن يشاهد جماعات من الدلافين سواء من النوع ذي المنقار الشبيه بالزجاجة أو النوع اللولبي العادي. إن منظر مائة دلفين أو أكثر من الدلافين اللولبية وهي تقفز في الهواء وتلتف أثناء تحركها في مجموعات كبيرة على بعد عدة أمتار من الزوارق في الغالب هو من مشاهد الحياة البحرية التي تعلق في الذاكرة إلى الأبد. وتميل الدلافين اللولبية إلى أن تعيش في المناطق المائية المعتدلة والعميقة وهي من الحيوانات المألوف رؤيتها في منطقة مسقط وهي تسبح في محاذاة الشاطىء حيث تتسابق مع أسماك التونة. وهي غالباً ما تصاحب جماعات الدلافين العادية، لكن بينما أن الدلافين العادية تندفع للأمام وهي تستنشق الهواء فوق سطح الماء فإن الدلافين اللولبية تؤدى استعراضات رائعة وتقفز باستمرار في الهواء وتدور حول نفسها وهي تتحرك. وهي تتميز بصغر الحجم حيث يقل طولها عن مترين وتتسم بمنقار رفيع شهير أعطاها إسمها البديل وهو الدلافين ذات المنقار الطويل. وبينما تشتهر الذكور ببطن ذي لون قرنفلي فإن اللون القرنفلي الزاهي للأنواع العمانية يوحي بأنها ربما كانت من نوع لم يسبق وصفه من قبل .

وتعتبر الدلافين العادية من أكثر الأنواع التي يصطادها المرء بالقرب من سواحل شبه جزيرة



أعلاه ولجهة اليسار: الدلافين اللولبية بالقرب من مسقط.



جي ترومسون، بلانت ايرث

حوت أحدب يقفز في الماء. من المعتقد أن الحوت الأحدب يعيش في المياه العمانية.

مسقط حيث تختلط، كما ذكرنا آنفاً، مع الدلافين اللولبية. إنها من النوع الموجود في أنحاء المناطق الاستوائية وفي المناطق الدافئة بصورة أكبر من الدلافين اللولبية، وتنمو بأطوال تصل إلى ٢,٦ متراً على الأقل. وقد شوهدت الدلافين المنقطة في بعض الأحيان بالقرب من عمان. إنها حيوانات نشيطة رفيعة الجسم ويصل طولها إلى مترين تقريباً وتتميز بزعانف شهيرة في ظهرها وبمنقار أبيض رفيع. وتميل أشكال النقاط التي أعطتها إسمها إلى التباين بدرجة كبيرة باختلاف أفرادها، لكن معظمها يتميز بنمط تمويهي منقط بنقط كبيرة. إن إسمها الشائع البديل ـ وهو الدلفين ذو اللجام ـ قد نتج عن وجود علامات على الجسم تتميز بعضها وتتخذ شكل شريط يمتد من المنقار إلى رقعة العين وشريط آخر يمتد من الزعنفة. أما الدلافين المحدبة الظهر الهندوباسيفيكية فتسبح عادة في مجموعات صغيرة في المياه الضحلة الموجودة على إمتداد سواحل عمان. وتوفر الزعنفة القصيرة والغليظة الناجمة عن حدبة الظهر علامة واضحة تميزها. وتعتبر الدلافين ذات الأنوف الشبيهة بالزجاجة من الدلافين المعروفة لدى العديد من القراء باعتبارها الدلافين التي شاهدوها في مياه المحيطات وهي تقفز في دوائر وتؤدي بعض الألعاب الاستعراضية. وهي شائعة ومنتشرة في المياه العمانية وتنمو بطول كبير يصل إلى ثلاثة أمتار. وغالباً ما تطفو الدلافين ذات الأنف الشبيه بالزجاجة عند مقدمة الزورق وهي النوع المرتبط عادة بمصاحبة الانسان. أما دلافين ريسو فهي دلافين ذات لون رمادي فاتح طويلة الجسم حيث قد يصل طولها إلى أربعة أمتار وتتميز بمنقار حاد مدور وبجبهة مجعدة وبعلامات على الجسم في شكل خطوط بيضاء متقاطعة تبدو مثل الخدوش أو خربشة الأسنان. ويتميز هذا النوع من الدلافين الكاملة النمو بوجود زعنفة على الظهر طويلة ومقوسة ومدببة. وهي من النوع الذي يعيش في عرض البحر وينتشر في أنحاء المياه الدافئة في العالم ويتغذى على الحبار.

إن هواية مشاهدة الحيتان لم تصبح بعد من المعالم السياحية الجذابة في عمان، لكن يبدومن المحتم أنها ستصبح كذلك قريباً. وإذا رغب المرء في مشاهدة هذه الكائنات المثيرة، فهناك عدة مواقع في عمان لمشاهدتها. ويعتبر مشهد سير مجاميع مشتركة وكبيرة من الدلافين من المشاهد المألوفة في المياه القريبة من مسقط، وبالاستطاعة مشاهدة الدلافين المحدبة الظهر ودلافين المنك ودلافين برايد في فصل الربيع طوال شهري مارس وابريل في نفس المنطقة البحرية تقريباً. كما يمكن مشاهدة الدلافين المحدبة الظهر من اليابسة وهي تتبع مجموعات السردين على إمتداد الساحل وخاصة بالقرب من ساحل الباطنة. كما يقال أنها موجودة طوال العام حول جزيرة مصيرة وبالقرب من جزر الحلانيات حيث تتزاوج وتضع صغارها في شهور الصيف. ويمكن في هذه الأثناء وبالقرب من مناطق الولادة في المياه الضحلة عند سواحل ظفار سماع الدلافين وهي تغني بأصوات تثير الأشجان. وبينما لا يتم رؤية الدلافين القاتلة في عمان إلّا نادراً فإن الدلافين القاتلة الزائفة التي تنمو بأطوال تصل إلى ستة أمتار شائعة هناك. إنها دلافين مفترسة تتغذى على الأسماك والحبار وصغار الدلافين. وقد تم عرض حوت العنبر القزم، الذي تم العثور عليه بالقرب من مسقط في شهر أغسطس عام ١٩٨٩م في متحف التاريخ الطبيعي في عمان وهو ربما المتحف الوحيد في العالم الذي يمكن فيه مشاهدة الهيكل العظمي المتجمع لهذا الحيوان.

وتبحر الحيتان على امتداد الساحل العماني متبعة مناسيب معينة للأعماق وهي تحوم حول لسان الجزيرة العربية في اتجاه الشرق عند رأس الحد حيث يجلبها مسارها إلى «مضيق للحيتان» ضيق نسبياً على مسافة عشرة كيلومترات داخل البحر. كما يقال أن الحيتان تتجمع على امتداد الطرف الجنوبي الشرقي لجزيرة مصيرة خلال الفترة من أبريل إلى يونيو حيث يمكن مشاهدتها قبل أن تهب التيارات الرئيسية للرياح الموسمية الجنوبية الغربية. ولا يزال أمامنا العديد مما يجب أن نعرفه عن تحركات الحيتان وسلوكها في المياه العمانية لكن هناك شواهد كافية بالفعل تؤكد مدى أهمية البلاد في المحافظة على هذه الثدييات البحرية الهامة.

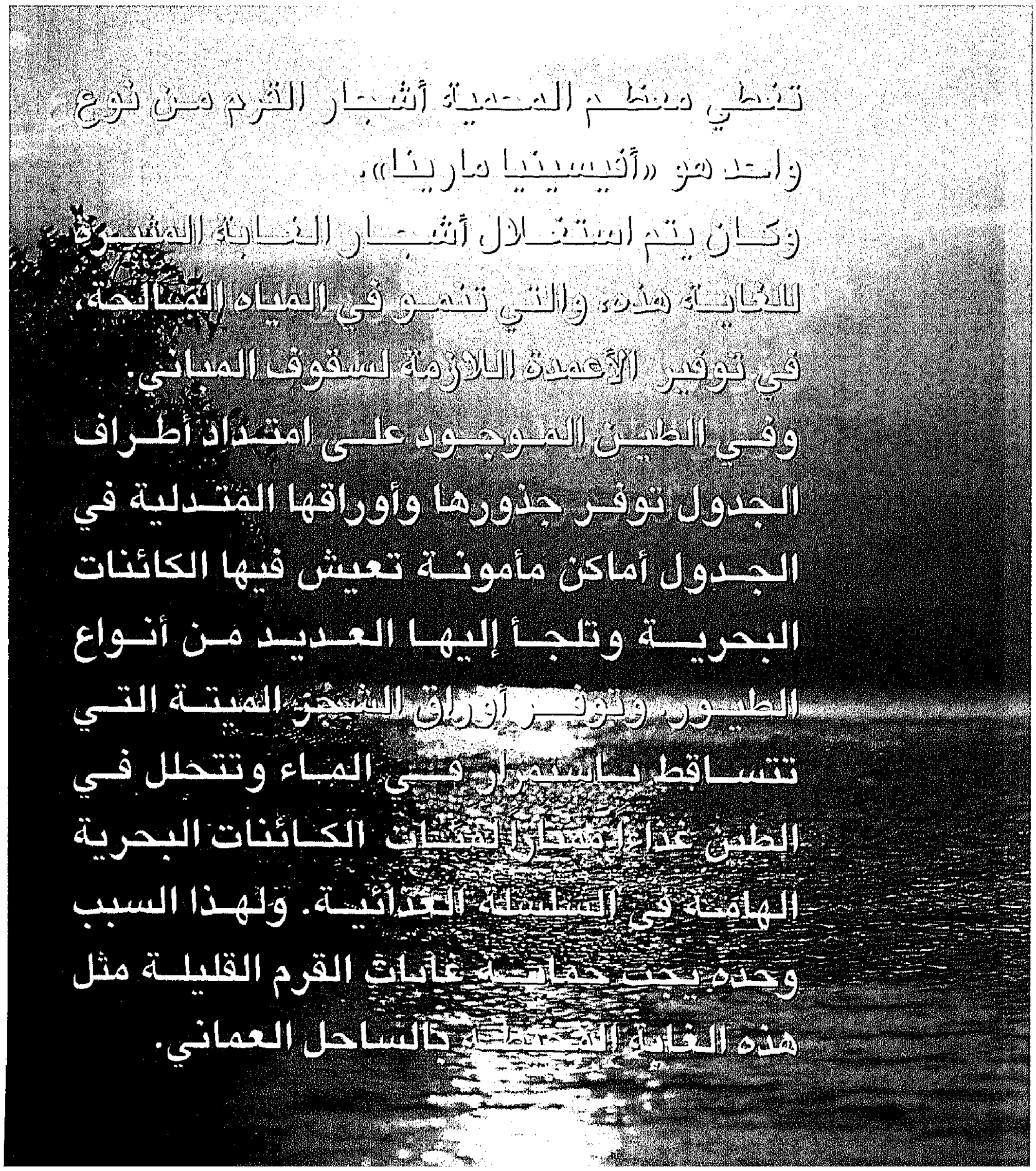
غابات أشجار القرم

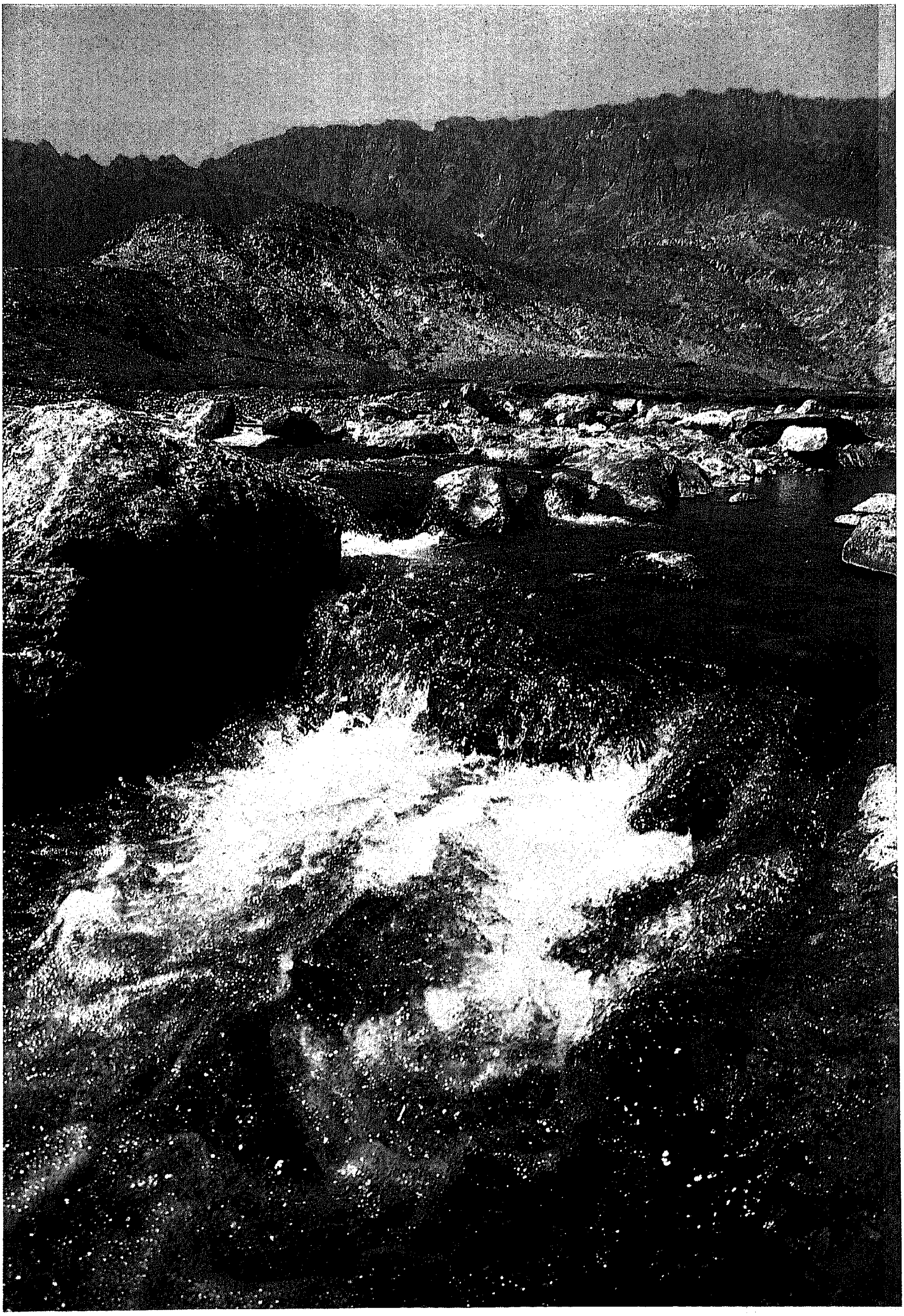
تم في مقدمة هذا الفصل تناول غابات أشجار القرم بصورة موجزة. وقد تمخضت دراسة غابة أشجار القرم والتي قامت بها عالمة التاريخ الطبيعي كاثلين سميث على مدى عدة سنوات عن تأليف كتاب صغير قيم عن مجموعات الرخويات المرتبطة بهذه المستوطنة المثيرة التي تشكل جزءاً من حديقة السلطان قابوس ومن المحمية الطبيعية. وقد أوجزت المؤلفة ببراعة في مقدمة كتابها مدى أهمية مثل هذه الأماكن.

لقد تم استغلال غابة أشجار القرم في القرم لمدة تفوق عن ٦٠٠٠ سنة في جمع الرخويات التي تعيش فيها، وقد تم العثور على أكوام من الصدف ضمن حدودها مع بعض أجزاء خطافات صيد السمك والعقود المصنوعة من الصدف. وكانت أكثر القواقع التي كان استعملها المستوطنون القدماء شيوعاً هي قواقع (حلزونات) الطين الضخمة التي لا تزال متوفرة بكثرة في طبقة الطين السميكة الموجودة عند طرف القرم.

وقد تم في الكتاب الجذاب الذي ألفته كاثلين سميث وصف وتصوير ٨١ نوعاً من القواقع كتذكار لهذه المستوطنة البحرية المنسية في الغالب.

وقد تم أدناه طبع تعليق فوق صورة لغروب الشمس عند غابة أشجار القرم.





الحيـــاة فـــي البـــر

تتسم الحياة في البر في عمان بنفس درجة تنوع وإثارة الحياة في البحر. ويتأثرتوزيـع الكائنات البرية بمجموعة كبيـرة من العـوامل البيئيـة المختلفة التـي تتراوح بيـن العوامل المناخية ونوعية طبقة الأرض التحتية.

ويعتبر الماء العـذب بالطبع من العناصـر الضرورية لجميـع أنواع الكـائنات، وإن كـان بعضـها يتـأقلم علـى العيش بـأقل قـدر من الماء. وتستطيـع بعض الكـائنات الصحراوية، سواء النباتيـة أو الحيوانية، أن تحصل على احتياجاتها من الماء العذب من ندى الصباح الباكر. حتى أن بعض الـدبيات الضخمـة لا تحتاج إلـى تناول المـاء العذب لكنها تستطيع أن تستخلص قدراً كافياً من النداوة من النباتات التي تأكلها.

وتعتبر أبقار المارية (المها) العـربية أحد هذه الأنواع، ولذلك فليس مـن المدهش أن آخر بقرة من أبقـار المارية يتم مشاهـدتها في الطبيعية البـرية في الجزيـرة العربية كانـت تعيش فـي جدة الحـراسيس حيـث يوفـر سديـم (ضباب) البحـر الصيفي الذي تدفعـه الرياح المـوسمية عبر الصحراء النداوة حتى في حالة عدم سقوط الأمطار.

وقد حققـت مشاريع حمـاية البيئـة البرية فـي عمان نجاحاً أكبر من ذلك الـذي أمكن تحقيقه في دول الجزيرة العربية الأخـرى وذلك بفضل جهود واهتمامـات وعزيمة جلالـة السلطان قابـوس بن سعيـد، وبفضل سياســاته الرشيدة الناجحة.

إن الـوصف الـذي ورد فـي صـدر هذا الفصـل عـن الـزيـارة التي قمـت بهـا لمشـروع يعلـوني فـي جـدة الحـراسيس حيـث شـاهـدت أبقار الماريـــة العربيـــة والغزلان تتجول بحـرية تامة دون أن يـزعجها الانسان، ويقوم بحمايتها مجمـوعة من المشرفين من أهـالي جدة الحراسيـس يعطي إنطباعـات شخصية عن مستـوطنات الحيـاة البريـة الفـريدة هذه. ومع ذلك لا يوجـد ما يعبر حقاً عن احساساتي المثيرة وبهجتي لرؤية أبقار المارية الوحشية والغـزلان والوعول وهي موجودة بـأعداد كبيرة وفي بيئـة بكر لـم تشـهد تغيراً كبيـراً منـذ أن بـدأ انسان العصر الحجري يصطـاد في هـذه المنطقة.

في الصفحة المواجهة: تدفق النهر بعد سقوط الأمطار فوق المنبسطات العليا لوادي دوكة.

المنبسطات السفلى بوادي شاب.





جذع شجرة تنوب
يبلغ عمرها ٢٦٠ م
تقريبا تم العثور عل
رمال قاع نهر قديه
الحقف ينتصب الآر
متحف التاريخ الط
العماني.

الحياة النباتية

يوجد عنـد مدخل متحف التـاريخ الطبيعي العمانـي أحد جـذوع أشجار التنـوب المتحجرة مـن رمـال قاع النهـر القديـم في منطقة الحقـف العمانية، يـرجع تاريخـة إلى العصر البرمـي (العصر الأخير من الدهر القـديم) وعلى ذلك فهو يبلغ من العمر مـائتين وستين مليون سنة. وقد اكتشفـت شركـة عمان لتنميـة البتـرول هذه الأحفـورة، وقامـت مدرسـة النقل التـابعة لسـلاح الجو السلطـاني العماني بنقلها إلى العاصمة حيث تم وضعها عند مدخل المتحف في شهر أبريـل عام ١٩٨٩م. إن الحياة النباتية العمانية غنيـة بصورة فريدة، وتضم أكثر مـن ألف نوع مسجل مـن الكائنـات النباتيـة. وقد شجـع هذا التنـوع البيـولـوجـي الكبيـر وجـود مجمـوعـة متنـوعـة مـن المستوطنـات في المناطـق العمانيـة بما في ذلـك منطقة الجبال الشماليـة والمنطقة الوسطى والصحـراء الرملية، وكذلك الظـروف السائدة في ظفار وهي منطقـة تضم ما لا يقل عن ٥٠ نوعاً مستوطناً.

ويوجد أكبـر تنوع لأصناف الحياة النباتيـة في جبال ظفار حيث تم تسجيل وجود ٧٥٠ نـوعاً من بين مجموع الأنواع الموجودة في البلاد بـأكملها وعددها ١٠٤٤ نوعاً. أما أقل تنوع لهذه الأصناف فيوجـد، كما يتوقع المرء، في صحراء الربع الخالي التي تضـم أقل من ٢٠ نوعاً تعيش في الرمال و١٧ نوعاً آخر عند أطراف الصحراء. وقد قام بعض علمـاء النبات بـإجراء دراسـات اقليمية. وفـي هذا الصدد يجـب أن نذكـر الدراســات القيّمة التـي قام بهـا أنتونـي ميللر وميـراندا مـوريسن وسجـلّاها فـي كتاب «نبـاتات ظفـار»، والكتـاب الصغيـر الذي ألفـه جيمـس ماندافيل الصغير ونشره تحت عنوان «الزهور البرية في شمال عمـان»، والأعمال الجليلـة التي قـام بها مشـروع رملة الوهيبة تحت رعايـة الجمعية الجغرافية الملكية وهو المشـروع الذي قـام مـن خـلاله كـوب ولـوري ووارن ومونتون بـدراسة النواحي المختلفة للحياة النبـاتية في رملة الـوهيبة، والتقـارير الخـاصة بـاستقصاء الحيـاة النباتيـة والحيوانيـة العمانية التـي كتب فيهـا مانـدافيل وريد كليف ـ سميث أبحاثاً تتعلق بهذا الموضوع.

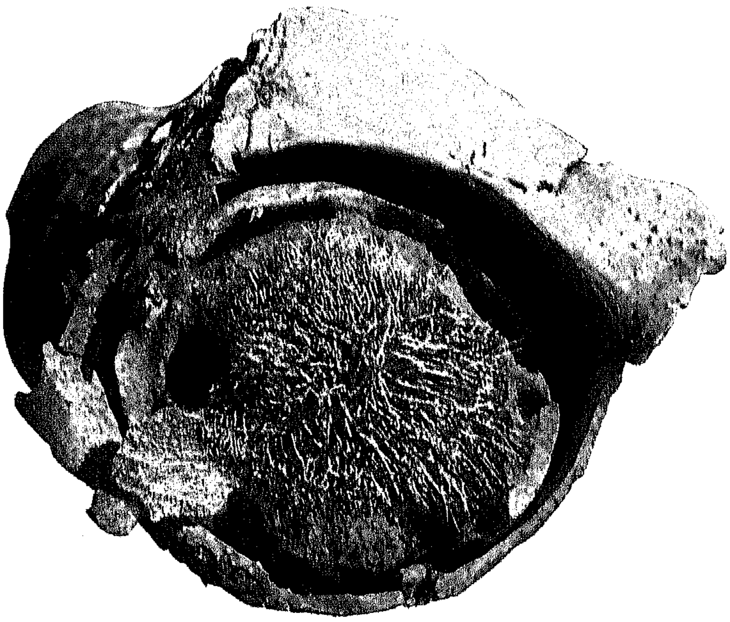
وبالاضـافة إلـى ذلك قامـت شاهينة غـزنفار بـانتاج «الدليل المفسر للنباتات الوعـائية العمانية» وكتابة بحث عن النبـاتات الطبية في شمـال ووسط عمان بـالاشتراك مع الكاتب أحمد محمد علي الصباحي. كما كتبت شـاهينة غزنفـار بحثاً آخـر حددت فيـه بعض المنـاطق النبـاتية ومجاميع النباتات المنقرضة في عمان.

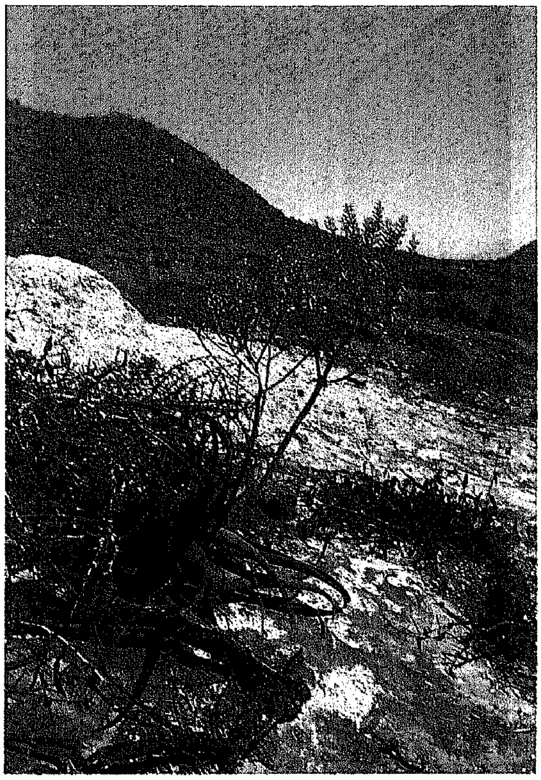
وتشير الدراسـات الأخيرة إلى خارطة الحيـاة النباتية العمانيـة والتي تـم إعدادهـا كجزء مـن الدراسـات التي قـامـت بهـا هيئـة IUCN (جـي. ئي. كـلارك، ١٩٨٦). ويوحـي هذا التصنيف المنطقـي المبني على ٣٧٢ نـوعاً مسجلاً من النبـات بوجود تسعة مناطـق رئيسية للحياة النباتيـة وهي مناطق نبـاتات الجبال الشماليـة، وفصيلة أشجـار السنـط الخفيضـة، وفصيلـة أشجـار السنـط



المفتولة ، وفصيلة أشجار السويداء والنباتات السعدية، وفصيلة أشجار السمر التي تشمل أشجار السمر الجنبي وأشجار السمر المصغر، وفصيلة أشجار الشيشلان الرمادية وأشجار الأرطي (من الفصيلة البطباطية)، وفصيلة أشجار السمر «الزيغوفلون» (الفصيلة القدسية) و«الهيلوطروبيون» (رقيب الشمس) والمراعي الطبيعية شبه الصحراوية، وغابات الجرف الجنوبي ونباتات السهول.

وتعتبر أشجار الشيشلان الرمادية من أهم الأشجار بالنسبة للبدو القاطنين في الصحراء، فهي نوع فريد من الأشجار ينمو في أكثر المناطق الصحراوية جفافاً ويساعد في تهدئة العواصف ويوفر الظل اللازم للانسان والحيوان. وبالاضافة إلى ذلك يوفر هذا الجنس من الأشجار الطعام للحيوانات والحطب المستعمل كوقود للطهي، وتتميز جذور هذه الأشجار بأنها طويلة بصورة غير عادية وتمتد في بعض الأحيان لمسافة تزيد عن ٦٠ متراً تحت سطح الأرض لتصل إلى المياه الباطنية. إن اعتماد هذه الأشجار على الطبقات الصخرية المائية العميقة بدلاً من مياه الأمطار السطحية يتيح لها أن تنمو وتحافظ على وفرة أوراقها وعلى إنتاج بذورها حتى في فترات القحط. وقد أدت الخشية من الافراط في قطع واستغلال أشجار الشيشلان في عمان إلى الدعوة إلى تطبيق بعض اجراءات الحماية خاصة وأن هذه الأشجار لا تخدم الانسان فحسب بل توفر مستوطنات فريدة للحياة البرية وأن نزعها من المناطق الصحراوية له تأثير سلبي كبير. ويتم الآن استعمال هذه الأشجار كجزء من برنامج التشجير في عمان. وعندما تطغى الرمال على غابات أشجار الشيشلان فإنها تساير تراكم الرمال عن طريق النمو الانباتي الجانبي والرأسي. وفي الواقع فإن غابات الأشجار المتخلفة هذه هي من آثار الغابات الأصلية التي ازدهرت في عمان خلال العصر الجليدي الأخير منذ ما يربو على ١٢٠٠٠ سنة مضت، ولذلك لا







تبدو عليها الخصائص العادية للمحافظة على الماء التي تبدو على معظم النباتات الصحراوية الأخرى. بل أنها ترشح بحرية طوال اليوم عن طريق أوراقها وهي من الخصائص التي قد تسبب جفاف معظم أجناس النباتات الأخرى التي تنمو في هذه الظروف البيئية الجرداء في وقت سريع. لكن أشجار الشيشلان تعوض ما تفقده من ماء بسحب المياه الباطنية عن طريق شبكة جذورها الكثيفة. إن الخطر الكبيرالذي قد يؤثرعلى بقاء هذه الأشجار الرائعة، التي ينطوي وجودها على مفارقة تاريخية هامة، هو أن ضخ الماء الباطني من الآبار سوف يؤدي إلى إنخفاض منسوب المياه الباطنية إلى حد لا يصل إليه مستوى تغلغل الجذور في باطن الأرض. وقد لعبت النباتات دوراً طبياً هاماً في حياة الشعب العماني على مر آلاف السنين. ويعتقد بعض الناس أن الأدوية العشبية وطرق المداواة التقليدية لا يزال لها دور هام في توفير الرعاية الطبية العامة.

وبينما قضت الأدوية الحديثة على الحاجة إلى الاعتماد الكلي على هذه الأساليب الطبية إلا أنه لاتزال هناك خبرات واسعة وثقة كبيرة في المهن التقليدية للمداواة بالأعشاب.

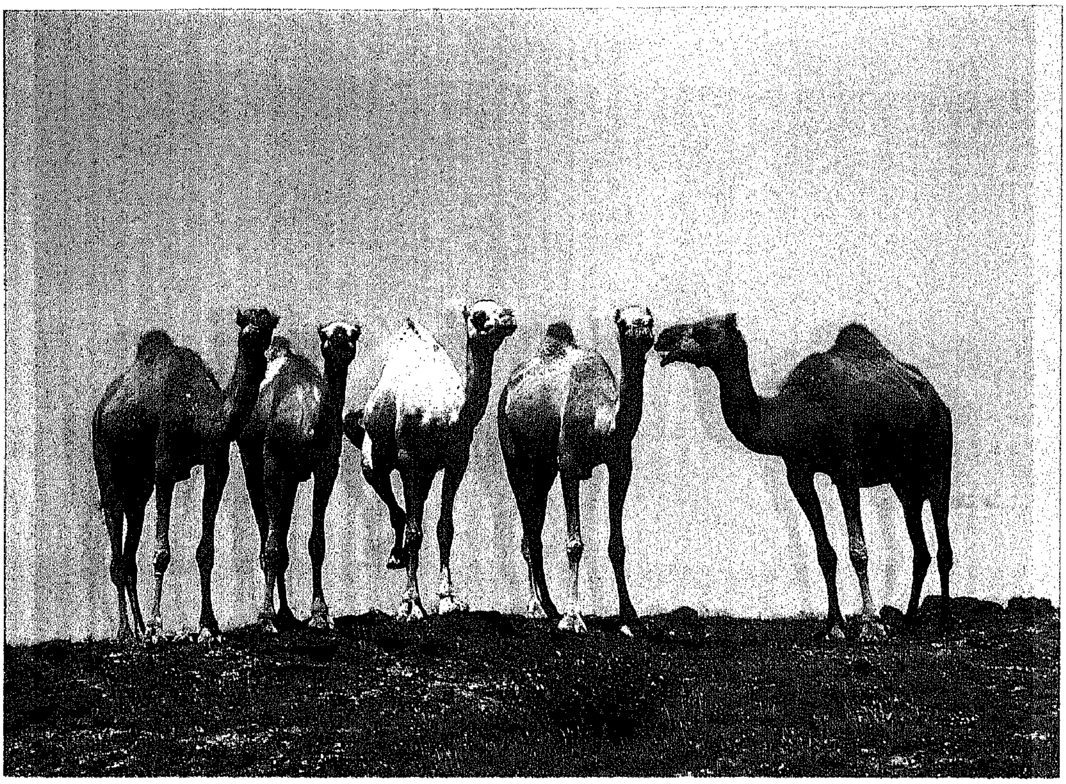
وقد تمت كتابة أبحاث كثيرة حول هذا الموضوع من قبل عاتب الشعبي «الطبيب» (١٩٨٠)، وشاتي (١٩٨٤) وميللر وموريس (١٩٨٨) وغزنفار (١٩٩٣).

الديناصورات

قبل أن تطأ أقدام الانسان التراب العماني بفترة طويلة وعلى وجه التحديد منذ خمسة وستين مليون سنة مضت كانت الديناصورات تجوب المنطقة التي تشكل الآن السهل الساحلي العماني. وقد جمع الدكتور سمير حنا وبراين كليسولد في شهر نوفمبر ١٩٨٢ أول دليل على أن هذه الزواحف الضخمة كانت تعيش في عمان وذلك أثناء تسلقهما صخور الجبل بالقرب من فنجا. وكانت العظام التي عثرا عليها هي أول دليل على أن الديناصورات قد عاشت في بلاد الجزيرة العربية. وقد عثرا أيضاً مع عظام الديناصور على عظام بعض السلاحف والتماسيح التي ترجع إلى عصر ما قبل التاريخ. وعلى الرغم من عدم التمكن من تأكيد أنواع الديناصورات التي عاشت في عمان، فقد أمكن تمييز العظام التي تم العثور عليها حتى الآن بأنها خاصة بالديناصورات «أورنيثيستشيا»،وهي ربما من أعضاء الديناصورات البلاتبوسية وهي ديناصورات عدّاءة قوية تقتات بالأعشاب.



أندرو سبالتون



هان وجينز إريكسين

جمل عربي (وحيد السنام) في ربوع جبال ظفار.

الثدييات البرية

تتضمن الثدييات البرية الضخمة المتوحشة الموجودة في عمان، الذئب وثعلب روبيل الرملي والثعلب الأحمر والثعلب الأشيب (ذو اللون الضارب إلى الأبيض) والنمس ذا الذيل الأبيض والضبع المخطط والقط الوحشي والقط الرملي والوشق والنمر والوبر (الزلم) الصخري والغزال العادي والغزال السعودي والغزال الرملي والمارية (المها) والطهر العربي والوعل والغرير أو الراتل آكل العسل والشيهم الهندي.

وللأسف فقد انقرضت الأسود والفهود الصيادة من الجزيرة العربية، بينما تتشبث النمور بالحياة في بضعة أماكن قليلة في الجبال في مسندم وفي جبل سمحان في ظفار. ويبدو أن النمر العربي قد استطاع البقاء على قيد الحياة في عمان اعتماداً على صيد الوبر (الزلم) والأرانب الوحشية والقوارض والزواحف والطيور. ويعرف حيوان الوشق محلياً باسم عناق الأرض، وقد قام متحف التاريخ الطبيعي العماني باختياره شعاراً له تقديراً واعترافا بشجاعته وجسارته وقدرته القوية على التحمل ونبالته كممثل للحياة البرية الغنية في عمان. وهو يعيش في السهول الصخرية النجدية حيث استطاع البقاء على قيد الحياة اعتماداً على صيد القوارض والطيور والأرانب الوحشية وأحياناً الغزلان التي يهجم عليها في الغسق. وقد تم استئناس الجمال ولم تعد تعتبر من الحيوانات المتوحشة بالرغم من أن عمان كانت أحد مواطنها الأصلية.

ويعتبر حيوان الوبر أو الزلم الصغير من الأنواع المثيرة لفصيلة الحيوانات الثديية العمانية الصغيرة لأنه آخر من بقي على قيد الحياة من مجموعة الثدييات التي تقتات بالأعشاب والتي استوطنت في أفريقيا وجنوب أوراسيا منذ ٤٠ مليون سنة. إن سر بقاء الوبر على قيد الحياة،على عكس انقراض جميع أقربائه، يكمن في مقدرته على العيش دون أن يشرب الماء العذب وأن يعيش على القليل من الغذاء. ويمكن العثور على هذه الثدييات المنعزلة الليلية القديمة من ذوات الحوافر في المستوطنات الموجودة تحت الأحجار المتساقطة عند باطن تلال الجبال الجافة في منطقة ظفار. وكما جاء آنفاً، فهي تقتات الأعشاب لكنها تتغذى أيضاً في بعض الأحيان على النباتات التي قد تكون سامة للحيوانات الأخرى، وتكمل غذاءها الهزيل بتناول الحشرات.

ومن بين الثدييات الصغيرة يوجد ١٤ نوعاً معروفاً من القوارض في عمان، وهي تشكل مجموعة ناجحة على وجه الخصوص وتستوطن في مستوطنات متنوعة بما في ذلك المستوطنات الصحراوية. ومعظم أنواع هذه الثدييات هي حيوانات ليلية ونادراً ما يتم مشاهدتها أثناء النهار.

ويتميز حيوان اليربوع ذو الأصابع الثلاثة بقدمين خلفيتين طويلتين تتيح له أن يهرب بمهارة كبيرة من مفترسيه، ويقفز قفزات شبيهة بقفزات حيوان الكنغر الاسترالي الصغير. وتساعده قدماه المعنقدتان على التشبث بثبات فوق الرمال السائبة. أما الفأر الشائك فيعتبر أحد الثدييات الصغيرة المتأقلمة على الحياة في الصحراء حيث يتغذى على البذور الجافة. أما حيوان

اليربيل «تشيزمان» (وهو مــن فصيلة الفأر) التشيزماني فهو من الثدييات الصغيرة الأخـرى المتأقلمة على الحياة في الصحراء الرملية حيـث يعيش في الجحور ولا يخرج منها سوى أثناء الليل.

ومن نـاحية أخرى يعيش حيـوان اليربيل «فـاجنرز» فـي المستوطنـات الصخريـة. أما الجيـرد «صنديفـال» فيعتبر مـن القوارض الصحـراوية الشـائعة التـي يمكن التعرف عليها بسهـولة من شكله الرمـادي البني الشبيه بـالفأر وعينيـه الواسعتيـن وذيلـه المعنقد ذي الطـرف الأسود المميز. وهو يفضل الحيـاة في الصحراء الرملية حيث يقيم جحره أسفل الشجيرات الشائكة.

أمـا آكلات الحشـرات فتتضمـن حيوانـات الـزبابـة المنزليـة (الشبيهة بالفأر)والـزبابة الأصغـر حجماً ذات الأسنـان البيضاء والـزبـابة الصـومـالية ذات الأسنـان البيضاء والقنفذ الحبشي والقنفذ الأسود.

وتقيم أكبـر أنواع الخفـافيش العمـانية حجمـاً، وهي الخفافيش المصرية التي تقتات الفواكه والمعروفة باسم «الثعلب الطـائر»، في كهوف الجبـال العالية وتهبـط إلى بسـاتين الفـواكه المـوجـودة في المنـاطق المنخفضـة لتحصل على غذائها.

أما الخفافيـش العمانية الأخرى فتتغـذى جميعاً على الحشرات لا على الفواكه، وهي تتضمن الخفاش ذا الذيل الشبيه بـذيل الفأر والموجـود في منطقة طوي عتيـر في ظفار والخفـافيش الايـرانية ذات الأنـف الشبيه بـأوراق النبات والتـي تقوم أوراق أنفها الشـوكية الثلاث بتـأدية وظيفة عكس الصوت المرتبط بـالملاحة. وهي تعيش مع الخفـافيـش القـارضـة في قنـوات أنظمـة أفـلاج الـري الموجودة تحت سطح الأرض.

أما خفافيش «همبريتش» ذات الأذن الطويلة فهي من نوع الخفافيـش الصحراوية التي تعيـش في الكهوف أو الشقوق المـوجودة في التلال الصخـرية أو في المبـاني المنعزلة المهجورة.

وتتضمن الثـدييات الصغيـرة الأخرى بعـض الأنواع الفرعية المختلفـة لأرانب «كيب» الوحشيـة المنتشرة في منـاطـق الصحارى الرملية والصخـرية في عمـان والتي يظهر عليهـا بعض التبـاين بين الجنـس الواحـد، حيـث يتميـز بعضها بـأذن طويلـة بصـورة لا تتناسـق مـع جسمه كنـوع من التأقلـم على تشتيت الحـرارة. وتتموه أجناس هـذه الأرانب الـوحشية التـي تعيش فـي الرمـال بلحـاء بلون الـرمل وينبـت شعـرها عنـد اخمص القـدم ليساعدها في التشبث بثبات.



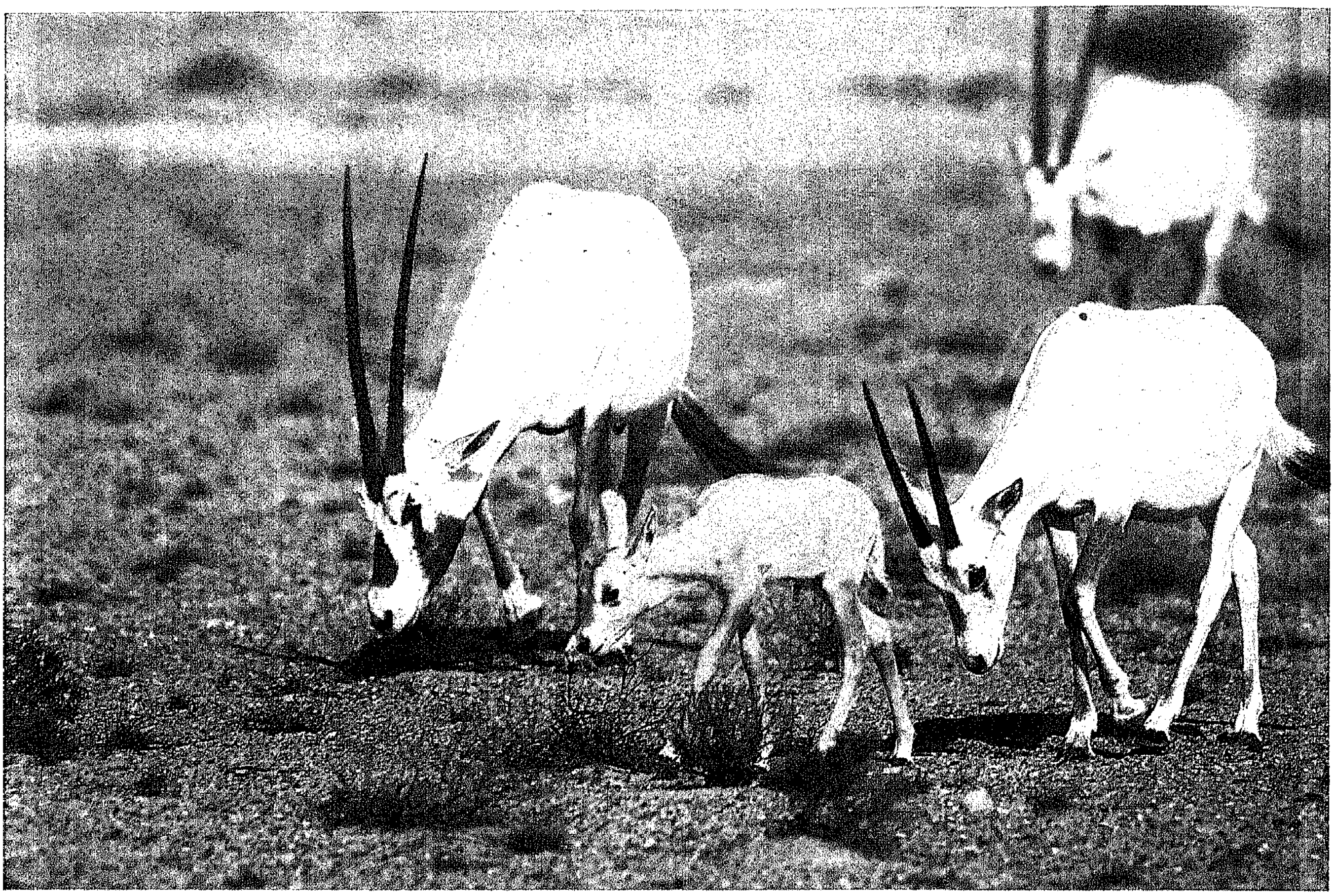
ماعز يشرب الماء من بحيرة في الأنصب. للأسف تسببت الماعز في تدمير العديد من المستوطنات في أنحاء الجزيرة العربية.

أبقار المارية (المها) العربية

يعيش في عمان ٧٥ نوعاً من الثـدييات، لا يوجد من بينها ما هو أفضـل من أبقار المارية البيضاء أو أبقـار المارية العـربيـة عندمـا يتعلـق الأمـر بـالتـأقلم مـع الظـروف الصحـراويـة حيـث تسـاعدهـا خصـائصهـا البـدنيـة والفسيولـوجية والسلـوكية علـى أن تعيش فـي منـاطـق الجزيـرة العربية التـي لا تستطيع أن تعيش فيهـا سوى بضعة أجناس مـن الثدييات الأخرى، إن وجـدت. ويرجع أحد العـوامل الرئيسية لهـذا التأقلم إلى تحمـل التقلبات الكبيرة جداً فـي درجات الحرارة التي تتعـرض لها والتي



قطيع من الحمير بالقرب من البيح.



هان وجينز إريكسين

أبقار المارية (المها) في يعلوني.

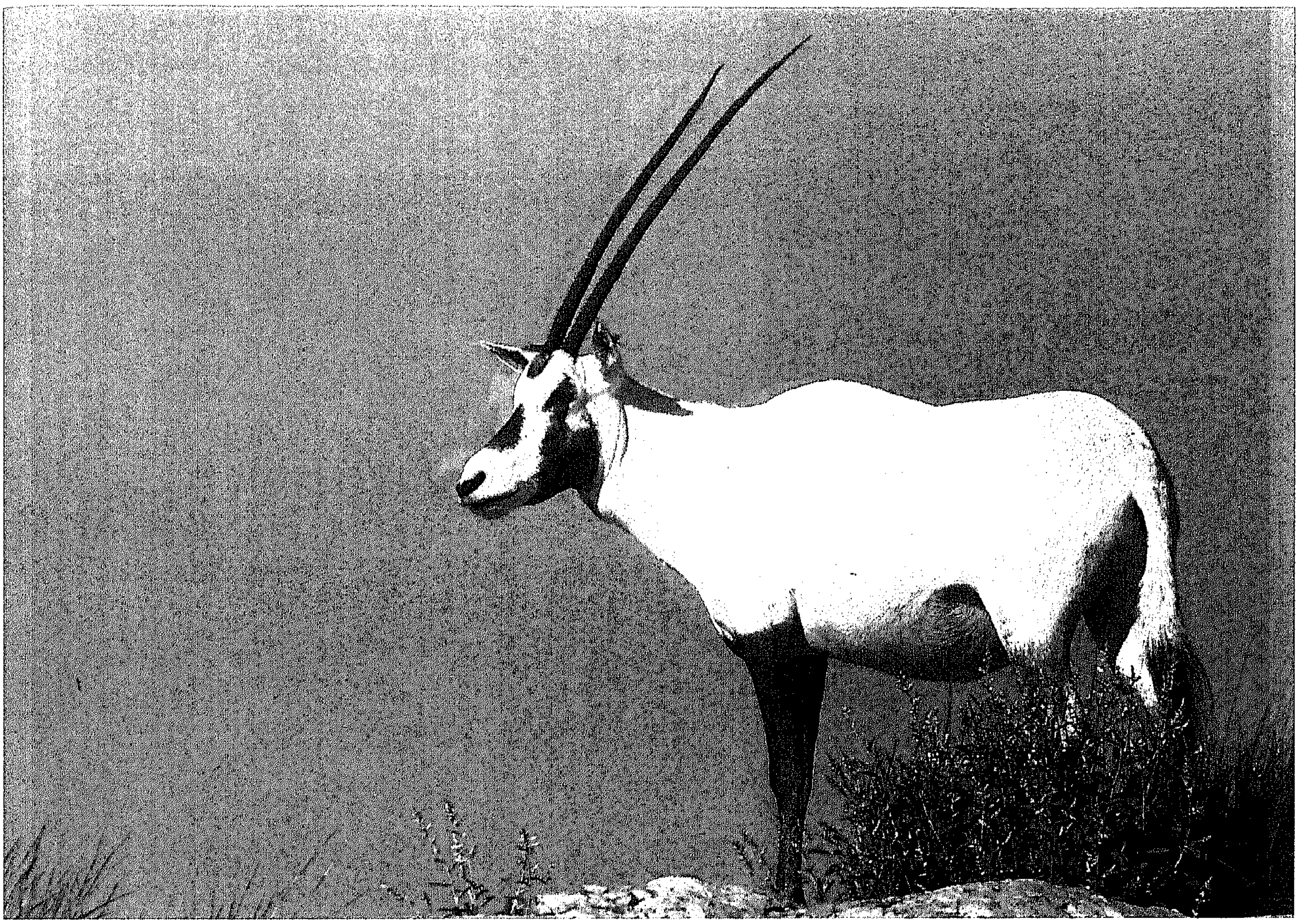
تتراوح بيـن ٥٠ درجة مئـوية ودرجـة الصفر (التجمـد) تقريبـاً. ويتغير شعـر جسمها حسـب الموسـم فيصبح طويـلاً وغزيـراً في فصل الشتـاء ليمكنها مـن أن تحمي نفسها ضد الرياح الباردة.

وعندما تنخفـض درجات الحرارة تقف أبقـار المارية في اتجـاه الشمس وتـرفع فـروة شعرهـا فتكشف عـن جلدها الأسـود الذي يمتص الحرارة. وغالباً مـا يتم رؤية هذه الأبقار وهـي تقف في هذا الوضع فـي أوقات النهار وبعد الظهر في أثناء فصل الشتاء.

ولتفادي فقدان الحرارة دون داع في أثناء الليل تختار أبقار المـارية أمـاكن مستتـرة ومحمية مـن الريـاح عند أكوام الـرمل أو تجمعات الشجيـرات لتأوي إليهـا. وهي تتميز بعيون غائرة وبذلك يتـم حمايتها من وهج الشمس نتيجـة للظـل الـذي يـوفـره الضلـع العظمـي البـارز. وبالاضـافة إلـى ذلك فهي تتميز بأهـداب طويلـة وغدد دموع نشطـة تساعدهـا على حمايـة عينيها من الـرمال المتطايـرة وتتيح لها مواصلـة تناول الغذاء أثنـاء هبوب العواصف الرملية.

وتميـل أبقار المـاريـة فـي ظروف درجـات الحـرارة العالية في فصل الصيف إلـى أن تكون أكثر نشاطاً أثناء الليل وتختفي أثناء النهار مـن وهج الشمس. وهي تتمتع بمقدرة عجيبة على العيش لفتـرة طويلة دون شرب الماء العذب. وفـي تلك الأوقـات تعوض احتياجـاتها لمـوازنة الماء بصورة صحية عن طريـق النداوة التي تمتصها من تناول النباتات التي تجذب نـدى الصباح الباكر والسديم (الضباب) الموسمي مثل تلك النباتات التي تنمو في جدة الحراسيـس. كما أنهـا تميل إلـى التخلص مـن غطائهـا الشتوي في فصل الربيع عنـدما تبدأ درجات الحرارة في الارتفاع ويصبح لونها أكثر بياضـاً ونعومة مما يعزز من مقدرة لحيتها علـى تشتيت الحرارة. ومن عيـوب ذلك أنه يجعل بقـرة المارية مـرئية بوضـوح في الطبيعة البـرية حيث يعكـس شعـر جسمها الأبيـض الضوء كالفنـار في أفق الصحـراء ويجعلها هـدفاً جلياً للأسـود المفترسـة والفهود الصيـادة التي كانت تجـوب هذه الأراضـي يـوماً وصيداً سهلاً للصيـادين من بني البشر. وبالاضـافة إلى أن شعـر جسمهـا يساعدها علـى تشتيت الحرارة بـدرجة عاليـة، فإن وضوح رؤيتهـا يساعـدها على أن تبقـى مع بعضها البعض وهـي ترعى في منطقة واسعـة تمتد عدة كيلومترات. وتحـافظ أبقار المارية علـى اتصال بصري بين أعضـاء القطيـع أثناء الرعي وتقوم الثيـران في الحال بجمع العجول التي تضل السبيل عن القطيع.

ويمثل هذا السلوك الواقي الأبـوي بوضوح تأقلماً مـع الظـروف السائدة يهـدف إلـى الحد مـن خطـر وقوعهـا فريسـة سهلة، وهو سلوك غيـر معروف بين أنواع الأبقار الـوحشية الأخـرى كمـا نعلم. وفـي أثنـاء الأوقات التـي تصعب فيها الـرؤية بوضوح لمسافات بعيـدة، مثلاً أثناء الليل أو في أثنـاء هبوب العواصف الرمليـة تتجمع أبقار الماريـة معاً وتحـافظ علـى اتصال صـوتي مـع بعضهـا البعض عن طريق الخوار بـرقة. وإذا إنفصلت الأبقار عن بعضهـا البعـض، تعود البقرة «الضـالـة» إلى نفـس مكان الرعي السابق وإذا لم يتمخض ذلك عن توحيدها من بقية القطيع فإنهـا تقف في مكان بارز مثلا فـوق أحد الأكوام أو فوق الأرض المرتفعة لتحـاول أن ترى بقية القطيع أو لتكـون مرئيـة لهم. وإذا أخفـق هذا الاجـراء أيضاً تقـوم



أندرو سبالتون

بقرة مارية (مها) عربية منعزلة في مجمع يعلوني.

المارية «الضالة» باستكشاف المناطق التي يرعى فيها القطيع عادة وأحيانا ما تقتفي آثار أقدام أبقار المارية الأخرى.

وفي أثناء الرحلات الطويلة تسير أبقار المارية في صف طويل واحد، واحدة بعد الأخرى، وقد ترحل لمسافات طويلة بحثاً عن مرعى مناسب.

برنامج إعادة توطين أبقار المارية

لا يكتمل موضوع الثدييات العمانية دون أن نستعرض باختصار نشاط برنامج إعادة توطين أبقار المارية. إنها قصة مألوفة للعديد من القراء وهذا يحصر مهمتي في ايجاز الحقائق ذات الصلة الموضوعية.

لقد بدأ المشروع عندما أبدى المهتمون بضرورة صيانة الموارد الطبيعة خشيتهم من أن أبقار المارية العربية قد أصبحت على وشك الانقراض أو الاختفاء كأحد الحيوانات الوحشية في الجزيرة العربية.

وبحلول الستينات ربما كان في الجزيرة العربية بأكملها ٥٠ بقرة فقط من ذوات الحوافر هذه المتأقلمة على العيش في الصحراء وحتى هذا العدد أيضاً كان مهدداً بالصيد. وقد تمخضت الجهود التي قادتها جمعية المحافظة على الحياة الحيوانية لتربية قطيع من أبقار المارية في الأسر بدعم من الصندوق الدولي لرعاية الحياة البرية عن الامساك بثورين وبقرة من أبقار المارية بالقرب من الحدود بين اليمن وعمان إضافة إلى بقرة من حديقة لندن للحيوان يرجع أصلها إلى عمان وبقرة مهداة من الكويت وأربعة أبقار أخرى من المملكة العربية السعودية.

وأمكن في النهاية استخدام هذه الأبقار التسع المعروفة باسم «القطيع الدولي» في تكوين قطيع استيلاد ناجح في حديقة فينكس للحيوان في ولاية أريزونا بالولايات المتحدة الأمريكية.

وبينما كان يتم وضع قواعد برنامج ا ببطء بمعاونة سخية من الراحل موريس ماتشريس (مدير نادي حديقة شيكار المفتوحة للحيوان في ذلك الحين)، كانت بقية أبقار المارية الوحشية تكافح بصعوبة للحفاظ على حياتها. وقد لقيت آخر هذه الأبقار، التي كان وجودها من الأسرار الغامضة التي يحتفظ بها أهل الحراسيس الذين يقطنون في جدة الحراسيس، حتفها على يد أحد الصيادين الأجانب في شهر اكتوبر عام ١٩٧٢م.

ولفترة من الوقت بدا أن أبقار المارية لن تتجول بحرية مرة أخرى في الجزيرة العربية. لكن بعد مضي ثمانية أعوام على انقراضها المؤسف عادت أول مجموعة من أبقار برنامج التربية في الأسر إلى عمان في محاولة طموحة لاعادة توطينها في الطبيعة البرية. إن هذا المشروع الفريد الذي يشكل جزءاً من برنامج مساعدة سكان جدة الحراسيس هو أحد بنات أفكار جلالة السلطان قابوس بن سعيد، ويشرف على ادارته رالف ديلي مستشار البيئة بالديوان السلطاني بمعاونة استشارية من الدكتور هرتمون جونجيوس، المدير الدولي للصندوق الدولي للمحافظة على الحياة الدولية.

وفي ٣١ ينـاير عـام ١٩٨٢م فتح رئيس المشرفيـن بمجمع يعلوني، الذي تمت اقامته خصيصاً لأقلمة الأبقار التـي سيتم إعـادة توطينها على الحياة البريـة، البوابتين الضخمتيـن لتخرج أول مـارية عـربية تعـدو طليقة فـي الجزيـرة العربية منذ مقتـل أقربائها دون داع منـذ عشر سنوات مضت.

وبينما تم منذ ذلك الحين إضـافة أعداد أخرى من هذه الأبقـار بانتظـام بفضل جهـود التـربية فـي الأسر فـي المناطـق الأخرى، فقد زادت أعـداد الأبقار المولـودة في الصحراء تدريجيـاً حتى بلغ تعدادها مائة بقـرة وبدا أنه يزداد بانتظام.

وهنا لم يعـد حلم توطين أبقـار المارية البريـة (المها العربيـة) في المنـاطق الصحراويـة وشبه الصحـراوية الشاسعـة في الجزيـرة العربيـة حلماً صعب المنـال بل حقيقة واقعة. ويكمن سر نجاح هـذا المشروع الفريد في الادارة الحكيمة الـرشيدة التـي يشرف عليهـا فريـق من المختصيـن، سواء مـن أهل الحـراسيـس العمانييـن أو العلماء المغتـربين أو المـدراء وموظفـي خدمـات الدعـم الأخـرى، الذيـن كرسـوا جهودهـم من أجـل نجاح هـذا المشروع وبـذلوا جهوداً مضنيـة لضمان استمـرار نمو قطيع أبقار المارية (المها) العربية.

ويشرف علـى حمايـة أبقار المـارية الـوحشية هـذه فـريـق مـن المشـرفين الحـراسيـس الـذيـن يتنقلـون بـالسيارات عبـر المنطقة الحجـرية لجـدة الحراسيـس لتقفي تحركاتها.

ولا يحتـاج المشرفـون الحراسيـس إلـى الاستعانـة بأجهـزة النداء اللاسلكية أو أجهـزة المراقبة التـي تعمل بالأقمار الصناعية لأنهم يتمتعون بمهارات ممتازة لتقفي هذه الحيـوانات ويمكنهـم بسهولـة تتبعها وهـي تتجول بحرية في أنحاء جدة الحراسيس.

ويظل كـل فريق من فـرق الاقتفاء بعيداً عـن معسكر القاعدة لعدة أيام لكنهم يحافظـون على اتصالهم بالمقر الرئيسي لمجمع يعلوني عن طـريق اللاسلكي. ولا توجد أي لافتات أو طـرق معروفة لكنهـم يستعينون بالمعـالم الطبيعية للمنبسـط الصحراوي لوصـف وتحديد أمـاكن تواجـد هذه الأبقار. ويقـوم هؤلاء المشـرفون بأكثـر من مجرد الابلاغ عن أمـاكن تواجد قطيع أبقار المـارية، فهم يعرفـون كل بقرة منهـا من خلال معـالمها البدنيـة. وتم إعطاء كـل واحدة منها إسماً ويتـم مراقبة تحركـاتها. إن ملاحظة مختلف أبقـار المارية بعنـاية يتيح لأفراد فريق المشرفيـن معرفـة هـوية أب كل عجل وبالتـالي يمكنهم تحديد صورة وراثية كاملة.

وقد كتـب خبير البيولوجيـا الميداني أنـدرو سبلتون في بحـث نشره في مجلة «الحيوانـات ذوات الحوافـر» ما يلي ايجـازاً للنتائج التي حققهـا البرنامـــج بعد مضي عشر سنوات فقط:

في خلال السنوات الأولى، مـن عام ١٩٨٠م إلى عام ١٩٨٦م، كان تعداد هذه الأبقار المكـونة من قطيعين مترابطين جيـداً تم اطلاقهما في بيئتهـا الطبيعية في عامي ١٩٨٢م و١٩٨٤م ينمو بمتـوسط سنوي قدره ١,٢٢ بقرة. وفي عام ١٩٨٦ انتهـت فترة القحط وتم ايقاف برنامج التغذية التكميلية وانقسم القطيعان إلى مجموعـات فرعيـة (ستانلـي برايس، ١٩٨٩). وفي مرحلة لاحقة بعد ذلك تـم إخصاء ثور عقيم لكنه عنيد واطلاق بعض الأبقـار المهاجرة في بيئتهـا الطبيعية فـي عـامـــي ١٩٨٨م و١٩٨٩م. وسقطـت الأمطـار بمعـدل جيـد منـذ عام ١٩٨٦م واجتمعـت كـل هـذه العوامل لتسهم في زيادة أعـداد الأبقار الموجودة في الطبيعة البريـة (بمتوسط سنوي قـدره ١,٣٩ بقرة) خلال الفترة بين عامي ١٩٨٦م و١٩٩٠م.

وفي خـلال الفترة بين عامـي ١٩٩٠م و١٩٩١م كان معـدل سقـوط الأمطـار بسيطا، لكـن شهـد ربيـع عـام ١٩٩٢م هطول الأمطار بمعدل جيد، وعنـدما قمت بزيارة للقطيع في نهاية ذلك العام كانت حالته جيدة. وينمو هذا القطيـع الآن قويـاً عامـاً بعـد عام وأصبـح أكثر تحمـلاً للصعاب التي لا مفر منها والتـي تخص بها الطبيعة هذه الحيوانات البرية.

وتـوحي الـدراسـات التحليلية التـي قـام بها أنـدرو سبالتون أنه من الأفضل أن يصـل تعداد هذه الحيوانات في البيئـة البرية إلـى ٢٩٠ بقرة بـأسرع ما يمكـن على شرط ألا يكون ذلـك على حساب صحة القطيـع الحالي. وتشير الـدلائل إلى أنه سيتم تحقيـق هذا الهدف قـريباً. لكن على الرغم من نجاح إعـادة توطين أبقار المارية فإن بقاءها على قيد الحياة يظـل معتمداً على جنسنا البشري سواء فيما يتعلق بمدى احتـرامنا لبيئتها الطبيعية وحقها في الحيـاة دون أن يزعجهـا الصيادون ودون أن تتـأثر بالتضخـم السكاني.

وبـالرغـم مـن أن عمان، حكـومـة وشعبـاً، قد أبـدت

استعدادهــا والتزامها بالمحــافظة على المــوارد الطبيعية للبلاد، فإن الحقيقة المؤسفة هــي أن حماية الحياة البرية في البلاد لا يعتمد في النهايــة فقط على جهود المحافظة على الموارد الطبيعية بل على عدة عوامل إقليمية وعالمية مثـل التغيــرات المنــاخيــة واستنــزاف غــاز الأوزون واستقرار السلام.

وعلــى الرغــم من أن التغيــرات والتطــورات العالميــة السريعة قــد أثرت على عمان بنفــس درجة تأثيرهــا على العديد من الدول الأخرى، فلا تزال البلاد تحتفظ بالعديد مــن المنــاطق البكــر التــي عــاش ولا يزال يعيــش فيهــا الانسان والكائنات البرية جنباً إلى جنب منذ الأزل.

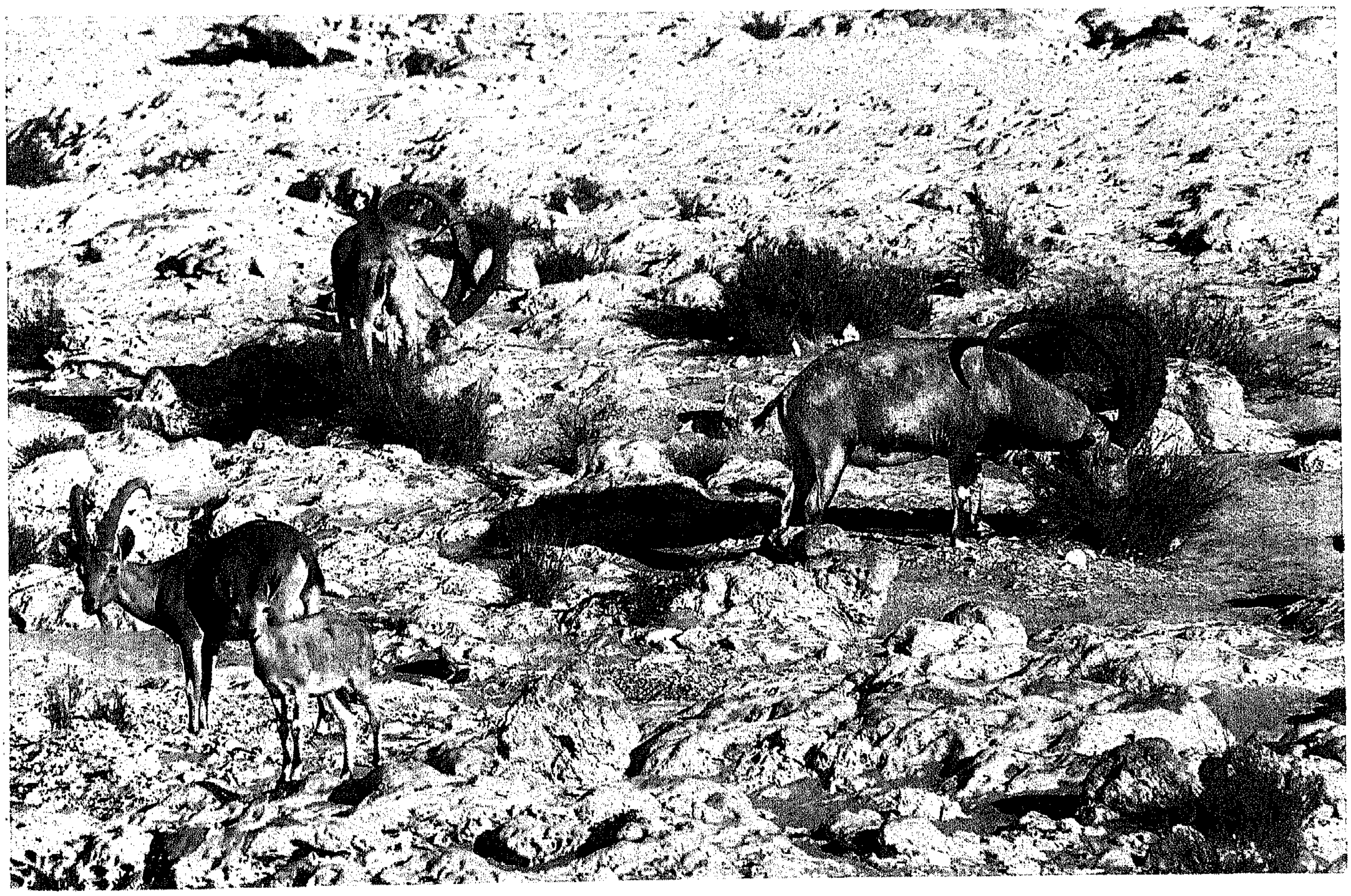
الوعل (تيس الجبل) النوبي

إن القيام بزيارة إلى أبقار المارية العربية التي تمت إعادة توطينها فــي الطبيعة البرية يصحبها دائمــاً زيارة لمجمع يعلونــي الموجــود في اتجــاه الســاحــل لمشاهــدة جرف الحقف بالطرف الشرقي لجدة الحراسيس.

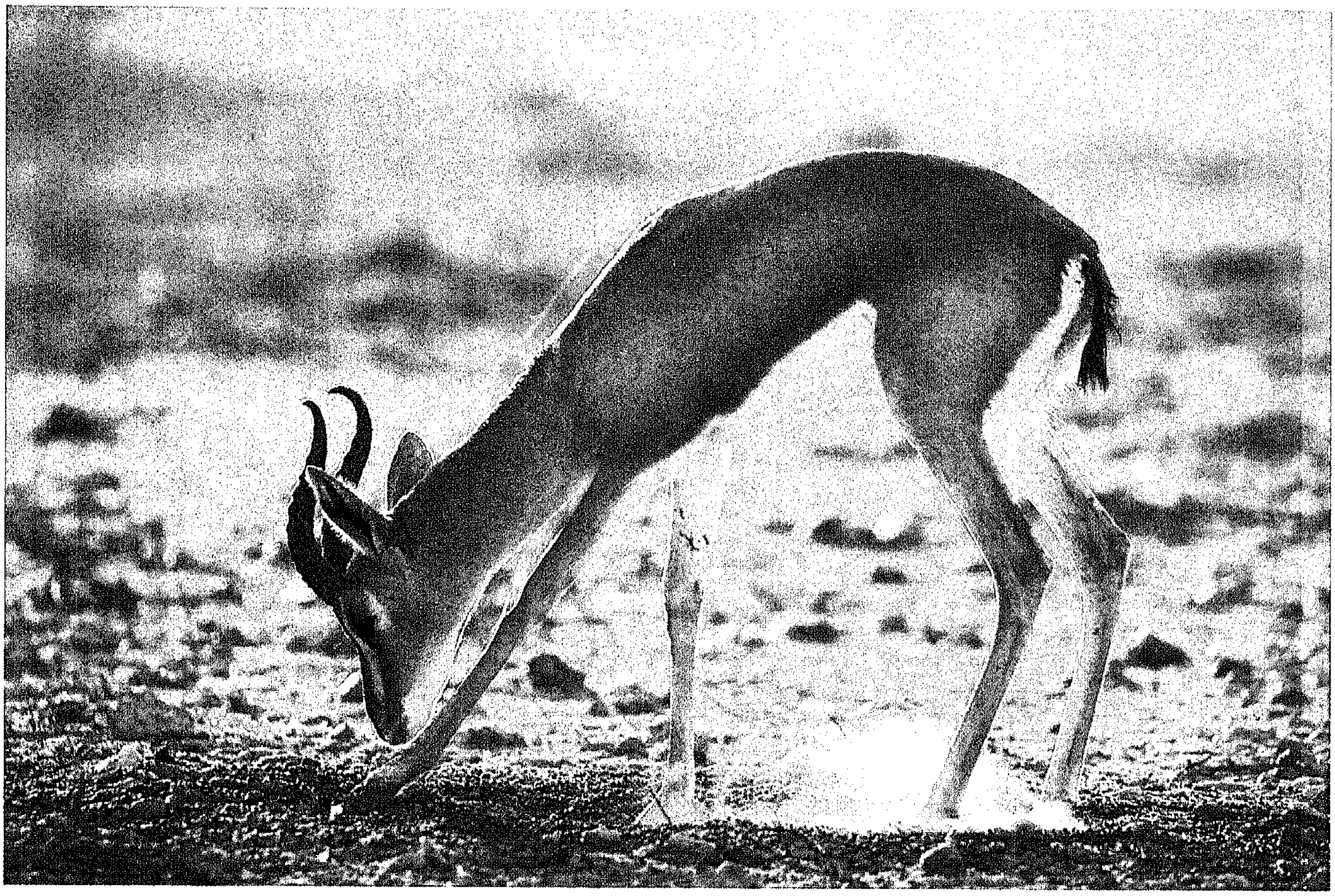
وقــد تم فــي بدايــة هــذا الفصل وصــف إحدى هــذه الزيــارات عندما أسعــدني الحظ بمشــاهدة حوالــي إثنى عشر وعــلاً من الوعــول النوبية فــي ظرف ســاعــة واحدة تقــريباً. لقــد كــانت زيــارتــي تجربــة مجــزية لأن هــذه الحيــوانات مــدرجــة في القــائمــة الحمراء لهيئــة IUCN باعتبــارها احــدى الكائنات المهــددة بالانقــراض. وكان لقــائي الأول بهذه الحيــوانــات فــي بور ســودان حيــث أمضيت عدة سنوات في فتــرة السبعينات وحيث كان يتم دائماً طرح قرون هذه الوعــول للبيع. وكانت هذه القرون هي قرون الوعول التي تم صيدها في تلال البحر الأحمر على الساحل الشرقي لافريقيــا حيث يبدو أن أعدادها قد انخفضــت بــدرجة كبيــرة. أمــا فــي عمان حيــث تتمتــع بالحمايــة وتم تحريم صيدهــا فإن أعدادها تتــزايد. إنها عبارة عــن ماعز جبلية رشيقــة تتأقلم جيداً مــع الظروف البيئة وتتميز بحوافر ضيقة مطاطيــة تقريباً تساعدها في التشبث بثبات على الأراضي شديدة الوعورة.

وهي تعيش فــي مجموعات أسريــة صغيــرة تتكــون

وعول الجبل النوبية فوق جرف الحقف.



هان وجينز إريكسين



هان وجينز اريكسين

غزال جبلي في مجمع يعلوني.

في معظم الأوقات من ثلاثة إلى خمسة وعول، لكنها تتجمع في موسم الدورة النزوية خلال الشهور من اكتوبر إلى ديسمبر حيث تلتقي الذكور بالاناث من أجل التزاوج، في مجموعات أكبر حجماً ربما يتراوح عددها بين ثمانية إلى عشرة وعول. وتعشق الوعول الموجودة في جرف الحقف بعض النباتات الخاصة مثل أشجار القضب وهي من الفصيلة الكبرية، وهي معرضة لأن تفترسها الذئاب وكذلك النمور الموجودة في جبل سمحان في ظفار.

الغــــزلان

تعتبر غزلان الريم التي تبرز قرونها إلى الخلف بتقوس بسيط والغزلان العربية ذات القرون الشبيهة بالقيثارة هما الجنسين الرئيسيين من أجناس الغزلان الموجودة في عمان. ويعرف الغزال العربي أيضاً باسم غزال الجبل ويفضل العيش في الأراضي المحيطة بالتلال السفحية أو في السهول الحجرية. وباستثناء قرونها المميزة يمكن التعرف على هذه الغزلان عن طريق العلامات السوداء والبيضاء اللون الموجودة على وجنتيها وعن طريق الشريط المميز الموجود عند خاصرتها والذي يبدو أكثر وضوحاً من العلامات الخاصة بغزلان الريم التي تعتبر أكبر النوعين حجماً، وتتميز بأقدام عريضة تتيح لها أن تعدو فوق الرمال الناعمة. وهي تحتفظ بذيلها مرفوعاً باستمرار في أثناء العدو.

وقد تم تسمية الغزلان التي تعيش في السهل الساحلي لشمال عمان بإسم غزلان مسقط. وقد اعتبرها «جروفز» في معرض استعراضه لغزلان الجزيرة العربية والذي نشره في مطبوعة «المحافظة على الحياة البرية وتطورها في المملكة العربية السعودية» نوعاً فرعياً مميزاً، لكنه قد يكون من جنس غزلان الجبل. وربما يكون النوع المحتمل الآخر الذي تم العثور عليه في عمان هو الغزلان التي تماثل في الجزيرة العربية غزلان «دوركاس».

وقد تم في عام ١٩٧٦م إصدار قانون لحماية حيوانات الطهر العربية أدى أيضاً إلى حماية الغزلان العربية أو غزلان الجبل المهددة بالانقراض ونظراً لأن محمية وادي السرين توفر بيئة نموذجية لتربية هذا

الجنس من الغزلان فقد تم وضع بعض الغزلان التي تم العثور عليها مهجورة أو مصابة أو كان يتم الاحتفاظ بها كحيوانات أليفة في أحد مراكز الاستيلاد المرتجلة في قلب المستوطنة الموجودة في «مزرع قيد». وقد أدى نجاح إستيلاد هذه الغزلان إلى إطلاق ما يربو على ٦٠ غزالاً من هذا الجنس في البيئة البرية بحلول عام ١٩٨٧م.

ويمكن مشاهدةهذا القطيع من الغزلان العربية وهي ترعى باستمرار على امتداد التلال السطحية للمحمية على مسافة قصيرة من الطريق الساحلي.

الطهر العربي

تم وصف الطهر العربي «هيمتراكوس جاياكاري» لأول مرة في عام ١٨٩٤م وذلك عن طريق جمجمتي حيوانين اصطادهما في الجبل الأخضر وجلبهما إلى مسقط المقدم إيه. إس. جي. ياكار الطبيب الجراح البريطاني في ذلك الوقت. وقد أرسل ياكار هاتين الجمجمتين إلى أولفيلد توماس في لندن الذي بنى وصفه لنوع جديد من حيوانات الطهر على هذا الدليل. وأقرب أقرباء هذا الجنس من الحيوانات يعيشان بعيداً في الشمال وهما طهر الهملايا والطهر النلجيري الذي يعيش في جنوب الهند.

وكانت حيوانات الطهر تأتي على رأس قائمة الكائنات التي تحتاج إلى حماية خاصة في عمان لمنعها من الانقراض. وتحددت مكانتها الخاصة بموجب القرار الوزاري رقم ٤ لسنة ١٩٧٩ والذي أصدرته وزارة شؤون الديوان السلطاني، التي تحملت أيضاً مسؤولية إقامة محمية تجريبية على مسافة ٤٥ كيلومترا جنوبي غرب مسقط حيث وادي السرين الذي تجري فيه المياه بعد هطول الأمطار على جبل أسود.

وقد تم اجراء دراسة تفصيلية لحيوانات الطهر البدائية الشبيهة بالماعز شملت سبعة مواقع كشفت عن أنها تحتوي على ١٢٩٣ طهراً. وبالاخذ في الاعتبار أن هذا الجنس من الحيوانات يعيش في منطقة جبلية تمتد من مسندم إلى جنوب صور مباشرة وتبلغ مساحتها ٦٠٠ كيلومتراً فقط، فقد قدر «بول مونتون» الذي قام بهذه الدراسة، أن تعداد هذه الحيوانات في العالم أجمع هو ٢٠٠٠ فقط، واقترح ضرورة حمايتها باتباع النظام الاسلامي الذي يوصي بتخصيص قطعة أرض كمحمية برية يحظر فيها قيام الحيوانات الأليفة بالرعي.

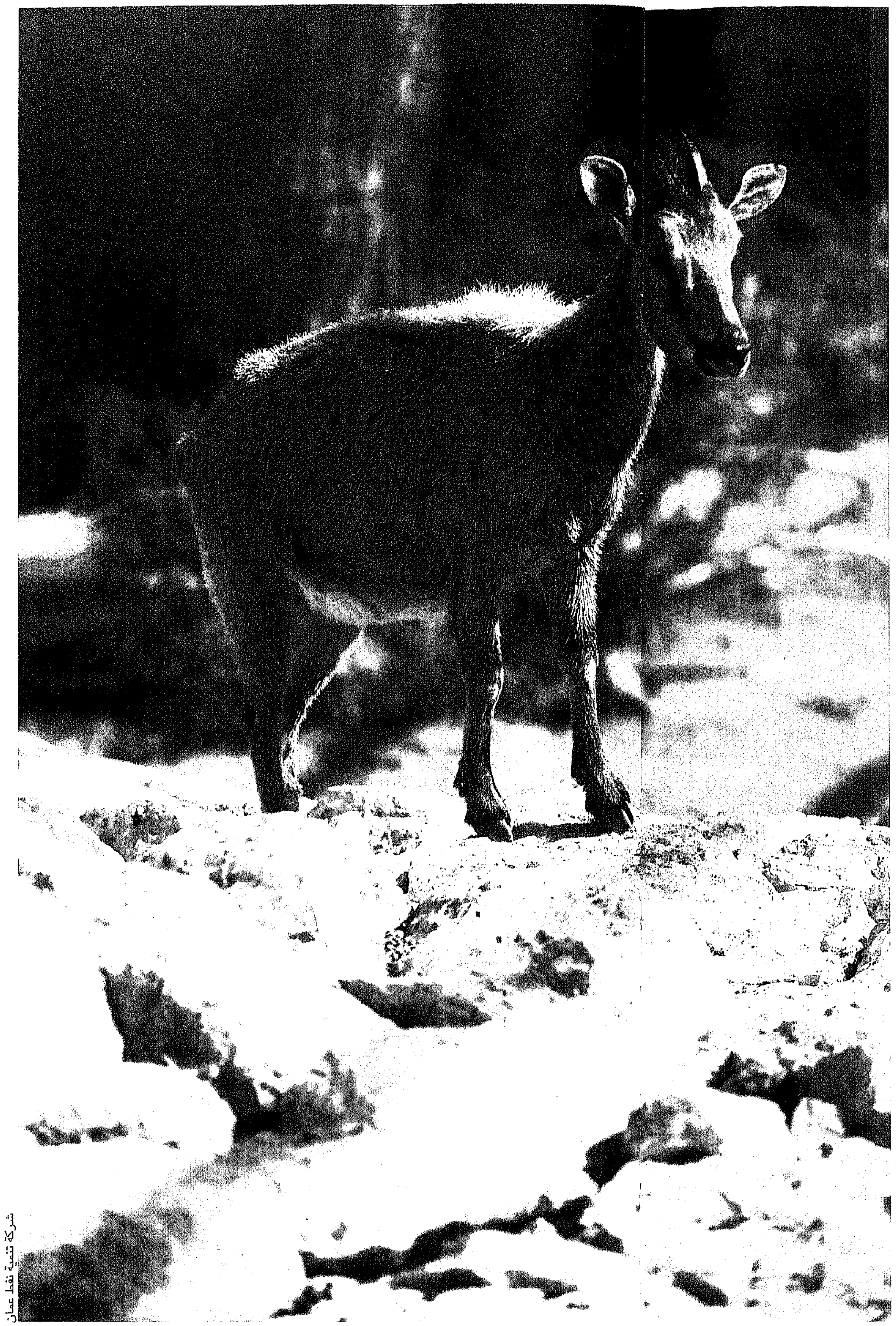
وتضمن المشروع الخاص الذي أقيم لحماية هذه الحيوانات المهددة بالانقراض تعيين بعض المشرفين الذين تم اختيارهم من بين المواطنين المحليين ليكونوا مسؤولين عن تتبع تحركات حيوانات الطهر وضمان سلامتها في أنحاء المحمية الطبيعية الموجودة في وادي السرين، وهي مهمة يتم انجازها بصورة رائعة من قبل مواطني القبائل الأصحاء الذين اعتادوا بصورة تقليدية على متابعة قطعان الحيوانات التي يمتلكونها في هذه المناطق الشديدة الوعورة.

وبالاخذ في الاعتبارالنطاق المحدود جداً لحيوانات الطهر، يصبح السؤال الذي يتردد الآن هو كيف أتت هذه الحيوانات إلى عمان؟. لقد كانت أسلافها قبل العصر الجليدي الأخير ترعى في منطقة شاسعة من اوراسيا. وعندما تراجع الجليد كانت الماعز أكثر نجاحاً في استيطان مناطق رعي جديدة، بينما لم تستطع حيوانات «هيميتراجوس» والتي تعني «نصف ماعز» البقاء إلا في بضعة أماكن جبلية محدودة.

وجاء ذكر الطهر العربي في المرة التالية، بعد أن تم وصفه من خلال بقايا الجمجمة في عام ١٨٩٤م، في السجلات التي دونها ويلفرد ثيسيجر والذي وصف محاولة صيدها في عام ١٩٤٨م في كتابه الكلاسيكي عن الحياة في جنوب الجزيرة العربية «رمال الصحراء» والذي صدرت طبعته الأولى في عام ١٨٥٩م:

عندما كنت في «مواقيح» قمت بصيد حيوان الطهر في جبل حفيت حيث كنت أخيم لمدة أسبوع عند باطن الجبل مع إبن كبينه وابن عباس واثنين من عرب زايد. ولم يسبق للأوربيين رؤية حيوانات الطهر العربي مطلقاً على الرغم من أنه قد تم تسميتها عن طريق فروتين جلبهما إلى مسقط الدكتور ياكار في عام ١٨٩٢م.

إنها تشبه الماعز وتتميز بقرنين قصيرين وغليظين جداً. وكان صيدها عملاً مجهداً لأن الجبال التي تعيش فيها كانت مرتفعة عن مستوى المخيم بمقدار أربعة آلاف قدم وكانت المنحدرات في كل مكان شديدة الانحدار وعمودية عادة ولا يتوفر فيها الماء أو النبات. وكان الطهر يتغذى ليلاً في المنطقة الواقعة حول باطن الجبل، لكن حيوانات الطهر التي شاهدناها كانت قريبة من سفح الجبل. وقد أطلق العربيان النار على إثنين منهما وأخذنا جمجمة أحد الذكور. وكنا قد صنعنا لأنفسنا بعض الصنادل من جلود الحيوانات غير المدبوغة التي لا نستطيع بدونها تسلق هذه المنحدرات الصخرية الجيرية القاسية.



شركة تنمية نفط عمان

وجاء التسجيل العلمي التالي لوجود الطهر في الجزيرة العربية في عام ١٩٧٣م، وهو التسجيل الذي دونه مايكل جالاغر الذي أسهم إسهاماً كبيراً في جهود المحافظة على الطبيعة في الجزيرة العربية بصورة عامة وفي عمان بصورة خاصة. وبدأ مايكل محاولة اكتشاف ما إذا كان تعداد هذه الحيوانات في الجبل الأخضر لا يزال في ازدياد. وأكد له بعض السكان المحليين أنها لا تزال موجودة ويتم صيدها كمصدر لتوفير الغذاء. ومع ذلك فقد أخفقت البحوث التي تمت بعد ذلك في العثور على أي دليل لوجود حيوانات الطهر هناك. وقد شددت هذه البحوث على الصعوبات الجمة التي تمت مصادفتها أثناء دراسة هذا الحيوان الغامض والذي لم تتم مشاهدته في هذه المرة. وفي عام ١٩٧٣م تم إعادة تأكيد وجود الطهر في منطقة أسود/وادي السرين ولذلك تم تخصيص هذه المنطقة كمحمية لحيوانات الطهر.

ويعيش حيوان الطهر فيما قد تعتبره الحيوانات الشديدة الضخمة الأخرى «بلداً ذا بيئة معادية لها»، فالأراضي التي يعيش فيها وعرة للغاية. وهو ماهر في تسلق المنحدرات شديدة الانحدار الموجودة في الأراضي الوعرة، ويتبع نظاماً غذائياً متحرراً إلى حد كبير فهو يأكل معظم الفواكه المتوفرة وأوراق النباتات والأعشاب والبذور، لكنه يفضل في الغالب أجزاء معينة من النباتات. وهو يعتمد في حياته على توفر الماء بكثرة ولذلك لا يمكن وصفه بأنه من الحيوانات المتأقلمة مع العيش في الصحراء.

وكانت هذه الخاصية في الواقع هي سبب انحصار انتشاره. وعلى الرغم من القضاء على أخطار تعرضه للصيد من قبل الانسان بموجب قوانين الحماية العمانية فإنه معرض لأن تفترسه الحيوانات الأخرى مثل الذئاب والنمور التي تهاجم الحيوانات الأخرى على اختلاف أحجامها والصقور والثعالب السوداء أو الحمراء التي تفترس الحيوانات الصغيرة عندما تحين لها الفرصة. وقد أكدت احدى الاستقصاءات التي تمت في عام ١٩٨٧م ما كان يقوله المشرفون من أنه يبدو أن



ضفدعان من ضفادع (علجومات)الطين الشرقية التي تعيش في شمال عمان.

حيوانـات الطهر فـي تزايد. وبينمـا كان مـن المعتقد أن هناك حوالي ٣٦٠ طهراً فـي المحمية الموجودة في وادي السريـن في عام ١٩٧٨م إلاّ أن تعداده ــ كما يبدو ــ قد تضاعف في خلال عشـر سنوات ليبلغ ٧٠٠ طهراً وربما يرجع ذلك إلى تحريم صيده.

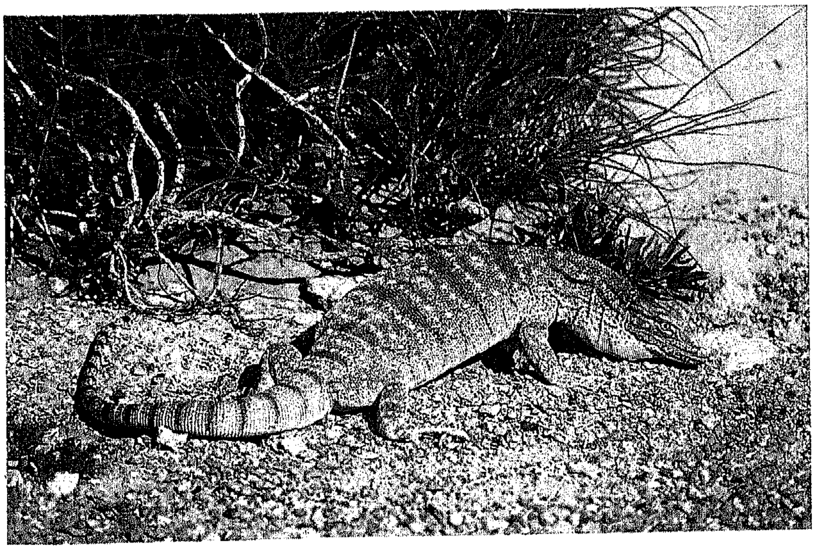
البرمائيـــات

يوجـد في عمـان نوعـان من البـرمائيـات، هما الضفـدع (العلجـوم) الشـرقـي والضفـدع (العلجـوم) الظفـاري. ويـوجد النـوع الأخيـر الذي يتميـز بصيـاح أسرع مـن صياح النوع الشرقي، فـي ظفار بينما يعيش النوع الأول في المناطق الأخرى.

الزواحـــف

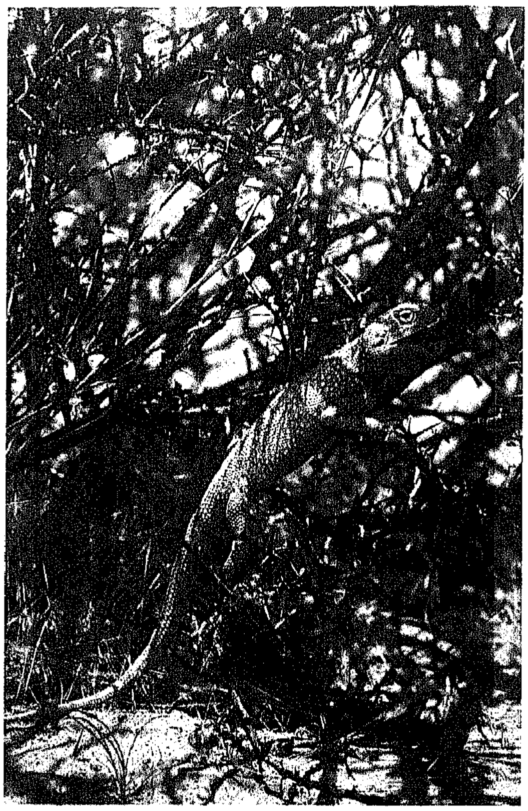
بـالاضافـة إلـى الزواحـف العمانيـة التـي تتخذ شكـل السلاحف والثعابين البحريـة والتي سبق مناقشتها آنفا، فإن عمان غنية بالزواحف البرية مثل السحلية (العظاءة) وأبو بريص والحرباء والقنقور والثعـابين. كما يوجد في عمان نوع واحـد من الزواحف المعروفة بـاسم السحلية الدوديـة هو«ديبلـومتوبـون أرودني». وقـد تم بـالفعل تسجيل وجـود ٧٤ نوعـاً من الزواحـف التي تعيـش في البلاد. وتعتبـر سحـالي الـورل الرمـادية الموجـودة في السهـول الشمــاليـة وتتغـذى علـى صيـد القـوارض والزواحف الأخرى والطيور الصغيـرة وبيضها، من أكبر أنواع السحالي. وقد شاهدت أثناء زيارتي لمركز التفريخ في السيـب احدى هذه السحـالي وهي تتشمـس بجوار منطقة تـوالد النمـور العربية المسـورة. وعندمـا تصاب هذه السحلية بـالذعر فإنهـا تنفخ رئتيها وترفـع جسمها على أرجلهـا وتصدر هسيسـاً قويـاً وتلفح بذيلهـا الشبيه بالسوط مضفيـة بذلك منظراً مخيفاً. أما النـوع الآخر من السحـالي الضخمة الـذي يحتمل أن يشـاهده المـرء في عمان، فهو السحلية ذات القدم الشـائكة والتي تعيش في المناطق الرملية الناعمـة في شمال عمان. وتتضمـن أنواع السحــالي الشـائعـة الأخرى سحـــالـي العضرفـوت أو الحبينة (التـي يتم مشـاهدتها غـالبـاً وهـي جاثمـة على فروع الأشجار التـي تتسلقها لتكيف حرارة جسمهـا إما بترطيبه أو تدفئته). وتتمتع ذكـور السحالي بالقدرة على تغيير لـون رقعة الحلـق إلى اللـون الأزرق وتغيير لـون الذيل إلى اللون البرتقالي. وتعتبر سحالي الحبينة إحدى السحـالي الأخـرى التي يستطيـع ذكورهـا تغيير لـون رأسهـا وذيلها إلـى اللون الأزرق، بينمـا تحتفظ الاناث بلون جسمهـا الضارب إلـى البني والـذي يحمل عـلامة سـرجية بـرتقاليـة اللون. وتعيـش هذه السحــالي فـي الوديان المغطاة بالجلاميد أو على المنحدرات التلية.

وتحتل الحرباء بالطبع المـرتبة الأولى دون منازع في مجال تغييـر لون الجسم، ويوجـد أحد أنواعها فـي ظفار حيث يعيـش بين النبـاتات. إنها سحليـة بطيئة الحـركة، تعتمد على التمـويه المرن الرائع وعلى عينيهـا الدوارتين المنتفختين غـريبتي الشكل وتنقـر لسانها الملتـوي في حركات خاطفة لتحمي نفسها من مهاجميها.



سحلية صغيرة في مجمع يعلوني.

هان وجينز اريكسين



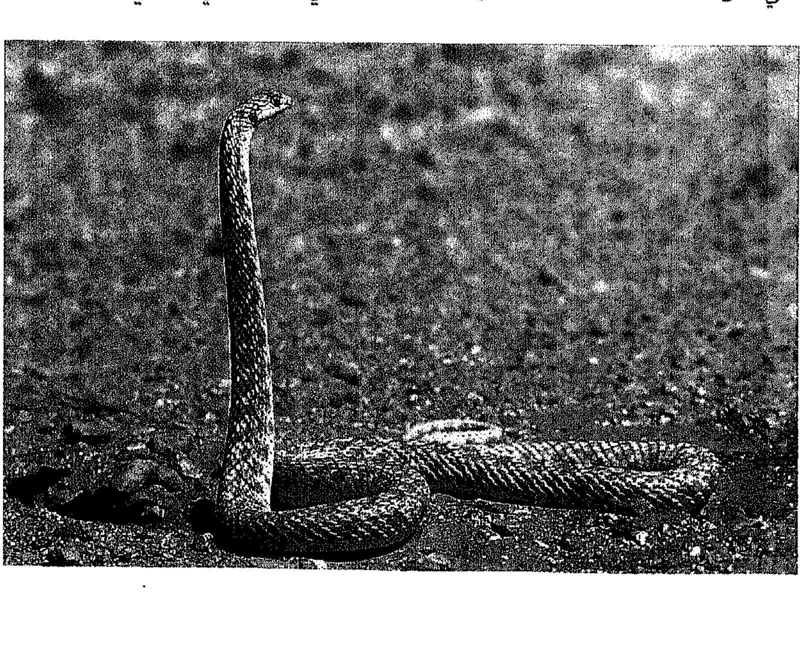
أندرو سبالتون

تستطيع سحلية (عظاءة) الجُبينة الصفراء أن تغير لون جسمها، ويتم مشاهدتها عادة وهي تتسلق الأشجار.

وعلى الرغم من أن الثعابين البرية العمانية لا تعادي الانسان بصورة عامة، إلا أنها تتضمن بعض الأنواع التي تستطيع قتل الثدييات الضخمة بما في ذلك الانسان. ومع ذلك فإنها تتحاشى في معظم الحالات مواجهة الانسان ولا تهاجمه إلا دفاعاً عن نفسها عندما يصيبها الذعر. وحتى أنه في هذه الحالة فإن احتمال أن تقوم هذه الثعابين بحقن قدر من السم كاف ليسبب عواقب وخيمة يكاد يكون محدوداً.

وتحتل الأفاعي الأولوية في قائمة الثعابين الخطرة ويوجد منها في عمان خمسة أنواع هي الأفعى القرناء والأفعى القرناء الزائفة وذلك إلى جانب ثلاثة أنواع من الأفاعي البساطية، وهي أكثر الأنواع التي من المحتمل أن يصادفها المرء في عمان. وهي تختفي بصورة عامة

صورة لثعبان «مالبولون» تم التقاطها في جدة الحراسيس. إنه أحد الثعابين الأقل سمية في عمان.



أندرو سبالتون

أثناء النهار في نثار أوراق الشجر الميتة التي تكسو الأرض أو في جحور القوارض أو تحت الأحجار، لكنها تنشط في أثناء الليل حيث تقوم بصيد الضفادع أو القوارض أو الزواحف الأخرى مثل السحالي. وتوجد الأفاعي القرناء في المناطق الرملية وهي تنشط في الليل وتتغذى على الطيور الصغيرة والقوارض والسحالي. وهي أحد مصادر الخطورة أثناء التجول في الصحراء ليلاً. أما الأفاعي القرناء الزائفة فهي بقايا أحد الأنواع المنقرضة وينحصر انتشارها الآن في الجبال الشمالية. ويوجد أيضاً نوعان آخران من الأفاعي الخطرة في ظفار، هما الأفعى النافخة وأفعى الصل الجحرية أو الأفعى الخبيثة الطوبينية.

وتعتبر أفعى الصل (الناشر) العربية التي تعيش في الجبال الساحلية والوديان في ظفار هي أضخم الثعابين السامة في عمان. ويرتبط وجودها في الغالب بتوفر الماء، وهي تتغذى على الضفادع والطيور والثدييات الصغيرة.

أما الثعابين العمانية الأقل سمية أو أذى فتتضمن ثعابين «مالبولون» التي تعيش في المناطق الصحراوية ذات الشجيرات الخفيضة وثعابين الرمل أو الأشجار والموجودة عادة في الأراضي المزروعة حيث تتغذى في أثناء النهار وثعابين الهرة وهي نوع من الثعابين الليلية الموجودة عادة بين التلال حيث تقوم بصيد القوارض والطيور والخفافيش.

وبالاضافة إلى ذلك توجد بعض الأنواع غير المؤذية على الاطلاق عديمة الأنياب أو السم وتتضمن الثعابين الشريطية والثعابين الضريرة والأفاعي الأصلة أو البواء «ياكار» وأفاعي الخُفاث وثعابين توماس والثعابين ذات الرأس المخرز وأخيرا الثعابين التاجية.

وقبل أن نترك قائمة أنواع الثعابين والأفاعي يجب أن نذكر أحد أنواع الزواحف الذي لا يعتبر ثعباناً أو سحلية وهو شبيه إلى حد كبير بالدودة ويعرف باسم السحلية الدودية ويختبيء في الرمل حيث يقوم بصيد الحشرات.

الحشــرات

من المعروف أنه يوجد في عمان ثلاثون نوعاً من الفراشات وحوالي ثلاثون نوعاً من العثة. وتعتمد الفراشات في عمان، كما هو الحال بالنسبة لبقية أجناس الحياة البرية، على المحافظة على المصادر الغذائية والمستوطنات البيئية الخاصة بها. وينطبق ذلك تماماً

على هـذ النوع مـن الحشرات التي تميـل وهي فـي طور اليرقة إلى تفضيل نوع معين من النباتات.

وقد تنـاول الكتاب الجميل الـذي يبحث في مـوضوع الفراشـات في عمان والـذي ألفه الكاتبـان المتخصصان «تـورين وكيـك لارسيـن» وتم نشـره نيـابـة عن مكتـب مستشار حفـظ البيئة بـديوان البلاط السلطـاني كـاملاً بالصـور والمـلاحظات ٧٢ نوعاً من الفـراشات المعروف أنها تعيـش في عمان. وتتضمـن هذه الأصنـاف الجميلة العـديد مـن أنـواع الفراشـات مثل الفـراشـات المذنبـة «بـابيليـو مــاتشـون» و«بيـي. ديمـوليـوس» و«بـي. ديمـودوسيـوس»والتـي يعرفهـا القـارىء جيـداً نظـراً لانتشارها بكثـرة في أنحاء العالم من الـولايات المتحدة الأمريكيـة إلى اسيا فـي مجموعـات مختلفة معزولـة عن بعضهــا البعض. ويمكـن مشاهـدة هذه الفـراشات فـي المنطقة المحيطة بمسقـط وفي عدد من واحـات الشمال مثل الواحات القريبة من الـرستاق حيث يبدو أنها تفضل نبات الشمار المزروع هناك.

إن توزيع الفراشات الخطافيـة في عمان يلفت الانتباه بشـدة لأن النـوعيـن الأخيـريـن ينتسبـان إلـى الأنـواع الأسيـوية والافـريقية ولا تتـداخـل المساحـة المألـوف تواجـدهما فيهـا، فتعيش فراشـات و«بيي. ديمـوليوس» الموجـودة في شـرق الجزيرة العـربية وايـران ومعظم منطقـة آسيا فـي مسنـدم ولكن ليـس فـي الجنوب فـي محـافظـة ظفـار حيـث يتـوقـع المـرء أن تحـل الأنـواع المنسوبة إلى أفريقيا «بي. ديمودوسيوس» محلها.

ويتغذى كلا النوعين على الموالح، لكن لم يتم تسجيل مشاهدتهما معاً في مكـان واحد على الاطلاق. ولا تعيش فراشات «بابيليو ماتشـون» فـي ظفار، لكنها موجودة في المساحة المـألوفة المتداخلـة التي تعيش فيها فـراشات «بيي. ديموليوس» في شمال عمان.

وقـد تـم استخـدام هـذه الأنـواع مـن الفراشـات بالاضـافــة إلــى أعضــاء مجموعــات الفراشــات العمانيــة الأخــرى كمؤشــر للأصــول الجغـرافيـة الحيوانية التي تقيم الجسـور بيـن افريقيـا واسيـا.

وتم فـي الأبحاث التـي قام بهـا توربيـن لارسين حول هـذا الموضوع («فـراشات شـرق عمان وتكوينها الجغرافـي الحيواني» والمنشورة ضمـن النتائج العلميـة لـدراسـة الحيـاة النبـاتيـة والحيـوانيـة فـي عمـان، ١٩٧٥م) تصنيف أنـواع الفراشـات الموجـودة فـي شـرق عـمـان حسب الأنـواع ذات الصلة الجغرافية الحيـوانية والتي تضمنت ثلاثـة أنواع حبشية و١٦ نـوعاً حبشيـاً شرقيـاً و٦ أنـواع عالميـة. ولم يتـم العثور على أي نوع شرقي الأصل بصورة محضة.

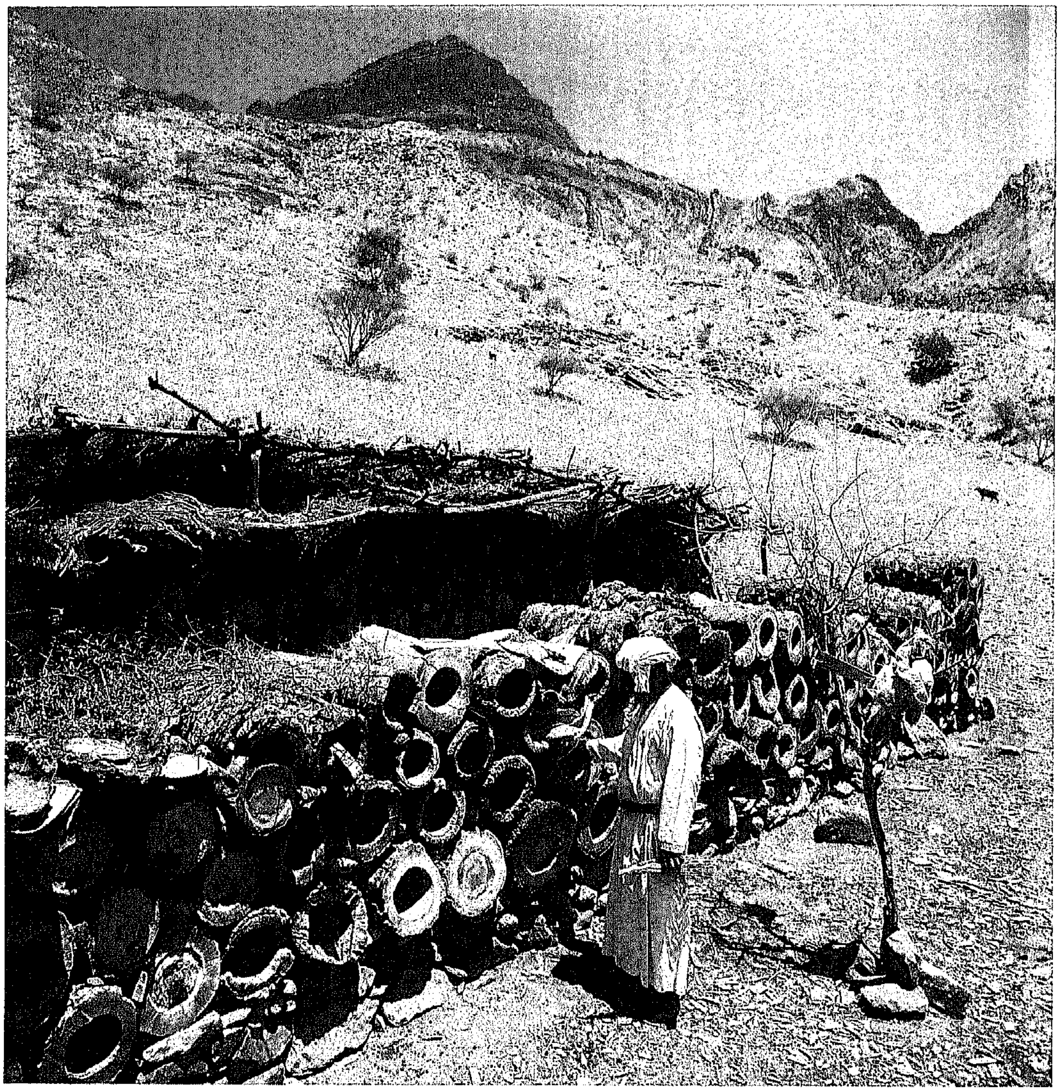
كما تـم نشر بحـث آخر لنفس المـؤلف عـن الأصول الجغرافية الحيوانية لفراشـات ظفار في مجلة الدراسـات العمانية (التقريـر الخاص رقم ٢، ١٩٨٠م، ١٥٣-٨٦)، وبحث ثالـث عن الأصول الجغرافية الحيوانيـة لفراشات مسنـدم تـم نشره فـي نفـس المجلـة (العدد السـابـع، ١٩٨٥م). وقد علق لارسين في بحثـه الأخير عن تأثيرات العـاصفـة الاستـراليـة التي جلبـت أعـداداً كبيـرة مـن الفراشـات الهنديـة إلى عمـان، وهو يمثـل مثالاً ممتـازاً لكيفية توزيع الحشرات.

وتعتبر نحلة العسل إحـدى الحشرات التي تلعب دوراً اجتماعياً هامـاً في عمان. ويتم في شمال عمـان وخاصة في منطقـة الباطنة حيث يقيـم النحل خلاياه بكثـرة فوق أغصان أشجار النخيـل نقل هذه الخلايا إلى مـواقع أكثر ملاءمـة وجمع العسـل من مجـاميع النحـل البريـة. وقد حقق خبراء تـربية النحل في شمال عمـان مهارات كبيرة في انتـاج العسل وفي تـربية مجمـوعات النحل بطـريقة يمكن الاعتماد عليهـا. وكان يتم بصفة تقليـدية الاحتفاظ بنحـل العسـل الأكبـر حجمـاً فـي الجـذوع المجـــوفـة لأشجـــار النخيل والتي تعرف محليــاً بـإســم «الطبـــــل». وعنـــدمـــا يحتـــاج



عثة هولية دفلية.

هان وجيبز اريكسين



تربية النحل في وادي بني عوف.

شركة تنمية نفط عمان

مربوّ النحل إلى بعض العسل فانهم كانوا يقطعونه من مؤخرة« الطبل». ويتم الآن في عمان استخدام الأساليب الحديثة في تربية النحل، وتم تحسين كفاءة انتاج العسل بصورة كبيرة.

وهناك حشرة أخرى قدمت المبررات لقيام ويلفرد ثيسيجر برحلات صحراوية عبر خلالها صحراء الربع الخالي كباحث ميداني بمركز أبحاث الجراد. وقد وصف رحلاته هذه في كتابه الكلاسيكي «رمال الجزيرة العربية».

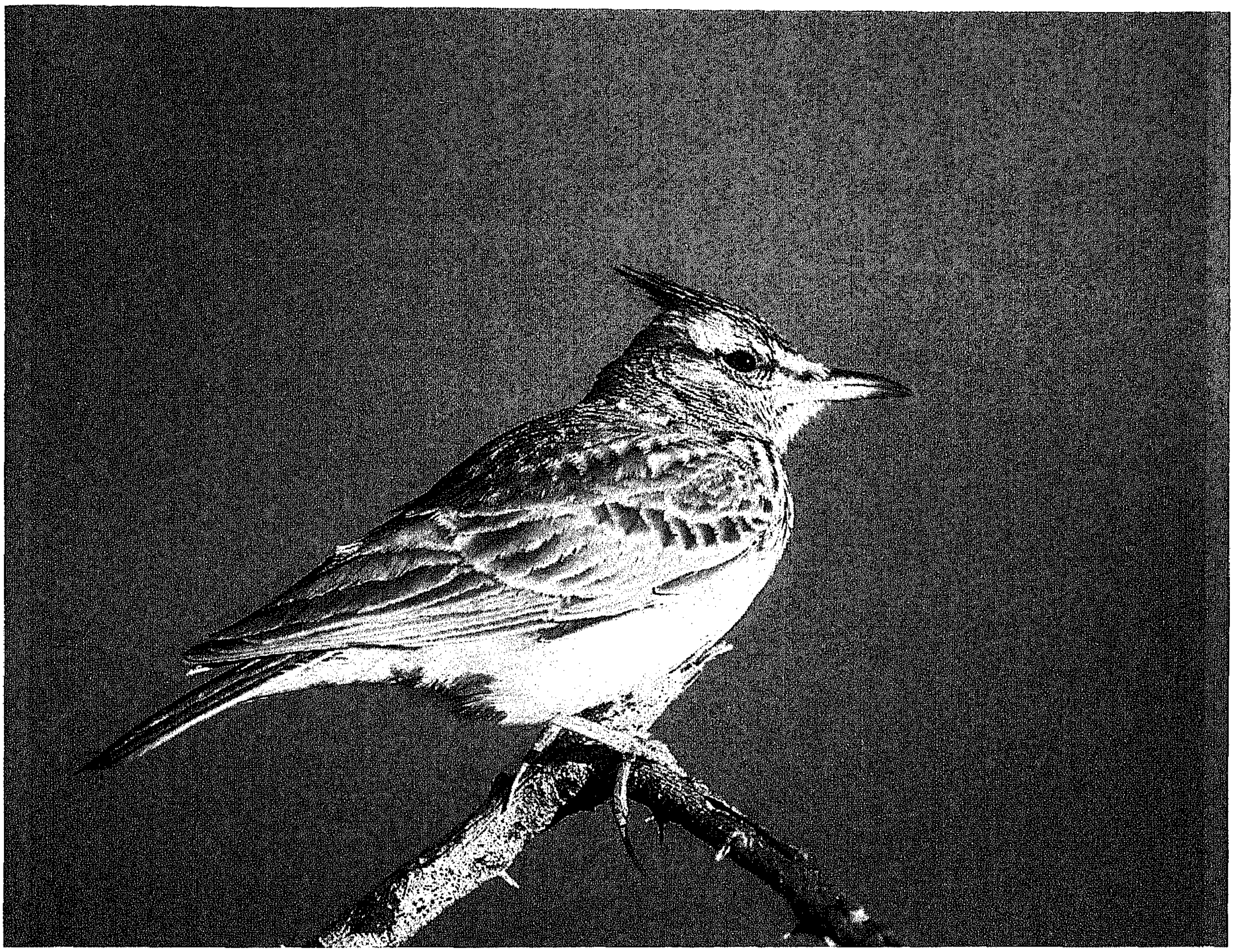
وفي بعض الأحيان يشكل الجراد الصحراوي أسراباً ضخمة في شمال عمان. وعلى الرغم من أن ثيسيجر قد أقر بأن أبحاثه الخاصة بالجراد كانت - من وجهة نظره - مجرد حجة للقيام ببعض الرحلات المثيرة فقد قام بدراسة الجراد الصحراوي أيضاً.

وقد عاد من رحلته الأولى محملاً بالمعلومات التي طلبها المركز، ودحض الفرضية الظنية (النظرية الافتراضية) التي توصل إليها الدكتور يوفاروف الخبير بمركز أبحاث الجراد الصحراوي والذي كان «يعتقد أن مجاري النهر تنزح مياه المنحدرات الغربية للجبل الأخضر، الذي يبلغ ارتفاعه ١٠٠٠٠ قدم، وتنقلها إلى الأراضي الرملية بكميات كافية لانبات النباتات هناك بصفة دائمة. وأنه نتيجة لذلك فقد تكون مداخل الوديان الكبرى هي المراكز التي ينتشر منها الجراد الصحراوي. لقد اكتشفت أن الفيضانات كانت نادرة الحدوث في الألسنة السفلية للوديان وأنها عندما تحدث تتشتت في المناطق المنبسطة المالحة والمجدبة في أم السميم حيث لا تنمو أية نباتات».

إن أشمل دراسة تمت حتى اليوم عن الحشرات في عمان هي تلك التي تمت كجزء من مشروع رملة الوهيبة. وتم التأكيد في التقارير الخاصة بالمشروع على مدى ضرورة الاهتمام بعدم القضاء على مجموعات الحشرات في عمان بصفة عامة وفي رملة الوهيبة بصفة خاصة عن طريق استخدام الرش بالمبيدات دون أي اشراف أو عن طريق تدمير المستوطنات البيئية.

الطيور

قام مايكل جالاغر ومارتن وودكوك بتصوير حياة الطيور في عمان بصورة رائعة في كتاب «طيور عمان»



طائر القبرة المتوجة.

الذي يسجل ٩٦ نوعاً على الأقل من طيور التفريخ، ثلاثة أرباعها تقيم في عمان بصفة دائمة. وقد أشارت التقارير الأخيرة إلــى أن أعداد طيـور التفريخ المـدرجة فــي هذه القائمة قد زادت وبلغت ١٠٤، منهــا ٧٧ نوعاً مقيماً و٢٧ نوعاً مهاجـراً. ويتواكب موسم التفريـخ الرئيسي لمعظم أنــواع الطيور مــع شهور فصلــي الربيــع والصيف فــي المنـاطق الشمــالية، غيـر أن طيـور العقـاب النساريــة تتكاثر في شهور فصل الشتــاء، بينما تتكاثر طيور الغاق في فصــل الخريف حتى ينبـت ريش صغارها فــي أثناء شهور الشتاء الباردة.

وترتبط احدى السمات المثيـرة لطيور عمان بالهجرة سواء المحليـة بين السهـول المنخفضة والجبـال الأكثر برودة أو بين المناطق الجغرافية المختلفة.

وتتمتع عمــان بكونها المكــان الذي تختاره مجمـوعة كبيـرة مـن الطيـور المهاجـرة لتستـريـح أو تتغـذى أو تتكاثــر. وأفضل فترة لمشــاهدة الطيور المختلفــة مثـل البط والطيور المخوضة المهاجـرة عبر عمان هي شهور فصل الخريف عنـدما تتعزز أعدادها بالعـديد من صغار الطيـور التي خـرجت إلــى الحياة فــي شهور الصيـف، وحيث تميل الطيـور إلى أن تكون أقل عجلة فــي مواصلة رحلتها كما يحدث في فصل الربيع من أجل التفريخ.

أما بــالنسبة لطيـور الجواثـم فيعتبر فصـل الربيــع أفضل فترة لمشــاهدتها. وتعتبر رحلة الهجـرة التي تقوم بهـا طيور اللقــالق البيضــاء والتــي تأتـي من اوروبــا الشـرقيـة متجهة إلـى الجنـوب عبـر عمان فــي فصـل الخريف من أروع مشاهد الطيور المهاجرة.

وقد شــاهد مؤلــف هــذا الكتاب أثنـاء الرحلــة التي قام بها في شهر ديسيمبر ١٩٩٢م إلــى مجمـع يعلـوني في جـدة الحراسيـس زوجاً مـن طيـور اللقالــق التـي هبطت بجـوار المجمع لتستريـح لبضعـة أيـام قبـل أن تحلق فــي السماء من جديـد لتواصل رحلتها. ومــع ذلك، تميل هـذه الطيور بصــورة عامـة إلى المحــافظة علــى ارتفاعها وهي تعبـر جنوب الجزيرة العربية فــي طريقها إلى مهاجعهــا الشتوية في شرق افريقيــا، ولا تمر بعمان في رحلة هجرتها في فصل الربيع.

ونـدرج فيمــا يلــي المفكـرة السنـويـة النمـوذجيـة لمشاهـدة الطيور في عمــان وهي مبنية علــى المفكـرة التي أدرجها جالاغر وودكوك في كتابهما.

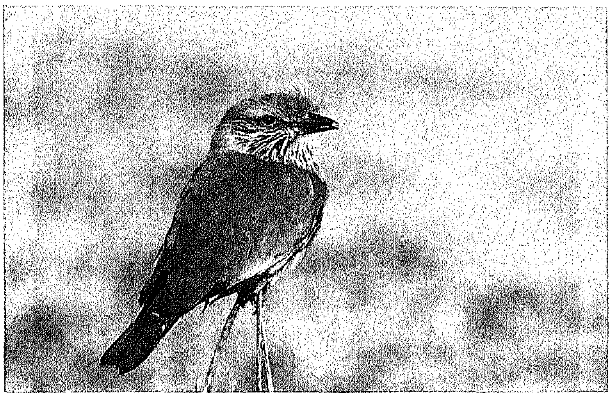
مفكرة
هواة مشاهدة الطيور

عُمان



تم اقتطاف البيانات المدرجة هنا من كتاب
«طيور عمان» للمؤلفين جالاغر و وودكوك
مع صور للمصورين
هانز و جينز اريكسون

ينايـــــــــــر



الشقراق الهندي.

يشـهد شـهر يناير حركة الطيور الزائرة في فصل الشتـاء والطيور المهـاجرة العـابرة بمـا في ذلـك البط والعقـاب ذو الأصابـع الصغيـرة والعقـاب الملـوكـي والطيـور المخوضة المختلفة والنورس (رمح الماء) الكبير ذو الظهـر الأسود اللـون والخطاف الـرملي والهـازجة والسمنـة. وتصل إلـى مسندم بعض الطيور القـادمة من الخليج.

وتبدأ الأنـواع التاليـة من الطيور فـي إقامـة أعشاشـهـا: طيور العـاسوق والـدراج والحمـام والسمـامة والشقـراق الهنـدي والدُخلة والتمير الارجواني والصرد الرمادي الكبير.

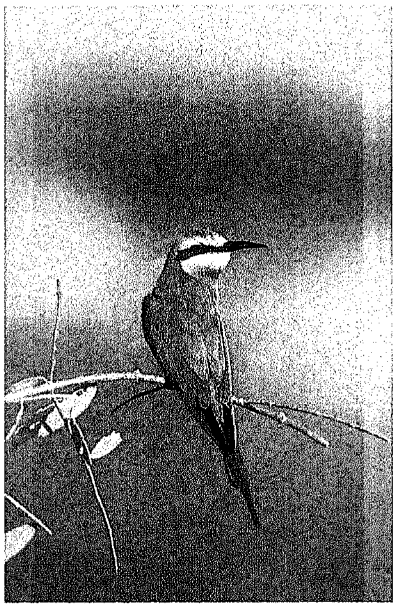
فبرايـــــــــــر

يشـهد شـهر فبرايـر زيادة حركة الطيور العابـرة المتجهة نحو الشمال ورحيل البط والطيور المخوضـة المتأخرة. تبدأ المزيد من الطيـور في إقامة أعشـاشها، وتتضمن: النسـر المصري والصقر ذا السـاقيـن الطويلين وعقاب «بونلي» ودجـاجة الماء والحمـامة والبـومة الصغيـرة وذلك إلى جانـب عدة أنواع من طيـور القنبـرة والخطـاف ذي العنق الشاحب والبلبل الأصفر والأبلق «هيوم».



الصقر ذو الساقين الطويلين.

مارس



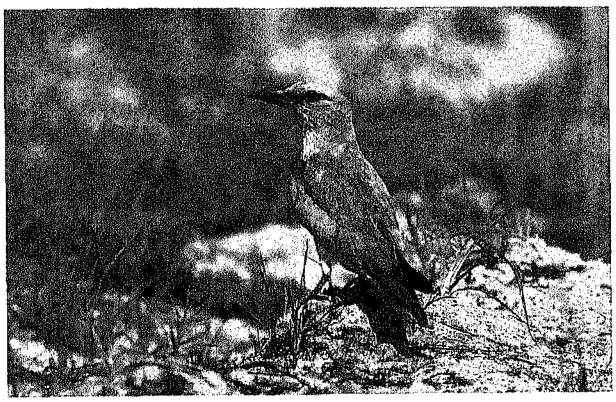
الوروار ذو الوجنة الزرقاء.

استمرار مرور الطيور المهاجرة. وصول طيور الوروار (الخضار) ذي الوجنة الزرقاء. تبدأ الطيور التالية في إقامة أعشاشها: الأطليش الأبله والبلشون الأخضر الصغير والزقزاق (أبو الرؤوس) الحلزوني الصغير وزقزاق (قطقاط) «كنتش» والزقزاق الشامي (أبو طيط) ذو اللغد الأحمر وحمام الصخور وحمام الورشان والعديد من أنواع البوم وطيور القبرة أو القنبرة والطيور الهازجة

أبريل

أبريل هو شهر رحلات الهجرة الرئيسية إلى الشمال والتي تقوم بها العديد من الطيور مثل الفلروب ذي العنق الأحمر والنورس والخرشنة والوقواق والوروار والخطاف والعديد من طيور الجواثم الليلية. وفي الاتجاه الأخر تقوم بعض الطيور بالهجرة إلى الجنوب مثل طيور جلم الماء الايراني. تصل إلى عمان الطيور التالية خلال شهر أبريل: جلم الماء ذو القدم الشاحبة وطائر النوء البحري الصغير «ويلسون» والصقر القاتم، بينما تصل إلى ظفار وحدها الطيور التالية: الحمام الأخضر ذو البطن الأصفر والرفراف. تبدأ الطيور التالية في إقامة أعشاشها: الغواص الصغير والعصفور ذو الحلق الأصفر ومالك الحزين والزقزاق (في مصيرة) والنورس القاتم والقمرية وقنبرة الأدغال المغردة.

مـايـــــــو



طائر الشقراق الأوروبي.

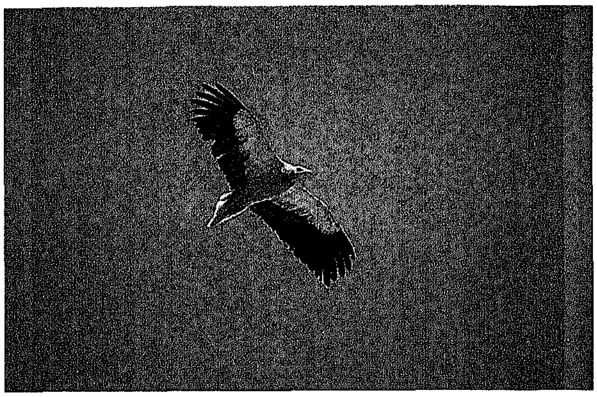
يشـهد شـهر مايو انتهاء الهجرة الشمـاليـة، لكن مـع استمـرار تنقل طيـور الضوع أو السبـد والشقـراق وأبــي الحنـاء ذي الصـدر الأحمر الضـارب إلـى الصفرة. يبدأ زوار الشتـاء في مغـادرة البـلاد بمـا فـي ذلـك طيـور الرفـراف. تصل طيـور الوقـواق «ويدرك» إلـى ظفار وتبدأ الطيـور التاليـة في إقـامة أعشاشـهـا: الخرشنـة والوروار والقـرلي ذو الـرأس الرمـادي والدغناش ذو رأس الأسود.

يونيـــــــو

يشـهد هذا الشـهر بدء هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في ظفـار، وهو شـهر يتسـم بالهدوء بصـورة عامة مـع وجود بعـض الطيور الهـائمة واستمـرار طيور التفـريخ فـي إقامـة أعشاشـها.

يوليـــــــو

تتركز بالقرب من ظفار طيـور جلم الماء والنوء البحري وطائر النـوء البحري الصغيـر «ويلسون». تبـدأ الطيور التـالية فـي الانتشار عقب انتهاء موسم التفريـخ: الزقزاق الشامي ذو اللغد الحمراء والورور ذو الـوجنة الزرقاء والنورس القاتـم كما يبدأ وصـول الطيـور المهـاجـرة العـابـرة والطيـور الـزائرة الشتوية بما فـي ذلك البلشون والنحـام أو البشـروس الكبيـر والنسـر المصـري والطـائر الخـواض ونـورس الـرنكـة والخرشنة ذو اللحية.



النسر المصري.

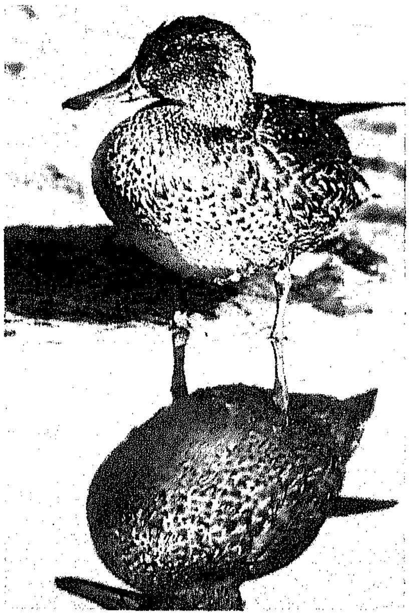
أغسطـــــس



طائر الجشنة ذو الحلق الأحمر.

شهر أغسطس هو شهر الذروة بالنسبة للطيور المهـاجرة إلى الجنـوب حيـث تنشط حـركـة الطـائر المخـوض والفلـروب والخـرشنـة والجشنـة أو العزيزاء والذعرة. تنتشر طيور الـزقـزاق واليمام بعـد انتهـاء مـوسم الإستيـلاد. تبدأ طيـور جلـم الماء الأيـراني ذو القـدم الشاحبـة في الانتشـار. تتضمن الدفعـات الأولى مـن الطيور التـي تصـل إلى عمـان اللقلـق الأبيـض والحباري والقـرلـي (الرفراف).

سبتمبر

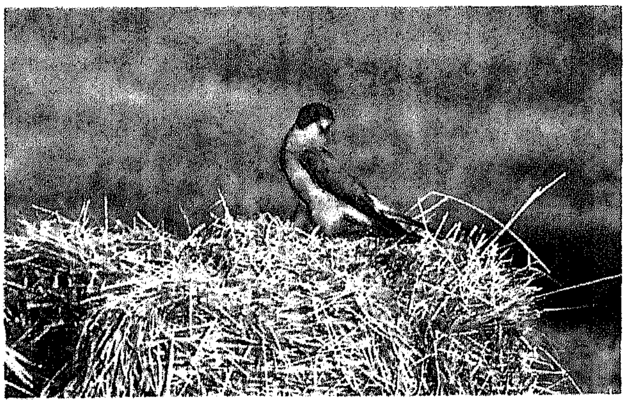


طائر الحذف ذو الجناح الاخضر.

ينتهي في شهر سبتمبر موسم الرياح الموسمية الجنوبية الغربية وتستمر فترة الذروة في هجرة الطيور المختلفة إلى الجنوب بما في ذلك البلشون والراف (المطوق) والضوع (السبد) وطيور الجواثم المهاجرة ليلاً. يبدأ انتشار طيور جلم الماء ووصول الطيور الزائرة الشتوية المبكرة بما في ذلك البلشون الأبيض الكبير وأنواع البط المختلفة والنورس ذو الرأس الأسود والذعرة البيضاء والأبلق ذو الحلق الأزرق والذيل الأحمر.

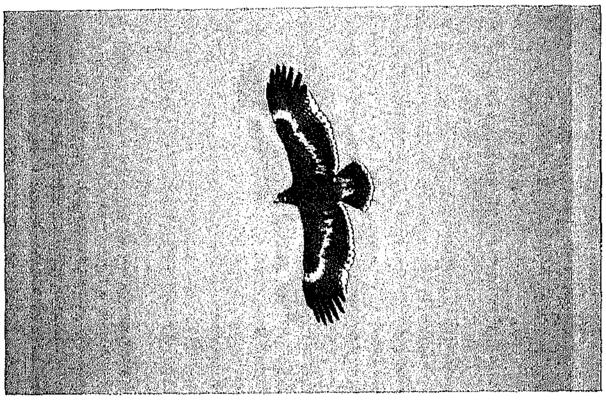
اكتوبر

استمرار مرور الطيور المهاجرة إلى الجنوب بما في ذلك العوسق الصغير والوروار ذو الوجنة الزرقاء والأبلق الصحراوي. تصل بعض الطيور الزائرة الشتوية الأخرى بما في ذلك طيور الغاق الكبيرة والبط والباشق والعقاب والغراء واليقنة ذو الذيل الشبيه بذيل طائر التدرج والحميراء الأسود والزرزور. تنتشر في ظفار طيور الغاق «سوكوترا». والوقواق. يهاجر طائر جلم الماء الايراني في اتجاه الشمال.



صقر العوسق الصغير.

نوفمبر



صقر السُهب.

يبدأ هبوب الرياح الموسمية الشمالية الشرقية، ويتم مشاهدة بعض الطيور المهاجرة المتأخرة مثل البومة ذات الأذن القصير. وصول المزيد من الطيور الزائرة الشتوية وخاصة البط والعقاب. كما يتم في هذا الشهررؤية أعداد ضخمة من النسور المصرية. يبدأ انتشار العقاب القاتم والقرلي ذي الرأس الرمادي في ظفار وكذلك يبدأ عقاب فيراوكس في إقامة عشه في ظفار.

ديسمبر

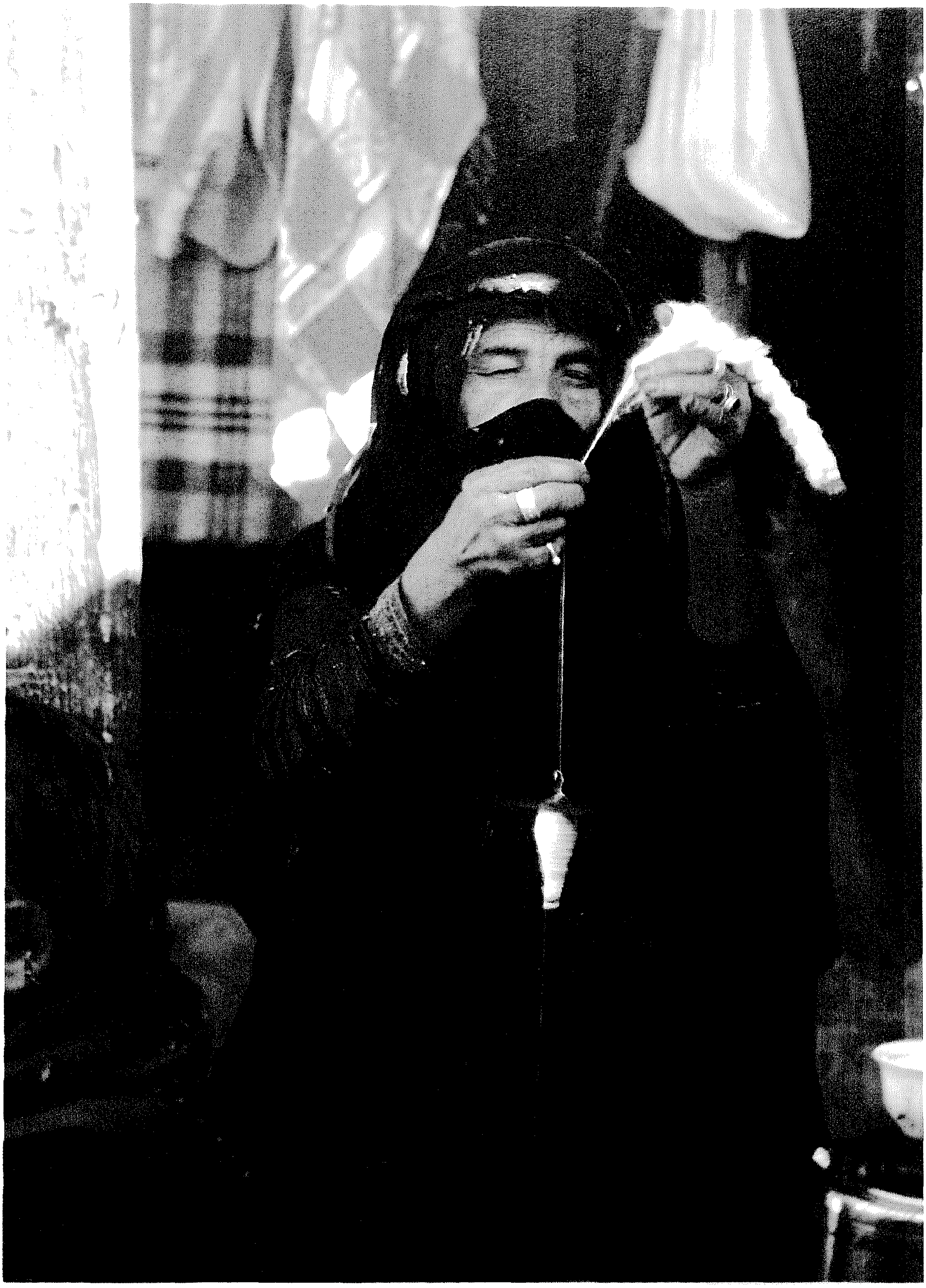
تصل في شهر ديسمبر طيور السمنة الشتوية وبعض الطيور المهاجرة الأخرى مثل طائر الغرنوق (الكركي) العادي. يبدأ صقر العقاب النساري وغراب الغداف في اقامة عشيهما الشتويين (في ظفار).



لا تزال العادات والتقاليد قوية في عمان حيث يفخر أهلها بتراثهم الفريد. وفي هذه الصورة تظهر مجموعة من الرجال العمانيين وهم يرحبون باليخت السلطاني «فلك السلامة» في ميناء السلطان قابوس بمناسبة احتفالات الذكرى العشرين للعيد الوطني لعمان.

العادات

شركة تنمية نفط عمان



جيجي كروكر جونس

فـــن النسيـــج التقليـــدي

بقلم جيجي كروكر جونس

في الصفحة المواجهة: في رملة الوهيبة تحول النساء بكراتهن الى لاويّة ويغزلن بالمغزل وفلكة المغزل (الثقالة) عند قمة العمود.

عمـان هو بلـد ذو تضاريـس جغـرافية متبـاينة، تضـم سـلاسل جبليـة بينها وديـان عميقـة وصحارى رمليـة وواحـات خضراء وشـواطـىء تمتد لمسـافـة أكثر مـن ١٧٠٠ كيلو مترا. وتؤثر هذه التضـاريس المتباينة بشدة تأثيراً مبـاشراً على اسلوب حياة السكـان. واسلوب حياة هؤلاء السكان يؤثر بدوره علـى الحرف التي يقومون بها. وعلى الرغم من أن عمان هي ثـاني أكبر دولة في الجزيرة العربية إلّا أن تعداد سكانها حسب آخر احصاء أجري في عام ١٩٩٣ يزيـد على المليونين بقليل. ويعتبـرذلك أيضـاً من العـوامل الهامـة التي يجب أخـذها في الاعتبـار عند دراسة الأعمال الفنية التقليديـة المنتجة في عمان. كما أن ارتفاع نسبة المواليد في الـوقت الحاضر يعني أن نصف سكان السلطنة هم من الأفراد الذين لا تزيد أعمارهم على خمسة عشر عامـاً. والعديد من هؤلاء الصغار لـن تتوفر لديهم أية خبرة عملية في هذه الحرف الفنية.

ولمعرفـة لماذا يقتصـر نسج المنسـوجات الخـاصة علـى مناطـق بعينهـا، يلزم ان نلقـي نظـرة على الهيكـل التقليـدي للمجتمع العمـاني. ان تصنيـف السكان طبقـاً للأسس التقليديـة يعتبر في حد ذاته مرجعـاً هاماً، ولكنه لا ينطبق في العـديد من الحالات على عمان الحـديثة لأنه مع تغير زعـامة البلاد في سنـة ١٩٧٠ تطورت الأوضاع الإقتصادية وخدمات الرعاية الإجتماعية تطوراً سريعاً.

ويمكن تصنيف سكان عمان إلى فئتين هما أهل المدن وأهـل الريـف او الـرعاة. وأهـل المـدن والقرى، أو أهـل «الحضـر» كمـا يسمونهم، يعيشـون في مسقط وسـاحل الباطنة وفـي مدن المنطقة الداخلية والشرقيـة والظاهرة ومسندم وفي صـلالة بمحافظة ظفار. ويتنقـل الرعاة، أو الشـواوي، مع تغيـر فصول السنـة ويعيشـون إما فـي قراهم أو في التـلال والوديان الواقعة بالمنـاطق الجبلية. وهـم يستوطنـون المناطـق الجبلية مثـل منطقة الجبـل الأخضر وسلسـلـة جبال الحجر الشـرقي ويتنقلـون مع قطعانهـم عبر الأراضـي الرمليـة والسهول، وينصبـون خيامهـم أينما توفرت الأعشـاب ويعودون الى مـدنهم أو قراهم في مواسـم جمـع التمر.

والمستوطنـون هم على نحـو تقليدي من المـزارعين وأصحـاب بسـاتين النخيل وصيـادي السمك في المناطق الساحلية والتجار والحرفييـن المحترفين وعمال النسيج والخزف وصباغي النيلة وصـانعـي المجوهرات وصـانعي المعادن وصـانعي الحلـويات. ويمتلكـون بعض المـاعز والغنم والبقـر والإبل. ولا يمـارس رجالهـم أو نساؤهـم أعمال الغزل. أما النساجون من الـرجال والذين يجدلون الخيوط الصـوفية عنـد اللزوم فينسجـون الخيوط علـى النول ويمارسون هذا العمل في وقت فراغهم.

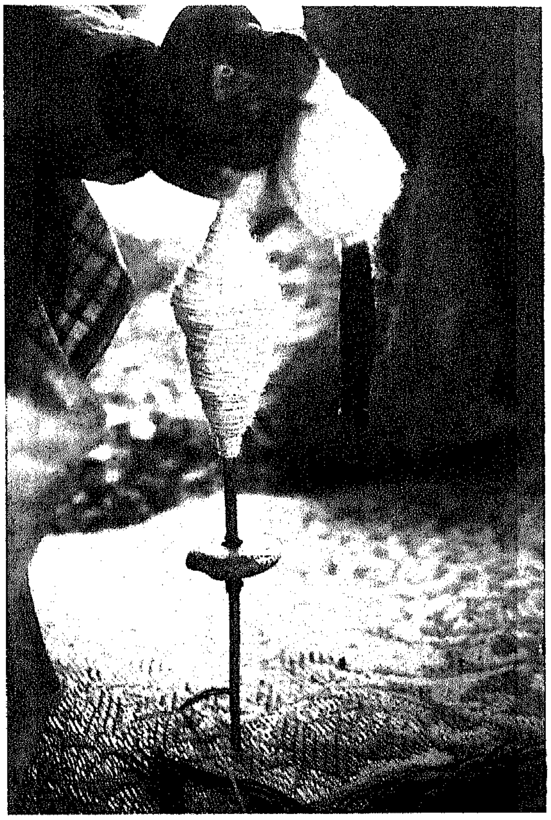
والرعاة هم في المعتاد رعـاة لقطعان الماعز ويعملون فـي البسـاتيـن ويجمعون الحطـب واخشـاب الـوقـود والعسـل وينقلـون البضـائع على ظهـر الحميـر، وهـم يحتفظـون بالمـاعـز وببعـض الأغنام والحميـر وربمـا يحتفظون أيضـاً بجمل او نـاقة. ويمـارسون هـذا العمل لبعض الـوقت فقـط حسبما يتسع لهـم الوقت وحسبما تتوفر لهم المواد الخام.

وبصورة تقليدية يقوم البدو برعاية الإبل والماعز وقد تتوفر لديهم بعض الأغنام. وتزاول نساؤهم أعمال الغزل بالمغـزل، بينما يـزاول رجالهـم الغزل إمـا بالمغـزل أو بعصي. وتقوم النساء بالنسج علـى نول أرضي من أجل توفيـر احتياجـات الأسرة او مـن اجل تـوفير تجهيـزات العرس او يقومون بهذا العمل بتكليف من شخص آخر.

وبالـرغم مـن ان جميع هـذه الفئات كـانت ولا تـزال تعتمد على بعضها البعض الا ان هناك عدة عوامل حددت التغيرات الـرئيسية فـي حياتهم مثـل توفـر المزيـد من المساكن الدائمة والمرافق التعليمية ووسائل النقل.

ولفهم مهـارات حرفـة النسيج، يجـب دراسة المـراحل المختلفة لهـذا العمل الفني والذي يتـم فيه اعطاء الأولـوية لنوع القطيـع والمواد الخام. لقـد انتشرت في أنحـاء عمان سـلالات الماعـز المنـزلية، غيـر أن سـلالات الماعـز ذات الشعر القصيـر تسود فـي منطقة ظفـار وشعرهـا قصير بدرجة تجعله غير صالح لـلاستعمال. اما في شمـال عمان فتنتشـر سلالات المـاعـز ذات الشعـر الطويـل والألـوان المختلفة وبصورة خـاصة اللون البني القـاتم او الأسود. وهذا يفسـر نـدرة وجـود «بيت الشعـر» التقليدي، وهـو الخيمة ذات الشعـر الأسود، فـي عمان، لكنـه تم استيـراد بعض هذه الخيـام واستعمالها في ظفـار في ناحية الـربع الخـالـي. وعلى أيـة حال، تم تهجيـن سلالات المـاعز ذات الشعر القصير مع سلالات الماعز ذات الشعر الطويل أثناء رحيل أصحـاب هذه القطعان فـي موسم الجفـاف. ويجدر بالذكـر ان سلالات الماعز ذات الشعر الطويـل هذه تحتاج الى كمية أكبر من المـاء وتعطي كمية أقل من الحليب.

ولا يتم اليوم استخـدام شعر الماعز بكثـرة وهذا يفسر لماذا لا نرى اعداداً كبيرة مـن الماعز ذات الشعر المجزون، لأنه يتم قـص الشعر بتمرير السكين علـى طول الخصلة. وتلك مهمة يقوم بها الـرعاة والنساء البدويات في المعتاد.



يلف الرعاة بكراتهم في شكل رقم ثمانية باللغة الانجليزية على نول ويثبتونه على أصبع السبابة الايسر. ان فلكة المغزل (الثقالة) هي عبارة عن حصاة من قاع الوادي يتم وضعها عند الطرف السفلي للمغزل.

جيني كروكر جونز

وشعر المـاعز عبـارة عن أليـاف قويـة وخشنة وشـائكة يصعب غزلهـا ونسـجها بأصابـع اليد، لكن خيوطهـا تنتج حبالاً متينة وتستخدم في تفصيل مـلابس قوية التحمل. أمـا صوف الغنـم فيتبايـن مـن ناحيـة الجودة، فصـوف المنـاطق الجبليـة أكثر نعـومة وأقـل غلاظـة من صـوف مناطـق السهول والمنـاطق الـرملية والسـاحلية. ويقـوم الرعاة والنسـاء البدويات بجز الصوف الـذي يكون أغلبه ذا لون بني قاتم غير أن بعضه متوفر باللون البني الفاتح والـرمـادي. ويتـم جزّ الصـوف بـاستعمـال المقصـات المنزليـة وغالبا مـا تستطيع النساء فقـط جزّ شـاتيـن من الغنـم في اليـوم الواحـد. وكانت الخيوط فـي الماضـي متوفـرة بكثرة وكان يتـم تصديـر بعضها إلى بـاكستان. ويقوم الرجـال برعاية الإبـل التي يتم نتف شعـرها وليس قصه، في فصل الصيف اثناء مـوسم الحصاد. أما الماعز والغنم فيتم جز شعرها في وقت مبكر.

وبالرغـم من انتشار زراعة القطن في عمـان سواء من النوع الأبيـض او البني، إلّا ان واردات القطن التي كـانت فـي هيئة أليـاف خـام مكدسـة فـي بـالات أو في هيئـة خصلات (شلات) خيـوط قد غطت لعدة عقود مـن الزمن على الانتاج المحلي. ويتم استيراد الحرير من اليابان في هيئة خصلات (شلات) خيوط بأحجام مختلفة وذلك كما هو الحال بالنسبة للخيوط المعدنية.

ولا يتـم فحـص ألياف الشعـر قبل غـزلها، بـل يتـم تكديسها فـي أكوام مع المحافظة على تـوازي الألياف ثم يتم أخـذ حفنة منهـا وغزلها علـى عصاة أو مغـزل. ومن نـاحية أخـرى يتـم فحص الصـوف بـاليـد لأنه لا يتـم استخدام المشط فـي عمان. ويتم فصل حفنـات الصوف عن بعضها البعـض للسماح لدقائق النفـايات والمخلفات غير المرغوبـة بأن تتساقط قبل الشروع فـي جدل (لف) الصوف على شكـل جدائل. ومن ثم يتم لـف الجدائل في فلكات بـأنماط مختلفة تحتفظ بـالصوف الجاهـز وتتيح لعـامل الغـزل أن يغزل النسيـج ويـداه طليقتان. ويلـف الرعـاة بكراتهم فـي شكل رقم ثمانيـة باللغة الانجليـزية على نـول (مجدال) ويثبتـونه بأصبـع السبابـة الأيسـر، ويغزلون بـالمغزل مع وجود فلكة المغزل (الثقـالة) عند الطرف السفلـي. وغالباً ما تكـون فلكة المغزل (الثقـالة) عبارة عن حصـاة من قاع الوادي. ويحـول البدو البكرات الى لاويّـات مثبتة مـرة أخرى بأصبـع السبابـة الأيسر. وبالقرب من الربع الخالي تستعمل بعض النساء العصي كفلكـة لتثبيت الصـوف. وتوجـد فلكة المغـزل عند قمـة العمـود وتتخذ عـادة شكل المستطيـل او شكل الـدائرة المفردة كمـا في مسنـدم. ويتم دفـع الغطاء فـي العمود ليبرز فوق الخيط ويستعمل في تعليقه. ويتم لف المغزل باليد اليمنـى في إتجاه عقارب السـاعة ثم يتم اسقـاطه، ومـن ثم يتـم سحب الأليـاف والسماح لحـركة الـدوران بالانتقال عبر الألياف الجاهـزة. وبعد ذلك يتم فك الخيط ولفه على المغزل مع تكرار هذه العملية.

وعندما يمتلىء المغزل يلتف الخيط في شكل كرة. ان معظم الخيوط مجـدولة وهذا يعني انه يتم لـف جديلتين معاً في اتجاه مضاد وتلتفـان حول كرة محكمة لتثبيتها. أما القطـن فيتم غـزله فـي حالتـه الطبيعية أو صبـاغته بالنيلة قبل عملية النسج أو بعد الإنتهاء من نسج القماش وأحيانـاً بعد الإنتهاء مـن تفصيل المـلابس. أما الحـرير فيتم استيـراده مصبوغاً مسبقـاً بالمواد الكيمـاوية وإن كان بعض عمـال النسيج يقومون بصبـاغته بأنفسـهم. ولا تتم في عمان صباغة أليـاف الماعز أو الأبل، لكنه يتم على نحـو تقليدي صبـاغة صوف الغنـم وهو فـي هيئة خصلات وليـس في شكـل كتل وذلـك باستخـدام أنواع مختلفة من النباتات.

ويعتبر نبـات الفوة الذي يعطي لـوناً أحمر جميـلاً هو أكثـر نبـاتات الصبـاغـة انتشـاراً في الإستعمـال. ويتـم استيراد هذا النبـات من الهند في هيئة جذور غيـر أنه يتم اليوم استيراده في شكل مسحـوق كمادة صباغة كيماوية. وعلـى الرغـم من ذلـك يحمل كـلا النوعيـن نفس الاسـم، واحيانـا يتم استعمالهما كمـزيج بخلطهما معاً. ويتـم في البـداية تـرسيـخ او تثبيـت خصلات الخيـوط باستعمال

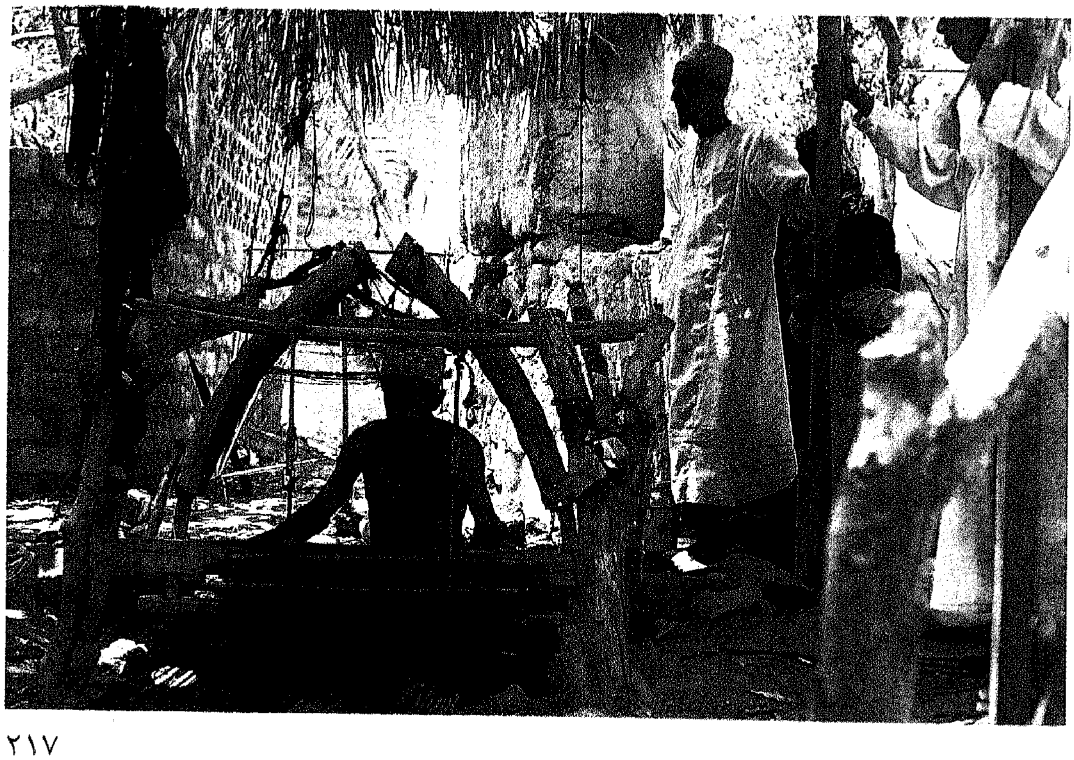
الشب ثـم صبغها باستخدام مـادة كلسية يتراوح عمـرها بين عامين وثلاثة اعوام ومادة الفوة المسحوقة.

ان فن النسيج كفن وظيفي لم يصـل بعد في عمـان الى مستـوى رفيع، غيـر ان الاشغال المنتجـة تـتم بمهـارة فائقة. وبالرغم من ان اعمال النسيـج فـي تدهور خطير إلاّ أنها مـا تزال حيـة في أنحاء مختلفـة من البـلاد وبصورة أساسية حيـث لا يزال هناك طلب مستمـر على المنتجات النـافعة وحيـث تتوافـر فـرص البيـع للسياح. ان معظـم أحياء عمال النسيـج التقليدية في المـدن والقرى أصبحت مهجورة. لقد اقيمـت في هذه الأحياء مئات الأنـوال إما في مجموعات او مفردة في ساحات للعمل. ويقتصر استعمال هـذه الأنوال علـى الـرجال الـذين يمـارسـون هذا العمـل كوظيفة بدوام كامل، غير انه احيـاناً ما يعمل عامل النسيج اليوم فـي وظيفة اخـرى ويمارس اعمـال النسيج كـوظيفة مـؤقتة بـدوام لبعض الـوقت. وقـد تمت صنـاعة الأنـوال باستخـدام المـواد المحلية، وتثبيتهـا علـى الأرضية (معلقة) حيث يجلس عامل النسيـج وقدماه في الحفرة مما يتيح له تغيير فتحة خيوط المسداة بتحريك ذراع المسـداة بقدمه ويترك يديه طليقتيـن لتقوم بقذف الماكـوك وجذب العارضـة. وتتميـز جميـع أنوال الحفـرة، باستثنـاء نول واحد موجود في بركاء، بانها ذات عمودين. وتمتد المسداة أمـام عامـل النسيج عبـر النول وتتـدلى إلـى اسفل عنـد العارضـة لتصبح فوق مستـوى الأرض مباشرة وهذا يتيح توفير مسـداة تكفي لنسـج عدة أطوال مـن الأقمشة وذلك على خـلاف النـول الأرضي حيث يلزم عمل مسداة لكل قطعة قمـاش جديدة. ويقوم عـامل النسيج بتغييـر فتحة خيـوط المسـداة بتحريك ذراع المسـداة بقدمـه ممـا يتيـح ترك يديـه طليقتيـن لتقذف الماكوك.

ويتم نسـج القطن حسـب الأطوال المنـاسبة للقمـاش بحاشيـة من الحـرير عـادة. وقد تكـون هذه الأطـوال غير منقوشة (مسداة) أو منقوشـة وذات خطـوط أو مربعات، ويتـم درزها فـي المنتصـف وتحـويلها الـى حصيـرة او ملابـس للنوم او عباءات للرجـال. أمـا الشالات الخـاصة بالنسـاء فيتم نسجهـا من الحـرير مـع زركشة المـلابس المنسـوجـة مـن الخيوط المعـدنيـة والشـالات بشـرائط ينسجها في الغالب نفس عامل النسيج على نول الشرائط.

ويمكـن نسـج هـذه الشرائط فـي الثـوب مبـاشـرة بـاستخدام أطـراف مسداة الثـوب كلحمـة (اللحمة هـي الخيوط المنسوجة عرضاً أي خلافاً للمسداة) للشريط أو نسجها منفصلة بـذاتها. وتتوفر هذه الأنوال فـي نوعين: يتم تعليق الجهاز الصغير في حامل صغير ثلاثي القوائم وقابـل للنقل أو مـن السقف حيث يتم مـد المسداة مـن طرف الغرفة الى طرفها الآخر.

ويقوم بعـض عمال النسيج الآخـرين الذيـن يعملون



جيجي كروكر جونس

أحد عمال النسيج الذين يعملون على نول الحفرة (المعلق) ينسج أطوالاً قاتمة اللون من القماش الصوفي خفيف الوزن والذي سيتم استخدامه في نسج عباءة الراعي.

على أنــوال الحفرة (المعلقة) بغــزل خيوط الصــوف في شرائط طــويلة لإنتاج أثــواب خفيفة الوزن. ويتــم قطعها حســب الأطوال المنــاسبــة ودرزها معــاً لتحــويلها الــى بطــاطيــن او دثــارات يستعملهــا البــدو أو الــى شــالات ليستعملها الرعاة.

ويستعمل الرعاة والنساء البدويات النول الأرضي في انتاج المشغــولات الفنية اللازمة لهــم ولأفراد اسرهــم. كما يقومــون بانتاج قطع اضــافية عندمــا يسمح الوقت بــذلك وتكون المــواد الخام متــوفرة. وقــد يتم انتــاج هذه القطــع الإضافية بتكليف من شخص آخر او ليتم بيعها في السوق او من المنازل لعابري السبيــل. ومع ذلك فهذه المشغولات الاضافية معرضة للتلف.

ويتــألف النــول الأرضي مــن بعــض قطع الأخشــاب المتوفرة والمستخدمة في توفير السنادات أو الــدعامات الأربعــة والعارضتيــن وقضيــب ذراع تحــريك المســداة، والذي يتــم تثبيته فــي الغالــب باستعمــال علب الحليــب القديمة، والمــاكوك القضيبي. أما السيــف المستخدم في ضرب اللحمة فمصنوع من الخشــب المنحوت. ويتم لف المسداة افقياً بين العارضتين في هيئــة رقم ثمانية باللغة الانجليزية. وإذا تطلــب الأمر الانتقال من منــزل الى آخر يمكن لف النسيــج والنول واعادة توصيــل السنادات في مكانها الجديد.

ويتم استخدام هذه الأنوال في انتــاج مجموعة متنوعة مــن الدثــارات مثل دثــار الجمل التقليــدي (الحويــة) ذي الشــرائط السـوداء وصبغــة الفــوة وذي الشــرائط ذات الألــوان الطبيعيــة وذي الشــرائط المتعــددة الألــوان والمنسوجة من الخيوط المصبوغــة بالمواد الكيماوية كما يحدث اليــوم. كما يتــم نسج دثــارات سميكة بــاللونيــن الأســود والأبيض لــوضعها علــى ظهر الحمــار عند نقــل أحمال العشــب (البردعة). كمــا يتم نسج أثــواب صغيرة أخف وزناً ليرتديها الرعــاة عند جمع الأعشاب في الأماكن المرتفعة. كما يتم أيضاً نسج دثارات خفيفة الوزن باتباع نفس الطــريقة مــع استخدام الخيوط المــدمجة بــدلاً من الخيوط المجدولة. ويتم نسج هــذه الدثارات في نصفين، عند نســج أولها فيتــم نقل قضيــب ذراع تحريــك السداة والسنادات الــى الطرف الآخــر ثم يتــم مرة اخــرى نسج النصف الثانــي حتى المنتصف. ومن ثم يتــم قطع الثوب الى نصفين وحياكتهما معا بالطول.

ويتم جــدل الدثارات الثقيلــة والسميكة التــي تنسجها النساء على النول الارضي باستعمال اصابع اليد بدلا من الماكوك. ويجــري تعليق هذه الدثارات فــي داخل الخيمة من اجــل التدفئة أو الــزخرفــة، وهــي تعتبر احــدى القطع اللازمة من اجل توفير تجهيــزات العرس الى جانب كيس المرأة الــذي تستخدمــه في حفــظ أمتعتها وتعلقــه داخل الخيمــة. ويتم نســج هــذا الكيس والعــديــد من ســروج الجمال المــزخرفــة بنقوش معقــدة تعرف بــاسم نسيــج راكوم ، انــه نوع خــاص من النسيــج يعطي نقــوشا ذات خطوط ورمــوز ترمــز الى اسلــوب حياتهــم اليومــي في تصميمات تنتقل من الام الى إبنتها.

كمــا يتــم نســج اغطيــة ســرج الجمــل (الحــويــة) المزركشة الاخرى باستخــدام النول الارضي، ويتم نسج وسادة الســرج ووسادة سنــام (ذروة) الجمل التــي في شكــل حــرف يو U امــا فــي نسيــج غيــر مزركــش او بنسيـــج ذي جديلتيـــن زخرفيتيـــن عنــد الاطــراف او بنسيــج خــاص، كـمــا يمكــن نســج احزمــة الســرج واحزمــة الصدر المــزركشة ايضــا. هــذا ويتـــم نســج اغطيــة السرج المزركشة الاخــرى على النــول وانتاجهــا



جيجي كروكر جونس

يتم نسج أكياس عدلي الخرج (سرج الجمل) على نول أرضي وزخرفتها بنقوش معقدة في المسداة. تختار هــذه المرأة في رملة الوهيبة الخيوط لتعمل النقوش الخاصة بها.



جيجي كروكر جونس

الغزل باستخدام أصابع اليد بدلاً من الماكوك. نادراً ما يتم اليوم نسج الدثارات الثقيلة السميكة.

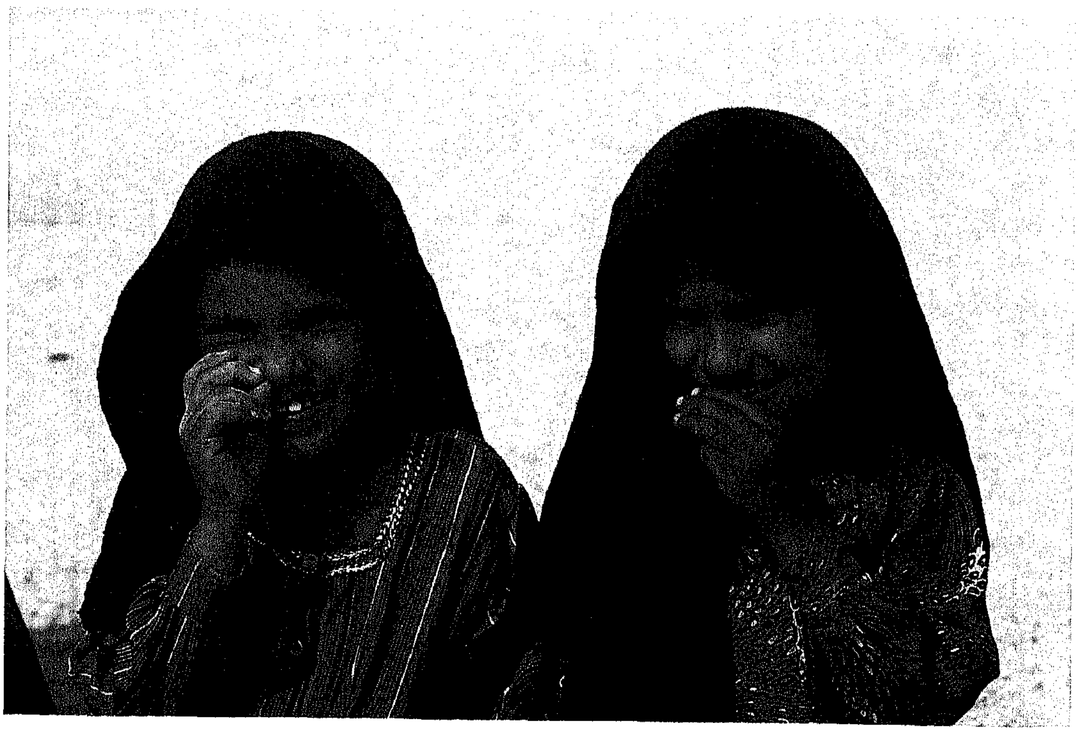
باستعمال اصابع اليد. وتتضمن هذه الاغطية سير اللجام واربطة العنق والتحميل.

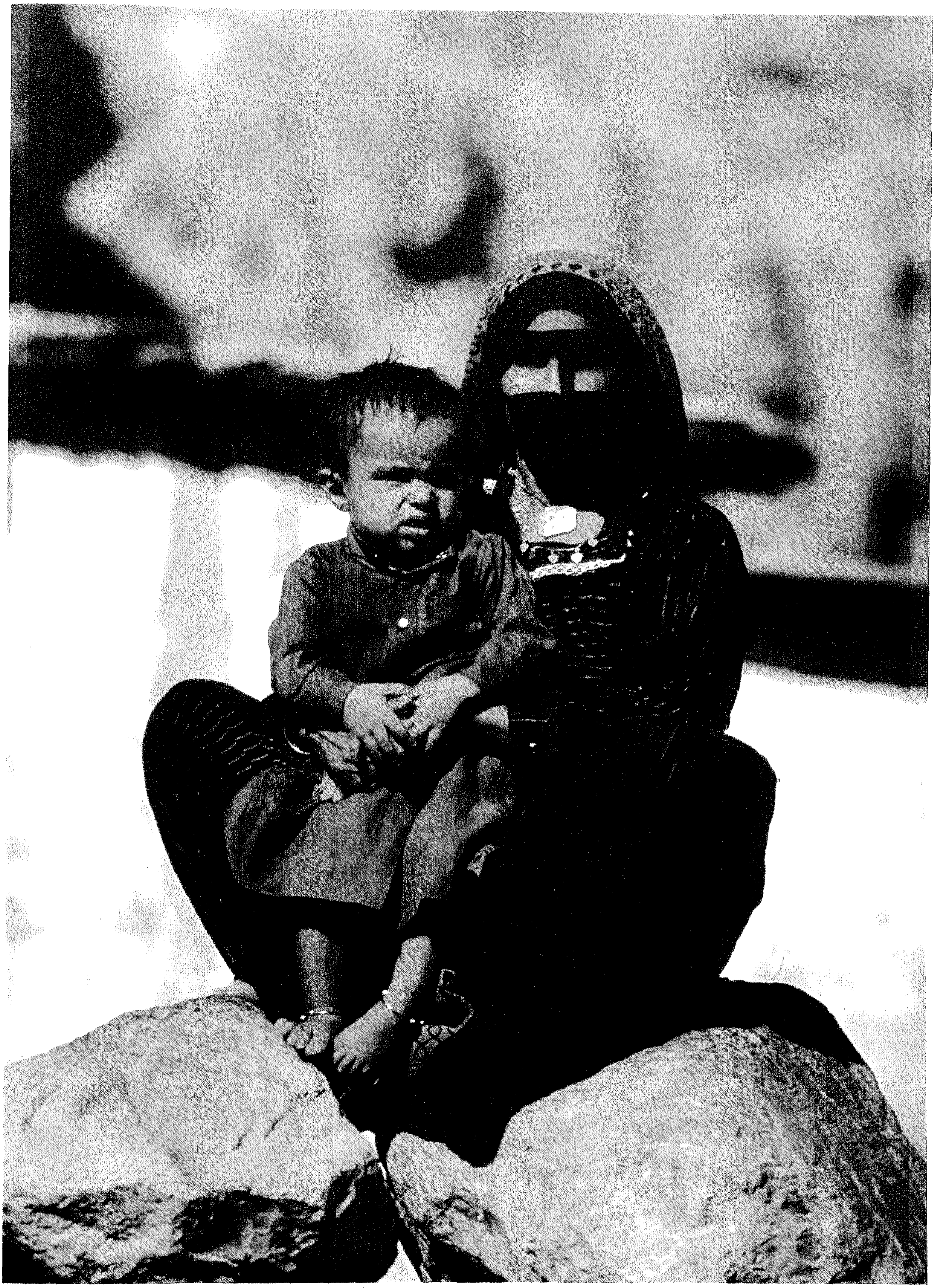
ويتم ايضا نسج الدثارات على الأنوال الارضية باستعمال شعر الماعز، وتتسم هذه الدثارات بالمتانة لكنها شائكة وخشنة وقد اعتادت النساء البدويات على نسج قطع طويلة من شعر الماعز وحياكتها معا لتحولها الى غطاء «فيلي» لحماية حيواناتهم من الرياح الباردة ولتوفير الظل لهم.

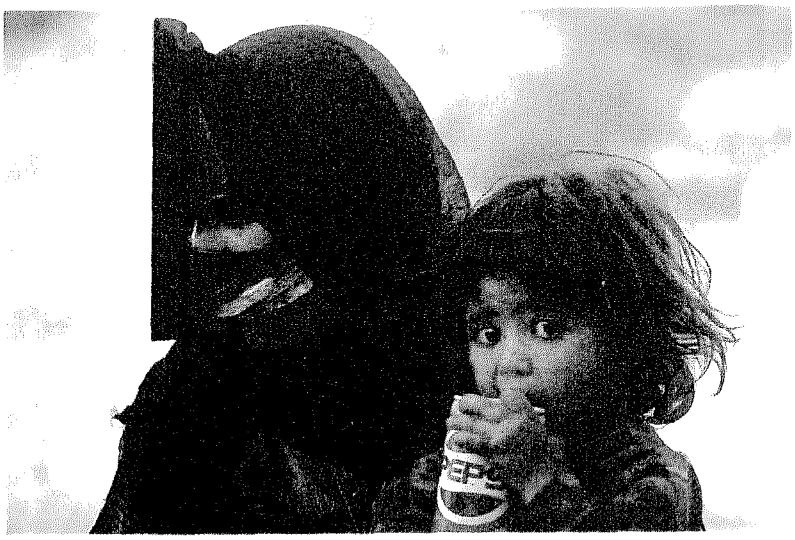
ويتم استخدام الأنوال الرأسية في نسج اغطية بردعة الحمار المزركشة باستخدام شعر الماعز للاستعمال في الاماكن الصحراوية الوعرة وفي نسج السرج المبطن واحزمة الردف والصدر التي يتم في بعض المناطق زخرفتها بالشُرّابات بصورة جميلة وفي نسج احزمة السرج والبطاطين الدافئة السميكة، لكن للاسف انقرضت هذه الأنوال اليوم تقريبا وصارت عتيقة الطراز.

كما يتم نسج بعض القطع الفرعية الاخرى على النول، وتتضمن هذه القطع المقلاع المنسوج من شعر الماعز والمستعمل في قذف الحجارة للسيطرة على قطعان الحيوانات وجمعها، ووسادات القدم التي يستعملها الرعاة والمصنوعة من شعر الماعز الممشط والمطبق والمطوي ذي الحياكة الجيدة التي تشكل مربعاً يتم ارتداؤها أسفل قاعدة إبهام القدم، وجوارب الرمل المصنوعة بطريقة الانشوطة ويتم ارتداؤها في المناطق الرملية لتوفير الحماية للقدم، وأكياس ضرع الجمل والتي يتم نسجها بين عصاتين مثبتتين بساقي الرجل واستعمالها لمنع الصغار من الرضاعة، وأكياس الكحل المزدوجة. كما تتضمن أيضا، منذ السبعينات، أغطية السيارات المزركشة وخاصة أغطية مفاتيح بدء تشغيل محرك السيارة والتي تم تصنيعها محلياً وطبيعياً من أغطية الجمال المزركشة.

وعلى الرغم من ان قوافل الجمال الكبيرة التي كانت ترحل عبر صحراء الجزيرة العربية قد اختفت مع التطور العمراني فلا يزال هناك طلب على الأغطية المزركشة الجميلة في بعض مناطق عمان وذلك نتيجة لتشجيع رياضة سباق الجمال في انحاء شبه الجزيرة العربية.

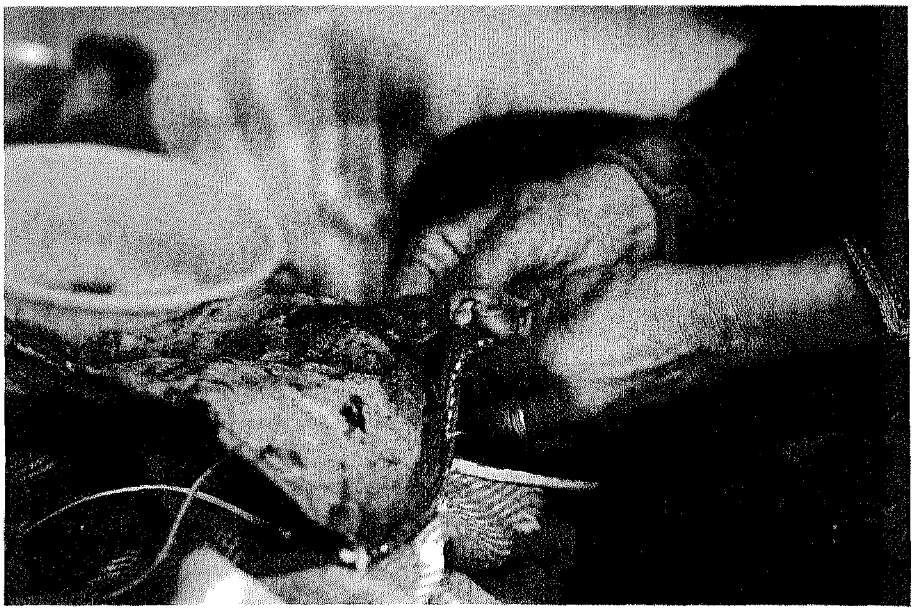






بدو الوهيبة.







شركة تنمية نفط عمان

صناعـــة الســــــلال

بقلم جيجي كروكر جونس

كانت صناعة العديد من المنتجات النافعة تتم - ولا تزال باستخدام أشجار النخيل . ويتم بصورة تقليدية منذ أجيال عديدة استخدام أشجار النخيل الشائعة المزروعة في أغراض عديدة. وينمو هذا النوع من أشجار النخيل برياً في المناطق الساحلية عادة بالقرب من المياه السطحية. وتتميز هذه الأشجار البرية بأنها غير مثمرة عادة وتبدو أكثر كثافة بالرغم من أنها قد تكون ذات جذعين رئيسيين. وهناك نوع آخر من أشجار النخيل البرية هو النوع المحلي وهو نوع كثيف الجنبات ذو أوراق سعف مميزة مروحية الشكل، وينمو في المناطق الصحراوية وفي الوديان والمنخفضات الرملية. ويتم استعمال جميع أنواع أشجار النخيل المختلفة سواء المزروعة أو البرية في صناعة السلال في جميع أنحاء عمان.

ويستعمل أهل المدن والريف أشجار النخيل المزروعة، كما يستعملها البدو أيضاً والذين يقيمون خارج القرى في منازل مشيدة من سعف النخيل يتم اقامتها خلال فصل الصيف في أثناء موسم جمع التمر.



جيجي كروكر جونس

تم تحويل هذا العمل المجدول الجميل إلى غطاء للأطعمة. ولجعل حافة الغطاء صلبة يتم تقويتها باستخدام ضلوع سعف النخيل.

وعادة تكون هذه الأشجار مملوكة للفلاحين والمزارعين.

وتحتاج أشجار النخيل إلى ري منتظم ويتم تلقيحها يدوياً بصورة أساسية بالرغم من أنها من أنواع الأشجار التي يتم تلقيحها بفعل الرياح. ولهذه الأشجار استخدامات عديدة بجانب إنتاج الرطب والتمر. فيتم استخدام جذوعها في أعمال البناء وخاصة في انشاء عوارض السقف. كما يتم حرقها وتحويلها إلى فحم أو استخدامها في انتاج الأسمنت المحلي أو انتاج الجير الأبيض المستخدم في طلاء واجهات المنازل. كما يتم استعمال ألياف الجذع في أغراض عديدة تتراوح بين صناعة الحبال ومقابض السلال وتبطين أغطية سروج الجمال وفي تنظيف الصحون. أما ضلوع سعف النخيل فيتم استخدامها في صناعة الأقفاص المختلفة مثل أقفاص نقل السمك وأقفاص الطيور وأقفاص الدجاج أو مباخر الملابس أو مقابض الفُرش. كما يتم استخدامها أيضاً في تقوية بعض الأدوات مثل إطارات أغطية الطعام.

أما الأوراق الطويلة لسعف أشجار النخيل المزروعة فيتم تحويلها إلى عدة أدوات منزلية مفيدة حيث يتم استخدام الأوراق المختلفة في انتاج بعض المشغولات الفنية. ففي مسندم على سبيل المثال يتم تفضيل استعمال أوراق سعف الشجيرات الصغيرة ثم الأوراق الجديدة المقطوعة من قمة الشجرة وهي لا تزال صفراء اللون إلى حد ما. ويتم استخدام هذه الأوراق في صناعة أغطية الطعام والمراوح الدائرية المستخدمة في تحريك الهواء لتأجيج جذوة الفحم المشتعل وفي تبريد الطعام والمراوح الشبيهة بالراية اليدوية والتي يستعملها الأفراد في تحريك الهواء أمام وجوههم للتخفيف من حرارة الجو وفي صنع سلال مستحضرات التجميل الدائرية وسلال الخبز وقطع الحصر المدوّرة التي يتم وضع صواني الطعام عليها.

كما يتم أيضاً استعمال أوراق سعف النخيل الأخرى، عند قطعها وهي خضراء، في صنع الفُرش، وأكياس التمر، وسلال الحمل بمختلف الأحجام للاستعمال في نقل التمر المجموع من الأشجار وحمل جميع الأشياء المنزلية، وفي صنع سلال كفة الميزان والحُصُر المستخدمة في تجفيف التمر وحصر الصلاة وحصر النوم والحصر المفروشة على الأرضيات.

ويمكن قطع سعف النخيل وجمعه في أي وقت من أوقات السنة وتجفيفه بتعريضه لأشعة الشمس لمدة يومين في فصل الصيف أو لمدة ثلاثة أو أربعة أيام في

فصل الشتاء. وبعد أن تجف يمكن صبغها أو استعمالها بلونها الطبيعي أو حفظها للاستعمال فيما بعد. ويتم شق أوراق السعف وهي جافة بعد أن يتم أولاً قطع قاعدتها وضغط طرفي الورقة معها حتى تتقشر الورقة طولياً في منتصفها ثم يتم الامساك باحدى اليدين بحزمة من الأوراق ووضع ظفر أصبع الابهام لليد الأخرى داخل الورقة بالقرب من قاعدتها وشق عدة جدائل في آن واحد.

وكان يتم في بعض المناطق وخاصة ظفار استخدام النباتات مثل نباتات الألوة التي تعطي اللون الأزرق التقليدي في صباغة ألياف سعف النخيل. أما في المناطق الأخرى، مثل مسندم، والتي لا تنمو فيها مثل هذه النباتات المستخدمة في الصباغة فكان يتم استخدام مواد الصباغة الكيماوية كما يحدث الآن في كل مكان لأسباب عملية. ولاجراء عملية الصباغة، يتم اضافة مسحوق الصباغة الكيماوي إلى حوض الصباغة وتقليبه ثم يتم وضع الألياف المبللة وغليها برفق لمدة عشر دقائق ومن ثم يتم رفعها من الحوض ونشرها مسطحة على الأرض في الظل حتى تجف.

ويتم جدل الألياف المبللة، وهو عمل تقوم به النساء عادة، حيث يستعملن أصابعهن في تشكيل العناصر المستخدمة في صنع السلال ويضعن بجوارهن حزمة من الألياف ثم يقمن بوضع أحد العناصر فوق العنصر الآخر الذي يعملن به قبل أن ينتهي. ويتم إضافة المزيد من العناصر الجديدة من الجهة اليمنى إلا إذا كان يتم عمل أحد النقوش وهنا قد يتم إضافة العناصر الجديدة من كلا الجهتين. ويمكن جدل العناصر بتمريرها أعلى العنصر الأخير وأسفله أو أعلى العنصرين الأخيرين وأسفلهما طبقا للقطعة التي يتم انتاجها. وبالمثل يمكن أن تتباين الثخانة باستعمال عنصر واحد أو أكثر من العناصر فوق بعضها البعض.

وعند الانتهاء من عمل الجديلة المربوطة بالأسلاك يتم لفها وخياطتها في حركة دائرية من المنتصف لانتاج المشغولات المستطيلة. وغالبا ما تقوم النساء بأعمال الخياطة، غير أن الرجال هم الذين يقومون بخياطة أكياس التمر. كما يتم أيضاً على نحو تقليدي صناعة الخيوط الدقيقة المستخدمة في الخياطة من عناصر أشجار النخيل لكنه يتم الآن استخدام الخيوط المصنوعة من النايلون. ويتم في كمزار بمحافظة مسندم انتاج أرقى المشغولات المصنوعة من أشجار النخيل هذه.

وهناك اسلوب آخر لصناعة السلال باستخدام أشجار النخيل المزروعة، هو اسلوب اللف الملولب. وهنا يتم صناعة قلوب السلال الملولبة باستخدام محور الساق الذي تم منه جمع التمر. ويتم شق هذا المحور وتحزيمه لتشكيل القلوب التي يتم خياطتها في وسط القاعدة حلزونياً. كما يتم استعمال أوراق سعف أشجار النخيل المشقوقة كمواد للخياطة حيث يتم لفها حول القلب وخياطتها في الطبقة السابقة وفي الطبقات اللاحقة.

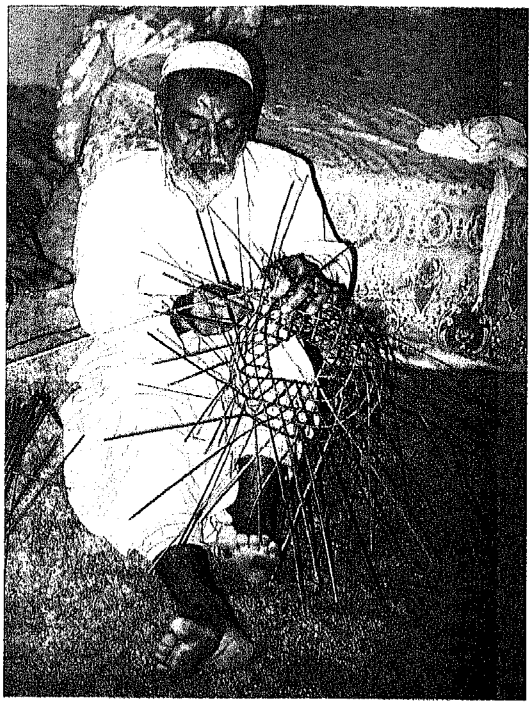


جيجي كروكر جونس

تقوم «شمسا» من المنطقة الوسطى في عمان بعمل سلة صغيرة باستخدام طريقة اللف. وهي حفظ السعف المشقوق المستخدم في الخياطة مبللاً في سلة صغيرة محكمة الغلق تضعها في حُجرها. وهي تستعمل أداة حادة لعمل الثقوب التي يتم فيها تمرير أداة الخياطة.

ويتم انتاج مجموعة كبيرة من الحبال باستخدام ألياف جذوع أشجار النخيل لاستعمالها محلياً. ولصنع هذه الحبال يقوم أخصائي الجدل بسحب قطعة من الألياف من جذع الشجرة ويبللها ويمشطها ليحافظ على توازي أليافها ثم ينزع قطعة صغيرة من هذه الألياف ويلفها على أصابع اليد مع تكرار هذه العملية حتى يتم تشكيل مجموعة من الكرات. ثم يضع كرتين معاً متوازيتين ويثبتهما بأصبع القدم الكبير ويمسكهما بيديه ويلفهما منفصلتين بعيداً عنه ثم يلفهما معاً في نفس الاتجاه حتى يلتفا فوق بعضهما. ويتم تكرار هذه العملية مع الكرات الأخرى حتى يتم الحصول على الأطوال الكافية. ويتم اجراء المزيد من عمليات الطي واللف المختلفة لتحقيق القطر المطلوب.

وتنمو أشجار النخيل البرية بصورة أساسية في المناطق الساحلية حيث يتم جمعها واستخدامها في صنع الجدائل. ويتم شق أوراق سعف النخيل هذه بنفس الطريقة المستعملة في شق أوراق سعف أشجار النخيل المزروعة. وكما هو الحال مع جميع المشغولات الفنية، فإن جودة العمل الفني تتباين من صانع إلى آخر ومن منطقة إلى أخرى. وعلى الرغم من أن استخدام هذا النوع من أشجار النخيل في انتاج الأعمال الفنية لا يحتاج إلى نفس المهارة المطلوبة عند استخدام أشجار النخيل المروحية الشكل إلّا أنه يتم في ظفار انتاج بعض الأعمال الرائعة وخاصة سلال الخبز وأغطية حاويات الماء وحصر الطعام وحصر الصلاة. ويفضل صانعو السلال في هذه المنطقة استعمال أوراق سعف أشجار النخيل



جيجي كروكر جونس

يتم الآن صنع أقفاص السمك من السلك، لكن هذا القفص يتم صنعه باستخدام المواد التقليدية وهي ضلوع سعف أشجار النخيل المزروعة. إن صانع قفص السمك التقليدي هذا هو ربما آخر هؤلاء الحرفيين الموجودين في خصب.

التي تنمو في المناطق الأخرى من عمان، لكن كان من الصعب الحصول عليها بالطبع. وقد اشتهرت ظفار باستعمال نباتات الصباغة.

وتعتبر أشجار النخيل البرية المحلية أفضل أنواع هذه الأشجار فهي تعطي أجود المواد المستخدمة في صناعة السلال. ويمكن شق أوراق سعفها لتشكل أليافاً ممتازة. وتتمتع النساء بمهارة خاصة في انجاز هذا العمل. وفي المنطقة الوسطى يذهب البدو وهم يمتطون الحمير أو الجمال إلى الوديان الموجودة عند باطن الجرف ربما مرتين في الشهر في فصل الشتاء حيث يمضون اليوم بطوله هناك. ويتولى الرجال عادة أعمال قطع السعف وجمعه، ويقومون بقطع السعف بالسكين وهو مفتوح إلى الربع أو النصف ويأخذون أربع أو خمس سعفات من إحدى الشجيرات ثم يوثقون الحزم باستعمال أحد الحبال التي يصنعونها بأنفسهم في الموقع من ألياف النخيل. ويقوم الرجال بجدل الكمامات الخاصة بالجمال وعمل أكياس ضروع الجمال لمنع الصغار من الرضاعة وعمل النقافات المستخدمة في قذف الحصى لجمع قطيع الحيوانات وأفخاخ صيد السحالي الجبلية (وهي عبارة عن عروات يمكن اطباقها) باستعمال ألياف النخيل وهي خضراء عادة. كما يقومون أيضاً بجدل السلال التي يتم تحميلها على ظهر الجمال والحمير والحصر التي يتم فرشها تحت أشجار السنط لجمع ثمار (قرنة) هذه الأشجار المستخدمة كعلف للحيوان.

وتقوم النساء بتجفيف السعف بتعريضه لأشعة الشمس لمدة اسبوع مع جلبه إلى الداخل في أثناء الليل لمنع تعرضه للندى الذي يجعله أسود اللون. ثم يقمن بعد ذلك بشق السعف واستخدام اسلوب اللف الملولب لعمل أوعية للحلب وسلال ذات أغطية وحاويات حفظ الأدوات النسائية. ويتم حفظ السعف المشقوق رطباً في وعاء مغزول صغير يتم منه سحب السعف حسب الحاجة. ويتم صنع السلال بخياطة كل صف من الصفوف الملولبة في الصف الذي قبله بواسطة ألياف الخياطة وباستعمال أداة مدببة لعمل الثقوب التي يتم فيها تمرير ألياف الخياطة.

وعندما تتوفر أشجار النخيل البرية، يقوم بعض البدو الرعاة بجدل السعف المشقوق لعمل شرائط طويلة يتم خياطتها معاً لانتاج الحصر المستخدمة في تغطية سقوف منازلهم. ولا يزال البدو الصيادون يصنعون هذه الحصر ويستخدمونها كجدران خارجية لمساكنهم. ويمكن لف هذه الحصر للأعلى لتسمح بمرور النسيم أو إسدالها لتوفير الدفء حسب الأحوال الجوية والرياح.

وتشتهر ظفار بجودة انتاجها من أوعية الحلب، وتأتي هذه البراعة الفنية الممتازة أساساً من المناطق الجبلية والصحراوية. ويتم صنع هذه الأوعية للاستخدام أثناء حلب الأبقار والماعز، مع صنع أوعية أكبر للاستعمال أثناء حلب الجمال. ولصنع هذه الأوعية يتم أولاً نقع الألياف غير المصبوغة في الحليب لتقويتها، غير أنه يتم في بعض الأحيان نقعها في الماء لنفس الغرض عندما يتم صنع هذه الأدوية لبيعها للسياح بهدف تفادي الروائح الحادة. ويتم تبطين الأوعية من الداخل بقطعة مدبوغة وممطوطة من جلد الماعز، مزركشة بشرائط جلدية. كما يتم زركشة السلال والحاويات الصغيرة الأخرى بشرائط من الجلد كما يحدث في بعض المناطق الأخرى. ويتم في بعض الأحيان الآن صناعة أوعية الحلب باستخدام ألياف جوز الهند لبيعها للسياح، لكنها ليست بنفس الدرجة من المتانة أو قوة التحمل.

وهناك نوع آخر من الألياف يجب أن نذكره، وهو ألياف القصب. لقد كان هناك العديد من نساجي ألياف القصب في منطقة الباطنة وفي فنجا بالمنطقة الداخلية، لكنه لم يعد في فنجا الآن سوى اثنين من النساجين يستعملون ألياف القصب بألوانها الطبيعية أو بعد صباغتها بألوان مختلفة باستعمال مواد الصباغة الكيماوية. ويتم طرق القصب لاستعماله في صناعة الحصر العادية وحصر الصلاة، واستعمال القصب غير المطروق في نسج الحصر المستعملة في نقل جثث الموتى إلى المقابر. ويمكن غسل هذه الحصر على عكس تلك المصنوعة من القصب المطروق.

لقد دامت صناعة السلال في عمان فترة أطول من بعض الصناعات الحرفية الأخرى، لان المواد الخام لا تزال متوفرة ويمكن الحصول عليها بسهولة أكبر نتيجة لتوفر وسائل النقل الحديثة. وقد اختفت بعض أنواع المشغولات، لكن بعضها الآخر لا يزال موجوداً ويستخدم في تأدية بعض المهام الوظيفية المفيدة.

كتب ومطبوعات أخرى

بالاضافة إلى الأبحاث العديدة المدرجة في مجلة الدراسات العمانية والمطبوعات المتخصصة الأخرى، والمقالات وثيقة الصلة المنشورة في مجلة «أخبار شركة تنمية نفط عمان» والمطبوعات الدورية العديدة الأخرى فإننا نوصي بالاطلاع على الكتب التالية أيضاً

مؤلف مجهول أو غير مسمى (مؤلفون متعددون): *النتائج العلمية لاستقصاء الحياة النباتية والحيوانية في عمان، ١٩٧٥*، مجلة *الدراسات العمانية، ملحق خاص رقم ١*. وزارة الاعلام والثقافة.

مؤلف مجهول أو غير مسمى (مؤلفون متعددون): *استقصاء الحياة النباتية والحيوانية في عمان، ١٩٧٧ (ظفار)*، مجلة *الدراسات العمانية، ملحق خاص رقم ٢*، مكتب مستشار الحكومة لشؤون المحافظة على البيئة.

مؤلف مجهول أو غير مسمى (مؤلفون متعددون): *اكتشاف عمان*، دليل أبيكس إكسلورر، أبيكس.

بورشتاين، إس. إم (المترجم)، ١٩٨٩، *أجاثارشيدس السنيدوسي، حول البحر الأرتيري*. جمعية هاكليوت، لندن.

كوستا، ب. ١٩٩١، مسندم، *المعمار والحضارة المادية في احدى مناطق عمان قليلة الشهرة*. دار إيميل للنشر.

ديبر، إف.، و تي. وودوورد، ١٩٨٢ *البحار الحية، الحياة البحرية في جنوب الخليج*. موتفيت.

المديرية العامة للاحصاءات الوطنية. *كتاب الاحصاء السنوي*.

دوي، ب.، ١٩٩٢، *سوقطرة: جزيرة السكون*، دار إيميل للنشر.

فاسي، دبليو.، *عمان: أمة بحرية*.

فينيس، آر.، ١٩٩٢، جزيرة *الرمال: البحث عن مدينة اوبار المفقودة*. بلومزبري.

غالاجر، إم.، و إم. وودكوك، ١٩٨٠، *طيور عمان*، كوراتيت بوكس.

غضنفر، إس.، *الكتالوج التفسيري للنبات الوعائية في عمان*.

هاولي، دي.، ١٩٩٧، *عمان ونهضتها*، استاسي انترناشيونال، المملكة المتحدة.

هاولي، دي.، ١٩٩١، *تاريخ الشعوب العربية*، فابر آند فابر.

هيوجز كلايك، إم.، ١٩٩٢، *التراث الجيولوجي لعمان*. شركة تنمية البترول العمانية.

كاي، إس.، ١٩٩٢، *بحارة الخليج*، موتفيت.

كاي، إس.، ١٩٩٢ *عمان المغردة*، موتفيت.

كلاين، إتش.، و ار. بركسون، ١٩٩٢، *على الطريق إلى عمان*. موتفيت.

لارسين، تي.، و كاي.، ١٩٨٠، *فراشات عمان*، بارثولوميو.

ماندافيل، جي الصغير، ١٩٧٨، *الأزهار البرية لشمال عمان*، بارثولوميو.

مككينون، إم.، ١٩٩٠، *الجزيرة العربية: رمل وبحر وسماء*، كتب هيئة الاذاعة البريطانية ودار إيميل للنشر.

ميللر، أي.، و إم. موريس، ١٩٨٨، *نباتات ظفار، المنطقة الجنوبية لعمان. الاستخدامات التقليدية والاقتصادية والطبية*. مكتب مستشار حماية البيئة، الديوان السلطاني، سلطنة عمان.

ميللر، دي. آر.، ١٩٩١، *تخطيط التنمية الاقتصادية في سلطنة عمان*.

وزارة الاعلام، عمان ٩٢، عمان ٩٣، ومطبوعات أخرى.

وزارة الشؤون البلدية والبيئة، *الاستراتيجية الوطنية لحماية البيئة*.

بوتس، دي. تي.، ١٩٩٠، *الخليج العربي في العصور القديمة، المجلد الأول والثاني*، مطبعة كلاريندون، اوكسفورد.

ريسّو، بي.، ١٩٨٦، *عمان ومسقط، اوائل التاريخ الحديث*، كروم هيلم.

سالم، آر.، و آر. بالدوين، ١٩٩١، *الغوص والغطس تحت سطح الماء في عمان*، موتفيت.

شيبرد، إس.د إي برايس، سير روبرتس، ١٩٩٢، *البيئة البحرية في المنطقة العربية، نماذج وعمليات في البيئات الاستوائية المتطرفة*. أكاديميك بريس.

ستيفنس، أي.، ١٩٩٠، *عمان: قلاع بين الرمال والبحر*. تيرا إنكوغنيتا.

سلطان القاسمي، ١٩٨٦، *اسطورة القرصنة العربية في الخليج*. كروم هيلم.

ثيسيجر، دبليو.، ١٩٥٩، *رمال عربية* (موجود في سلسلة كتب بنجوين للرحلات).

فاين، بي. جي، ١٩٨٦، *لآلىء المياه العربية، تراث البحرين*. دار إيميل للنشر.

فاين، بي. جي، و إم. ماككينون، ١٩٩١، *موجات الحرب*. بوكستري ودار إيميل للنشر.

فاين، بي. جي.، و بي كاسي، ١٩٩٢، *دولة الامارات العربية المتحدة*. دار إيميل للنشر.

فاين، بي. جي.، ١٩٩٢، *تراث قطر*، دار إيميل للنشر.

شكـــــــر وتقديـــــــر

أولاً وقبل كل شيء، أشعر أن من واجبي أن أتقدم بالشكر العميق لكل من قابلتهم فـي عمان أثناء قيامي بعمل الأبحاث الخاصة بهذا الكتاب والذين مدوا إلي يد الصداقة وشملوني بكرمهم ولطفهم. لقد جعلوا مهمتي مهمة ممتعة تماماً وعـاونوني كثيراً وجعلوني أشعر وكأنني بين أهلي على الرغم من طول غيابي عن أسـرتي في رحلاتي الطويلة. إن أولئـك الذين يعرفون عمان جيداً سوف يستـوعبون ملاحظاتي هذه جيداً لأن مـن الصعب أن يجد الانسان شعباً أكثر حفاوة وكرماً من العمانيين. إن المكان هنا لا يتسع بالطبع لذكر جميع الذين ساعدوني وعاونوني بصورة أو بأخرى، غير أنني أقدر أكثر من أي شيء آخر المكانة العالية التـي تحتلها القيم التقليدية. إن كرم الضيافة وحفاوة الاستقبال اللذين شعرت بهما أثنـاء وجودي بين سكان رملة الوهيبة وجدة الحراسيس، على سبيل المثال ،قد تركت في ذهني انطباعات عميقة ستظل عالقة في ذاكرتي إلى الأبد.

والآن، ألتفت إلى النواحـي الادارية والعملية المتعلقة بالعمل فـي إصدار مطبوعة من نوع هذا الكتـاب، ويجب أن أعبر عـن اعتزازي بالثقـة الغالية التي منحني إياهـا سعادة الاستاذ عبد الله الـذهب، سفير سلطنة عمان في لنـدن، الذي كان أول من ناقشـت معه هذا المشروع والذي شجعنـي كثيراً على القيام به. وعنـدما وصلت إلى عمان استقبلني سعـادة الاستاذ عبد العزيز بـن محمد الرواس وزير الاعلام الـذي تكرم مشكوراً بتوفير خدمـات الدعم الشاملة وشجعنـي باستمرار وأبدى اهتمامه الشـديد بمشروع الكتاب وذلك طوال العـامين التاليين وأثناء قيـامي باجراء الأبحاث الخاصـة بالكتاب. وبدون هذا الدعـم كان يستحيل علي أن أنجز هذا العمـل. وقد امتدت الرعاية الشخصيـة من معالي الوزير إلـى موظفيه في وزارة الاعلام الذيـن كانوا جميعاً على استعـداد تام لمساعدتـي وتلبية طلباتي العـديدة. وأخص بالـذكر هنا سعادة حمـد بن محمد الراشـدي وكيل الوزارة للشؤون الاعـلامية والمستر انتوني اشورث مستشار معالـي وزير الاعلام والفاضل عبدالله الرحبي مدير عام مكتب الوزير وزهـور حميد الصالح وشيخا الكندي ونصر الوهيبي وعامـر بن سيف العبري وروزماري هيكتر وأميـن الريامي وسعاد الحارثي. أمـا بالنسبة للمساعدات التي تلقيتهـا فـي المتاحـف العمانيـة، فـأود أن أشكـر الفاضلـة ليلى بنت محمد بن سليمان اللمكي مـديرة المتاحف والفاضلة فـاطمة محمد موسى أمينة متحف القـرم بمسندم للمساعدة القيمـة في هذه المشروع.

كما أود أن أتقدم بـالشكر العميق إلى معالي الشيـخ عامر بن شوين الحـوسني وزير البلديات الاقليمية والبيئـة للمساعدات القيمة التي قدمهـا لي في مجال الأبحاث المتعلقة بالتـاريخ الطبيعي العماني ولاتاحة فرصة مراقبـة أعمال ندوة «استراتيجية المحافظة على الطبيعة». وقـد تكرم معالي الاستاذ سعيد بن أحمـد الشنفري وزير النفط والمعـادن بمنحي جزءاً من وقتـه الثمين لأجري معه مقـابلة صحفية وأصدر أوامـره الكريمة باتخـاذ الاجراءات اللازمة التي تمكنني مـن الحصول على مزيد من المعلومات من المسؤوليـن في وزارته ومن المسؤولين في شركة تنميـة نفط عمان. كما أود أن أتقدم بالشكر الجزيل لسعادة الاستاذ مال الله بن حبيب مستشار وزارة التراث القومي والثقافة لتكرمه بالموافقة على أن أجري معه مقابلة صحفية.

لم يكن بالامكـان كتابة الفصلين الخاصين بتـاريخ عمان القديم والحديـث بدون جهود الأبحاث التي بذلتهـا مجموعة من الأفراد الذيـن عملوا في هذا المجال منذ سنـوات طويلة. وأنني لأقر بـالعرفان للفرصـة التي اتيحت لي للاستفـادة من المتاحف المختلفة فـي مسقط. لقد تمعنت بعمـق في مجلة الدراسـات العمانية وفـي العديد من الأبحاث المدرجة على صفحاتها. وفـي هذا الخصوص أود أن أتقدم بالشكر الجزيل بصورة خاصـة للدكتور باولو كوستا الذي لعب دوراً هاماً في هذا الخصوص والذي كان كتابه عن مسندم مـرجعاً قيما أعانني في تأدية مهمتي. وكان لكتاب الدكتور دي. تي. بوتس: الخليج العربي في العصور القديمة والـذي نشرته دار كلارندون للطباعة والنشر والذي يمثل مجملاً حديثاً لتسجيل الآثـار العمانية عوناً كبيراً وكذلك أبحاث ورسائل الدكتور بول يال عضو بعثـة الآثار الالمانية إلى عمان. كما أنني أدين بالامتنان للدكتور بول يـال لتفضله بتزويدي ببعض الصور من مجموعته الخاصة، وكـذلك للدكتور جيرهاردفيسجربر علـى ما قدمه من صور. كما أود أن أخص بـالذكر الكتابين اللذين ألفهما دونـالد هاولي (عمان ونهضتها) ووليام فـاسي (عمان: أمة بحـرية) فقد زوداني بمعلـومات قيمة وملهمة. كمـا أود أن أقر بأنني قـد تلقيت استشـارات وتوجيهـات قيمة من الدكتور جيفري أورتشارد بكلية دراسات الآثار القديمة بجامعة برمنجهام والدكتور باري جونس بشعبة علوم الآثار القديمة بجامعة مانشيستر.

كما تفضلت الفاضلة ليـزلي فوربس أمينة قسم الكتب الشرقية بمكتبة الجـامعة، بجامعة دورام بتقديم العون فيما يختص بالمـراجع. وكانت الجمعية

التاريخية العمانية هي المكان الأمثل للقاء، وكانت جهودها في مجال الحفاظ علـى الاهتمام بالتاريخ العماني والثقافة العمانية والتاريخ الطبيعي لعمان وجعلها محبوبـة تستحق كل ثناء وتقدير. إن الخبـرات التي تضمها الجمعية كانت بـالطبع تفوق خبراتي ودراياتـي، ولذلك فبدونهم وبدون تقـاليدهم العريقة كانت مهمتي ستكون عسيرة. وعلـى ذلك يجب أن أتقدم بالشكر العميق للجمعية لأهتمامها بأعمالي ولما قـدمته من مساعدات قيمة. ومع ذلك فإنني وحدي أتحمل المسؤولية عن أية معلومات غير وافية قد يكتشفونها في هذه النسخة المصغرة من ماضي عمان.

إن التقاليد العمانية غنية ومتنوعة وتستحق كتاباً وحدها. ولم يكن بـاستطاعتي تغطية جميع مجالات البحث في مجلد واحد، لكنني أدين بالشكر العميق للفاضلة جيجي كروكر جونس الخبيـرة في مجال فنون النسيج وصناعة السلال العمانية لاسهامها الجميل في هذيـن الموضوعين. وباستطاعة القراء الذين يرغبون في الالمـام بالمزيد من المعلومات عن هذين الموضـوعين الاطلاع على الكتاب القيم الذي ألفته جيجي كروكـر جونس وعلى المطبوعات المتخصصة الأخرى التي تتناول العديد من الموضوعات عن عمان والتي تتراوح بين الطهي والمشغولات الفضية.

كما أن التاريخ الطبيعي العماني هو موضوع متشعب أيضاً وتمت تغطيته في عدة مطبوعات متخصصة مثل كتاب «طيور عمان» لمايكل جلاغر ومارتن وودكوك، وكتاب «نباتـات ظفار» لأنتوني ميللر وميرانـدا موريس، وكتاب «دراسةالحياة النباتيـة والحيوانية في عمان» وكذلـك بعض الكتب والأبحاث والمجلات المتخصصة الأخـرى. ولذلك فقد كـان ذلك هو أحد الأسبـاب التي جعلت تفسيراتي فـي هذا الكتاب تعتمد بشـدة على خبراتي وانطبـاعاتي وتأملاتي الشـخصية، وتحاول أن تضيف شيئـاً من مذاق الحياة البرية المثيرة في عمان إلى بعض الحقائق الأخـرى الأكثر أهمية. وأنني أدين بالشكر العميق للصديق إيان ماكليش الذي صحبنـي معه في بعض رحلاته «الميدانية» بين جبال صلالة وريف شمال عمـان. لقد كان إيان بعيونه الخبيرة في مجال النباتات واهتماماته ودراياته بالتاريخ الطبيعي لعمان مصدر سرور وابتهاج كبيرين ومصدراً للمساعدات العملية. كما يجب علي أن أتقدم بشكر خاص إلى رالـف دالي مستشار حفظ البيئة بديـوان البلاط السلطاني الذي تبنـى ووجّه العديد من بـرامج المحافظة على الطبيعة فـي عمان. إن جهود المحافظة على الطبيعة في عمان ترعاها اليوم أيد خبيرة لفريق من العمـانيين المخلصين والمتحمسين يرأسها معالي الشيخ عامر بن شوين الحوسني وزير البلديـات الاقليمية والبيئة. وأود هنا أن أثني ثنـاءا عميقاً على جهوده من أجل ضمـان أن تحافظ عمان على مستـواها العالي في المحـافظة على الطبيعة والبيئة. وأود بصورة خاصة أن أعبر عـن عميق شكري للفاضل/ علي الكيومي مدير دائرة استراتيجية المحـافظة على الطبيعة بوزارة البلديات المحلية والبيئة لاهتماماتـه الخاصة بأعمالي ولتعريفي بالسلاحـف العمانية. كما أود أن أشكر أيضاً الدكتور مهدي أحمد بـن جعفر الذي يعمل بنفس الوزارة والذي سـاعدني وشجعني. كما ساعـدني أيضاً عدد كبير من الأفـراد في مختلف نواحي أبحـاثي في مجال التاريخ الطبيعـي العماني وأود أن أخص بالشكر مايكل جلاغر وباري جوب ورودي جونس وأندرو سبالتون وشـاهينة غزينفار وهان وجينز إريكسين ورودني سالم وروبرت بولدوين ومركز تعليم الغوص العماني.

إن الأبحاث التـي أجريتها للفصل الخـاص عن عمان الحديثـة قد أوصلتني إلى أنـواع مختلفة عدة من ضـروب الاستكشـاف والاكتشـاف تراوحـت بين رحلات على متن طائرات شركة الطيران العمـاني وزيارات للمرافق الحديثة لصناعة البتروكيماويات. ولذلك أتقـدم بالشكر للفاضل/ منصور العامري مدير العلاقات العامة والاعلام بشركة تنمية نفط عمان للمساعدات التي قدمهـا بنفسه وللمساعدات التي قدمتها الشركة ولتزويدي بالبيانات والمراجع والصور. وهناك العديد من الأفراد الذين أرغب في أن أخصهم بالشكر العميق للمسـاعدات التي قدموها في اعداد هذا الكتاب وأرجو أن يغفر لي كل من لا يجده إسمه مدرجا هنا وعليهم معرفة أن جهودهم كانت تستحق العناء الذي بذلوه.

الفهرس

الدكتور بيتر ڤاين هو مؤلف لتسعة عشر كتاباً، يتناول العديد منها الحياة البحرية العربية والتاريخ والتراث العربي. ان اهتماماته بهذه الموضوعات قد نشأت خلال الفترة التي امضاها مقيماً في منطقة الجزيرة العربية ونمت خلال خمسة وعشرين عاماً تنقّل خلالها في انحاء الجزيرة العربية. وبعد أن كان يعمل في البداية كعالم بحري ومستشار لصناعة صيد الأسماك، اتسعت آفاق اهتماماته لتتضمّن مجموعة كبيرة من الموضوعات التاريخية والبيولوجية والتنموية التي تؤثر في الجزيرة العربية. وقد كتب عدة مؤلفات عن البحر الأحمر من بينها كتاب "الحيوانات اللافقارية للبحر الأحمر" الذي يعتبر أحد الأعمال المرجعية القياسية، وكتاب "السلامة في البحر الأحمر" وهو مصدر هام للمعلومات التي يستعين بها الغواصون. وتتضمن سلسلة مؤلفاته المنشورة عن تراث الدول العربية، والتي يشكل هذا الكتاب سادسها، مؤلفات عن عُمان والكويت والبحرين وقطر والإمارات العربية المتحدة.

ان سلسلة كتب تراث الجزيرة العربية هذه تشتهر بجودة بحثها ونصوصها ورسوماتها التوضيحية التي نجح المؤلف في تجميعها. كما فاز كتابه "تقلبات الحرب" والذي تناول الآثار البيئية لحرب الخليج بجائزة أفضل كتاب لعام ١٩٩٢ في معرض فرانكفورت للكتاب الذي اقيم في عام ١٩٩٢. كما لعب المؤلف دوراً نشيطاً في انتاج فيلم عن هذا الموضوع يحمل نفس الإسم، وفي انتاج عدة أفلام أخرى عن الموضوعات البحرية.

ويواصل بيتر ڤاين، بوصفه رئيس التحرير التنفيذي لمجلة «الحياة البرية العربية» التي تصدرها دار بلانيت للنشر، النهوض بدور فاعل لنشر الوعي — على نطاق عالمي — بالخصائص الفريدة للجزيرة العربية وما يواجهها من تحديات.

ولاعداد هذا الكتاب، سافر بيتر ڤاين وتجوّل طويلاً في أنحاء سلطنة عمان. اما في الأوقات التي لا تتطلب منه السفر لأغراض البحث وجمع المعلومات اللازمة لإعداد الكتب أو لصنع الأفلام أو مزاولة اعمال النشر الخاصة به، فإنه يركن للإقامة في كليفدن بكونيمارا الواقعة على الساحل الغربي لإيرلندا.

وتتضمن قائمة المؤلفات التي نشرتها دار إيميل للنشر لنفس المؤلف:

تراث البحرين
تراث قطر
دولة الإمارات العربية المتحدة
الكويت: قصة أمة
تراث الأردن
جزيرة سيشيل
مستكشفو البحر الأحمر

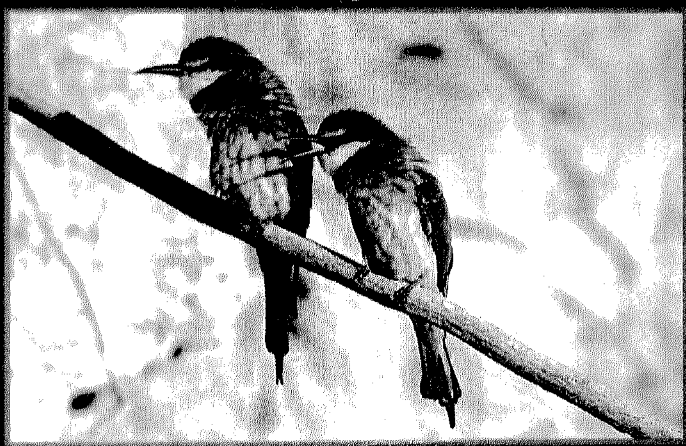
دار إيميل للنشر المحدودة
٢٠ باركلي ستريت، باركلي سكوير
لندن دبليو ١ إكس ٥أي ئي
هاتف: ٠١٧١ ٤٩١ ١٧٩٩ فاكس: ٠١٧١ ٤٩٣ ٥٥٢٤

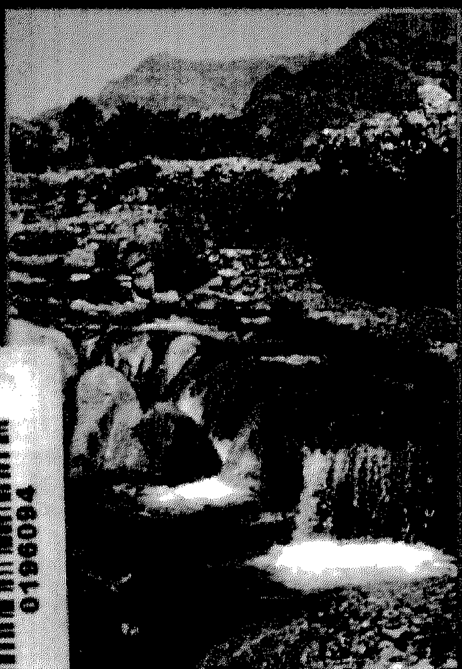
Immel Publishing Ltd,
20 Berkeley Street, Berkeley Square,
London W1X 5AE
Tel:0171 491 1799 Fax:0171 493 5524



إن القليل جداً فقط من البلدان على ظهر المعمورة تستطيع أن تقدّم تنوّع المشاهد وثروة الحياة البرية التي تشكل التراث الطبيعي لعُمان.

إن مجلدات بأكملها لا تكفي للحديث عن التاريخ الطبيعي لعُمان، ومع ذلك فقد تناول المؤلف في هذا المجلّد المصوّر الجميل بعض الموضوعات المثيرة الأخرى وتناول بالوصف الماضي العريق للبلاد وكشف عن أهمية عُمان للحضارة القديمة في بلاد ما بين النهرين وأوضح التطورات الجديدة والحساسة من الناحية البيئية للبلاد.





ISBN 1 898162 40 9

IMMEL
Publishing